

١٧١



في تفسير القرآن الكريم

المجلد الثاني

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين ببيان آياته

الجزء العاشر

طبع بمطبعة

مصر في السبابة الحسنية واولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وباشطه محمد امين عمران

رمضان سنة ١٣٤٩ هـ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الشورى (هي مكية)

إلا أربع آيات من قوله ... أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله نختم على قلبك ... الى قوله
... والكافرون لهم عذاب شديد ... مع قوله ... وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
وهو الولي الحميد ... فانية

آياتها ٥٣ -- نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم * عَسَى * كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ

الْجَمْعُ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ
مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَمَعَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا
تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنَ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ
الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَفَى شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ
مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَإِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَسَفَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ * اللَّهُ لَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ * أَمْ لَهُمْ
شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَافِرِينَ * ذَلِكَ الَّذِي يُشَرُّ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَشْتَرِ حَسَنَةً نَّرْزُقْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْسَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَلَوْ تَسَوَّاهُ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعَمَلِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ * وَهَآ أَصَابَكُمْ مِّن مَّسِيئَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ * وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَمَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّن مَّخِصٍ * فَا أَوْتَيْتُم مِّن شَيْءٍ فَتَنَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَآئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاؤُنَا سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا فَمَن عَصَا وَأَصْلَحَ فَاجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ اتَّصَرَ بِعَدُوِّهِ ظُلْمَهُ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَظَمِ الْأُمُورِ * وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءٍ
يَتَصَرَّوْنَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ * اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْكٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ * فَإِنْ
أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَاحُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْكُورَ * أَوْ يُرَوِّجُهُمْ
ذَكَرًا وَإِنِائًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَمَا كَانَ لِلشَّيْءِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ *
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ
اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .

اعلم أيها السكّاني أن هذه السورة تشتمل على قسمين : القسم الأول من أول السورة الى قوله ... لهم
عذاب شديد ... وفي هذا القسم :

(١) إن لله ملائكة يقومون بتدبير شئون العالم المادّي من جبال وحيوان وانسان . وأيضا يقومون
بالهام الناس ما ينفعهم في أمورهم الدنيوية والدينية تقيما لقوله ... سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ...
فان ما يعرفه البشر من العالوم والمعارف يكون بالهام ، فاذا استعد الانسان لعمل نافع دنيوي أو أخروي أحس
في قلبه بفكرة ، ثم هو نفسه بعد ذلك يتصرّف فيها بعقله ، لأنهم لا يلهمون إلا من وجدوا عنده استعدادا
للأعمال .

(٢) وانه ﷺ أنزل عليه قرآن عربي لينذر أهل مكة ومن حولها ، وذلك بالوحي الذي أنزله الله
عليه بواسطة الملائكة المذكورين جبريل ، وليس الوحي لقوم والإيمان والكفر لآخرين إلا على مقتضى
الاستعداد ، وهذا العالم لا يمكن أن يكون جميع أفراد على حال واحدة ، فهم مختلفون في جميع الأحوال ،
وهذا الاختلاف نجم منه الاستعداد للإيمان والاستعداد للكفر ، فمالنا هذا لا يصح إلا على هذا الضرب
من الاختلاف

(٣) وكما اختلف الناس في أحوالهم كالإيمان والكفر اختلف كل شيء في السموات والأرض كالأشجار
والأشياء والانسان والأنعام ، فأما هو فليس كمثل شيء ، وانما مفاتيح العوالم بيده ، فمن شاء وسع له في رزقه
ومن شاء ضيق عليه ، فاذا اختلف الناس إيمانًا وكفرًا ، واختلفت الخواصات ذكورة وأنوثة ، وتنوعت الخليقة
فهكذا اختلفوا في الأرزاق بحسب الاستعداد والنظام ضيقًا وسعة

(٤) ثم رجع القول الى الوحي والدين والنبوة ، فأفاد أن الوحي الذي أنزله الله على الأنبياء جميعا كنوح

ومحمد ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى يدعوا إلى أمس واحد وهو الإيمان بالقلب والطاعة بالعمل وأن لا يختلفوا في هذا الأصل ، ثم إن شرائعهم تتفرع كل بحسب زمانه كما تفرعت الحيوانات إلى أنواع وذكران وإناث والأصل واحد وهي الحركة والنور ، ثم إن الأمم بعد ما عرفوا أن التفرق ضلال وأن رسالهم حق وقد قرءوا كتبهم وعقلوها تفرقوا ، وهكذا هؤلاء الذين دعوتهم كبر عليهم ما دعواهم إليه وكذا أهل الكتاب في زمانك أصبحوا في شك متعلق

(٥) فاصدع بأمرك ، وادع للدين ، واستقم على السعوى ، ولا تتبع أهواءهم ، وكلهم في القوة العالمية والتقوى العملية ، وتجميعهم لا تقوم ضد الحقائق الثابتة

(٦) ثم انه سبحانه أبان أن نظامه كامل والعالم كله موزون منظم ، وهذه الكتب الدينية إنما نزلت لإقامة العدل بين الناس بحسب الظاهر ، فمن كان باطنه غير كامل وهو ظالم فأمامه العدل العام في السموات والأرض يتلقاه يوم القيامة ، وهذا برهان إما خطابي وإما عقلي على اليوم الآخر كما ستره بهد ، والناس فرقتان : في أمس الساعة ، فريق مستهزئ بها ، وفريق مصدق خائب . إن الله وسع في ملكه البار والفاجر والصالح والظالم ، فلم يهلك المستهزئ ، بل أمهل إلى يوم القيامة . وأن أمر الرزق ليس تابعا لاعتقاد بل هو تبع للشيئة والمصلحة المأومة عنده تعالى . وأمر الآخرة يرجع إلى إرادة الإنسان نفسه . فمن جعل همه العاجلة تأمل لا غير . ومن جعل همه الآجلة أعطى التعمتين . وذلك على حسب النظام العام . والعدل أن لا يعطى الإنسان إلا على مقدار ما يستحقه وما يقبل استداده . ولذلك يكون الظالمون يوم القيامة وجلين خائفين من ذنوبهم والصالحون منعمين . وهذه هي البشارة التي بشر الله بها عباده الصالحين . ثم أمر نبيه ﷺ أنه لا يسألهم على التبليغ أبجرا وإنما يسألهم أن يودوا الله ورسوله في تتركهم إليه بالطاعة والعمل الصالح وذلك ليكونوا في روضات الجنات

وأما القسم الثاني وهو من قوله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده - إلى آخر السورة ففيه إن تسخير العباد في جلب الرزق لم يكن عبثا بل هو لتدبيرهم على العمل ، ومن فوائد ذلك عدم التكبر والبطار والظلم ولأجل ارتقاء نفوسهم وتدريبهم على الصبر جماعهم بين رجاء وخوف وضيق وسعة ، فلا ينزل الماء عفوا بلا طلب بل يجعل الأرض يابسة ليطلبوا الماء ويشتاقوا إلى المطر ، ثم ينزل ليكون ذلك أدعى للتفكير والتدبر والاستبصار والشكر ، وإذا ركبوا في البحر جرت الرياح جريا غير متصل ليحصل لهم الخوف والرجاء كما حصل في المطر على أنه إذا نزل المطر وهم الخصب واستقامت السلامة ، فليس كل هذا له معنى في نفسه ان ذلك متاع الحياة الدنيا ، ولكن الفضائل النفسية والأخلاق والعلوم هي الباقية ، فمن تلك الفضائل الشورى بين المسلمين والاحسان ، والجلود بالمال على مستحقه ، والعفو عن المذنب ، وأن لا يكون عقابه إلا على قدر ذنبه ، وخير من هذا العفو ، فهو خير وأبقى

ثم ختم السورة بما يفيد اختصاصه بالملك ، وأنه يفعل ما يشاء على مقتضى حكمة يعلمها ، وأن الناس مختلفون في الذرية من حيث الذكران والاناث والتنعم وعدمه ، وهكذا في القرب منه حتى خص الوحي بفريق مستعد لذلك ، ومع ذلك فالكلام الله معهم شرائط وأحوال ثلاثة . انتهى إجمال المقال على السورة

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم حم) الحاء والميم يرجعان للحمد كما تقدم في السور السابقة ، والحمد يرجع لأمر الدنيا والآخرة فهو متضمن لمعرفة النعم ، وذلك يستوجب سائر العلوم ، وقد جاء الحمد في السورة السابقة في قوله تعالى - تنزيل

من حكيم جيد ، وفي هذه السورة في قوله - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - والعين في العزيز والعظيم
والعلى ، والقاف من قدير في قوله - وهو على سبعين ألف عرش - ، والسين من الساعة ، فهذه الحروف
داخله فيما تقرّر في أول « آل عمران » رضيها وتخص بها اختصت به آل حم في أنها حادثة على الحمد
وازداد العلم والحكمة ، لاسيما بما سيأتي من البرهان على الساعة وقيامها . فان هذا البرهان على أوقاف
ترتاح اليه النفوس وتطمئن القلوب كما ستراه لأنه مستمد من علوم الخليقة والنظم الطبيعية . فانه يقرّر في
النفوس قدرة الله على جمع النفوس البشرية يوم القيامة . وهذا دلالة السين والقاف . أما العين فمن جعلها جلال
الله وعظمته وكبرياؤه وعزته وعلوه . فهنا محامد وعلوم يراد بها القرى من ذي العزة والعظمة . وبهذه العلوم
تعرف البراهين الدالة على عدله وأنه لا يدع أصغر العالم سدى بل لا بد من بعثهم وحسابهم ، وكأن هذه المعاني
التي تشير لها هذه الحروف أهم ما في السورة فان العلوم جميعها وأخصها ما تعلق بالله وباليوم الآخر ليس
بمدها مزيد لمزيد . قال تعالى (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي مثل
ما في هذه السورة من المعاني يوحى إليك الله العزيز في ملكه فلا يكلم أحدا إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو
يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء ، ذلك لعلوه وعزته وحكمته ، فلمزته ترفع عن أحوال الحوادث ، لحكمته
كلهم على مقدار حالهم . ثم أوضح عزته وعلوه فقال (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم)
هذه الجمل كلها التبيان عظمته وعلوه وكبريائه وحكمته (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أي يتفطرن من علوه
شأنه وعظمته أي تكاد كل واحدة تنفطر فوق التي تليها من عظمة الله تعالى . ولذلك ترى هذه العوالم التي
نعيش فيها واشتقت منها المادة ما هي إلا أثر أي عوالم لا لون لها ولا طعم ولا وزن فهي في الحقيقة عوالم ذائبة
منفطرة بل تكاد تكون حركات مضطربات لا مستقر لها ومنها كدونت الشمس . فهذه الشمس السارحات
في عالم الأثير تكاد تنفطر وذلك من عظمته ، انه على ، وانه عظيم ، وعلوه لا تتناوله الخواص وهكذا المادة التي
خلقها هو ودبرتها الملائكة لا تصيبها الخواص وإنما الشمس والأقمار والأرضون هي التي تناطها الخواص . وهذه
على شفا جرف هار ، فهي أيضا مستعدة للانفطار والانسحاق كما ثبت في علم المصير الحاضر ، فما من كوكب أو
شمس أو قمر إلا وهي مستعدة يوما ما لأن ترجع أثرا ، فهي تكاد ترجع للطبيعة ككرة أخرى لأنها مفروسة
في العالم الأثيري اللطيف فتكاد ترجع لأصلها ، وإنما الذي يحفظها ويقوم أمرها هم عوالم الملائكة باذن ربهم
وهذا قوله (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) فهم يحافظون على هذه العوالم
خيفة أن يتطرق إليها الخلل بنواميس سننها لهم ، ويلهمون الناس ما يحتاجون اليه ، فمثل الملائكة إلا
كمثل الضوء يعطي الحياة بحرارة ويعطي الهدى بنوره ، هكذا هؤلاء الملائكة يحافظون على الشمس
والأرضين بقوةهم المستمدة من ربهم ، ويلهمون الخير لمن استعد لذلك . فالشمس التي نراها والأرضون
لولا الملائكة لذابت في الأثير والحافظ لها الملائكة . وإنما نبه الناس على ذلك ليفكروا في ذلك ويلهموا
أن هذا العالم الذي نعيش فيه كله حياة وحكمة . فعلى الانسان أن يفكر في أن يكون عضوا نافعا في جسم
هذا العالم السككي حتى يلحق بالالأعلى . فليكن من المصلحين في الأرض على قدر طاقته . ولا جرم أن إلهام
الملائكة ومحافظتهم على الناس بأمر ربهم مفيدة للناس ، وذلك دلالة على أن الله كثير المغفرة والرحمة إذ سخر
الملائكة للاستغفار لمن في الأرض ففقر لهم ورحمهم وذلك قوله (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) والذين اتخذوا
من دونه أولياء شركاء (الله حفيظ عليهم) رقيب على أعمالهم فيجازيهم (وما أنت عليهم) يا محمد (بوكيل)
بموكول اليك أمرهم (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) أي مثل المعنى الذي في الآية التي قبل هذه من
أن الله رقيب عليهم لا أنت ، بل أنت منذر ، وقد تكرّر في القرآن في مواضع كثيرة ، أوحينا إليك قرآنا
عربيا (لتذرا أم القرى) أي أهل أم القرى وهي مكة (ومن حولها) من العرب (وتذرا يوم الجمع) يوم

القيامة تجمع الخلائق فيه والأرواح والأشباح والأعمال ، وقوله (لأريب فيه) جملة اعتراضية وهم بعد جهنم (فريق في الجنة وفريق في السعير) ولو شاء الله لجهنم أمة واحدة) مهتدين أو ضالين (ولكن يدخل من يشاء في رحمة) بالهداية (والظالمون ما لهم من ولي) يدفع عنهم (ولانصير) يمنهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء قل الله هو الولي) هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وكيف يستحق أحد أن يكون وليا إلا من كان بهذه الصفة (وما اختلفتم) أنتم والكفار (فيه من شيء) من أسرار من أمور الدنيا والدين (فحكمه إلى الله) مفوض إليه ، فهو عيّن الحق فينصره من المبطل فيخذه (ذلكم الله ربى عليه توكلت) في مجامع الأمور (واليه أنيب) أرجع في المعضلات (فاطر السموات والأرض) خبر آخر لكم (جعل لكم من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) حلال (ومن الأنعام أزواجا) أصنافا ذكرانا وإناثا (يذروكم) يخلطكم أو يكثركم (فيه) في الرحم (ليس كذلك شيء) كلمة التثنية كبرت لتأكيد نفي القائل أى ليس مثله شيء (وهو السميع) لسائر المسموعات (البصير) لسائر البصريات (له مقاليد السموات والأرض) مفاتيح الرزق فيهما ، ففي السماء بالأمطار وفي الأرض بالأنبات ، ولذلك أعقبه بقوله (يسيطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ، ذلك لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شيء عليم) من البسط والتضييق (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ويحمد ومن بينهما من أرباب الشرائع أى الأصل المشترك بينهم وهو الدين بقوله (أن أقيموا الدين) الإيمان والطاعة (ولا تفرقوا فيه) ولا تختلفوا في هذا الأصل ، فأما فروع الشرائع فهي مختلفة (كبر) عظم (على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد (الله يحبى إليه من يشاء) يحبى إلى الدين (ويهدى إليه) بالارشاد (من ينيب) يقبل عليه (وما تفرقوا) أى الأهم السابقة (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بأن التفرق ضلال (بنيان بينهم) عداوة وطلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالإمهال (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لتفضى بينهم) باستئصال المبطلين (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى أهل الكتاب المشركين في عهد النبي ﷺ فان هذين القسمين أوتوا القرآن وشكروا فيه بعد ما تفرق قدامه أهل الكتاب وهم يعلمون أن التفرق ضلال ، فقول (إني شك منه) من الكتاب أى القرآن (صريح) مطلق ، أو مدخل في الريبة (فلذلك) فلا أجل ذلك (فادع) إلى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) واستقم على الدعوة (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى جميع الكتب السماوية (وأمرت لأعدل بينكم) فى الحكم اذا تخصمتم فتحاكمتم إلى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) كقوله «لكم دينكم ولى دين» (لاحجة بيننا وبينكم) لاختصاصنا لأن الحق قد ظهر والحجة قائمة عليكم (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم إلى الجاهلية (حججهم داعية) باطلة (عند ربهم وعليمهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل (والميزان) أى العدل والتقوية وهو النظام العام ، ولا جرم أن الكتب السماوية من نوع الميزان العام والعدل الشامل الذى ظهر فى عالمنا الأرضى والسماوى ، ولما كانت الأحكام القضائية لا تعتمد إلا على الظواهر وكان هناك بواطن مخبوءة أرجئت لقيام الساعة حتى يكون الميزان الانسانى تاما كالميزان العام ، فكأن سائلا يقول : يارب إنا نرى الناس فى الدنيا يفتشون ويكذبون ولا عدل بينهم والقضاة يحكمون بالظاهر ، وأيضا ربما رأينا الصالح حقيرا والشرير عظيما فأين الميزان فى عالمنا ؟ فأجاب (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري (يستهل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء

(والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها (ويعلمون أنها الحق) السكائن لاحتالة (آلا إن الذين يمارون في الساعة) يجادلون فيها (أني خلال بعد) عن الحق (الله لطيف بعباده) في إيصال النافع وصرف البلاء من وجهه لطيف إدراكه (يرزق من يشاء) يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته ، وفي الحديث : « إن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك » ، ثم قال (وهو القوي العزيز) الباهر القدرة المتبع الذي لا يظلم (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة ، أي من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له في حورته) بالتصنيف (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ، سمى ما يمهله العامل بما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (لؤته منها) شيئا (وماله في الآخرة من نصيب) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (أم لهم شركاء) أي بل ألهم شركاء (شرعوا لهم) بالزينة (من الذين مالم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) القضاء السابق بتأجيل الجزاء (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين (وان الظالمين لهم عذاب أليم) أي وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان لم يعذبوا في الدنيا (تري الظالمين) المشركين (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لاحتالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) والروضة أطيب بقعة في الجنة وأنزهها (لهم ما يشاءون عند ربهم) أي ما يشتهون ثابت لهم عند ربهم (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشر الله به) عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه (على التبليغ أجرا) نفعا منكم (إلا المودة في القربى) أي لكن أسألكم التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح وهذا قول الحسن ويدخل فيه مودة النبي ﷺ ومودة قرابته ومودة القرابة من المسلمين ، فمن تقرب إلى الله أحب رسوله وأكرم قرابة الرسول وقرابته هو من المسلمين ، وهكذا يكرم أبويه إذا كانا كافرين ، فهذا القول يجمع سائر الأقوال ، ومن أكرم قرابته ﷺ تعليمهم إذا جهلوا ، وتذكيرهم إذا غفلوا ، وأما إكرامهم بمعنى التعظيم وحده فهو قصور معيب وجهل بديننا القويم (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة ، سيما حب آل الرسول ﷺ (نزد له فيها حسنا) أي في الحسنات بمضاعفة الثواب (إن الله غفور شكور) أم يقولون بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن (فان يشأ الله يختم على قلبك) أي ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجتري بالافتراء عليه ، ثم استأنف فقال (ويمح الله الباطل) حذفت الواو من محو خطأ ولفظا وهي مثبتة في مصحف نافع ، فهو فعل صرفوع بضمة مقترنة على الواو (ويحق الحق بكلماته) أي بما أنزل من كتابه على لسان نبيه ، وهذا وعد قد تحقق ، فهو محابطهم وأثبت حق الإسلام ، وأيضا لو كان ما يقوله محمد ﷺ مفترى لحقه الله جوا على عاداته أنه يحوكل باطل (إنه عليم بذات الصدور) فهو يعلم الباطل والحق فيعامل كلا بما هو أهل له (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه ، والتوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب ، وأن لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره (ويعفو عن السيئات) وهي مادن الشرك ، فهو يعفو عن شاء بالتوبة (ويعلم ما تعملون) من التوبة والمعصية (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على ما طلبهم (والكافرون لهم عذاب شديد) في الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أي لو أغناهم جميعا (لبغوا في الأرض) أي لبغى هذا على ذاك ، وذلك على هذا ، فالغنى يطرأ أو يتكبر (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (إنه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا أمرهم وظواهر حالهم فيعطى كلا ما يناسبه (وهو الذي ينزل الغيث) المطر الذي يقيهم من الجذب (من بعد ما قنطوا) أيسوا (وينشر رحمته) في كل شيء من مخلوقاته (وهو الولي) الذي يتولى عباده بأحسنه

ونشر رحمة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والأرض) مع عظمهما (وما بثّ فيهما من دابة) أي وما فرق من الدواب في الأرض وحدهما ، والتعبير بهذا كالتعبير في قوله - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان - مع ان اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح كما يقال بنوهم فيهم شاعر مجيد وانما هو في نقد من أنفذهم . هذا اذا وقفنا عند النظر السطحي . فأما اذا فكرنا فانا نجد هناك من العوالم ما تستحق أرضنا بالنسبة له . ولقد يظن علماء الهيئة الآن أن أقل عدد يظن من الأرضين لا ينتهي عن ثلثائة ألف ألف أرض فيها سكان قياسا على أرضنا التي نحن عليها ، هذا ما يقوله علماء الفلك ، فأما علماء الأرواح فانهم لما استنطقوها قالت : « إن هناك عوالم في هذا الكون مسكونة تستحق أرضكم بالنسبة لها ، وما أنتم بالنسبة لهم إلا كالنمل بالنسبة لكم »

وهاك جملة من كلام روح غالي لما استحضروها قال : « إن الملايين من الشمس المؤلفة منها مجرتكم يحيط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة ، فيها ما يماثل نجم (سيريس) الذي يربو حجمه وبهاؤه على شمسكم ألوفاً من المرار والسيارات المحيطة به فوق سيارات الشمس كبرا وسناء ، ومنها شمس مثناة أي نجوم توائم تختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمسكم ، ففي السيارات المحيطة بتلك الشمس المثناة لاتعد السنون والأيام كما في أرضكم ، وأحوال الحياة فيها يتعذر عليكم تصورها ، ومن الشمس مالا سيارات له إنما أحوال سكانها خير الأحوال » انتهى المقصود منه

فها هو ذا (غالي) لما استحضروا روحه أفادنا أن من السيارات ما هو خير من أرضنا كما ان شمسنا أحسن من شمسنا ، ومن السيارات ما يسكن نفسه وتكون السكنى فيه والحياة خيرا من سواء ، وأن السيارات التي تتبع الشمس التوائم تكون الحياة فيها كأنها جنة بالنسبة لأرضنا ، وعلى ذلك أصبح ما كان عند الفلكيين ظنا عند علماء الأرواح يقينا ، واذن يكون هذا تفسيرا للقرآن ﴿ وبعبرة أخرى ﴾ هذا هو سرّ القرآن إذ يقول الله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - في السورة السابقة ، وأي آيات أبداع من هذه ، يقول الله - وما بثّ فيهما من دابة - ، ويقول العلم الحديث ظنا تارة واقناعا أخرى ، إن أرضنا لا قيمة لها والحياة فيها حقيرة ، والحياة هناك أجمل ، وسعادتها أتم ، بل جاء في مقال هذه الروح أيضا أن هناك عوالم أقل من أرضنا استعدادا وأهلها أكثر شقاء من أهل الأرض ، إن ذلك من معجزات القرآن ، قد أرانا الله آياته في الأنفس والآفاق ، والمسلمون مقصرون في البحث والعلم والتفكير ، فليجدوا في علوم الفلك والطبيعة والأرواح وقوله تعالى (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) أي في أي وقت يشاء متمكن منه . ثم إن قولنا في هذا المقام ان اللؤلؤ لا يخرج إلا من البحر الملح كذب العلم الحديث أيضا فسيأتي في سورة الرحمن أن الماء العذب يخرج منه اللؤلؤ . فهذه معجزة ثانية للقرآن (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بالمصائب الأحوال المسكروحة من الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والفرق والصواعق . والذي كسبته أيدينا هي الذنوب والمعاصي (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها . وهذه الآية في المجرمين . أما غيرهم فان مصائبهم لرفع درجاتهم بالأجر أصبرهم عليها . وفي رواية عن ابن عباس : « انه ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » . وروى عن عليّ كرم الله وجهه : « ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ - ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير - وسأفسرها لكم يا هلى : ما أصابكم من مصيبة أي مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني (بتشديد النون) عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوّه » . وروى عن غيره ما يفيد أن المصائب إما لرفع درجة أو لغفرة ذنب . هذا ملخص ما عليه جمهور أمتنا الاسلامية . وقالت طائفة تميل الى التناسخ : « لو لم يكن للأطفال حال كانوا عليها قبل

هذه الحالة ما تأوا . وأجاب السائل بأن الآية مخصوصة بالمتكافين كما هو السياق . وإذا أردت تحقيق المقام عتليا فارجع الى ما في هذا التفسير في ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى : وبشر الصابرين . الخ فإليك سترى كيف كان القرآن مجزأ . وكيف كان الفيلسوف قابس ألف كتابا على هذا المعنى يسمى : ﴿الفرقاس﴾ وأما الطائفة من هذا المقام . هناك تعرف سر القرآن وأن العلوم كلها له برهان . فوالله ما قلت لك هذا وأنا من المتكافين وإنما أنا من الموقنين . والا فكيف تتحد العلوم الفلسفية والآيات القرآنية . وكيف يقول قابس في رسالته التي ترجمت الى جميع لغات أوروبا انه لا ينال السعادة في هذه الدنيا إلا الذين عركهم الدهر وطحنهم بكاسكه وصبرهم على تحمل المصائب وأذاقهم العذاب الطون حتى صقلهم بصقله وآذاهم بنباله وقتلهم بسيوف رجاله وحطت بساحاتهم ونزل بديارهم وأجلب عليهم بخيله ورجله وشاركهم في الأموال والأولاد ولم يعبأ بالعلوم وفهمها ولا بالآداب ودرسها ولا بالنعم وحوزها ولا بالأموال وكنزها . وجعل ذلك كله يصيب البار والفاجر والعالم والجاهل كالليل والنهار والحر والبرد والحسن والقببح فأى علاقة لسعادة الانسان بما يمتريه من الأحوال انه لا سعادة له كاملة إلا بأن تصقله المصائب صقلا وتنزل عليه تفصيلا وجلا حتى يتكامل عقله ويكظم غيظه ويتم احتماله ويظهر جماله . بهذا يظهر جمال القرآن ويعرف الناس سر الفرقان . ولكن بعد أن تدرس ما كتب في سورة البقرة . وكأن الانسان خلق وفيه نقص كثير بطبعه . وهذا النقص لا يذهب إلا بأعمال شريفة وعلوم منيعة ومصائب تساعد على ارتقائه . فالكسب ربما كان لما هو أهم مما جعل عليه الانسان من النقص وما فعله بيده من الذنوب والله هو الولي الحميد . ثم قال تعالى (وما أتمم عجزين في الأرض) أى فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) يحرسكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (في البحر كالأعلام) كالجبال (إن يشأ يسكن الريح) التي تجرى بها السفن (فيظللن رواكد على ظهره) أى فيبين ثوابت على ظهر البحر (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل مؤمن كامل صبر على المصائب وشكر على النعم وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكير في آلائه الذي هو نوع من الشكر (أويوبهقن) أى أوبهلك أهلق (بما كسبوا) من الذنوب بإرسال الريح العاصفة المفجرة ، والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أويصفها فيغرقن بعصفها (ويصف عن كثير) من الذنوب فلا يجازي عليها أى ان يشأ يهلك قوما وينج آخرين على طريق العقوبة عنهم ، وإنما يورق من يورقهم بما كسبوا لينتقم منهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) في إبطالها (مالهم من محيص) مهرب من العذاب (فما أوتيتهم من شيء) من زينة الدنيا (فتنازع الحياة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وحينئذ يكون المؤمن والكافر مستويين في متاع الحياة الدنيا فإذا صاروا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الإثم) كالقتل والزنا والسرقة (والفواحش) ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى يكظمون الغيظ ويحكمون (والذين استجابوا لربهم) أى أجابوه الى مادعاهم اليه من الطاعة (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يجادلون ولا ينفردون برأى لشدة تيقظهم وحذرهم ، يقال « ما تشاور قوم إلا هودوا لأرشد أمرهم » (وما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (والذين إذا أصابهم البغي) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم من غير تعذ ، قال النخعي : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فإذا قدروا عفوا . فالمؤمنون إذن قسمان : قسم يغفون فبدأ بذكرهم وهو قوله - وإذا ما غضبوا هم يغفرون - . وقسم ينتصرون من الظالم وهو المذكور في هذه الآية . ثم نخصهما فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الثانية سيئة للازدواج (فن عفا وأصلح فأجره على الله) وفي هذا تعظيم للوعود به (إنه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم (فأولئك

ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة والمعاينة (إنما السبيل على الذين يقاتلون الناس) يتدبرون بهم بالإضرار
 (وبهمون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظالمهم (ولمن صبر) أي لم ينتقم (وعفوا) تجاوز
 عن ظلمه (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) أي مما ينبغي أن يوجب العاقل على نفسه ولا
 يترخص في تركه ، وحذف التمهيد الراجع لأنه مفهم أي أن ذلك منه الخ ، وأعلم أن هذه الآيات كلها لا يصح
 المقام وتبينه ، ففيها ذم الظلم لا ابتداء أو مجاوزة الحد ، وفيها أنه لا عتاب على من عاقب بمثل ما عوقب به ،
 وفيها إعظام أمر العفو ، فهنا ظلم وانتصار وعفو (ومن يضل الله فبالله من ولي من بعده) من ناصر يتولاه
 من بعد خذلان الله إياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل إلى صرة من سبيل)
 أي أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار (خاشعين من الذل) متذللين خاضعين
 (ينظرون من طرف خفي) يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين
 خسروا أنفسهم وأهليهم) بتعرضهم للعذاب المخلد (يوم القيامة) ظرف لخسروا (ألا إن الظالمين في عذاب
 مقيم) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فبالله من سبيل) أي وصول إلى الحق
 في الدنيا والآخرة في العقبي (استجيبوا لربكم) أي أجبوا داعي الله يعني محمدا ﷺ (من قبل أن يأتي يوم
 لا صر له من الله) لا يرد الله بعد ما حكم به (مالكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) إنكار
 لما اقترتموه لأنه مكتوب في صحائفكم وتشهد به أشتمكم وجوارحكم (فان أعرضوا فإنا أرسلناك عليهم حفيفا)
 رقيبا ومحاسبا (إن عليك إلا البلاغ) ليس عليك إلا البلاغ ، وفيه تسلية له ﷺ (وانا إذا أذقنا الإنسان
 منا رحمة) كالغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) فقط أو مرض (فان الإنسان كفور) نعم الله المترددة
 عليه كأنه يقول : إن هذا الجنس موسوم بكفران النعم أي أنه إذا مسه الشر يكون جزوعا كما إذا مسه الخير
 فانه يكون منوعا ، ولكن تهذيب نفسه بالعلم والدين يجعله محتملا صابرا . ومن تأمل النفوس الانسانية
 وجدها كالجبولة على اليأس ونكران النعمة وقت هجوم المصائب . ولا يخرج الناس من هذا المأرق إلا
 الدين والعلم والصبر . وما ابتلى به الناس فيجعلهم يكفرون النعم أمر الذرية ، فيقول من لا ولد له ياليت لي
 ولدا ، ويقول من رزق بنات ياليتني أعطيت ذكرا ، ومن عنده ذكور يقول ياليت لي من البنات ولو واحدة
 ومن عنده القسمان ربما اعتراه أحد أمرين : إما الاحجاب والطغيان ، وأما كفر النعمة من الفقر والنصب
 في تغذيتهم وتربيتهم ، فليعلم الناس أن ذلك منهم رعونته ، فليرض كل بما قسم له فانهم إنما خلقوا في الأرض
 ليتعلموا الصبر والقناعة ، وهم لا يطربون إلى العالم الأعلى إلا بقواهم النفسية ، فلا ذكر ولا أنثى عند الموت
 ولا مال ولا جند ولا أعوان ، إن الله رب الجميع وهو مالك السموات والأرض ويعلم المصلحة ويعطي زيدا
 ما منع عمرا لحكمة أرادها . ويخص كذا بجزء ، فيعطي من لا ولد له منزلة أخرى ، ويحرم من له ولد من
 بعض المزايا وهكذا (لله ملك السموات والأرض) فله أن يقسم النعم والنقم كيف يشاء (بخلق ما يشاء يهب
 لمن يشاء إنانا ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يولد للأول ذكر ولا للثاني أنثى (أو يزوجهم ذكرا وإنانا)
 يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) فلا يولد له ولد (لأنه عليم) بما يخلق (قدير)
 على ما يريد أن يخلق فيفعل ما يفعل بحكمة وعلم . هذا في تقسيم النعم البدنية ، وأعقبها بتقسيم النعم العقلية
 وأفاد أنها أيضا على مقتضى الحكمة ولا اعتراض على القسمة فيها . فالناس محجوبون عن ربهم لأنهم في عالم
 المادة وهو منزه ، ولكن منهم من رق حجاب وخلفت نفسه (١) فيحس بمعاني تلقى في قلبه وهو معنى
 النفث في الروح كما روى « نفث في روعي » أو يرى رؤيا منامية كرؤيا الخليل عليه السلام بذيح ولده (٢)
 أو يسمع كلاما من وراء حجاب كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه . فالعبد هنا
 سمع كلاما ولم ير المتكلم (٣) أو يرسل الله ملكا فيوحى الملك إلى النبي بأذن الله ما يشاء . ومن النوع الأول

نبوة النبي ﷺ في ابتدائها فلما كانت في المنام ستة أشهر ، ومن الثالث ما بين ذلك ، فقد كان جبريل ينزل عليه بالوحي ، وأما الثاني فهو ما حصل لموسى عليه السلام ، وهذا قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) أي وما صح أن يكلم الله أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ، وقوله (إنه على) أي عن صفات المخلوقين (حكيم) ينزل ما تقتضيه الحكمة (وكذلك) وكما أوحينا إلى سائر الرسل (أوحينا إليك روحا من أمرنا) نبوة أقرآنا فهي به حياة الأرواح (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب) أي القرآن (ولا الإيمان) أي شرائعه (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا القرآن أو الإيمان نورا (نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي) أي لتدعو (إلى صراط مستقيم) دين الاسلام (صراط الله) دين الله الذي شرعه لعباده (الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) أي أمور الخلائق فيضع كلا في درجته من جحيم ونعيم . انتهى التفسير اللغوي للسورة كلها

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض -
- (٢) وفي قوله - جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا - مع قوله - يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور - الخ وقوله - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم إذا يشاء قدير -
- (٣) وفي قوله - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ
- (٤) وفي قوله - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز -
- (٥) وفي قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون -
- (٦) وفي قوله - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - الخ
- (٧) وفي قوله - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير -

﴿ اللطيفة الأولى والسادسة ﴾

- (١) في قوله - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن - الخ
 - (٢) وفي قوله - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - الخ
- لقد جاء في هذه الآية الثانية وجه آخر غير ما تقدم ، فيقال : لا يكلم الله البشر إلا بأحد طرق ثلاث : إما أن يوحى إلى الأنبياء بالملائكة ، وإما أن يكلم الأمم بواسطة هؤلاء الأنبياء الذين تلقوا عن الملائكة ، وإما بأن يكلم الأنبياء من غير أن يروه كسألة موسى عليه السلام ، وأذن نسمع في عجائب هاتين الآيتين . فنقول : اعلم أن الله عز وجل جعل العالم المادى والعالم الروحي بينهما تشابه كما قال تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقال - ووضع الميزان - ألا تطهروا في الميزان - فالعالم الروحي والعالم الجسمي يختلفان جوهرًا ويتحدان في النظام العام ، فانظر أولًا في هذا العالم المشاهد وتأمل ، تجد الناس يعيشون في وسط الأنوار ، فأما الظلمات فهي قليلة ، إن الشمس لا تكاد تعت ولا تحصى ، فأما السيارات حولها فهي مستضيئة بها ، وكذلك التوابع ، فأرضنا وقرنا يستضيئان بنور الشمس ، وكذلك السيارات ، ويظن أن للشمس سيارات ولكن لا يستضيء منها إلا ما كان جسمه معتمًا كأرضنا أي برد سطحه وصار مثلها ، وجميع الأجسام تنقسم إلى

ثلاثة أقسام : أجسام مضيئة كالشموس التي هي هذا العالم كله ، حتى أن أرضنا كوكب مضيء لولا قشرتها .
فأما باطنها فانه نار على حاله ، فأكثر أجسام عالمنا مضيئة ، والنادر جدا ما لا ضوء له وهي أمثال قشرة أرضنا
الصغيرة ، وأجسام معتمة كسطح الأرض والقمر والنبات والحيوان والأحجار ، وأجسام شفافة كالهواء .
فالأول يفيض النور . والثاني يستضيء به . والثالث يقبله ولا يحجبه عن المقيم . والأجسام المعتمة منها ما هو
صقيل كسطح المرآة فانه يقبل النور ويحجبه عما وراءه ولكنه يعكسه على ما أمامه . هذا هو العالم المشاهد
وأقسامه ، فلننظره نجد أن الشمس تفيض النور والهواء شفاف منفصل وجرم العين شفاف متصل بالأجسام ،
فلننظر في عالم العقل والروح نجد أن في العالم الانساني من يقبسون العلم بالتعليم وهم جمهور الأمم ، فهم في
قبولهم العلم أشبه بهم حين يقبسون الصور التي وردت من طريق العين الواردة من الخارج ، ونجد الأنبياء
والعلماء فيهم أشبه بالعيون المركبة فيهم ، فكما قبلت العيون الصور بسبب ضوء الشمس وأدتها الى النفوس
هكذا قبل الأنبياء وهم عيون الأمم العلوم ووصلوها الى أمتهم . فاذن نبين لنا أن العالم المشاهد أوضح لناست
مسائل من ثمانية ، وإيضاحه أننا نقول : في العالم الروحي نفس متعلمة وأنبياء معلمون وملائكة موصولون
والله مبدأ الفيض ، فنحن لانعلم من هذه الأربعة إلا اثنين : نعلم النفس المتعلمة ، والنفس المعلمة ، ولكن
الانسان الباقيان محجوبان عنا ، وهما الله والملاك ، فأرانا الله هذه الأقسام الأربعة في العالم المادي وقال :
انظروا تجدوها واضحة ، أجسام مظلمة تستضيء ، وأجسام شفافة متصلة تقبل ، وأجسام شفافة منفصلة ،
وأجسام مضيئة للنور . فهذه القسمة تامة في العالم المادي وقد رأيت اثنين في العالم الروحي ، فبطريق الاقتناع
تعرفون أن هناك ملكا وراء الملك إله كما كان وراء العين هواء وراء الهواء شمس ، وهذا لمن لم يقرأ علم
الأرواح ، فالله تعالى هو المعلم وهو الذي يكلم الناس بالملك بالأنبياء كما أن الشمس تضيء على الأرض وتضيء
لنا الصور بطريق الهواء الشفاف ويطريق العيون والفضل كله راجع للشمس ، هكذا العلوم الدينية والعلمية
والصناعية ، وجميع ما في الأرض من علم مكمل لأهلها مصدره الله تعالى ، غاية الأمر انه تارة يكون بوسط
للجمهور وبغير وسط للنفوس الشريفة ، وهذا يوضح لنا قول علمائنا : « إن الله عليم الجود ليس بممانع له
عن أحد ، ولكن الفيض يكون على مقدار الاستعداد »

فإذا سمعنا أن زيدا قد أظم العلم ونشر الحكمة ، فلنعلم أن في نفسه صفاء استعداد به أن يتقبل الحكمة
العامة المفروسة في قلوب نفوس الأرواح الحائمة حولنا وهي مستمدة من الله كاستمداد الهواء النور من الشمس
وإذا سمعنا أن عمرا اتبع هواه وأغراه الشيطان فلنعلم أن النفوس التي ألهمته منحرفة وهو يشابهها في الانحراف
كما نرى الزجاجة الملونة تلون الماء الذي وراءها فنراه أصفر أو أخضر أو أحمر تبعا لها مع ان النور عام والناس
مطلعون عليه ولكن لا قدرة لهم على تغيير الطبايع ، فالأرواح الشريفة يرون الشياطين أمامهم أشبه بذلك
الزجاج الملون ، ويرون الأحياء الذين يشاكلونهم مغرمين بأرائهم عاكفين على الاصغاء إليهم
هذه مجامع الحكمة في هذه الآيات . اذا عرفت ما ذكرته لك . فانظر في هذه الآيات . ذكر الله السموات
والأرض وأن عظمة الله تكاد تنفطر فيها السموات . ثم أتبعه بذكر الملائكة مشيرا الى ما ذكرنا كأنه يقول
انظروا الى السموات والأرض والى عظمتي فيهما فانكم ترون الظلمات والأنوار الخ فانظروا الى الملائكة انهم
يسبحون ويحمدون . فهم يعرفون جلال الله وإكرامه أي صفات التقديس وصفات الإكرام فهم يعرفون
بعده عن مشابهة المخلوقات ويقدمونه تقديسا ويقروون بحجائب صنعه وحكمته وقدرته المعبر عنها بالجد ، فهم
يعرفون أن ذاته كاملة تفيض الخير ، فقدم التسبيح لأنه يرجع لكمال الذات وآخر الحمد لأنه يرجع لتكميل
الغير وإفضاء النور . فالمقدس ذات منزلة كاملة . والمقدس الحمود ذات كاملة مضيئة الخير والكمال على غيرها
وبهذه العلوم والمعارف كانت الملائكة أرقى من أهل الأرض لأن أرواحهم لطفت فلم تلتصم هذه المادة ولا

نعم ليس فيها فأعجبت كاهلواء من حيث قبول النور المسمى واقاضته . وليس يمنع الناس عن ذلك السكال إلا الجبل كما قال سقراط : « الناس لا يستنبون إلا جهلهم ، ولولا سعة علم الملائكة ما ارتفعوا عن المادة وما كانوا مسيطرين عليها ، وطى مقدار جهل الانسان يكون بعيدا عن العالم الروحي »
فهذا ملخص ما يفيد قوله - يستبحون بحكماء ومهم - . وأما قوله - ويستفرون لمن في الأرض - فهو افاضة الخبير ، فهم من حيث التقديس والتعظيم يفاض عليهم من الله ، ومن حيث الاستفهام فيضون الخبير على الناس . ولما كان الانسان لا يقدر أن يرى النور إلا بالآلة متصلة به وهي العين هكذا لا يقدر الجمهور من الناس أن يدركوا العلم إلا بنفس نكون منهم تشبه العين في جسم الانسان ، فهي تتصل بالملائكة من وجه وتتصل بالناس من وجه آخر ، أى ان الأنبياء بروحانيتهم متصلون بالملائكة وبماديتهم يتصلون بالناس كما اتصلت العين بالضوء من جهة الهواء واتصلت بالبخ من الداخل واتجهت الصور منها الى النفس فأدركتها فهي قابلة موصلة والأنبياء قابلون موصولون ، فالتكلم بالأنبياء بالملائكة وكلنا بالأنبياء ، ويشير الى هذا المقام أيضا ما جاء في «سورة النبأ» - رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا -

وهذا نفهم الآيتين في أول السورة وآخرها ، وهذا المقام من عجائب العلم والحكمة ، إن الناس يرون هذا كله بأعينهم الجهال والعلماء ، ولكن لا يدركه إلا من انفتحت بصيرته اليه . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى والسادسة

اللطيفة الثانية والرابعة

(١) في الكلام على التناسل واختلاف الذكور والاناث في الحيوان والانسان

(٢) واطف الله في تغذيته

فن الثاني ما جاء في كتابي جواهر العاوم في حقيقة ٩٩ وما بعدها وهذا نصه

فقال ابراهيم : اعلمى نورك الله بنور العلم أن الخالق جل اسمه جعل تركيب الأسماك مناسبا لمعيشة في الماء كما جعل للطيور أجنحة تساعد على الطيران في الهواء . فقالت : وكيف ذلك ؟ فقال : ان الأسماك تحتاج في تصرفها في معاشها وتقلبها في أطوارها الى أن تعوم في الماء من جهة الى أخرى أو تنخفض تارة وترتفع أخرى أو تتجه يمينا ويسارا لتبحث عن غذائها أو تهرب من عذوها أو تطلب صيدها فجعل الله سبحانه وتعالى لها عوامات كمجاذيف السفينة تشاهد في الأسماك في الجوانب وعلى الظهر ومن خلفها وحوصلة تسمى حوصلة العوم وهي عبارة عن كيس مملوء هواء خالصا تضغطه اذا أرادت أن تغوص في الماء فيصغر حجمها وتمده اذا أرادت أن تطفو على سطحه فيكبر حجمها وجعل ذنبها مستعدا لأن يديرها يمينا وشمالا في البحر فكما أن للسمة عوامات تمنحها الماء كذلك جعل للسفينة مجاذيف وشرعا تديرها حيثما أراد الانسان وكما أن لها ذنبا يكون مواز لجسمها عند الانحراف يمينا وشمالا كذلك جعلت الدفة (السكان) للسفينة حتى يسهل التفتاتها يمنة ويسرة فلما انقطع ذنب السمكة مثلا ما أمكنها أن تنحرف الى إحدى الجهتين بل تتجه دائما جهة الأمام ولو انعدمت عوامتها التي في جوانبها وعلى ظهرها لوقفت في مكان واحد وتعطلت عن اكتساب معيشتها ومن العجيب أن الأسماك جعل شكلها على هيئة تناسب اختراق الماء فلم تجعل رأسها مفرطحة حتى تقاومها لجح المياه فتعوتها عن السباحة فما أدق صنعه سبحانه وما أعم رحمة وكل حي يغدو ويروح في بحار نعمه مشمولا بسوايقها قال عز وجل (وما كنا عن الخلق غافلين) فجاءت الكون ظاهرة والناس عنها غافلون بلذاتهم وشهواتهم . قال عليه الصلاة والسلام : لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت

السموات والأرض فالابل مثلا قصرت أذنانها لاستيفائها بطول أعناقها ونكس ذلك في البقر وكمن من حكم ضربنا
عن ذكرها صفحا ليراجعها محب الحكمة في العلوم الطبيعية (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

﴿ فصل في حكمة خلق الحشرات ﴾

فقلت ياسيدي اني أعتقد أن كل هذه العوالم مؤسسة على حكم تحار فيها العقول ولكن الى الآن لم أصل
الى حكمة خلق الحشرات من نهم الزناير والذباب والبعوض فهل عثرت على ذلك في كتاب قال نعم ان الله عز
وجل يخلق الشيء لحكم كثيرة منها ما يعرف ومنها ما لا يعرف أما هذه الحشرات كالزناير والذباب وغيرهما فان
حكمها كثيرة منها أن العفونات الفاسدة التي على وجه الأرض لو بقيت لفسد الهواء وجاء الوباء وانتشر اطلاق
وعم الخراب خلق الله سبحانه وتعالى تلك الحيوانات منها ليصفو لها ولا يمرض طبا الفساد الذي هو سبب الوباء
وهلاك الحيوان ولتلك ترين الزناير والديدان والخنافس في دكان القصاب (الجزار) واللباس (١) أكثرهما
يرى في دكان البزاز (القمماش) والحداد فاقترضت الحكمة الاطية صرف العفونات اليها ليصفو الهواء منها ونسلم
من الوباء ، ومن الحكم العجيبة والأسرار الطبيعية الالهية انك ترين ان نحو الحيات والعقارب تسكن عادة وتسكن
في الاماكن العتيقة والحال الفاسدة وهكذا خشاش الأرض من الخنافس والصراصير وغيرها ، وترين (الناموس)
لا يتولد إلا في المحال المستنقعة وكذا الذباب يكثر في المحال القذرة وذلك كله لطف من الله بعباده ورحمة بهم فهذه
كلها فضلا عن كونها تحيل الى جسمها المواد الفاسدة وتبقى الهواء فهي من جهة أخرى مؤذية بطبعها ينفر منها
الإنسان فتحملة على ازالة ذلك السبب فكأن لسان حال الحيات والعقارب يقول ان لم تصالح هذا المكان أو تخرج
منه والادغتك

ولما كان الهواء الفاسد الحامل للواد المضرة لا يحس الإنسان بضرره فيحدث الضرر في الأجسام أو يميت
الإنسان وهو لا يشعر به جعل الحكيم الخبير تلك الحيوانات وأودع فيها سما يحس بألم الإنسان فيتنبه فيتخذ
الاحتياطات اللازمة للابتعاد عنه وهو مع ذلك لم يقصد منه إلا البعد عن تلك الأماكن العفنة فضلا من الله ونعمة
وهكذا نرى أن من على وجهه قدر يعاوه الذباب لينقي ما عليه وخلق في الإنسان كراهية طبيعية لذلك حتى
يضطر أن يغسل وجهه فيزيل ذلك القذر فكأن الذباب شرطى (جنسدى) يلزم أهل القذر ويأمرهم
بالنظافة ولا يضرهم بسوط يؤلمهم وهو الكراهية الشديدة ، فسبحان من أودع في كل صغير وكبير من الحيوانات
من الحكم والغرائب ما يحجه أ كثر الناس وهو نافع لهم ولذلك ضرب الله بهذه الحيوانات الأمثال حتى قل
(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون) فأنكره الجاهلون من المشركين فرد عليهم بقوله (ان الله لا يستجيب أن يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها فأما الذين آمنوا فليعلموا أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)
ثم بين ان الذين يفهمون ذلك هم العالمون فقال في آية أخرى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يملقها الا
العالمون به خلق الله السموات والأرض بالحق ان في ذلك لآية للؤمنين) فأفاد بهذه الآية أنه لا يفهم تلك الحكم
الا أصحاب النفوس العالية الشريفة الناظرون في ملكوت السموات والأرض الذين عبر عنهم بالعالمون بكسر
اللام هذا ، ومن عجيب الحكم انه عز وجل جعل صغارها مأكولة لكبارها ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض منها فليس
في ملكه ذرة إلا وفيها من الحكم ما لا يحصى وأعجب من هذا أن كل ما جعل سببا لهلاك حيوان جعل له سببا
لدفع ذلك السم فان الأطباء الأقدمين قالوا ان في لحم الحيوان قوة دافعة لسمه فادخلوها في الترياق والتجربة
تشهد أن من لدغته عقرب يلطخ الموضع برطوبة لهما فيسكن ألمها في الحال . ثم ان هذا النوع من الحيوانات

(١) الدباس هو صانع الدبس وهو ما يسيل من الرطب

يختلف عاقل عند الشتاء فيها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يكتسب فيه ولاياً كل شيئاً كالحيات والعقارب ، ومنها ما يدخر ما يكفيها لشتائها كالنحل والنمل ، فتأمل تلك الأفعال العجيبة واعلم أن هذا العالم كله حكم ومصالح (وما ينفقها إلا العالمون) فربما ظهر لك خاصة من حكمه ما لا يظهر للعامة وتظهر لخاصة الخاصة ما لا يظهر للخاصة فإن من رأى تلك الحشرات الصغيرة لم يدرك في خلقه أن لها بعض تلك المافع والحكم من تلقيح الأشجار وإصفاء الجو من المفونات فهي من المعينات على ما كنا وبقاء حياتنا ، وإن من أجل الحكم والظفر وأدقها أكل الحيوانات بعضها بعضاً فحكم في الحبال والأودية والسهول والقفار من حيوانات لو بقيت جنبها لفسد الهواء ثم هبت الرياح إلى مجاورها من البسلاذ وعم الخراب ولذلك قال الشيخ كمال الدين الدميرى في حياة الطيور أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله والجراد يلتهم فراخ الزناير فيأكلها والزنبور يصيد النحلة فيأكلها والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها اه على أن في ذلك فضلاً عن تصفية الجو تغذية الحيوانات وعدم ضياع ذلك الجسم سدى بلا فائدة فلو ترك بلا أكل لتعطلت حكمته إذ ليس في الملك ما تضع حكمته ألبته ففيه دفع مضار وجلب منافع اه ومن الأول ما جاء في كتاب جواهر العلوم أيضاً وهذا نصه :

« ومن عجيب صنائعه ككيفية التناسل التي ليست على نمط واحد ، فإن من الحيوانات ما يتم جنينه في داخل جسده ثم يلد كالحیوانات البوئية ، ومنها ما يخرج بيوضها ، منها ثم يتخلق الجنين فيها مهتاله داخلها جميع ما يلزم من الغذاء وذلك كالطيور وبعض الحيات ومن ذلك ككيفية الالتحاق وتغذية الجنين فانها ككيفية متباعدة تؤدي إلى مقصود واحد فبعض الحيوان لا يتم تلقيح ذكره الا اذا وصل إلى في باطن الأنثى ولو تعرض للهواء لفسد كالانسان وكثير من الحيوان ومنه ما يلقى منه على بيض أنثاه بعد خروجه منها فلا يفسده الهواء ، ومنه ما سقاه في وقت معين ، ومنه ما لا يميز لوقته ، ومنه ما يعلو أنثاه عند السقاه ، ومنه ما يدبرها ومنه ما يلقى جنبه بجنبها ويحملك حتى تلقى بيضها وهو يلقى منه على تلك البيوض فيلقحها وذلك كبيض الأسماك ومنها ما يهدى صغاره بلبن أعده الخالق الحكيم الرحمن الرحيم في ثدييه أو أنثيته التي تكون على عدد أولاده في الغالب ، ومنه ما يرق أولاده زقا كالحم ، ومنه ما يسهى بأولاده ويدها على أقواتها كالذجاج ، ومنه ما يشترك في تربية أولاده الذكر والأنثى وذلك عندما يكون أولاده غير قادرة على السعي من أول ولادتها وذلك كالعصافير والحم والانسان لأن أفراد الواحد بالتربية مع سعيه على رزقه أيضاً يكافه فوق طاقته ، ومنه ما تنفرد أنثاه بالتربية وذلك عندما تكون أولاده قادرة على السعي وذلك كالذجاج والحجل فإذا تأمل العاقل في هذه العوالم وجدها تسعى لمقصور واحد خاضعة لأرادته متجهة لنظام السكون متعاونة على إكمالها فالعلويات والسفليات مرتبطة ارتباطاً تاماً بقوانين الجذب العام والتشاكل وعقول بني آدم وادراك الحيوانات وما بينهما من المحبة والألفة والشوق فالجذب العام كمحبة عمومية بين جميع أجزاء العلويات والسفليات وحب الحيوانات لبعضها وشوقها روابط جزئية بين أجزاء صغيرة من هذا الكون فكل ما تراه في الحقيقة إنما يسعى للنظام التام وهو يظن أنه يسعى لمصلحته الخاصة ، انتهى ما أردته من كتابي جواهر العلوم

اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ (١)
اعلم أن هذه الآية قد كنت رأيت في المنام منذ نحو ٢٧ سنة حينما كنت أؤلف كتاب جواهر العلوم (١) سيأتى في اللطائف العامة دلائل بقاء الأرواح ألقاها خطيب مصري على سبيل الخطابة وهكذا آراء أفلاطون والمؤلف مع بدائع التفسير هناك

وأنا مقيم بالجيزة أن قاتلا قرأ هذه الآية أمامي ، وألقى في نفسي أن معناه ما تقدم من أن النظام تام في هذه الدنيا ، وأن الأحكام الشرعية والقضاء تسكون على حسب الظاهر ولم يبق إلا الباطن فارجع إلى النظام العام وهو يكون يوم القيامة ، ولذلك لما استيقظت من النوم كتبت ثم أدرجته في الكتاب : فأنا اليوم أحمده الله عز وجل إذ حيت على هذه الأرض حتى أتيت لي تفسير القرآن ووصلت إلى نفس الآية : وأقول الآن إنني لما استيقظت من النوم إذ ذاك وفكرت في الآية ، لم أكن لأصدق أن الآية كما رأيت في النوم ، بل ظننت أنها حصل فيها تغيير ، فلما سألت مدرس القرآن بالمدرسة قرأها لي كما رأيت ، وانظرت المسحوف فوجدتها كما هي طارقي فرحا ، وكتبت المعنى في كتابي « جواهر العلوم » ، وقد كتبت في نفسي ، وهأنذا اليوم أكتب لك ما جاء في « جواهر العلوم » ، وإن لم أذكر فيه من أين جاء وهذا نصه :

﴿ الفصل السادس عشر ﴾

في الاستدلال على اليوم الآخر وعلى وجود الله بأدلة عقلية قريية غريبة

ثم قال ابراهيم : قد نسكنا في مجالسنا السابقة على كثير من دلائل قدرة الله عز وجل ، وهي في الحقيقة أدلة عقلية ، فهل عندك من دليل غير ما يذكره في كتب علم الكلام بحيث يكون مقنعا للعقول ، فأنا كثيرا ما أسمع قوهم في كتب التوحيد أن دليل الآخرة سمى ، أي أننا نأخذ من الأدلة الشرعية لامن العقل . قالت الفتاة : أنا لا يمكنني أن أقول غير ماسطر في كتب التوحيد . فقال ابراهيم : أنا قد خطر لي دليل لا يفهمه إلا أولوا الأبواب والراسخون في العلم ، فأشرق وجه الفتاة وقالت : هات ما عندك :

فقال من نظر بعين البصيرة ، فيما أودع في هذا العالم من الحكم والعدل والقوانين السارية في العالويات والسفليات والحيوانات والنباتات وادراكاتها وعقولها حكم بالهداية على أنها جارية على نواميس حقنة وحساب منتظم دقيق لا يأتينا الباطل من بين يديها ولا من خلفها هذه الكواكب والشمس والقمر سابحة في مداراتها على قوانين لا تقبل التغيير والتبديل ثم لننقل نظرنا إلى السفليات نجدها حذت حذو العالويات في النسق والترتيب والنظام فأى حيوان تعدى طوره وأى نبات تجاوز سنته ثم لننظر العقول البشرية نجدها مفطورة على حب العدل والنظام وحذت حذو ذلك النظام الأعلى فلا ترى إنسانا على وجه الأرض إلا واستحسن العدل واستقبح الجور ولذلك ترى أرباب القوانين المخترعين لها من نوع الإنسان بل المستنبطين لها في الحقيقة من الشرائع الأهلية يمحشون على بواطن القضايا كظواهرها هذه الدول الغربية أمامنا كم ينفقون الأموال ورساؤون إلى الجهات المتباعدة من يبحث على الخاني ولو انفقوا ما أنفقوا وكل ذلك ليل العقول إلى العدل ، وأن يجازى المحسن بإحسانه والمسيء بأساءته وما لنا ولأرباب القوانين والسياسة فلننظر إلى سيد العائلة فإنه يعاقب على ذنوب أهل منزله ويجازى كلا بما فعل بل أى إنسان ولو من أضعف الناس عقلا وأقلهم ادراكا رأى رجلا يضرب آخر فإنه لا يتألك نفسه أن يأخذ بناصر الضعيف (فطرة الله التي فطر الناس عليها) دعيانا من الإنسان وانظري الحيوانات فإنه مركوز في جبلتها العدل أيضا لما شوهده كثيرا فيها بل كثيرا ما علم أنها تعاقب بالقتل على التهمة بالزنا وغير ذلك مما هو مشاهد فثبت أن هذه الفطرة منبثة في كل حي على وجه البسيطة بل هي من الموازين التي قامت بها السموات والأرض واستقر بها كل موجود ومن العلوم لسكل من اطلع على علم الهيئة والفلك والنبات والحيوان والإنسان وعلوم الأحكام والمنطق وعلوم الأدب كاللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وغيرها إن هذه العلوم كلها قوانين تدلنا على سر بيان النظام في كل شيء من الموجودات وعلى نهجها وضعت قوانين للجرمين في هذا العالم وتجري على يد الإنسان ولكنها مهما بالغ العقلاء فيها لا تحكم إلا على الظواهر ولا يمكن وصولها إلى الحقائق بوجهها فهي أشبه شيء بالجمال الظاهري فإنه يدل في الغالب على الجمال الباطني ومن غير الغالب قد تختلف القضية فكذلك الأحكام بالقوانين الشرعية أو الوضعية تابعة لأقوال الشهود والقرائن

ودلائها ظاهرة فقط وقد قدمنا ان كل شيء في العالم يسير على نهج الحق والصدق والميزان العدل فلا بد أن يكون لبادن هذه القضايا ما تم يتحكم فيها في وقت آخر حتى يكون ميزانها على حسب الموازين الأسرى الصادقة من العاويات والسفليات وأيضا قد تقرر انه لا يضيع شيء سدى في هذا العالم كما هو مقرر في العالَم الطبيعية فلا تضيق حركة ولا حرارة ولا كهربائية قط بل تنقلب الحركة حرارة والكهربائية تكون حرارة ثم ضوءا فهكذا تنقلب هذه الأعمال في الآخرة نعيمًا أو عذابا ألما فتذكروا يا أولى الألباب فلم تضيق أفصال العباد والذين لم يؤخذ بناصرهم أو الذين أحسنوا في هذه الدنيا ومن تأمل فيما قلناه فهم مهني قول الشاعر :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ✖ ندامة وحصد الشر إبان

وقول الآخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ✖ لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول الآخر .

الخير أبقي وان طال الزمان به ✖ والشر أخبث ما أوعيت من زاد

الآثرين ان زارع الورد لا يجني الشوك وزارع النخل لا يجني الدرة . وعلى هذا القياس ترين النفوس تتأثر بأقوالها التي تصدر منها حسنا وقبحا فن أكثر من ذكر شيء أحبه بل خاطر الانسان يؤثر على أخلاقه شرفا وفضة فاعلمنا ان هذه القاعدة مطردة في المحسوسات والمقولات وجميع الموجودات ومن فهم ما قدمنا جزم يقينا انه لا بد من يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين حتى يقوم بين الناس بالقسط لما ثبت أن كل هذا العالم قام بالعدل وبقيت أفعال الانسان لم توزن الا وزنا ظاهريا فلا بد من وزن آخر ليكون فصلا حقا بميزان عدل لا يخس شعيرة وكيف ينقسم رئيس الأسرة وسيد العشيرة من المسمى ويحسن الى المحسن ولا يفعل ذلك رب الأبواب (أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفلسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) (أخسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون) (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ثم ان كل ما صرحت به أولوحت في هذه المقالة من بحر آية من القرآن وهي قوله تعالى (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) قد فسر بالعدل والقسوة كما في الحازن والنسفي (وما يدريك لعل الساعة قريب) فليتأمل العقلاء وما يدريك لعل الساعة قريب بعد قوله أنزل الكتاب بالحق والميزان وليلاحظوا ما ذكرناه في هذه المقالة يظهر وجه هذا التعقيب الجيب ثم أعقب ذلك بقوله جل شأنه (يستجبل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة) يخاصمون فيها أو يشكون (لن ضلال بعيد) عن الحق لعدم فطنتهم وادراكهم موازين هذا العالم وفطرة حيوانه على الجزاء وعدم تدبرهم ما أنزل في الكتاب السماوية المطابقة تمام المطابقة لما يرى في العوالم بالعقل والنظر الصحيح على ان لنا وجه آخر في ذلك وقد عرضته سابقا على أكبر العقلاء والعلماء فاستحسنوه جدا وهو أن كل بني آدم على أي دين نراهم يحبون تخليد أسماءهم اما نقشا على الأحجار أو في الكتب المؤلفة أو على ألسنة الناس وأيضا يحبون الخلود وطول الأعمار ولا نرى أحدا يحب الفناء الا من شذ شذوذنا بينما ثم ذلك الشذوذ لا يدوم وأيضا نرى جميع أهل الأرض قاطبة يزورون موتاهم ويتصدقون على أرواحهم وإذا نظرنا الى هذه الفطر الثلاث المنفرسة في نفوس البشر دللتنا دلالة واضحة ان لنا بقاء بعد موتنا اذ ججع فطرنا التي فطرنا عليها صادقة وليس فيها كاذبة البتة ولعمري لا يفهم ما قلناه الا من درس جميع العاوم وعرفها حق معرفتها ألا يرى شهوة الغذاء والتناسل والغضب وما فيها من حياء وجبن وكبر وشجاعة وغير ذلك فكل هذه الفطر خلقت فينا لمصالح صحيحة ومنافع عظيمة وكلها فطر صادقة كما يعرفه أهل العلم فكذلك هذه الفطرة حبنا للبقاء وتخليدنا أسماءنا دليل على ان لنا بقاء

بعد الموت وزيارة الأحياء للأَمْوات وعموم هذه العادة في جميع بني آدم دليل على وجود أرواح الأموات والا فها هذا التهافت على المقابر والتصدق على الأموات ولنا وجه آخر وهو أننا لا نقتنع في هذه الدنيا بمال ولا علم مصداق لقوله ﷺ (منهم من لا يشعربان طالب علم وطالب مال) وكل نفس من النفوس البشرية تستشعر في نفسها حب لذة أعلى من جميع اللذات في العالم المشاهد لها بدليل أنها لا تنف عند حد محدود بل كلما ارتفعت زهدت فيما وصلت اليه وأحببت أعلى منه وما سمعنا بأن أحدا قال غير هذه العبارة (هل من مزيد) فهذا لاستشعار النفوس جميعها بأن لها لذة أعلى من هذه فلا بد أن تكون في عالم آخر الذي يطابق وصفه ما أحبته النفوس وحثت اليه

وهذه الأدلة كلها لم أرها في كتاب وإنما هي سوانح (١) ويقرب من هنا ان كافة بني آدم يميلون الى عبادة الخالق في كل صقع من أصقاع الأرض حتى أهل جزائر المحيط الهادئ الذين تباعدت ديارهم عن المتدينين وإنما اختلافهم في تعيينه فمنهم من ظنه شجرا ومنهم من ظنه تمثلا ومنهم مما لا يتخصى كما هو معلوم مستفيض شائع ولا شك أن هذه الفطرة وحدها كافية للاستدلال على صانع هذا الملك العظيم . فأعجب الفتاة ماقال ابراهيم وقالت ماسمعت أدلة أوضح وأبين من هذه اما جاء من كتابي جواهر العلوم فالحمد لله الذي وفقني الى تأليف هذا التفسير والشكر له على اني عشت حتى وصلت الى تفسير هذه الآية وذكرت ما كان خطري منذ ربع قرن فأكثر، وما كان ليخطري إذ ذاك اني سأكتب هذا أو أنشره بين الناس فالحمد لله رب العالمين

الاطيفة الخامسة

في قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم -

أذكر في هذا المقام ما اتفق لي أثناء هذا التفسير إذ ألقى الترك دولة الخلافة وأقاموا الجمهورية مقامها وكتب المسلمون في ذلك ، وطلب مني بعض أصحابي أن أكتب في هذا الموضوع فكتبت رسالة في جريدة المقطم وقد تقدمت في سورة النساء

هذا ولندكر هنا ما جاء في جريدة وادي النيل يوم الخميس ٢٩ ربيع أول سنة ١٣٤٧ هـجيرية الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م في معنى هذه الآية . وإنما ذكرناه هنا لما فيه من الأخبار لزيادة الفائدة ، فقد جاء فيها مانصه :

الدين والدستور

جاءتنا هذه الرسالة ونحن ننشرها عملا بحرية النشر محتفظين برأينا الذي أبديناه من قبل في هذا الموضوع ثارت مناقشات عنيفة بين الشيخ محمد شاكر والسيد وحيد الدين الأيوبي في مرجع الضمير من قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - وقوله تعالى - وشاورهم في الأمر - فجعله الأول خاصا بأولى الرأي المعتد بهم في الإصلاح . وجعله الثاني عاما لجميع الافراد . ومع كثرة المقالات في أعداد المقطم واتساع نطاقها خرج الفريقان من الميدان على غير نتيجة للقراء

ولما كان البحث دينيا يجب تمحيصه لخلاص العقيدة انتظرنا العودة اليه من غيرهما فلم يكن فكان

(١) اطلمت بعد هذا على استدلال أفلاطون بحب البقاء والخوف على الحياة على أن هناك أمرا ثانيا وهي صورنا الدائمة في عالم آخر ثم اطلمت على بقية هذه الوجوه في كلام الحكماء بعد تأليف هذا الكتاب بسنتين خدمت الله جدا كثيرا اه المؤلف

حقاً علينا وعلى جريدة وادى النيل بالآخرين «لأنها المدافعة عن الدين الاسلامي والشرق» أن نفتتح هذا الباب مرة أخرى لفحص علله وضمانه فنقول . ان المشاورة في الأمر هي المشاركة في الآراء للحصول على النتائج النافعة لاقتنائها أو الضارة لاقتنائها . ولن تكون كذلك إلا من أهل الحكمة والفقه والتقوى والأمانة قال تعالى - فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون - وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان أي وزيران بطانة تأمره بالمعروف وتعضه عليه وبطانة تأمره بالشمر وتعضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى» قال في القسطلاني فيؤخذ من هذا الحديث مشروعية أن يكون عند الحاكم أهل مشورة من أهل التقوى والعلم والأمانة اهـ

وقد استشار رسول الله ﷺ خواص أصحابه في غزوة بدر ثلاث صرعات ولم يستشرهم كلهم . وفي ثالث مرة قال له زعيم الأنصار سعد بن معاذ : يا رسول الله كأنك تعرض بنا ولعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تنهرك إلا في ديارهم . واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطهن حيث شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطينا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت . وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تابع لأمرك . فوالله لأن سرت حتى تبلغ البرك من عمان لأسيرن معك . والله اثن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك . وقال له المقداد : لا تقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولسنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ففرج رسول الله ﷺ وقال لهم سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين واني قد رأيت مصارع القوم اهـ

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال حين أذن له المسلمون في عتق سبي هوازن وكانوا جاءوه مسلمين وطلبوا منه أن يرد عليهم سيدهم وأموالهم . فن أحب منكم أن يكون علي حظه حتى نعطيهم إياه من أول ما يبقء الله علينا فليفعل فقال الناس قدينا ذلك فقال ﷺ اني لأدرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع اليك عرؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم فرجعوا (أي العرفاء) الى النبي ﷺ فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا له أن يعتق السبي اهـ من الفتح . وكان هؤلاء العرفاء زعماء المجاهدين وكلهم نافذة ولم يرجع العرفاء لكافة المسلمين في هذا الحكم الديني بل الى البعض ويشترط في العريف أن يكون كفوءاً عالماً فطنا وقوراً له رأي بارز لأنه عضو عامل في المملكة كالعضو العامل في الجسد ولكل عضو من الجسد خاصية يمتاز بها عن غيره قال رسول الله ﷺ «لقد هممت أن ابعث الى الأمم رجالا يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم في الدين فابعث ابن أبي كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام فقالوا يا رسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال ﷺ هما لا بدلي منهما . هما مني بمنزلة السمع والبصر» اهـ يعني أنه يستشيرهما في الأمر وهما خواص من خواصه في الشورى ولو كانت عامة لاستغنى عنهما بغيرهما وقال ﷺ «ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم» رواه مسلم والمناصحة هي المشاورة في الأمر . والناصح لا يكون جاهلاً أو مفسداً . وقال ﷺ «العراقة حق ولا بد للناس من عريف والعرفاء في النار» رواه أبو داود . قال في الفتح (قوله) والعرفاء في النار يشعر بأن العراقة على خطر . ومن باشرها غير آمن من الوقوع في الحسادور وترك الانصاف المنفضى الى الوقوع في المعصية فلهذا يجب أن يكون من ذوى الأمانة والعلم والتقوى

ولما ظعن سيدنا عمر رضي الله عنه قيل له استخلف قال إن هذا الأمر شورى بين ستة رهط من قریش وأرسل اليهم وهم على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله (وكان غائباً) والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيدنا اجتمعوا لديه (ماعداء طلحة) قال يامعشر المهاجرين الأولين : اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نقاً فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان

جاءكم طلحة الى ذلك والافاعزم عليكم بالله لاتنفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحداكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التي تشاورون فيها فانه رجل من الموالى لاينازعكم أمركم وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شئ واحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس فان هما قرابة وأرجوا البركة لسكر من حضورهما وليس لهما من الأمر شئ ويحضرا بنى عبدالله مستشارا وليس له من الأمر شئ . ثم قال : ان الناس لن يهدوكم أيها الثلاثة (يعنى عثمان وعلياً وعبد الرحمن) ثم قال فان كنت يا عثمان في شئ من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بنى أمية وبنى أبي معيط على رقاب الناس . وان كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس وان كنت يا عبد الرحمن فاتق الله ولا تحملن أقاربك على رقاب الناس ومن تأمر من غير امره فاقتلوه اه

فحضر سيدنا عمر الشورى في ستة رهط فقط والنس منهم احضار بعض من يوثق بأرائهم وتلتمس بركايتهم مع أن الأمر في الخلافة هو أهم ما يستشار له ويهتم به كافة المسلمين اه

أمين ابراهيم الازهرى

اللطيفة السابعة

في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم - الخ
لقد عرفت مجمل ما قاله العلماء في الآلام التي تصيب الأطفال والبهائم والانسان . وأزيد الآن ان بعض علماء الاسلام يقول : « إن الأطفال والبهائم لا تألم » وهذا القول قال به بعض علماء أوروبا من الفلاسفة وعملوا تجارب على ذلك ومنهم فيلسوف ألماني عظيم كان يقطع عضوا من أعضاء الكلبة بلاشفقة ولارحمة وهي ترضع ولدها ولم يلبها قطع رجلها عن إرضاعها ولدها ، فكان هذا بعض أدلتهم ولأذكر لك الآن طرق النوع الانساني في حال الانسان ، فان القرآن قد فتح المجال ليرقى العقول ، اعلم أن أم الهند ترى أن الناس بعد الموت يبتقون في حال أشبه بما كانوا عليه في الدنيا من الأخلاق فان كانوا أشرارا عاشوا عيشة بطريق التناسخ تسكون عقابا لهم ، والأخير يعيشون في حال أجمل حتى اذا خلصوا من المادة رجعوا الى ربهم

اليك خلاصة ما أثبتته العلامة (جاكوليو) و (ديبوا دي جانسيني) و (هاهلوسبيسه) و (برونوف) و (روديه) و (بونسن) وكثير غيرهم ، أثبت هؤلاء أن الهنود تركوا تعاليم عجيبة وفلسفة وحكمة ، ومما كانوا قد اعتادوه انهم كانوا يؤرخون موت ملك أو انتخاب (براهماتما) أى بابا البراهمة ، أن يسطروا على كتاب خاص النقطة التي بلغت الشمس في منطقة فلك البروج في الدرجة والدقيقة والثانية

يقول مؤلف الكتاب : إن معنى هذا انهم كانوا يراعون مبادرة نقطة الاعتدال التي تتقدم كل نحو ألفي سنة برجاً واحداً ، وفي نحو (٢٥) ألف سنة (١٢) برجاً ، ويقول علماء الهند انها (٣٦) سنة لا (٢٥) سنة ، فلنرجع الى ما نحن فيه فنقول :

إن هؤلاء الهنود لهم أربعة أسفار مقدسة عندهم ، يقولون إن الله واحد ، قيوم بذاته ، موجود في كل الكائنات ، لاتصبيه الحواس المادية ، بل الروح وحدها ، وهو المنزه عن كل ما يرى

وقال كولوكا الهندي : « إن المؤمنين الأقدمين مع انهم ألهوا الطبيعة المتعددة لم يعتقدوا إلا إلهاً واحداً مبدع الكائنات ، أزليا غير مادي ، حاضرا في كل مكان ، منزها عن كل كدر وهم ، وهو الحق بذاته ومنبع كل عدل وحكمة ، مذهب الكل ، والمرتب نظام العالم ، لاشكل له ولاصورة ، ولاحد ولانسبة »

وكان البراهمة يقولون لمن دخل عندهم في الدرجة الثانية هكذا : « يابني انه لا يوجد إلا إله واحد فقط

رب الجميع ، وعلة الكائنات ، والواجب على كل برهمن أن يعبده في الباطن ، وهذا سرّ يتنب عليك كتمه عن العامة والجهال »

ومن تعاليمهم : « إن الكائنات نشأت من الله ، وإلى الله سوف تعود بواسطة الترقى والنشوء الدائم ، والنفس عند انفصالها من البدن لا تفقد المادة تماما ، والا هلكت في الكون العظيم ، بل يبقى لها جسم مصوغ من النار ، والانسان شرارة أوشعاع من النار الإلهية تبقى مع جسدها اللطيف البرهمنى ، ثم بعد زمن تتحد بجسد جديد منظور عند ما يأتى وقته » اهـ

فانظر وتعجب كيف وحدوا الله كما نوحسده نحن ، وكيف يقولون : « إن الميت تكون روحه في جسد نارى برهمنى جيل » ولعلّ هذه النفس هى الصالحة وتكون الشقية معذبة بذلك الجسم النارى كما ان حرارة الشمس تنفعنا تارة وتؤذيها تارة أخرى . وانظر كيف يقولون : « انه يرجع بعد زمن جسما منظورا » وهذا هو البعث عندنا في دين الاسلام إما الى جنة واما الى نار على حسب الأعمال . وكانت لهم عبادة قلبية وأخلاق ذكرها (مانو) المشرع الفيلسوف قبل موسى عليه السلام بألاف السنين : « الصبر ومقاولة الاساءة بالاحسان ، والقناعة ، والاستقامة ، والطهارة ، وكبح جراح الحواس ، ومعرفة الكتب المقدسة ، ومعرفة الله ، والصدق ، واجتناب الغضب » . فهذه هى الوصايا العشر عندهم . وبها يخرج الانسان من العذاب بعد الموت

وكان للهندوس نساك ينفردون في الغابات . ويعبدون الله . ويفسرون الكتب الدينية . ويعرفون أسرار الطبيعة . ولهم بقية الآن . وعلى هؤلاء تعلم (خريستا) وهو أول مؤسس دين ظهر في التاريخ سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد المسيحى ، فهناك بعض تعاليمه مما يخص مانحن فيه أو ما يقرب منه . قال : « إن الجسد فيه النفس وهو زائل وهى باقية ، النفس سرمدية لا وزن لها ، ونصيبها بعد الموت يرجع لسرّ التناسخ اذا انحلت الجسد عن الروح ، فان غلبت الحكمة على النفس طارت الى الأقطار العلوية ورأت الله ، وان كان الهوى متمسكا رجعت الى الذين هم متعلقون بالأرضيات ، والمولود شقيا كان أو سعيدا نتيجة عمل سابق »

وهنا سرّ أعظم من هذا ، وهوانه من رام باوغ الكمال فليكتب علم الوحدة التى هى أجل من الحكمة أى يلزمه أن يتعالى الى الكائن الأسمى الذى هو فوق النفس المستقرّ فى كل منا ، إن فى باطنك صديقا إلهيا لا تعرفه لأن الله مستقرّ فى باطن كل امرئ ، ولكن قلّ من يعرف أن يجده ، فمن يضعى رغباته وأعماله للكائن الأسمى الذى منه نشأت مصادر الأشياء كلها وبه تتكوّن العالم ، ينال بهذه التضحية الكمال لأن من يجتهد فى ذاته سعادته وفرحه ونوره فهو واحد مع الله ، فاعلموا إذن أن النفس التى وجدت الله تعتق من المولد والموت والشيخوخة والألم وتشرب من ماء الخلود »

ثم جاء قبل التاريخ المسيحى بستمائة سنة (بوذا) المسمى (ساكيا موفى سودو دانا) ملك كايلا فاستو فلما بلغ العشرين من عمره أخذ يتأمل فى حال شعبه ، ومادخل فى الدين من الطقوس والخرافات ، وله وصايا عشر وتعاليم أشبه بما تقدم ، ووصاياه هى :

« لا تقتل . لا تسرق . كن عفيفا . لا تشهد بالزور . لا تكذب . لا تخلف . تجنب كل كلمة نجسة . كن خالى

الغرض . لا تأخذ بالثأر . لا تعتقد اعتقادات باطلة » اهـ

لعلك تقول : هانحن أولاء اطلعنا على الدرجات الثلاث لدين البراهمة ، فما فائدة ذكرها هنا ؟ أقول لك ذكرتها لتنظر فى تعاليم الأمم وتفكر فى العقائد والأخلاق ، انظر الى عقيدة التناسخ فان الدين القديم قبل ظهور (خريستا) لانص على التناسخ فيه ، بل قال ان الروح لها جسم نارى برهمنى وتبقى أمدا حتى تلبس جسما منظورا متى قضت بذلك شريعة الله ، ولم يقل جسما بعد جسم ، فلان تناسخ ولا أجسام ، فهذه الشريعة

أشبهه بشريعة الاسلام إذ جاء فيها : « اننا نغلب أو نضع الى يوم البعث ويكون لنا أجسام منظورة »
ثم انظر : لما جاء خريستا ، ماذا فعل ؟ تكلم عن التناسخ . أى ان الانسان بعد الموت اذا كان مذنبا
يدخل في جسم أرضى ويعيش مثل ما يعيش نحن ، ويعتبر هذا قضاء لذنوب ارتكبتها ، وكل مصيبة تصيبه
تكون لأجل ذنب مضى .

انظر كيف يتوسع صاحب الدين المتأخر في المعنى الذي قاله المتقدم . ثم انظر من جهة أخرى الى وصايا
(خريستا) والى وصايا (بوذا) ، فوصايا خريستا أرقى لأنها ترجع الى العلم والأخلاق الباطنة ، ووصايا بوذا
ظاهرة كالخلف وما أشبهه ، فكأن القوم أيام (خريستا) كانوا أرقى ، وانظر الى أمتنا الاسلامية كيف كان
الصحابه والتابعون رضى الله عنهم يراعون البواطن من الاخلاص والصدق ، وكيف تأخر المسلمون اليوم فلم
يهرقوا إلا العبادات الظاهرة وأكثرهم عن البواطن معروضون فلا يحاسبون عليها

ثم انظر نظرة إجمالية في قول الهنود : « ان الله في باطن كل امرئ » ، وانظر كيف يقول الله تعالى
- وهوالله في السموات وفي الأرض - ويقول - وهو معكم أينما كنتم - ، وكيف يقولون : « ان الاخلاص
لله هو الذي يعتقنا من العذاب » ، وانظر الى القرآن كيف كان كله على هذا النمط

ثم انظر الى علماء الاسلام رحمهم الله تعالى ووازن بين آرائهم وآراء الهنود لتقف على الحقائق ، انظر كيف
يقول علماء الهنود المتأخرون فيما تقدم : « ان المولود يكون على حسب ما كان له في التجسد السابق ، إن
كان شريرا يكون هنا في ذلك ، وان كان صالحا يكون في حال سعيدة »

وانظر الى علمائنا رحمهم الله تعالى كيف نظروا الآية التي نحن بصدددها وهي - وما أصابكم من مصيبة فبما
كسبت أيديكم - الخ . فقال قوم منهم : « إن الاسلام لا تناسخ فيه » وهم جمهور الأمة ، فصول هذه
المصائب ليس بذنب سابق وانما هو امتحان وتكليف لاعتقوبة ، ومعنى قوله تعالى - فيما كسبت أيديكم - أى
ان الأصلح عند إيمانكم بذلك الكسب إزال هذه المصائب عليكم لأن الدنيا ليست دار جزاء بل هي دار
تكليف .

وقال أهل التناسخ من أمة الاسلام : « إن هذه الآية تفيد التناسخ ، ألا ترى أن الأطفال والبهائم
يحصل لهم الألم فلا بد أن يكون لهم وجود سابق ، والألم نتيجة ما كانوا عليه سابقا »
وقال الذين ينفون التناسخ : كلا . فالبهائم والأطفال لا ألم عندها ، والقول بالتناسخ فاسد
وقالت طائفة : « دعونا من هذا كله ، يقول الله - فيما كسبت أيديكم - هذا الخطاب للعقلاء ، فأى
دخل للبهائم والأطفال ؟ »

﴿ رأى المؤلف ﴾

اعلم أن الأمم من هنود ومسلمين وغيرهم إنما يكامون الناس على قدر عقولهم حتى نفس الأرواح كما
سيأتى والا فالنتيجة واحدة ، وايضا أنه اذا فرضنا أن الناس كان لهم وجود سابق وأذنبوا فيه ، فما الذنب
إلا من النقص في النفس ، ولو كانت كاملة ما أذنبت ، فلو قيل نقصها نشأ من الذنب السابق نقول يلزم التسلسل
وهو مستحيل ، فالأصل هو النقص ، والله سبحانه وتعالى يرقى النفوس بالألم كما يرقىها بالعلم والعمل ، وغاية
الأمس ان علماء الأمم لا يريدون أن يزيدوا على ما ورد في كتبهم والله أعلم

﴿ آثار هذه الآية في الأمة ﴾

عن الحسن رحمه الله . قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد فقليل له : إنا لنفتن من بعض
ما نرى . فقال : لا تفعلوا ، فوالله ان أحبه الى الله أحبه الى ، وقرأ - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم - فهنا بما كسبت يداه ، وسيأتيني عفوري اه

واملاكك تقول : وما رأيك في هذا المقام ؟ أقول لك : أما رأيي الذي ألقى الله عليه فهو أمر عام واسع لا غير وهو أن النفس الشريرة تلاقى ألما ، والنفس الفاضلة تلاقى خيرا . وهذا هو المذهب عند مجتهداتهم . وجنهم ليست خاصة بالنار بل ورد فيها الزمهرير . وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم : « انهم يحرقون بالزمهرير كما يحرقون بالنار » وهو عجيب جدا لأن العلم الطبيعي أثبت هذا وهو أن البرد الشديد يحرق الأجسام كالنار . وهكذا فيها الحيات والقارب ، وجميع أنواع العذاب الروحي والجسمي ، والجنة بالعكس ، فيها جميع أنواع اللذات ، يقول الله : « فيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين » ويقول : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »

فالمسلم عليه أن يعتقد الاعتقاد العام ، وهو سهل بسيط ، أن يفعل الخير بقدر الامكان ، ويحترز من الشر ويرتقب رضا الله

رأى الأرواح

واعلم أن العلماء الذين يحضرون الأرواح برونهم مختلفين في هذه المسألة ، فهم من يقول هناك تناسخ ومنهم من يقول كلا ، وهذا إما انهم حججوا عن الحقيقة ، وإما انهم عرفوا ، ولكن كل يعطى تعاليمه على حسب ما يرى من السامع ، ونحن نقول : مالنا ولهذا كله ، لانهم بالتفصيل ، فلنجد لنخلص من المادة ، ونرجع الى الله ، ونخلص نفوسنا من الطمع والغل والحسد وما أشبه ذلك : ونغلا القلب بالمعارف والعلوم اه

﴿ اعتقاد قدماء المصريين ﴾

إن اعتقاد قدماء المصريين مشتق من اعتقاد الهنود ، وكما رأيت أن (خريستا) صرح بالتناسخ ولم يكن صريحا في دينهم القديم لأن الشعب كانت حاله تقضى أن يقال لهم ذلك ، ترى قدماء المصريين لما أخذوا هذه العقيدة ألبسوها لباسا آخر ، فإذا فعلوا ؟ اعتقدوا أن الروح لها جسم ، وهذا الجسم اسمه (نات) وبعد الموت يتحول الى جسم روحي (سمحو) وهذا الجسم يعيش مع الملائكة في السماء . وبالاختصار الانسان عندهم :

(١) جسم فاني

(٢) جسم روحي

(٣) قلب

(٤) ازدواج

(٥) نفس

(٦) ظل

(٧) روح (أى مادة أثيرة لطيفة مضيئة غير ملموسة)

(٨) (شكل إلهي)

(٩) اسم

ويقولون : « إن الانسان بعد الموت يأكل مواد لا تتعفن ، ويشرب خرا لا يفسد » وبالجملة فعقيدتهم أشبه بالقرآن من حيث النعيم

﴿ فتوح الرحمن الرحيم ، ونور الدين الاسلامي ﴾

انظروا أيها الذكي ، نحب من أمر الأمم ودين الاسلام ، انظر واضح لما أقول ، وتجب من العلم ، وكيف أضاء الله للسامعين الدنيا ، وأشرق الأرض بنور ربها

ألا تتعجب مني فيما أقول لك ! أقول لك ما فتح الله به الآن فقط ، أنا الآن أقرأ ما سطره علماء أوروبا يوم (٢١) أغسطس سنة ١٩٢٤ . وهذه مقالة عن عقيدة قدماء المصريين ، انظر كيف جاء فيها أن شريعة التحنيط إنما جاءت سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ، وانظر الى ما ذكرته لك ، وهو أن (خريستا) جاء قبل المسيح بنحو سنة ٤٨٠٠ . وتأمل ما قلته لك ، وأن التناسخ لم يكن مصرحاً به في كتابهم المقدس وصريح به (خريستا) ، وانظر الى قدماء المصريين ، فانهم استعملوا التحنيط خمسة آلاف سنة أي من سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة خمسمائة بعد الميلاد ، أفلا ترى مني أن عقيدة (خريستا) انتقلت الى مصر في ثلثمائة سنة وانهم فهموها فهما معكوساً فقالوا : « ان الانسان اذا مات يبقى زمناً طويلاً في السماء منعماً ، أوفى الجحيم معذبا ، وذلك بما غلب على نفسه من صلاح أو طلاح » . مثل مقال البوذية سواء بسواء ، ولذلك جعلوا هناك ٢٠ قاعياً ولهم ميزان يزنون به قلب الميت وأعماله فتغلب الحسنات أو السيئات ويكون الجزاء على مقتضى تلك القلبة كما رأيت في تعليم الهنود وكما جاء في القرآن سواء بسواء ، فكأن العالم كله يفهم شريعة متشابهة من حيث الاصول ، ثم انظر كيف يقول الهنود قبل المسيح بأربعة آلاف وعامات سنة : « إن الانسان يرجع بعد أمد الى الأجسام ويولد ثانياً ، ويكون في حال على مقتضى حياته السابقة ، ولا يزال يهود صرارا حتى يظهر ، وبعد ذلك يرجع الى الله مع الملائ الأعلی »

وقد قلنا لك ان هذه جاءت من (خريستا) لا من قبله أشبه ببديعة دينية ، ثم انظر كيف نقلها المصريون بعد ثلثمائة سنة محرقة ، فقالوا : « يرجع الانسان الى جسمه الأعلی »

يا عجب ! إن الأمم تأخذ العلوم على مقتضى أخلاقها ، قد كان قدماء المصريين يعالجون عظام موتاهم بالقار لأجل حفظها من الفساد ، فلما سمعوا هذه الفكرة عن الهنود قلبوها الى عاداتهم وقالوا : يرجع الانسان لنفس جسمه الأعلی ، فأخذوا يحنطون الأجسام خمسة آلاف سنة

إياك أن يهرك الفلسفة والعلم والحكمة عند قدماء المصريين . فتقول : لم خرفوا ؟ فاعلم أن فلاسفة كل أمة ينشأون على العقائد التي عندهم ، فاذا رأيت الزخرفة والنقش والحكمة ، وما أذاعته الجرائد عن قبر الملك (توت عنخ أمون) وأن فيه مسرحيتين من مصر لما أوقدوا المصباح فيهما ظهرت صورة الملك والملكة بألوان باهرة ، فلما انطفأ المصباح ظهرت المسرحتان بحالهما تماماً لا صورة فيهما ، وقد قيل ان هناك (٣٠) صندوقاً مختمة بختم الملك لم تفتح وستفتح فيما بعد ، والسائحون من سائر أقطار العالم يفدون على بلادنا لمشاهدة هذه المعجائب

وظهر قبر آخر بجوار الهرم على بعد (٣٠) متراً من سطح الأرض ، ويقال انه كشف عظيم الأهمية . أقول : اذا سمعت ذلك فلا تدهش لأن الأمم كلها أشبه بعمل عند صاحب العقيدة ، فترى الفيلسوف والصانع والأمير والمزارع ، كل هؤلاء يملكون بفسكرة واحدة ، أعني ان أكبر فيلسوف عندهم لا يقدر أن يقول ان هذا خرافة بل يقدسه كما يقدسه القوم ، والمهندس والصانع وأمثالهما ، كل هؤلاء يتقنون الصناعات وهم عند الفسكرة الدينية أشبه بحاشية الملك والرعيصة كلهم يقدسونه ولو كان فاسقاً ويطيعونه ، هكذا عقيدة التناسخ التي ظهرت في الهند وغيرت وجهتها في مصر الى رجوع النفس الى جسدها بنفسه بقيت أمداً طويلاً حتى جاء دين المسيح ودين الاسلام فغيرت العقيدة

تعيدش الأمم آلاف السنين ولا تترسخ عن عقائدها ، حتى اذا جاء مصلح غيرها ، فهنا جاء الاسلام ونزل في القرآن انما بعد الموت نعذب أو ننعيم ، واننا نحشر على مقتضى سابق حياتنا ، وأن منا من ينظرون ربهم ، ومنا من يحجبون عنه وهكذا ، فلم يذكر رجوع الجسم للولادة مرة أخرى ولا رجوعه لجسمه ثانياً ثم انظر الى الأمة الاسلامية كيف احتجبت أنظارها الآن عن أسرار الكون وبدائعها وغاب عنها ذاك

وتشبهت بالوقوف على الظواهر ، وأن الله اليوم يريد رجوعها الى أصل دينها ، وما أصحها إلا النظر في عجائب العلم والحكمة ، ودراسة السكون الذي نسكنه حتى نلاق ربنا ونحسن نعرفه ونحبه ، ونسكون في الدنيا قد قضينا ما علينا لأمتنا وللأمة حولنا ، فانا نحن ... خير أمة أخرجت للناس ...

ليكن المسلم خليفة الله ، ليكن العالم كله تحت رعايتنا . لنسكن خلقاء الله فندرس نظامه . ونكمل عبادته لأنهم اخواننا ، فندخل في ديننا فيها ، ومن لم يدخل أعنائه ، ورعايته وأخطائه ، وإن اعتدى أذنبه ، هكذا جاء ديننا ، وانرجع الى أخلاق السلف الصالح من الشفقة والاخلاص وصراعاة أحوال القلوب ، ذلك هو الذي يرمى اليه الاسلام ، بل هو مستقبل الاسلام والمسلمين

﴿ سؤال ورد على المؤلف ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام . قال لي أحد الفضلاء : كيف يعقل أن يخطط المصريون موتاهم بمجرد ماسمعوا التماسخ عن (خريستا) بالهند . قلت له : إن للقوم قصة خيالية لهذا الفرض قد تقدم ذكرها في هذا التفسير ، يزعمون أن (أوزيريس) كان محبا للمصريين وانونع الانسان كله ، وأخذ معه (توت) وسار بجيوشه وفتح الأرض كلها باللفظ لا بالحرب ، فلما رجع الى مصر حسده أخوه (سيت) ، فصنع صندوقا جديلا ، وصنع ولية ، وقال . من كان هذا الصندوق على قدر جسمه فليأخذه لنفسه ، فكان ذلك على قدر (أوزيريس) فأطبق الصندوق عليه خيانة ورموه في النيل ، فقامت زوجته ايزيس وجزعت وقامت شهرها وبحثت عن الصندوق فوجدته على شاطئ فينيقية ، فأنزله في سفينة الى آخر ما تقدم ، وانها وضعت عند غابة ، فعثر عليه (سيت) فقطع أخاه أربع عشرة قطعة ودفنها في مواضع كثيرة ، ثم جمعها هي وحنطتها . وهنا بيت القصيد ، فسكون ايزيس حنطت أوزيريس زوجها هي التي أثارت هذه الثائرة . ولكن الذي أقول ان هذه الخرافة لا تكفي في هذا العمل الشاق ، فلا بد أن تكون العقيدة هندية لانفاق التاريخين . فأما هذه الخرافة فهي لا تستعبد أمة بتمامها . انتهى والله أعلم

اللطائف العامة للسورة كلها (١)

اللطيفة الأولى

بهيجة العلم في الحكم المودعة في بسم الله الرحمن الرحيم . حم . عسق

بدائع أسرار التنزيل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

في ليلة الجمعة ٣٩ أكتوبر سنة ١٩٣٠ استيقظت قبيل الفجر . ولكني لم أستطع أن أقوم بعمل ما من عبادة أو علم لعارض جسمي طارئ عليه ، فخل لي كأني انسلخت من هذه العوالم المادية ، وكأني أنظر الى المجرات وشموسها ، والسدم وأحوالها . ولا جرم أن الخيال لكل امرئ لا يعبر ما عرفه . ونحن نعرف أن مجرتنا التي شمسنا فيها قد عرفت الأم أن شمسها بحسب ما وصل اليهم تبلغ عشرة آلاف مليون شمس وهذه مجرة واحدة من آلاف الملايين منها . وهكذا خيل لي أيضا أنها كلها دوائر وحولها سياراتها وأراضيها وأبقارها . وكل شمس لها حركة خاصة كما ان كل سيارة لها حركة خاصة حول شمسها وكل قمر حول الكوكب السيارة فإذا اجتمعت هذه كلها مرة واحدة ولا حظها الانسان خيل له كما خيل لي أن العالم كله موسيقى فوق ما يتصوره المفكرون . وانعمت بهجات فوق ما يتهجج به المبهجون

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

الله أكبر . هنالك ازددت في الخيال تمعقا . وتوغلت النفس في صورها . وابتعدت عن العالم المحسوس الى عالم الخيال المحض ، فهناك هنالك خيل لي كأن انسانا تراءى لي ، وجسمه من النور ، ولكن له جميع خصائص الانسان الجسمية ، اذا هو يحقق بصره الى ، فأفاند فكركي يحول في أسره ، وفي نظراته ، وفي يتفرس من أسري ، وأنى الأمور يريد أن يحدثني بشأنه ؟ فابتدرني قائلا : - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - فقلت : خبرني ماذا تريد رحلك الله ؟ فقال : أحدثك في أمر نفسك وأمر المسلمين في الأرض ، فقد اتبع خيالك علمك ، وراح يحول في ساعات واسمات ، وباحات صفت فيها الصور ، وظهرت فيها الحكم ، وبهر النور ، هذا الخيال الذي تبتى لك اليوم تابع لما قرأت من كشف الحقائق ، ولكن هناك بعد مفارقتك هذا البدن ستري ما هو أعجب وأبدع ، نظرا حقيقيا لخياليا ، واذا كانت المسرة التي تحس بها نفسك الآن تكاد تكون فوق طاقتها ، فذلك لأنها محبوسة في المادة ، ولكن اذا انطلقت منها ستحتمل من اللذات ملاحدة ويكون ذلك على مقتضى العلم ومقتضى العمل - وليس كل درجات مما عملوا -

أنت الآن تتخيل الموسيقى في العالم العام تخيلا وهناك سيكون ذلك حقيقة . فقلت : وكيف نقول ان هذا العالم موسيقى ، وهل هذا المنظر الذي تخيل لي له مناسبة ما بالسور التي تطبع الآن في التفسير ؟ إن الله عز وجل عودني أثناء طبع هذا التفسير أن لا يمر بخاطري فكر قوي إلا كان مناسبا أشد مناسبة لما أنا بصدده ، فهل هذا الخيال من هذا القليل ؟ فقال إى وربى . فقلت : وكيف ذلك ؟ قل : إن هذه المناظر سيستجلى بها بعض أسرار « بسم الله الرحمن الرحيم » حم « عسق » ، فارداد عجبى ! وقلت : فلانتركني يرحمك الله . فقال : كلا لا أتركك فاستبشر وقر عينا ، فاني مرسل من عالم آخر لأقر عينك في هذا التفسير ولكني لم أحضر في خيالك إلا الآن . فقلت : كيف أعرف أن هذه المناظر مفسرات لما ذكرتم . فقال لأسألك أولا :

- (١) ماصفة الموسيقى عند القدماء
- (٢) وما هيئتها عند علماء العصر الحاضر
- (٣) ثم ماصفة الموسيقى في العالم كله الذي تخيلته أنت الآن ، وهل هذا النظام البديع تابع لعلم عالم حكيم أم هو مصادفة
- (٤) ثم مانتائج هذه النظم كلها من الرجات
- (٥) ومتى أحسن العقل بالرجة وعاموها جدوا مسديها
- (٦) وهنالك يتجلى معنى البسملة والرجة فيها ، ويتجلى معنى الحاء والميم والعين والسين والقاف ، إذن في المقام ستة فصول ، فها أنا ذا سألتك في :

الفصل الأول والثاني

ماصفة الموسيقى عند القدماء ، وماصفتها عند علماء العصر الحاضر

فقلت يا سبحان الله . أنا لست من علماء الموسيقى حتى تسألني هذا السؤال . قال نعم . أنت لست من علماءها ، ولكن لك إلمام بها إلماما علميا ، فاذكر ما تعرفه . فقلت أنا أذكر أن (فيثاغورس) الفيلسوف سمع مطارق حداد فأطربته رناتها ، وسرته مناسبتها ، فوزنها فكانت نسبتها هكذا ٩ و ٨ و ٩ و ١٢ فأتى بأوتار أربعة متساويات طولا وسمكا ، وعاق فيها أنقلا على هذه النسبة ، فكانت مطربة مفرحة تشرح صدور البائسين . هذا كان أول ما خطر له ووضعه . فقال هذه العبارة بالحرف من كتابك « الموسيقى العربية » ولكن هناك أسر آخر أقرب من هذا . فقلت نعم في كتاب « اخوان الصفاء » فان أوتار العود لها نسب غير هذه والأوتار عند القدماء أربعة وهي (الزير والمثنى والمثلث والهم) وهي مرتبة من أعلى الى أسفل ، وقد كانوا

يظنون انها مناسبات لسكرة الأثير والهواء والماء والأرض بهذا الترتيب ، الأعلى مماثل للأعلى والأدنى مماثل للأدنى ، وقد قالوا :

« إن وتر الزير مركب من (٢٧) طاقة من الحرير ، والمثلث يزيد عليه الثلث فهو (٣٦) طاقة والمثلث يزيد عليه ثلث (٣٦) فهو إذن (٤٨) والهم يزيد على ما قبله ثلثه وهو (١٦) فيكون (٦٤) وهذا انتظمت النغمات وابتهجت النفوس »

قال هذا هو الذي كنت أريد أن أسمعه منك ، وهذا في القديم ، فهل تذكر نظير ذلك في الموسيقى الحديثة . فقلت : لأذكر الآن . فقال عجبا ! تتذكر ما في كتابك في الموسيقى وقد مضى على تأليفه سنون ولا تتذكر ما كتبت في «سورة صريم» من الموسيقى الحديثة . فقلت نعم أتذكر الآن انني ذكرت هناك وهو « ادراك الانسان للأصوات ينحصر في (١٠) دواوين أي أبعاد كلية موسيقية ، فإذا ورد على الأذن

(١٦) موجة في الثانية ، فهذا أقل الأصوات ثم ٣٢ ثم ٦٤ — ١٢٨ — ٢٥٦ — ٥١٢ — ١٠٢٤ — ٢٠٤٨ — ٤٠٩٦ — ٨١٩٢ — ١٦٣٨٤ »

ومعنى هذا أن أسماعنا تفرح بنظام الحركات بأي شكل كان ، ففي العود العربي القديم تفرح نفوسنا بالنظام المبني على ازدياد الطاقات بالثلث ويكون ذلك منتظما . وههنا تفرح النفس بما تحس من نظام المتواليات الهندسية البديعة . فنفسنا هي قديما وحديثا لا تفرح إلا بما هو منظم ، وأقرب شيء لها الأصوات التي يعرفها الجهلاء والعلماء . فقال أحسنت أحسنت ، أتم القول . فقلت : أما نظام الأفلاك وحركاتها وعجائبها ونظام الطبيعة فليس يدركه إلا الأقلون . فقال هذا هو الذي أريد أن أختبرك فيه

الفصل الثالث

في النظام العام في العالم

خذتني إذن : هل النظام العام على مثال ما رأيت الآن في الموسيقى القديمة والحديثة . قلت نعم . فقال : فاضرب لي أمثالا . فقلت :

« أولا » ان أبعاد السيارات تتبع نظاما معلوما ، فإذا أخذنا الأرقام التالية وهي (٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٦) ثم أضفنا (٤) الى كل رقم كانت سلسلة متتابعة تفهمنا نسبة مسافات السيارات وأبعادها عن الشمس وهي (عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل) فهي على هذا الترتيب في بعدها عن الشمس أي انها على مقتضى المتواليات الهندسية « وبعبارة أخرى » هي أشبه بالدواوين المتتمة ذكرها في الموسيقى الحديثة التي يدرسها الفرقة الآن في قسم من أقسام العلوم الطبيعية ، فأما الأقدمون فكانوا يدرسونها في العلوم الرياضية والاسكال وجهة صادقة ، فالموسيقى ترجع للصوت أولا وحسابه ثانيا ، فالتقدم جعلوها في علوم الرياضة لمكان حسابها ، والمتأخرون جعلوها في العلوم الطبيعية لأن الصوت أمر طبيعي لأنه حركات في الهواء

« ثانيا » ان الحجر اذا نزل من أعلى الجبل الى أسفل البئر كان حسابه هكذا : في الثانية الأولى يقطع (١٦) قدما انجليزيا ، وفي الثانية الثانية تضرب هذا العدد وهو (١٦) في (٣) ، وفي الثانية الثالثة تضرب هذا العدد في (٥) وهكذا (٧) و (٩) و (١١) و (١٣) الى ملاينهاهي

وإذا ربنا الثواني وضربنا المربع في (١٦) يكون الحاصل ماقطعه الحجر جيفه ، فإذا مضت ثانيتان ضربنا ٣ في ٢ يساوي ٤ ونضربها في ١٦ ، وإذا مضت ثلاث ثوان ضربنا ٩ في ١٦ وهكذا ، فهذه كلها مضاعفات منظمت كما انتظم ماقبلها

ثم توقفت عن القول برهة . فقال : فكيفما كتبته في ﴿ سورة الرعد ﴾ عند قوله تعالى ... وكل شيء عنده بمقدار .

﴿ ثالثا ﴾ وذلك في أمر الصوت والنور والحرارة والجاذبية ، فهذه الأربع تقل بمقدار ما يزيد من البعد عن الجسم الحار والجاذب والمنير والذي منه الصوت ، فتذكرت ذلك ، وهناك أمثلة تبين المقصود فلم أشأ أن أكتبها هنا خيفة الإطالة ، وهناك نظام وحساب في سير الأجرام الفلكية أقرب ما تقدم في ﴿ سورة يس ﴾ وفي ﴿ سورة الزمر ﴾ وتجدي في ﴿ سورة يس ﴾ أيضا موازنة ما بين الشمس والموسيقى وحساب الفلك ، كل ذلك تقدم موضحا

فهذه المظم في أبعاد الكواكب ، وفي سقوط الأحجار ، وفي سرعة الأصوات والأنوار الخ تحيط بالمادة وكلها منظمة أنظمة جميلة حسابية موسيقية ، فإذا رقينا قليلا رأينا نفس النور على هذا الخط أى أنه جار على حساب باعتبار ألوانه السبعة ، ذلك ان العين لا تتأثر من تموج الأثير الذي يزيد عدد درجاته في الثانية عن (٧٩٠) مليون مليون ، أو ينقص ذلك العدد عن (٤٠٠) مليون مليون ، فأقل الألوان وأولها الأحمر وأكثرها تموجات وآخرها البنفسجي وبقية الألوان بينهما ، إذن حاسة السمع آلة لسماع حركات في الهواء ، وحاسة البصر آلة لالتقاط حركات الأثير فتظهر لها بهيئة نور ، إن هذه العوالم كلها حسابية موسيقية عجيبة ، فأوافقنا سمعنا جيلا لنبيذا ، ومالم يوافقنا سمعنا قبيحا مؤلما فهذه الحركات في الهواء المحصورة بين النهايتين الكبرى والصغرى فيما تقدم ، وهكذا عددها المحصور ما بين النهايتين في الضوء كلاهما قد أحدث أثرا في أسماعنا وفي أبصارنا ، والمسألة ترجع الى نفس الآلة ، وهكذا نقول في نعومة الحرير وخشونة الخيش ورأحة الورد والروائح الكريهة وطعم التفاح والحنظل ، فهذه منها المكروه ومنها المحبوب ، ولا أحب ولا كره إلا على مقتضى الملائمة والمماثلة ، ولا ملائمة إلا على حسب النظام المحسوب حسابا جاريا على قوانين توافق حواسنا ، ولا ممانعة إلا على مقتضى اختلاف القوانين المذكورة ، فها هذا العالم كله إلا حركات ، وغاية الأمر أنها باعتبار الآلات القابلة فينا أصبحت هذه نورا وهذه صوتا وهذه رائحة وهذه ذوقا الخ

الآنرى رعاك الله الى ما قررناه سابقا أن كل الجوامد وكل السوائل مثلها كمثل الأنوار في أنها حركات وتلك الحركات تمثلت لنا أجساما وأنوارا ، ومن الأجسام سوائل وجوامد وغازات ، كل هذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير

فاما سمع ذلك . قال : أحسنت كل الاحسان ، فلنشرع في الكلام على :

الفصل الرابع ، والخامس ، والسادس

وهو الكلام على نتائج هذا كله وهى الرجات ، ثم ما يترتب عليها من المحامد

ثم معنى الخاء والميم ، والعين والسين والقاف

فقلت : أما هنا فاني أرجو أن تفتح لى الباب حتى أفهم هذا المقام . فقال انظر انظر بالبصيرة ، فنظرت . فقال ما ترى ؟ قلت أرى المجرات والشموس والسيارات كلها كأنهن حفلات ذات بهجات ، وكأن النور انقلب أصواتا ونغمات ، بل هذه المجائب ألد عند عقلى من أن أسمع نغمات العود والمغاني ، فهنا جمال وابداع وحسن وكمال . فقال من الذى يدير هذه الكواكب ؟ فقلت : نفوس عالية وهى الملائكة . فقال : فإذا سألك أهل الأرض وقالوا لك ما البرهان ؟ فقلت : أقول لهم قد تقدم في سورة حم (السجدة) عند آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ أن النبات على قسمين . قسم يحلل المواد في الأرض . وقسم يركبها . فحلل المواد هى (الفطر والبكتريا) وهذه وان جلب بعضها الأمراض فإن أكثرها لولاه لم نعش يوما واحدا لأنها تخضر الأغذية فى خبايا الأرض وتجهزها للنبات الذى يقينا ، بل أزيد على ذلك أن هذه الفطر (يضم

الفاء والطاء) ونحوها تمشي في الأمعاء الغلاظ تنربص الأغذية التي تمر في الجهاز الهضمي وقد يحجز عن بعضها أنواع الهاضمات من الينابيع الستة التي في الفم ومن البنكرياس ونحوها ، فتتلقاها تلك الأنواع لا تراها العيون ، فتحلل ماسق فيكون بذلك تمام أغذيتنا ، ولولا هذا لم يكمل غذاؤنا ، بل نموت بجوعنا وإن كنا آكلين . فإذا كان غذاء النبات وغذاء الحيوان وغذاء الإنسان لا يتم الانتفاع به إلا بهذه المخالوقات التي لا ترى وما كان أحد في الخلق يظن أن ذلك يحتاج لفاعل يفعل فكيف تكون شمس وكواكب وأرضون وأقمار ومجرات تجري ولا يجري لها ؟ فإذا كانت الأمراض كالكوليرا والتيفوس والجذري ، وإذا كانت الأغذية كل هذه لفاعلها أسباب موجودة ، فكيف يحتاج أحقر المخالوقات الى فاعل ولا يحتاج أعظمها الى فاعل ! إن ذلك يخالف العقل والمنطق وأصواب

وعليه أقول : ان هناك ملائكة هي التي تدير هذه الكواكب والمجرات والشموس وبسبب هذا الدوران المختلف حصلت لنفسى مسرات أكثر مما تسرّها نعمات الموسيقى . فقال : حدثني ، هؤلاء ليس لهم قائد . فقلت بلى وهو قاهر فوقهم . فقال إذن أنت فهمت الجواب . فقلت لم أفهم . فقال بل فهمت والله ، ألا تذكر أن الرحمة في البسملة . قلت أذكرها ، فقال هذه الكواكب والعوالم هي آثار هذا النظام والحساب فهي رحمت والرحمة لا تكون إلا مع علم كما تقدم في آية - ربنا وسعت كل شيء - رحمة وعلمنا - ، فالرحيم لا تتم رحمة إلا إذا كان عالما بمواضع الحاجات لمن يرحمهم . قالت إى وربى . قل الحاء والميم في (حم) تذكرة بالرحمة أولا وتذكرة بالحمد ثانيا ، ألا ترى أن مبدأ المخالوقات علم الله ، ثم انه على مقتضى العلم خلقها ، ولما أحسننا بالنعمة وعلمنا ما حمدناه . فقلت حسن . قل هذا هو ملخص الآيات ، علم الله فرجة منه فعلمنا فحمدنا ، الرحمة في البسملة والحمد في قوله - يسبحون بحمد ربهم - فالرحمة مبدأ والحمد نهاية ، والرحمة إلا مع علم ، ولا حمد منا نحن إلا مع علم . ثم ان هؤلاء الملائكة المدبرين لهذه الكواكب مسكنهم في السموات ، وهم عارفون بجلال الله فهم يسبحون (السين) وبهذا نزل الوحي وهو القرآن (القاف) وملخص هذا انك لما تخيلات هذه العوالم :

- (١) عرفت الرحمة السابقة والحمد اللاحق ويشير لهما الحاء والميم
- (٢) وتفكرت في أن الملائكة في السموات يعرفون جلال الله وهم يديرون هذه الكواكب بهذا النظام الموسبق ، وهذا ظهر في قوله « السموات والتسبيح » لأن كلا منهما مبدوء بحرف السين
- (٣) ولأحظت في عقلك أن الله فوق الجميع علما وقدره ، وهذا في قوله « العزيز . العلى . العظيم » كلها مبدوءة بحرف العين
- (٤) وهذا الوحي نزل في القرآن ، وهذا حرف القاف ، وأيضا هذه العوالم كانت في أزمان سابقة وهي لا تزال كذلك الى الآن ، وهذا في لفظ من قبلك (القاف)

ولا جرم أن قوله تعالى - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - أصبح واضحا مما تقدم ، لأن العوالم حركات لا غير كما أثبتته أنت في التفسير صارا ، وما الأثير إلا كالخيال في الفوس البشرية ، والخيال متى تركه صاحبه طاح وذهب ، والأثير أشبه بهذا الخيال لأنه ليس مادة ، فهو يكاد يتفطر لأنه في الحقيقة لا نبي والحركات هي التي تتجلى لكم . ثم ان الملائكة لهم « صفتان » صفة معرفة الله ، وصفة تعليم الخلق ، ولأولى - يسبحون بحمد ربهم - ولثانية - ويستغفرون لمن في الأرض - وفي كليهما السين ، وهذه هي الخصلة التي تجب على كل عالم في الاسلام علم بجلال الله وجماله . ثم أن يكون مفضلا منبعا للخير فياذا نفعنا للناس . هنالك قلت ياليت شعري . إذا كانت هذه الحروف لم نفهم منها الآن إلا ملخص الآية من حيث انها رمز لها فإذا أفادتنا ؟ فقال انها جمعت العوالم العلوية والسفلية في

نظر النفس وأصبحت كأنها هيئة مبهجة تشرح الصدور وتعرف جلال الله وجماله . وهذه تأنس بها الأرواح والاشارة أبلغ من العبارة ، وهذه لاتدرك إلا بالدوق ، وإنما الفرق بين هذه المزايا التي جاءت في هذا التفسير وبين المزايا التي فهمها المتقدمون أن مزايا هذه الاشارات هنا نحت على النقل والتفكير ، فأما ما جاء عن بعض المتقدمين أن هذه الحروف مقتطفات من اسم الله ، وأنها تشير الى أعداد خاصة كالجلل (بشديد الميم) كما زعم اليهود ، أو كأن تكون اشارة الى مافي العوالم العلوية من المنازل كما تقدم في أول (سورة آل عمران) فان ما ذكر هنا أقرب منه الى رقى الأمم الاسلامية . وأي بهجة ونعمة أبهج وأكمل من استحضار صور العلوم كلها وكأن الله مشرف عليها والنفس تطالع ذلك وهي مفتبطة أي اغتباط ، وذلك عند انطق بخمسة حروف جمعت العوالم ، ثم فصلت تلك المعاني بعد ذلك في السورة

منافع الموسيقى العلمية

وضرر الموسيقى العملية

فقلت له : لقد طال المقال في نظام الموسيقى العالمي في السموات والأرض . وأن المطلعين على هذا التفسير ربما يرون أن الموسيقى في الأرض عند العامة والجهلاء كالموسيقى التي أبدعها الله لأنفي وأزنت ما بين العود ونظامه والسموات ونظامها . فقال : حقا ان هذا يتبادر الى الذهن . فبين هذا المقام هنا ؟ فقلت : لقد ذكرت في أول (سورة الصافات) مافي التعليم العربي في الأمم الاسلامية من القص الفاضح والجهل المريع من حيث الشعر العربي . ولا جرم أن بين الشعر والموسيقى صلة نسب واتقان واتصال ، إن الأمم الاسلامية منيت بأشعار العرب قبل الاسلام وبعده وفيها الغث والسمين . ولقد سرت هذه الفكرة سريان النار في الهشيم . وظنوا أن هذه الأشعار على علانيتها تعرف أسرار القرآن . والحق الذي لا مفر منه أن كل ما أخل بالأخلاق من الأشعار . وما كان منه فيه مجنون أو غرام فهو لغو بل ضار . لأن ذلك يخلق في النفس من صباها فلا يتركها ، فيصبح خلفا فيها وتلازم الغرام والصبوة في الشباب فعلا وفي الشيخوخة قولاً وأما في . واني ليدهشني والله أن أرى هذه الأمة في الأندلس وفي الشرق لاتفرق بين الشعر المحرّض على العفاف والشعر المزرى بالمرودة ولم أجد من يحذر من ذلك الخلط ، لافي زماننا ولا في الأزمان السابقة ، وهكذا أجدهم فعلاوا ذلك في الموسيقى وفي الأغاني ، فكل هذه أباحها القوم ولا نكير إلا عند الفقهاء ، وأسمعهم يروون جميع الأشعار في كتبهم وفي سحرهم وفي مجالسهم ، بل أرى الصوفية يرمرنون بالغزل الى الذات العلية ، وأجد العلامة الغزالي يبيح السماع بشروط ، والعلامة ابن سينا يجعله هو وطائفة من الصوفية صرقيا للنفس بشروط خاصة كما هو واضح في آخر (كتاب الاشارات)

والحق الذي لا محيص عنه أن أكثر الأشعار وأكثر الاغاني وأنواع الموسيقى ضارّات بمجموع هذه الأمة . إن ما يقوله الامام الغزالي رحمه الله من جوازها بشروط ، وهذه الشروط ترجع الى أمر واحد وهو انها اذا سمعها الانسان لم تتوجه نفسه الى محرم بل تتوجه الى ادراك المعاني وشريف الخصال أقول : إن ما يقوله حق ، ولكن أكثر الناس غير مستعدين لذلك ولا هم يذكرون ، فأكثر الأشعار وأكثر الموسيقى ضارّة بمجموع هذه الأمة ، والقليل منها هو النافع ، إذن ليست موازنة الموسيقى في الأرض عند الناس بالموسيقى في السماء عند الله من حيث الحساب تفيدنا أنهم ماسيان في السكال . كلا . فهناك الموسيقى نظام جميع العوالم ، وهنا استعمالها أكثره مضر بنوع الانسان وهكذا الأشعار ولقد أنجى (سقراط) في الكتاب العاشر من الجمهورية على طائفة الشعراء ، وأخذ يابوم (هوميروس) الشاعر ويحيط من أقدار هذه الطائفة ويقول انهم لا هم في العبر ولا في النفي ، قوم لاحقا في عندهم ولا علم ، وما هم

وما هم إلا مقلدون للحقائق ، وما مثلهم إلا كمثل الرسام الذي رسم لحام الفرس واللجام صنمه صانع وهذا الصانع وضعه بالهيئة التي طلبها راكب الفرس . فراكب الفرس هو الذي يطلبه والصانع يعمل على مقتضى الطلب ولكن الرسام يقلد الصانع ، هكذا الشاعر فما هو إلا رسام للعقولات ، لا متعقل ولا عالم ، إذن الشعر خيال والخيال غير الحقيقة

عجب أن تسكون أكثر الشعراء هذه قيمتها ! والله يقول - والشعراء يتبعهم الفارون - . وههنا عجب وألف عجب أن نسمع القرآن يذم الشعر . وقد وافق في ذلك الفلاسفة من قبله . وهذا قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم -

ثم إن المسلمين في الشرق والغرب طاحت دوتهم وذهب مجدهم في الدولة العباسية والدولة الأندلسية بما تركوا مواهبهم ، ولم يكن لهم هم في الأكثر إلا في الشعر ونسوا المعقول وتركوه للأعاجم . لذلك ذهبت ريحهم وأصبحوا أثرا بعد عين

إن « حم . عسق » جاءت رمزاً لنظام العالم العلوي والسفلي وهو الموسيقى الجلية والعلم والحكمة . أما شعر الشعراء في الأرض وغناء المغنيين فضربهما أكثر من نفعهما ، فليفسكر العلماء في الاسلام بعدتنا في قوانينهم للشعر النافع والموسيقى ، وليحفظوا في ذلك ، وليفرقوا بين النافع والضار ، فلا تكون الموسيقى إلا حيث يكون العاشق النفوس للعالي والعلوم وأشرف الأخلاق ، وكذلك الأشهار . فأمّا إذا كان كلاهما لتبسيج الزنوات فليحرم بتاتا . إذن هناك فرق بين ما دلت عليه « حم ، عسق » وبين ما يغري بالخطايا النفوس الانسانية

فلما سمع ذلك . قال : أجدت ووفيت المقام حق . وبعد أن سمعت هذه الجلة منه انصرف الخيال من أمامي ، ونظرت في نفسي ، فوجدت اني لا أزال في الفراش ، وعجبت من نفسي كيف كان حوارى مع خيالها النورى تخيلته هي ، ثم أخذت أفكر في هذه المعاني فوجدتها معقولة ، بل فرحت بها فسطرتها تبصرة وذكرى لي ولأصدقائي قراء هذا التفسير والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأحد ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م

إشراق شمس هذه المقالة

في سحر ليلة الاثنين ٣ من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٠ استبان لي من حقوى هذه المقالة أن (حم عسق) رسمت للحكماء والعلماء في هذه الأرض أربعة منازل وهي :

(١) انبعاث النفوس من الخلق الى أنوار الحق

(٢) ثم اقتناسها بتلك الأنوار

(٣) ثم يكون الاقتباس بعد الاقتناس

(٤) ثم الأفضة على الناس من تلك الأنوار

فالمنزلة الأولى هي الانبعاث ولها (حم) وذلك أن تشاهد أنفس أهل العلم بهجة هذه الكرات السماوية وتطالع أنوارها وحسابها وأعدادها وعظمتها ، فإذا امتلأت بتلك الأنوار وأشرقت بها أيما إشراق تكون المنزلة الثانية ، وهذه المنزلة الأولى تشير إليها الحياء والميم لأن تجليات العوالم وظهورها من العدم سرّ الرجات والرجة يسبقها العلم والعلم به النظام وتقدير الحركات والدرجات . وبإدراك ذلك الجبال ترتقي النفس الى المقام الأعلى وهو المنزلة الثانية (ع) الاقتناس إذ تتجلى للفكر تلك العزة والعظمة والعلو الذي أشرقت بها أنوار العين في (عسق) ، وههنا ارتقت النفس من المقدمة الى النتيجة ، ومن المخاوق الى الخالق ، ومن الأثر الى

المؤثر ، ومن الرحمة الى الرحيم ، ومن الجلال الى الجليل ، ومن الصنعة الى الصانع ، وهناك تتجلى أعمال الملائكة الحافين حول العرش ، وهم يشاهدون العوالم كلها ، مطلعين على بدائعها ، منظمين لحركات السموات ولم يتم ذلك إلا بعد اشراق نفوسهم بما استمدوا من علم وما استفادوا من حكمة من العلي العظيم العليم ، وهذه هي المنزلة الثالثة وهي الاقتباس (السين) من (عسق) فإذا كانت المنزلة الأولى ارتقاء من الصنعة الى الصانع ، والثانية تفكير في أوصافه ومشاهدة أنوار الآثار ، فالثالثة الاقتباس ، ألا ترى أن المؤثرين الذين لم نرهم شاهدنا آثارهم ، وعلى مقدار اختلاف الآثار يكون اختلاف المؤثرين ، وهم الذين سميناهم ملائكة ويضرب لهم المثل في نظام العوالم بنظام أعضائنا ، فكما أن في كل عضوة خاصية ، هكذا في كل عالم ملائكة مختصون به يدبرونه ، وكما أن أعضائنا تطيع القوت المدبرة لها هكذا العوالم المشاهدة تطيع الملائكة المدبرين وكما أن الانسان مناله نفس واحدة ، وهذه النفس لها قوى كثيرة لا نقدر أن نحصيها نحن والله يحصيها هكذا الله واحد وله ملائكة ينفذون أمره وهم كثيرون ، وكما اننا نحس في أنفسنا بأن هناك في عقولنا قوى مختلفة مثل : « الخيلة ، والفكرة ، والحافظة ، والذاكرة » وفي أجسامنا قوى أخرى أقل منها درجات من القوة الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والغاذية والمنمية والمولدة ، ومثل الغدد المختلفة كفدة الصفراء والبنكرياس وغدد اللعاب الالتي في الفم وهي ست ، وهكذا مما تقدم إيضاحه في ﴿ سورة فاطر ﴾ هكذا في العالم :

﴿ أولا ﴾ ملائكة سماويون يدبرون العوالم تدبيرا محكما بنظام متقن ، وهم يستمتون ذلك من المقام الأقدس كما تستمد الحافظة والفكرة ونحوهما من الروح الانسانية معارفها واختراعاتها ، إذ لولا أرواحنا ما كانت هذه القوى الالتي تحت سيطرتها ولا كانت معارفها ولا أعمالها

﴿ ثانيا ﴾ ملائكة أرضيون يدبرون الزرع والشجر والبر والبحر كما نرى الماسكة والهاضمة الخ والغدد المختلفة تفعل في أجسامنا أفعالا مختلفات وأطوارا متباينات وهي أقل منزلة من قوى السماغ لأن تلك للعالم والتدبير وهذه للعمل واحداث الآثار

وما هذا الذي ذكرته إلا ضرب مثل - ولله المثل الأعلى - فإذا ضرب الله لنوره مثلا بالسراج لهموم فما أسهل ، وما أبعد ، وما أجمل أن نبين لقوى العقول السليمة والحكماء والعلماء في الاسلام قاطبة :

(١) ان نفوسنا وأجسامنا وقوانا توضح هذه الآيات إيضاحا شافيا ، وأن وحدة النفس مثال لوحدة الله

تعالى وان كان الفرق شاسعا بين المثل والممثل له كالبعد ما بين نور الله ونور السراج

(٢) وأن قوانا في الدماغ ضرب مثل للملائكة السماوية الحافين حول العرش

(٣) وأن قوانا الجسمية من البنكرياس والصفراء وأمثالها ضرب مثل للملائكة الأرضيين

إذن ظهر بضرب المثل معنى قوله - وتري الملائكة حافين من حول العرش - في سورة أخرى ، وإياك أن تظن أن المشبه كالشبه به ، فقول القائل « وجهه كالقمر » ليس معناه انه هو نفس القمر أو انه مثله من كل وجه ، فهذا أمر واضح هكذا هنا ، فإذا كانت قوانا الجسمية لاعتقول لها مستقلة فالملائكة ليسوا كذلك فهم ذوو عقول مستقلة بها يدبرون ، ولكن لهم صلة برؤسهم صلة القمر بالشمس يستمد منها

هذا معنى كونهم حافين من حول العرش فهمناه فهما إيجابيا ، وأما كونهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، فهذا موضع الاقتباس ، فان قوانا المختلفة في الدماغ الالتي لها وظائف عامة من فكر وحفظ وذكر وهكذا لم تتركها أرواحنا سدئ بل لها صلة بها ولن تكون أعمالها إلا على مقتضى ما وصلت اليه أرواحنا ، فليس حفظ ولا فكر ولا تذكر زيد مشابها كل الشبه لهذه الثلاثة عند عمر ، ومعنى هذا أن هذه القوى مستمدات الاستمداد التام من نفوسنا بدليل انها مناسبة لها لا غيرها ، فهكذا نقول في

الملائكة - ولله المثل الأعلى - انهم لم يكن لهم عمل إلا على مقتضى عاونهم المستمدة من ربهم ، ولذلك نجد النتائج منتظمة ، فهم إذن عارفون بصفات الجلال وصفات الاكرام أى الصفات السلبية من أنه مخالف للحوادث ، وأنه لا أول له الخ و بصفات الاكرام وهى صفات المعاني كالقدرة والعلم الخ والأولى تدخل تحت التسبيح والثانية تدخل تحت الحمد ، فقله - يسبحون بحمد ربهم - دخل فيه العلم بالجلال والاكرام ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ صفات التنزيه ، وصفات الافاضة ، والخلق والرحمة

ليس من المعقول أن يكون للسمع عالم الأصوات ، وللمصر عالم الأضواء ، وللذوق عالم الطعوم ، وللشم عالم الروائح ، وللمس عالم الخشن والناعم الخ ثم لا يكون للعقل عالم يناسبه وهو عالم كله عقول ؟

ليس من المعقول أن كل فعل من الأفعال الطبيعية له فاعل من جنسه كما تقدم فى النبات وفى الحيوان من أن هناك (الفطر والبكتريا) التى تحلل المواد الأرضية لغذاء النبات والمواد التى فى الأمعاء فلاظلا كحل الهضم كما تقدم قريبا ثم تكون آراؤنا وأفكارنا لم تستمد من عالم عقلى يشبهها ! إذن هنا ملائكة وهؤلاء هم الذين يدنوننا على حسب قوانا ، وسيأتى إيضاح هذا المقام أيضا تاما فى كتابى المسمى « صرآة الفلسفة » أذكره عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وهناك يزول ذلك الاشكال الذىبقى ٢٤ قرنا فى أمر العقول والنفوس والمادة وعلاقتها بصانع العالم ، وقد وصلت بحمد الله لحل هذا الاشكال المعقد ، وسترى هناك صرائب الفلاسفة فى العالم ، وكيف كان أفلاطون يقول بالمثل الأفلاطونية ، وكيف ردّ عليه تلميذه أرسطاطاليس بأن هذه المثل ليست تحل المشكلة ، والصواب عنده أن العالم مرجعها غير تلك المثل وهى الصورة القائمة بالمادة . ولما جاء بعدهم قوم آخرون رأوا الخلاف عسيرا وحلّ صعبا ، توقفت العقول عند هذا الحد ، فتركوا الإلهيات واقتصروا على العلوم الأخرى ، وسترى أن (سبنسر) الفيلسوف الانكليزى والاستاذ سنتلانه الفيلسوف التليانى يقولان : « اننا بالنسبة لاصول الفلسفة أمثال هذه المسألة لا قدرة لنا على حلها ، ونحن بالنسبة لأمثال سقراط ومن معه كالبة بالنسبة للفيثاغورس »

وأنا أعلن المسلمين خصوصا والعالم الاسلامى عموما أن الله عز وجل قد منّ على بالتوفيق فى تلك الرسالة وسترى فيها طريقا غير طريق هذين الحكيمين خاليا عما ورد عليهما من الاشكال ، فقد بينت لك هناك اثبات برهان وجود الملائكة ومعرفة الله بطريقة كطرق الهندسة يفهمها الخاص والعام من أهل العلم ، وهناك ثبت عالم الملائكة ثبوتا هندسيا

وقد تقدم فى السورة السابقة فى آية - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بعض ذلك وانها وتامه سيأتى فى الرسالة المذكورة ان شاء الله تعالى

وبناء على ذلك نفهم قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - فالعلم منه وهو يفيضه على الملائكة والملائكة يفيضون على الناس ، فقله تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - راجع ذلك لاستمدادهم منه بالبرهان الذى ستره فى ﴿ سورة محمد ﴾ عليه الصلاة والسلام والناس يستمدون من الملائكة ، فاستغفارهم لمن فى الأرض ان يتم لهم إلا لما نالوا من العلم بجلال الله واكرامه ، والناس من الملائكة يستمدون ، وهذه هى المنزلة الرابعة من المنازل المتقدمة

فالمنزلة الأولى نظام العوالم ، والثانية إدراك صانعه ، والثالثة إدراك الملائكة ، والرابعة العلماء فى الأرض فهم يعرفون العوالم كلها ثم يفيضونها على الناس ، ولهذا الإشارة بقوله - يوحى اليك والى الذين من قبلك - فالوحى هو القرآن وهذا هو حرف القاف ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ - يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض - فهم يتبعون الملائكة حذو القذة بالقذة والملائكة يستمدون من الله

هذا ملخص « حم ، عسق » فهي أربعة منازل : هي نظام هذه الدنيا وموتوها وعبادتها وهيام القلوب بصانها ، وهل هذه المنازل الأربعة إلا أشبه بما جاء في « جمهورية أفلاطون » من المغارة والنار

حم . عسق ، ومغارة أفلاطون

اعلم أن ما قررناه من المنازل الأربعة في (حم ، عسق) هو نفسه الذي قرره أفلاطون في جمهوريته كما تقدم في هذا التفسير ، ألم تر أنه تصوّر جماعة في مغارة وجوههم متجهة إلى مؤخرها ، وأمامهم ضوء نار على ذلك المؤخر وهم مسلسون بحيث لا يرون ما وراءهم من النار التي تضيء وراء سور ، وهناك أناس يسرون وهم يحملون أنواعا من الحيوان والنبات والنار ترسم تلك الصور في مقابلة وجوه هؤلاء الذين في المغارة ، وهؤلاء سموا هذه الصور بأسماء وقالوا إنها هي الحقائق بعينها ، ثم إن أحدهم خرج منها وأخذ يترن على نور القمر في الماء وكذا النجوم ليسلا ثم يراها بأنفسها ، يرى صورة الشمس في الماء ، ثم يراها بنفسها ﴿ وبشارة أخرى ﴾ أنه أخذ يتدرج في النظر فأدرك أن هذه الصور التي على الحائط ما هي إلا آثار صور الحيوانات الحقيقية وأن النار نفسها ما هي إلا أثر من آثار الشمس ، وبه تعرف الفصول والسنون والشهور والأيام ، فإذا جعلنا الشمس بدل النار ، وجعلنا سكان الأرض بدل سكان المغارة ، وجعلنا النبات والحيوان بدل الصور التي على الحائط ثم لنا المقصود وظهر المثل بأوضح معانيه ، وعليه تكون الشمس ضربت مثلا لله والنبات والحيوان يكونان على مقتضى عالم المثال الذي يقول به أفلاطون ، وسكان أهل الأرض كسكان المغارة ، فهم جهال وليس يدرك الحقائق إلا أناس تركوا آراء الجمهور وبحثوا فعرفوا العالم ، ثم إن ذلك الذي سخر من من المغارة وعرف الحقائق في مثال أفلاطون رجح ثانيا إلى أخوانه وقاسى الشدائد في تفهيمهم كما قاسى المشقات في تمرين عينيه على نظر الأنوار الحقيقية ، إذن هنا صمود من المغارة ثم تعلم ثم رجوع إلى من فيها وتعليم لهم أفليس هذا كله هو عين (حم ، عسق) ، ارتقاء عن المادة ، معرفة بالله والملائكة ، ثم رجوع إلى الناس وتعليم لهم على مقتضى ما تعلم هذا هو معنى قوله - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - فالحمد لله على نعمه الوافرة ، وآلاته الفارقة اهـ

جوهرة في آية : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان

وما يدريك لعل الساعة قريب

إن المتعلمين أكثرهم نبذ الكلام على الآخرة والدين وإن ذلك تقدم في التفسير . وهذه أول مرة قام فيها رجل له همة وله احترام من المتعلمين بهذه الخطبة . وهذه بشارة أزفها بأن الجو في متعلمي الشرق الأدنى أخذ يتغير إلى الأحسن بعد أن كانوا يحرقون هذه الآراء . وهذا الاحتقار أضاع بلادهم . وهالك نص الخطبة المذكورة

بأي ميزان ترن الحياة ؟

﴿ محاضرة الأستاذ توفيق دياب ﴾

ألقاها في ألف ومئتي مستمع

أخواتي وأخوتي :

ذلك السر الغامض الذي يبدأ بال ميلاد وينتهي بالوفاة . ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى

أنفسنا في غمسه متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء . ذلك البحر الضخم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطا قصر أوطال ، نزعنا منه تلك القوة الخفية حين يحلّ الأجل ، هذه الحركة التي تساق إليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين . هذه الحياة ساهي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحدا يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمتين . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقد يما كان ، وإلى اليوم مازال هذا السر الرهيب موضوع البحث والملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجبا أن يفكر الفلاسفة في معنى الحياة ، وأنما العجب ألا يفكر في معنى الحياة جميع الناس .

نولد أجنة وندرج أطفالا وننشأ صبية ونراهق فتيانا ونستوى رجالا ونبلغ السكوهولة ونهر كنا الشيخوخة إن قدر لنا أن نعلم ، ثم ماذا ؟ ثم نجف الشجرة ونذوي الأراهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخيرة تطفاه فإذا نحن رفات . وذلك دون أن نفكر يوما لماذا ولما ولماذا حينما ولماذا نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم أو جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذت لك سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها ، فلن تستقر على حال من الدهش ، حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذاك جاء بك إليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أية حديقة أو فناء تشرف . ستفتح الباب فإن كان موصدا عاجلته حتى يفتح أو يضطرم ، فإذا خرجت من الغرفة جملت تنظر يمنة ويسرة في دهول وحيرة . ثم جعلت تطوف بارجاء الدار مسائلا نفسك أين أنا وما هذه الدار ولن هي وفي أية مدينة . ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالمرضات فتنبئك بأن هذه الدار (عافاك الله) مستشفى ، وإن اغمء طارئة غشيتك تخاف عليك والدك فأسرع بك إليه ، حتى إذا بشر الطبيب أبالك بأن الأمر حين لا خطر فيه . آثر لك الإقامة هنا أيما إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليما معافى

حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك إليه وما السبب فإذا عرفت أن الغاية هي استشفائك مما بك ، لم يزدك علمك بهذه الغاية إلا أخذنا بأسبابها واستيفاءا لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أرادته والدك وما أصبحت تريده لنفسك

هذا شأننا من الدهش والتساؤل إذا طوحت بنا الطوائح إلى مكان نجهله . فما بالناس تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستشهدين على غير قصد منا ولا اختيار ، نطهر ونختفي على سطح هذا المحيط الهائل . كالفقاع تنفخ وتنفجر في مثل لمح البصر ، دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الخبرة والتساؤل والتفكير

لماذا بعثنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا . ألنقصى في هناها أو عناها ، في صحتها أو مرضها في غناها أو فقرها ، في عدلها أو ظلمها في إختارها أو لئلاها ، في رفقتها أو جفائها ، أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاما إذا طال بنا العمر

وماستون أو سبعون عاما في امتداد الأزل الذي لا أول له . وفي امتداد الأبد الذي لا نهاية له . إن العلماء ليحصون السنين التي سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالآلاف ، ويقدرون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الإحصاء . فما أنا وما أنت ، وما نصيبنا وما نصيبك في هذا السرمد الذي تحارفيه الأبواب . ذرة ضئيلة من جبل أشم ، قطرة هينة من محيط مترام

واذن فما حياتك وما حياتي وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الأمم الحاضرة كلها ، حتى نجعل موضوع هذه

المحاضرة (بأى ميزان تزن حياتك ؟)

أن التاريخ المدون أو المكتوب لا يهدو ستة آلاف من السنين . وهى التى شغلت أقدام المؤرخين ، وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت أمم وانحطت أمم ، وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب ، وطغى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والافراد من السعادة والشقاء . وأظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم (ماضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات ومئات الألوف من العقول . وهذا كله ثرات ستة آلاف من السنين . وماهى من ماضى الانسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب ، وماهى من مستقبل الانسانية الذى لا تترامى الى حدوده عين الخيال) إلا بمثابة الدقيقة الواحدة من ألوف الأعوام

إذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتى وعن ميزان حياتك وميزان حياتى .

ماحياتك وماحياتى اذا قستهما بهذا المقياس الخفيف . إنك لو نظرت اليها بالميكروسكوب اهتز على الميكروسكوب أن يكشفها لمن ينظر اليها من أفق الأزل القديم والأبد الخالد .

ألا تصدق ؟ إذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين وسيعيش فيه أحفادك ملايين أخرى لا يحصىها العد ، أن لم يصطدم به جرم سماوى آخر فاذا أرضك هباء فى مثل قصف الرعد أو خطف البصر (ألا تعلم أن هذه الأرض بماضيها الزاخر ومستقبلها العظيم الباهر إنما هى شظية تطايرت من الشمس كما تطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك فى الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحالت حصاة (مستقلة ذات سيادة)

أنا وأنت وهو وهى وهم وهن آحاد فى عداد ملايين الأمة المصرية . والأمة المصرية إححدى العشرات الكثيرة من أمم هذا العصر . وأمم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع الى ماض لا يدرك الخيال مبتداه وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الأرض وهذه الأرض شظية كانت ملتصقة بتناثر من الشمس فدارت من نظام السكون حيث تدور فاذا عسى تكون حياتى وماذا عسى تكون حياتك . لاسما وأنت تعلم أن نظامنا الشمسى ليس إلا واحدا من نظم كثيرة تماثله . لو أطلنا التفكير فى كنهها وفى تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين فى التفكير ، دون أن نزداد فى تفهمها إلا ذهولا وحبيرة سيداتى وساداتى :

هل تحملون منى كلمة جريئة . إذن تفضلوا فاسمعوها :

إذا كانت الحياة هى الأعوام الستون أو السبعون التى نعيشها فى هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بهئتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا اليها لحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، اذا كان مولدنا فى هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، اذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لأسباب مادية لأقل ولأكثر ، اذا كانت أيامنا فى هذه الدنيا برزخا ناعسا بين بلقيين : بلقع الماضى قبل أن نولد ، وبلقع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، اذا كان كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافئها فى سبيل الانسانية ، اذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمى اليها الأمم جيلا بعد جيل ، اذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد (هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاما محدودة بحدين ، عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق الى الأبد ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين .) (اذا كان

الأمم كذلك ، فما أضحى الأحياء الذين يؤمنون بهذا المدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون . إن الانتحار أولى بهم وأجدر ، أما أنا فلو كنت منهم لانتحرت . إن هذه الأعوام الستين التي يعيشها المرء في هذه الدنيا لا تساوي في ذاتها عضة الفقر ولا ذلة الحاجة عاما واحدا . انها في ذاتها لا تساوي برحاء المرض الممض نصف عام . انها في ذاتها لا تساوي احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجبرين . ان المرء ليصادف في هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى ما لا يحتمله الا لشعور واحد ، هو أن الحياة سر قديم خالده . لا حياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر ، جل في نفوس الناس أو هان .

إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بهدم منتهية الى عسدم ، اذا سألتهم لماذا يعيشون . قالوا نميش طوعا لغريزتين ، غريزة الطرص على بقائنا ، وغريزة الحرص على بقاء النوع . أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى في الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح في الأم تسهر على ذرايرها ، والأب يعول أبنائه . حتى ولو كانت الأم حيوانا أعجم

ونحن نفهم هذا التعليل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء ، فاما وهم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجعوا حكم العقل على اندفاع الغرائز ، فقد كان الأولى بهم اذالم يؤمنوا بأن الحياة الفرد اتصالا وثيقا بالخاود . كان أولى بهم أن يدركوا هذه الأعوام القليلة التي ستساهمهم عما قريب الى فناء لا وجود لهم بعده ، هذه الأعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب في مظاهر كاذبة وزباج باطلة ، ولا تستحق منهم هذا المكوف على المساميل والآلات والمنظار المكبر والمنظار المصغر والتعليل والتحليل والكسح بالليل والنهار ، للوصول الى حقائق مهمما تسكن في نظرهم جليلة فهي نافهة مادامت هذه الخلائق الانسانية ، والسادة العلماء في طليعتها . كائنات نافهة تظهر اليوم من ظلام العدم . لتنهى في الفرد الى ظلام العدم . كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء ، وأن يقولوا للناس فيم الكد وفيم العناء في سبيل غاية مقفرة مظلمة . الى العدم الساجل بيدك أنت أيها الانسانية مختارة طائفة فذلك أكرم وأروح للبال من أن يحل بك العدم غير طائفة ولا مختارة :

يقولون ان حياة الانسانية شيء وحياة الفرد شيء آخر . حياة الفرد الى العدم فأما حياة الانسانية فالى البقاء . لذلك يخدمون الانسانية بالعلم والفن والأدب ، ليحجي الجيل اللاحق خيرا من الجيل السابق ، ولتحجي الحضارة الآتية أعظم وأروع من الحضارة الماضية ، وهذا في الحق سخيف عظيم . لأن معناه أن جميع الأجيال الماضية وجميع الأجيال الآتية كانت وستسكن مجرد عتبات ومدارج ، أو مظايا وبرازع . يعلوها في النهاية آخر جيل تتخمس عنه الانسانية ، فاذا استوى الجيل الأخير على قمة المجد لم يكن مجده خالدا ، بل كان مجده زائلا كذلك ، ولو عمر الانسان الأخير بفضل العلم ألف سنة . ثم ينقضي هذا الجيل الأخير بانقضاء صلاح الأرض للحياة . وانتهت الدنيا الى غايتها . وفنيت حضارة الشمس ، وانطفأ ضياؤها . واستعالت البعابر جليدا والشجر والنبات هباء أُمست الانسانية عدما مطلقا الى آخر نسمة فيها (ولم يبق للانسان المسكين حتى ولا الذكري ، اذ من ذا يذكر الانسان وقد انمحي من صفحة هذا الكون آخر انسان ، وانمحي لايسموا الى عالم آخر ، ولكن ليبقى غريبا في غمرات الفناء ، خالدا فيها أبد الآبدين

هل هذه إذن غاية الانسانية ؟ هل غايتها أن تقضى مئات الملايين من السنين لتتضج جيلا واحدا هو الجيل الأخير ، ثم يكون هذا مصير ذلك الجيل الأخير ؟ أنهرق الساحر الذي يخرج علبة من جوف علبة ثم يخرج الثالثة من جوف الثانية ، والرابعة من جوف الثالثة والخامسة من جوف الرابعة وهكذا حتى تعد عشرات من العلب يخرج بعضها من جوف بعض ، حتى ينتهي بك الى علبة لا تكاد تراها لضوئها ، ثم يوهك بأن فيها قطرة من سائل هوماء الحياة ، فاذا تناولها المتناول وأسرع بالقطرة الى فيه ليرزق الخاود خرا على الأرض فاقد

الروح - تلك صورة فكاهية من الحياة الانسانية كما يفهمها أولئك الماديون

سيداتي وسادتي :

هل تريدون منى كلمة جريئة أخرى ؟ هذا الانسان أكبر وأعظم من الأعوام السبعين أو المائة التي تمتد اليها حياته في الدنيا . لكن هذا الانسان متناقض عجيب ! أئذ كرون أيامه الغابرة ؟ أيام كان يأوى الى الكهوف ويأكل الصيد نيئاً ، ويضرب في الغابات عارياً ، ولا تسكاد تميزه من سائر الحيوان .

هذا الانسان ما الذي هداه الى ما هو اليوم فيه ؟ ما الذي صعد به الى المستوى الذي بلغه في القرن العشرين . مجزة القرون ؟ في الدنيا حروب وفيها عدوان وفيها آفات وفيها عيوب ، ولكنها عيوب الساعد الى المشي الأعلى رويدا رويدا ، ولا سبيل الى أن ينجم من تراث الماضي وغيرائز الأناية الأولى كل النجاة في ألف عام كلاً ولا في عشرة آلاف . قد يشق الحروب ويعتدى على الحقوق ، ولكن لطيفة خفية تنزع به الى السلام والانصاف بعض النزوع . له اليوم قوانين وشرائع ان طفت عليها يد العدوان يوما ، فان الجماعة كفيلة برد الحق الى نصابه وان كره المعتدون . له اليوم علوم قيمة وفنون جسيمة وآداب افسحت أمام عقله سببهاات الهداة المعنوية . له تعاون على البر والاحسان ، يلطف من تعاون الأشقياء على الفسار والاساءة . له أديان مشروعة ومثل من الأخلاق موضوعة ، له طائرات في الجو وغاصات في البحر وله أسباب ممدودة تراها العين أسلاكاً بوقية أو تلفونية ، أولا تراها ، لأنها أسباب من الأثير تحمل الأصوات ، وتنفخ عن النظرات

وهو مع ذلك متناقض عجيب . ذلك الذي دوخ الأرض وسخر الجو والبحر ونقل في الصخر وكشف من الأسرار عجائب كانت قبل عشرة أعوام أو عشرين في عداد المجزات ، ذلك الذي يقف وراء المدفع الضخم فيطلقه على البرج المشيد أو القرية المعاصرة فإذا هي أطلال ، ذلك الذي كشف أسرار الأفلاك والسكواكب والنجوم ، وعرف مزاج بعضها وتأليف مواده وتركيب عناصره وفلس أبعادها وحدق حسابها حتى ليتنبأ لها بحوادثها ويجرياتها قبل أن تقع بمئات الأعوام ، ذلك الذي اتخذ من الغاز سموماً ، ومن الهواء غذاءً ، ومن حرارة الشمس وهدير الماء قوة مستعملة أو مذخورة ، ذلك الذي أضاء الليل بثرات مكهربة فسكانها شمس وأقمار ذلك الذي يطوف الآن حول الأرض على متن الهواء قبيل أن يطوف أخوه البدوي مناخ قبيلته على ظهر البعير ، ذلك الذي كشفت له الاشعة مكنون الجسوم واخترقت له حجب الغيب ، فأصبح يرى ما لم تكن تراه العيون

ذلك الانسان تقتله البعوضة وتمرضه نسمة الهواء ، وتشرقه جرعة الماء ، ويصرفه الهوى عن الجادة ، ويريد الأمر المستطاع فيصرفه عنه التخاذل ! ذلك الانسان يهدل ويظلم ، ويقسو ويرحم ويتخذ العلم للعلم والعلم للعالم . فما هذه القوة وما هذا الضعف ؟ وما هذا النور الساطع وما هذا الخلك الدامس ؟ وكيف يجتمعان ولأيهما الغلب آخر الأمر . وهل نستطيع أن نستخلص من بين هذه الأطوار المتنافرة ، والمظاهر المتناكرة حقيقة الحياة وغاية الحياة وميزان الحياة ! . نعم وأبيك يجب أن نستطيع

سيداتي وسادتي :

هل تريدون منى كلمة جريئة أخرى ؟ نحن تلاميذ القوة العظيمة التي بعثتنا الى هذه الدنيا يوم ولدنا ، والتي تتوفانا يوم يحل الأجل نحن تلاميذها وهي تعلمنا من حيث لانراها ، وقد أودعنا سرا يسميه الفلاسفة عقلاً ، وتسميه الأديان روحاً ، وأنا لايهمنى ماذا نسميه . هو قبس من هذه القوة العظيمة وشعاع من نورها . وليس يولد انسان إلا وينطوى على هذا القبس أو هذه الشعاع كائناً ! وانما توقظها تجارب الحياة من ألم ولذة وحزن وحرمان واحراز ومرض وصحة وإخفاق ونجاح ! فالألم يوقظ هذا السر السكمن ، ويروضه على النظر كيف ينجم من الألم . واللذة تبعث فيه حب الاستزادة فحب الحركة في سبيل احراز تلك اللذة ، والحرمان يبعث فيه

حُب التحصيل والاحراز ، ولذة الاحراز تدفعه الى طلب المزيد . والمرضى يعلمه التوقى ويعلمه الصبر والجلد ، والصحة تشمسه الهناء ، والاختفاق يفريه بالكندح ومعاودة العلاج ، والنجاح يزيده همة وعزيمة .
كان هذا منبت الفرائز في الانسان الأول ، ثم رأى ذلك التلميذ الناشئ على كر الأجيال ان في بعض لذاته ايالما لاخوته ، وان في بعض سعادته شقاء لسواه ، فازدادت فيسه الحساسية ، فوازن قليلا بين سعادته وشقاء الآخرين ، فانصرف قليلا قليلا عن الأنانية المطلقة ، ومازج تقديره شيء من العطف على سواه .
السر التدفين يستيقظ ، الشعاع السكينة ترسل ضوءها خارج نفسها لأول مرة ، بذرة الانصاف والعطف والغيرة تستحيل نبتة مزهرة . التلميذ يتعلم في مدرسة الحياة درس العدالة . فيعطا كى المعلم الأعظم الذى بعثه الى مدرسة الحياة ، التلميذ يدرس منهاج الفضائل في مدرسة الدنيا مكرمة بعد مكرمة ومجدة بعد مجدة . أليس المعلم الأعظم كريما جيدا ، وهذا تلميذه أودع فيه قبسه لينقذ بزمام الحوادث والتجارب . أهى البسالة والاقدام ؟ ان المعلم الأعظم يسلو عن المخاوف فهو القوى المنين ! أهو الدأب والكفاح والعزيمة لا تعرف اليأس ولا القنوط . ان المعلم الأعظم شديد المراس يسلو عن الفترة والوهن ! أهو البر والاحسان ؟ ان المعلم الأعظم هو المحسن البار وهو ينبوع البر والاحسان

وما من فضيلة ولا مكرمة الا اشتق أصلها من تلك القوة المهيمنة ومن ذلك المعلم الأعظم . ولكن المعلم الأعظم لا يعلنا الشجاعة ولا قوة العزيمة ولا البر والاحسان الا عن طريق الحوادث والتجارب . فقبل الشجاعة ساد الجبن حتى استيقظت شعاع المعلم الأعظم في التلميذ فاحتقرت الجبن والجبناء ، وقبل الوفاء ساد القدر ، وقبل البر والاحسان سادت القسوة والجفاء .

وفي هذه المدرسة مازال التلميذ يدرس ولن يزال . والى جانب الاخلاق التى تروضهم عليها حوادث المدرسة وبقطة السر السكين ، يتجه ذلك القبس الى محاكاة المعلم الأعظم فى العلم والقدرة والارادة ، فلا تفتأ الأشعة الأزلية الخالدة التى تصل قلوبنا بعظمته ، لا تفتأ تبحث وتنقب فى أسرار هذا الوجود ، فكتسكتشف اليوم قانونا من قوانين الطبيعة وتكتشف غدا جوهرها من جواهرها الخفية ، حتى استطاع التلميذ بحركة من أصبعه أن يحيل الغرفة المظلمة نورا وهاجا ، لأنه عرف سر الكهر باه ، فما كان بالأمس مهجزة يرتاب فى جوارها العقل ، أصبح اليوم حقيقة مألوفة لا يدش لها الأطفال

واستطاع التلميذ أن يشافه صاحبه بكلمات تلوكها الألسن وتسمعها الأذان ، هذا فى جنوب المعمور وذلك فى شماله من غير حاجة الى أسلاك . واستطاع التلميذ أن يشارك الطير فى ارتياد الجوف فكان كل محلق فى الجو سليمان . وغاص مع الأسماك فى مساربها . وتبعها الى مهاربها

ذلك أن المعلم الأعظم يريد لتلاميذه أن يحاكوا عظمته فى العلم والارادة والقدرة ، كما يريد لهم أن يحاكوه فى المحامد والمكارم ! أليس المعلم الأعظم قديرا على كل شيء ، أليس فعلا لما يريد ! أليس يقول للشيء كن فيكون ! وهاهو ذات تلميذه ، هاهو ذا سره وقبسه فى هذه الدنيا - الانسان - قد استطاع أن يسخر الهواء والماء والكهرباء ، وكثيرا مما نرى ولا نرى من قوى هذه الطبيعة العنراء .

سيداتي وسادتي :

اذن لا يرو عنكم أن تكونوا ذرات صغيرة الأحجام محدودة الأعمار فى هذه الدنيا ، اذن لا تستهينوا بأنفسكم اذا قسمتموها بما سبقكم من الأجيال وما خلفكم منها حتى اذا رجع الماضى الى الأزل وامتد الى الأبد ولا يهولنكم أن يكون كوكبكم شظية تناثرت من الشمس ! فكل واحد منكم سيداتي ، وكل واحد منكم سادتي يحمل بين طواياه سر الوجود . هذه الأرض ستفى . والشمس التى هى أصل الأرض ستفى ، والنظم الشمسية على اختلافها قد يحلها المعلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته وصورا جديدة لارادته . لكن ذلك القبس

الذى هو نقحة من روحه جلت روحه وعلت عن الأرضين والشموس والأقمار ، ذلك القبس الذى يهلككم به صلة أزلية خالدة لا تنفصم ، ذلك القبس هو سر الوجود .

فبأى ميزان تزن الحياة ، أميزان الطعام والشراب والفقر والبنى والصور والقصور والبذخ والمناعم والوظائف والمناصب ، أم ميزان المحامد والمكارم والعلم والارادة وكبريات الصفات التى تتحاكى بها معانيك الأعظم ؟ نحن لا نستقر الطيبات من الرزق ولا نبغض اليكسب المال وانفاقه فى سبيله الخسيرة ، بل نحض على ذلك ففیه حفز اللهم وعود على النفس وذوى القربى وأهل الخصاصة بالمتاع الحلال . ولكن الأسر كل الأسر الذى أريد أن أذكر نفسه به وأذكركم ، هو أن كل مصافى الحياة من متاجر ومزارع وصناعات ، ومن مطاعم ومشارب ومساكن ، هى أدوات ووسائل لابد منها ولكنها ليست غاية الغايات أذكر نفسى بهذه الحقيقة الأولية وأذكر بها حضراتكم لاغضا من الوسائل ولا صرفا لكم عن اتخاذ الأدوات ، ولكن لأنك لو أحصيت فى زماننا هذا أولئك الأيقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة ، لألفيتهم نورا يسيرا لا يبلغ عددهم فيما أحسب واحدا فى كل ألف

أولئك يزنون الحياة عامة ، ويزنون حياتهم خاصة بما تحوى جيوهم من مال ، لا بما تحوى نفوسهم من خصال ، وبما يشفون من مناصب لا بما يتخفون من مبادئ سيداتى وساداتى :

هذه الأرض مدرسة بعثنا إليها بديع السموات والأرضين . وهذه حقيقة الحياة ، حياة الافراد وحياة الأمم . وغاية هذه الحياة هى أن نحيا كى صفات العلم الأعظم ، نحيا كى عظمته فى غير صلف ، نحيا كى رحمة فى غير ضعف . نحيا كى علمه وقدرته فى غير زهو ولا فقر . نحيا كى ارادته فى غير تجبر ولا غرور سيداتى وساداتى :

فى هذه المدرسة الربانية الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم ففهم المبرز ونهم المتخلف . فلا تهجوا اذن لبعده ما بين الناس من تفاوت فى الأخلاق والعزائم والعرفان . اسكن حين يعلم الناس أنهم هاهنا تلاميذ ، وانهم لم يرسخوا الى الحياة لعبا ولا هوا ، وأن معامهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل فى كل قلب مضى ، ورأس عامر بالعلم ونفس خفاقة بالشعرا وبدائع الفن الجليل . حين يعلم كل ذى موهبة . وكل ذى فضيلة وكل صاحب اختراع وكل مستكشف أسرار الطبيعة . أن ملهمه وصريده هو ذلك القبس المستمد من قوة الله حينئذ يبطل الغرور حياء من الله . وتتضاعف لهم مرضاة للعلم الاعظم . ويكون ميزان حياتك هو مبلغ محاسنك لصفات المصدر لكل عظيمة من عظام الصفات

هذه هى الخطبة التى ألقاها الاستاذ توفيق دياب ونشرت فى الجرائد ، كتبتمها لأنها تمت الى الحقائق بسبب **« وبيان »** أن الناس قسمان : قسم لا يعرف من الوجود إلا الظواهر ، وهذا القسم هو أغلب نوع الانسان ، وقسم يبحث عن حقائق الوجود ، وهذه الخطبة تمت الى القسم الثانى ، لسبب ذلك كتبتمها فى هذا التفسير . وهل لك أيها الذكى أن أحدثك حديثا عجبا ! إن هذه الخطبة ذكرتني بجوهريتين : الجوهرة الأولى انها تقرب من كلام أفلاطون فى جمهوريته فى الكتاب الخامس . الجوهرة الثانية : انها تقرب بعض الاقتراب بما خطارنى وملا قلبى جمالا ومهجة وسرورا وانشرحا صباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م

الجوهرة الأولى فى موازنة هذه الخطبة باراء أفلاطون فى جمهوريته

ترجع هذه الخطبة كلها الى أن كثيرا من الناس لا يفقهون إلا الحياة الحاضرة ، وهى فى ظاهرها مسبوقة

بعدم ويلحقها عدم ، فسواء أكان اجتهد الناس في الدنيا موجهها لأنفسهم هدم ، أم كان موجهها لأنبائهم هدم وأحقادهم ، أم كان موجهها إلى مواطنهم ، أم كان موجهها للأهم كلها ، أم كان موجهها لأجيل سيأتون بعد آلاف آلاف السنين ، فهذا كله ماهر إلا وبأل وسعى خير فائدة ، فالوجود الذي يقببه القناء وجود خير منه العدم والفاء

هذا ملخص الخطبة ، وعادة هذا الانسان المتدين والمليح نهم لا يفكرون على هذا الاسلوب ، وغاية الأمر أن المتدين يقول : « أهمل خيرا ليكون لي ثواب » فأجتمع بالذات بعد موتى « أما أمثال هذه الآراء فإن عادة الانسان في الأرض عدم خطورها بباله خطورها يبحث على البعث ، وإذا خطرت يذرونها بلا بحث ويكتفون بدانياتهم التي نشأوا عليها وهم لا يفهمون منها إلا قشورها ، فهناك ماقاله أفلاطون في جمهوريته إن هذا الفيلسوف كما تقدم كثيرا في هذا التفسير لا يرى أحدا يصلح لحكم الأمم إلا الفلاسفة ، ذلك لأنهم وقفوا على الحقائق فصاروا كأنهم خلفاء الله في أرضه ، وبهذه الخلافة يقلدونه في صنع ما هو كامل ويحفظون الأمم كما يحفظ هو الكون كله ، وعلى هذا أخذ يصف هؤلاء الفلاسفة ، ويدور محور كلامه على أمرين اثنين لا ثالث لهما ، وهما أن الوجود ان كان دائما فالقائم به المتحقق به هو الفيلسوف ، وان كان الوجود غير دائم فالمكتفي به ليس فيلسوفا لأن علمه متعلق بما ليس له دوام ، فهو يبنى أساس عقله وعلمه على ما ليس بثابت ، فهو أشبه بمن يبنى قصوره على شفا جرف هار ، أو على أرض بركانية يشوب فيها البركان وقتا بعد وقت ، أو كمثل من يركب الأسد ، فهو في جميع أحواله خائف يرتقب الهلاك وهكذا مصاحب الكاذب الخائن ، فهو في جميع أوقاته يرتقب غدره وإيقاعه في الهلاك وهكذا

إن ما هو معدوم يكون تصوّره جهلا ، وما هو موجود دائم يكون إدراكه علما ، وما يكون مترددا بين الوجود والعدم يكون إدراكه تصوّرا ، فهو متردد بين العلم والجهل هذا إجمال كلامه وان أردت بإصاح إلا الافصاح ، فدورك الصور الجلية والأنغام الشعبية والتصور الفخمة والأطعمة اللذيذة والسيارات الملوّنة والأشربة المفرحة والمزارع النضرة والبساتين الجلية والممالك الواسعة التي يملكها الملوك ، والأرض الواسعة التي يملكها الأفراد ، وأمثال ذلك مما يعرفه جمهور الناس وهو شائع بينهم هذا كله موجود مشاهد ، والناس في الشرق والغرب قديما وحديثا لا يرون لهم سعادة ولا عز ولا مجدا ولادة إلا في التمتع بهذه وأمثالها ، فتجد الانسان مفتونا بمعشوق جميل ملك قياده كفادة هيفاء أو بنوع من الشراب يفتنى فيه أوقات فراغه . أو قصصى يقص عليه أخبارا مسلية . أو جوقة تمثل رواية غرامية ، أو السينما (دار الصور المتحركة) التي تهكس صورها بهجة غريبة

وبالجملة ان هذه كلها هي التي يفرح بها الناس ويظنون أن هذا وجود حقيقي وهذا خطأ . إن كل هذه متردّات بين الوجود والعدم . فن وقف نظره عليها خانه عقله وأخطأه جتّه فان هذه كلها لها وقت فيه تتغير ولا تبقى . فالقصور والبساتين والمزارع والغادات الفاتنات والصور المتحركات في السينما اذا أخذناها باعتبارها هي وانما مقصودة لذاتها وأن هذا الجمال الذي فيها لا نطلب شيئا وراءه فان عقولنا إذن تكون في غاية الخطأ . والدليل على ذلك أن حياتنا محدودة . وكذلك وجود كل هذه المشاهدات التي فرحنا بها . إذن وجودها عدم وأي عقل يفرح بما ليس بدائم . العقل الذي يفرح بما ليس بدائم عقل مخبول . فهذه الصورة الجلية التي سلبتني لبي وأخذت على مشاعري . وهذه الحديقة الجلية . وهذا الملك الواسع . وهذه السلطة ، سيحصل أحد أمرين : إما أني أنا أضعف عن التمتع بها بموت أو مرض أو غيرهما . وإما أنها هي تزول أو تفارقني أو تأتي عوارض تحول بيني وبينها . فترى هذه الغادة الجلية أغرمت بعيرى أومات . وهناك ينقلب العشق مرضا ولفنا وحزنا . وهكذا يقول أفلاطون : كل هذه الأشياء مترددة بين الوجود والعدم . فالفرح بها

والاعتداد بوجودها والوقوف عندها تعلم عقل وضعف في البصيرة ، إذن ماذا يفعل هذا الانسان المسكين الذي كنهه لا يعرف إلا هذا ؟ فقال : يتخذ هذه الصور الجلية ، وهذه الذات المختلفة والقصور والدور والممالك والأهبة وسيلة للتوصل بها الى إدراك أن هناك جمالا مطلقا ومسلكا كبيرا وعدلا تاما ونظاما دائما لا يعثر عليه الفناء ، ومعنى ذلك أن الفيلسوف يبحث بالطرق العلمية ويدرس جميع العلوم وجميع هذا الوجود ، وتقوده تلك الصور الجلية والنظام البديعة الى ما وراءها من جمال دائم ومملك واسع ، وما هذه إلا صور تشفى عما وراءها ، ويكون كل ما يصوب اليه الجهال من صور جلية ومال عند الحكيم مذكرا ووسيلة لترقى عقله الى جمال أتم ومملك أوسع ولذة أكل مع الدوام يلحظه بعقله ويعيش قريبا العين بحيث اذا غاب ذلك الجليل أو غدر أوزال ذلك المالك أو المال فان نفس الفيلسوف سعيدة ، ذلك ان محبوبها لم يغب عنها ، فان محبوبها هو الجلال المطلق والمالك المطلق ، فأما هذه الصور التي ظهرت له فما هي إلا ظواهر مذكرات بما وراءها لاحقائق فأما الآن هؤلاء الفلاسفة هم الذين يجب أن يقوموا بنظام الأمم

أنا الآن أعتقد اني قدمت لك أيها الذكي فسكرتة عامة عما يريد أفلاطون في جمهوريته ، وهذا القول الوجيز هنا يكفيك الآن

فاذا عرفت هذا فاهتم ماقاله مترجم الكتاب في صحيفة ١٢٣ وهذا نصه : «الفيلسوف الحقيقي هو الما فرم كلّ الفرام ، بالحكمة في كل فروعها . وعلينا أن نميز في هذا الموقف ، أدق تمييز ، بين الفيلسوف الحقيقي وبين المدعى حب الفلسفة بتدجيلا . وتستقر نقطة الفرق بينهما في أن الدجال يكتفي بدرس الموضوعات الجلية مثلا . أما الفيلسوف الحقيقي فلا يقف عند ذلك الحد ، بل يتجاوزه الى ادراك الجلال المطلق . ويمكن وصف حال الأول العقلي بأنه «تصور» ، وحال الثاني أنه «معرفة حقيقية» أو «علم» . فهناك الوجود الحقيقي الذي يتناوله العلم ، واللاوجود ، أو العدم ، الذي نسبته الى الجهل نسبة الوجود الحقيقي الى العلم . ويتوسط بين العلم وبين الجهل التصور . فنستنتج أن التصور يتناول الوجود الظاهري . فالذين يدرسون الوجود الحقيقي يدعون محبي الحكمة أو «فلاسفة» والذين يدرسون الوجود الظاهري يدعون محبي التصور ، لافلاسفة»

وفهمت ماجاء في المتن . وأذكر لك بعضه في صحيفة ١٤٨ من الجمهورية إذ سألت سقراط غلوكون .

فلسقراط (س) ولغلوكون (غ) وهالك نصها :

(س) إن الراغب في تذوق كل أنواع المعرفة فيكتب على دروسه بسرور ورغبة ولا يكف ان انسانا كهذه بحق ندعوه فيلسوفا ، الاندعوه ؟

(غ) ان وصفك هذا يشمل عددا عديدا ، ويضم طائفة مستهجنة . ويحسبه كل عشاق الطلب فلاسفة لأنهم راغبون في المعرفة ، وكذلك المنصبون على سماع القصص هم طبقة خاصة بين الفلاسفة . أعني بهم الذين لا يشهدون محاوره فلسفية ، ولا غيرها من أنواع المحاورات على انهم سامعون مواظبون لا يغيبون عن حفلة ديونيسية (١) في مدينة اوقرية . فكأنهم أجروا آذانهم للسمع ، لكل جوقسة في وقتها . أفنهب هؤلاء لقب فلاسفة ، ولا مثالم من لاذ بأى نوع من الدروس ، ولأساتذة الفنون الصغرى .

(س) مؤكدا لا . بل ندعوهم فلاسفة زائفين

(غ) فن هم الذين ندعوهم فلاسفة حقيقيين ؟

(س) هم الذين يحبون أن يروا الحقيقة

(غ) لا يمكن أن تخطئ في هذا والسكن هل تريد أن توضح ماتعنيه ؟

(١) أو بختالية . نسبة الى باخس . وهي حفلة شرب ومرح

- (س) ليس ذلك سهلاً مع غيرك ، أما أنت فتجود على التسليم الذي أنشده
(غ) وما هو ذلك التسليم .
- (س) هو فيما يأتي : لما كان الجال ضد القبح فهما شيان
(غ) مؤكداً أنهما شيان
(س) وإذا كانا شيئين فشكل منهما واحد على حدة
(غ) وهذا أيضاً حق
- (س) ويمشى هذا الحسك نفسه على العدالة والتعدي ، وعلى كل التصورات العمومية فكل منها شيء واحد ، ولكنه يظهر متعدد ، باعتبار علاقاته المتبادلة بالأشياء والأعمال التي بها يتجلى في كل مكان
(غ) أنت مصيب
- (س) واستناداً إلى هذا المبدأ أميز بين الذين وصفناهم الآن أنهم عشاق النظر والصناعة ومحبة الفنون ورجال العمل من جهة واحدة ، وبين الذين نحن في صددهم وهم وحدهم نسميهم فلاسفة في الجهة الأخرى
(غ) أوضح ما تعني
- (س) أعني أن محبي النظر والسمع يحبون بالجميل من الأصوات والأشكال والألوان والصور ، وكل مداخلت في تركيبه هذه الأشياء من منتوجات الفن . ولكن فهمهم يقصر عن ادراك كنهه الجمال واعتناقه
(غ) نعم أنه كما تقول
- (س) أوليس القادرون على التفكير الحر في الجمال المطلق هم قلائل ؟
(غ) حقاً انهم قلائل
- (س) فإذا أدرك امرؤ وجود الأشياء الجيلة ولكنه جمعد الجمال المطلق وعجز عن اتباع من تقدمه إلى ادراكه ، أخفما تحسب حياة انسان كهذا أم يقظة . تأمل أليس الحالم ، في يقظة أو في منام ، هو الذي يخلط بين الحقائق وبين الصور المنعكسة عنها .
(غ) اعترف أن امرء كهذا حالم
- (س) وما قولك في من غايه ، ففهم الجمال المطلق ، وامتلاك قوة التمييز بين هذا الجوهر وبين الأوساط التي يتجلى بها فلا يخطئ في حساب المجالي جوهرها ولا الجوهر مجالي ، أخفما تحسب حياة هذا أم يقظة ؟
(غ) يقظة دون شك
- (س) أفلسنا مصيبين إذ ذاك ، في تسمية فعل الشخص الثاني العقلي معرفة لأنه أدرك الحقيقة ، وفعل سابقه تصوراً لأنه تصور فقط
(غ) غاية في الصواب
- (س) حسناً . فإذا امتنع من سميناه متصوراً لا عارفاً ، وغضب علينا مدّعياً أن ما قلناه غير صحيح ، فهل لنا من سبيل لتلطيف غضبه وإقناعه برقة ولين . سائر ين عنه حقيقة ماله ، وهي أنه ليس في حال الصحة
(غ) ذلك أمر صريح فيه
- (س) فانظر فيما يلزم أن تقول له . أنت متحسبن أن نجادته مسلمين أنه لو عرف شيئاً لما حسدناه على علمه أقل حسد . بل كما نسر بأنه كما يدعي . ولكننا نقول له أجب عن هذا السؤال . إذا عرف ذوا الحجة فهل عرف شيئاً أولاً شيئاً . أجب عنه يا غلوكون
(غ) أجب أنه عرف شيئاً
(س) أموجود ذلك الشيء أولاً موجود ؟

- (غ) بل موجود . لأنه كيف يمكن غير الموجود أن يعرف
- (س) أفتثبتون نحن من هذه الحقيقة . في أية صيغة نلتزمنا فيها : أي أن الموجود حقيقة يعرف معرفة تامة . أما المعلوم فجهول بتاتا .
- (غ) أنا متثبتون منها كل الثابت
- (س) حسنا . فإذا كان هنالك شيء متردد في الوقت نفسه بين الوجود وبين العدم ، أفلا يوضع في رتبة متوسطة بين الموجود يقينا وبين المعلوم بتاتا .
- (غ) يلزم أن يوضع
- (س) فإذا اخصت المعرفة بالموجود ، والجهل بالمعلوم . أفلا يلزم أن نجد حالة متوسطة بين العلم والجهل تختص بما هو متردد بين الوجود والعدم
- (غ) يقينا
- (س) أقول أن التصور شيء ،
- (غ) بلاشك
- (س) أفنحسبه قوة متميزة عن العلم أم نحسبه العلم نفسه .
- (غ) هو شيء متميز عن العلم
- (س) فنخصص العلم بدائرة نفوذ ، والتصور بدائرة أخرى . بطبيعة ما في كل منهما من قوة
- (غ) تماما
- (س) أفليست طبيعة العلم المختص بالموجود هي معرفة كيف وجد أولا . والافهنا لك فرق واضح يلزم تحديده
- (غ) وما هو .
- (س) ان القوى . كمجموع قائم بذاته . هي ما نفعل به نحن ، وكل أحد ما يمكن عمله . مثلا : اني أدعو السمع والبصر قوتين . اذا كنت تدرك الفكرة الخاصة التي أروم أن أصورها
- (غ) اني أدركها
- (س) فاسمع ما أراه فيها . لست أرى في القيثارة كالا ، ولالونا ، ولا غيرهما من الأعراض التي أراها في مختلف الأشياء . وبها أميز (أي بالأعراض) بين شيء وشيء . أما في القوة فاعتبر وظيفتها ودائرة نفوذها ، وبذلك توصلت الى تسميتها . فادعو القوى التي من نوع واحد وتعمل عملا واحدا ، ولها وظيفة واحدة «قوى واحدة» ولكن القوى التي تختلف دوائر نفوذها وتفرع وظائفها فادعوها «قوى متنوعة» فاقولك .
- (غ) هكذا بالتمام
- (س) فاخبرني يا صديقي الفاضل . في أية رتبة تضع العلم ، أتحسبه قوة .
- (غ) نعم أدعوه قوة . وهو أعظم القوى كافة
- (س) وهل التصور قوة ، أرتدرجه في سلك آخر .
- (غ) لا آخر . لأن ما به نتصور لا يكون إلا تصورا
- (س) وقد اتفقنا الساعة ان العلم والتصور غيران
- (غ) وهل يجمع العاقل بين الخطأ والصواب .
- (س) أحسنت فنتفق في أن التصور شيء غير العلم
- (غ) غيره
- (س) فلسكل "منهما بطبيعته ميدان نفوذ خاص ، وتأثير خاص

- (غ) الاستنتاج قاطع
(س) فيدان نفوذ العلم هو معرفة طبيعة الموجود
(غ) نعم
(س) وميدان نفوذ التصور هو «الظن»
(غ) نعم
(س) أفيتناول التصور شيئا وفعلًا مادة العلم . وبعبارة أخرى هل مادة التصور هي نفس مادة العلم ، أو
ان ذلك محال .
(غ) انه محال . بناء على ماقررناه . أى انه اذا سلمنا ان للقوى المتنوعة دوائر نفوذ مختلفة . وان العلم
والتصور قوتان متميزتان . وقد جزمنا بذلك . فهذه المقدمات تجعل توسيع مادة العلم ومادة التصور محالا
(غ) طبيعي
(س) فاذا كان الموجود مادة العلم فمادة التصور هي شيئا آخر غيره
(غ) يلزم أن يكون غيره
(س) فهل يتناول التصور المعلوم ؟ أو أن تصور المعلوم غير ممكن اصالة . افترض من يتصور الا يوجه
أفكاره نحو شيء . أفيمكن أن يكون تصور في الاشياء .
(غ) غير ممكن
(س) فن يتصور فقد تصور شيئا .
(غ) نعم
(س) ولكن المعلوم لا يدعى شيئا . بل هو لا شيء
(غ) بالتعام
(س) وقد اتزمنا أن نخص الجهل بالمعلوم ، والمعرفة بالموجود
(غ) وبالعصاوب فعلنا
(س) فموضوع التصور ليس الموجود ولا المعلوم
(غ) لا هذا ولا ذاك
(غ) فليس التصور معرفة ولا جهلا
(س) أفيستقر وراء أحدهما ، فيفوق المعرفة يقينا ، ويفوق الجهل إجمالا .
(غ) يظهر أنه ليس كذلك
(س) فقل . اتحسب التصور أقل وضوحا من المعرفة . وأقل خفاء من الجهل ،
(غ) نعم وهو متميز عن الاثنين كثيرا
(س) فهو اذا بين هذين الطرفين
(غ) نعم
(س) فتحسب التصور اذن شيئا بين الاثنين
(غ) بالتعام
(س) أولم نقل الساعة انه اذا بان لنا شيء أنه موجود وغير موجود في وقت واحد ، فيجب وضعه بين
الموجود الحقيقي وبين المعلوم المطلق . فلا يكون اذن مادة علم ولا مادة جهل . بل هو مادة قوة ثالثة بين العلم
والجهل يجب اكتشافها

(غ) قلنا ذلك

(س) وقد اكتشفنا الآن قوة بين الاثنين . دعوناها تصورا

(غ) واضح انا اكتشفناها

(س) بقی أن نكتشف ما يشترك في الوجود والمعدوم ، وليس هو أحدهما بكميته فإذا ظهرت لنا ماهيته دعوناها بحق « مادة التصور » ناسبين للطرفين ماهولهما . والوسط ماهوله ألسنت مصيبا .

(غ) انك مصيب

(س) فإذا وضعنا هذه الفروض ، فاني أسأل ذلك الرجل المهتر الذي ينكر وجود شيء كلي ، أو أي صورة من صور الجال المطلق . التي تظل الى الأبد كما هي غير قابلة للتغير . مع أنه يهتف بوجود أشياء عديدة جيلة . ذلك الذي يحب المنظورات ، وهو لا يحتمل أن يقال له ان الجال واحد وأن العدالة واحد وهم جوا . فأقول له : ياسيدي العزيز . أوجد بين كل الأشياء الجيلة شيء واحد لا يصبغ فيه . وبين كل الأشياء البادلة عادل واحد لا ظلم فيه . وبين كل الأشياء الطاهرة طاهر واحد لا دنس فيه .

(غ) كلا بل تظهر كلها بالتخلف ، جيلة وقييعة ، عادلة ومعتدية ، بارة ودنسة باعتبارين

(س) وأيضا . الا يمكن اعتبار المضاعفات الكثيرة انصافا علاوة على أنها مضاعفات

(غ) تماما كما أنها أيضا مضاعفات

(س) وجري على الأسلوب نفسه هل للأشياء التي ندعوها كبيرة و صغيرة ، وخفيفة . وثقيلة ، حق في أن تدعى كذلك أكثر من اضدادها .

(غ) كلا بل كل منها يمكن أن يدعى بالاسمين على السواء

(س) فنكون أقرب الى الصحة اذا وصفنا كلا من هذه الأشياء بأنه قديكون وقد لا يكون كما وصف ؟

(غ) انك تذكرني بأحجية التضاد التي تنلى على موائد الطعام (للتسلية) وانظر (١) الأولاد عن الخصى

الذي روى الخفاش بما رماه به ، هو جائم على ماهو جائم عليه . لأن الأشياء المشار اليها فيها القموض نفسه فلا يمكن الانسان أن يميز هل هي موجودة ، أو غير موجودة معا

(س) أفيمكنك افادتي ماذا تعمل بها ، أو هل عندك رتبة لها أفضل من الرتبة الوسطى . بين الموجود

والمعدوم ، لأنها في مذهبي ليست أخفى من المعدوم لتكون أكثر عدما منه ، ولا أوضح من الموجود فتكون أثبت منه وجودا

(غ) انك مصيب كل الاصابة

(س) فقد اكتشفنا أن الأفكار الشائعة في الجمهور في العدالة والجمال وأخواتهما هي نائمة بين الوجود

المطلق وبين العدم المطلق

(غ) اكتشفنا

(س) وقد سلمنا سابقا أنه اذا ظهر شيء من ذلك دعى تصورا لا معرفة . وان ما يتراوح بين الأمرين يفهم

بقوة متوسطة

(غ) قد سلمنا هذا التسلم

(س) ولذلك حين تقع عين الناس على شتى الأشياء الجيلة ، ولكنهم لا يقدر أن يروا الجال بالذات ،

ولا أن يتبعوا من يقودهم اليه ، وحين يرون أشياء عديدة عادلة ولا يرون العدالة بالذات ، وهكذا في كل مثل ،

(١) تقول الأحمية : قيل ان رجلا وليس برجل ، رمى ومارمى ، طائرا وليس طائرا ، جائما وليس جائما ،

على غسمن وليس بغسمن . بحجر وليس بحجر ، وهكذا . وقد فسرت هذه الحكاية نوعا في المتن

فأنا نقول ان لهم في كل موضوع تصورا ، لا معرفة حقيقية في الأشياء التي يتصورونها
(غ) الاستنتاج ضروري

(س) ومن الجهة الأخرى ، ماذا يجب أن نقول في أولئك الذين يفكرون في الأشياء على ما هي في ذاتها ،
كأنه دون فناء ولا تغير ؟ أفلا نقول انهم عارفون وليسوا متصورين .

(غ) وهذا أيضا استنتاج ضروري

(س) أفلا نقول ان هؤلاء يحبون بمواضيع المعرفة ويحبونها وأولئك يحبون بمواضيع التصور . لانا
لم ننس أننا قلنا انهم يحبون ويطلبون الأصوات والألوان البديعة ونحوها من الاعراض ، ولكنهم لم يسمعوا
بوجود الجمال المطلق

(غ) لم ننس

(س) أفنخطئ اذا سميناهم محبي التصور ، بدلا من تسميتهم « فلاسفة » او يستأون كثيرا اذا أسميناهم
كذلك

(غ) كلا اذا قبلوا رأيي . لأنه من الخطأ أن يسوينا الحق

(س) فالذين يحبون الموجود الحقيقي . في كل موضوع لاندعوههم محبي التصور بل فلاسفة

(غ) نعم . من كل بد . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى

الجوهرة الثانية

في ذكر ما خطر بقلبي وملاها بهجلا وبهجة وسرورا صباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩
ذلك أني بينما أنا بين اليقظة والنوم صباحا إذ تجتلى هذه الدنيا بهيئة جميلة ، وازينت بزينة بهجة
بديعة ، وخيلت لي الأرضون والسموات وما بينهما بهيئة غير ما أراها بعصري ، وهذه حال يحجز قلبي عن
التعبير عنها ، فما أسرع خاطري للتمسك فيها ، وما أهرج قلبي بمشاهدة مناظرها الخيالية ، فهناك هناك خيل لي
كأن قائلا يتحدث عقلي ويقول : « يا عجبا لهذا الجمال المصون عن الجهال ، ايه أيها الانسان ، ايه يا أهل
الأرض ، واهل لكم ، هذه الشمس ، وهذا القمر ، وهذه النجوم ، وهذه الأنوار مرسلات اليكم وأنتم
لاتبصرون . لا لا . أنتم أرواح من الطراز الخليل ، يظهر أنكم كنتم في عالم غير هذا ولم تصلحوا لقيادته
ولا لسيادته ، فأقصيتم عن المسكان الرفيع ، وأنزاتكم الى هذا المسكان ، أصلكم شريف ، أنتم من عالم أعلى ،
أنتم من نور ، أنتم من أصل كريم ، أنتم نور من الله ، ولكنكم ضعفتكم عن أن تسيروا على سبيله ، فكانت
هيئتكم كهيئة ما تافونه من قمامات المنازل ، وما تسمدون به الأرض من كل ما لا يصلح لغذائكم ولا انتفاعكم
فأنتم تجعلونه سمادا لزروعكم فيكون الحب والخضر والفاكهة . إن السماد من مادة النبات والجاهل يحقره ،
ولكن العالم الدارس يرى المادة واحدة ، ولكن السماد تنزل مرتبته عن الفاكهة ، فما هي إلا شهرور معدودة
فيزول وصفه القديم ويكسب وصفا شريفا يؤهله أن تقبله نفوسكم ، فنفسكم شريفة من العالم العلوي ، وما
عجزت عن أن تسير على القانون الإلهي أنزلت الى هذه الأرض (وتشير لذلك قصة آدم) والقانون الإلهي
يرجع الى أمرين اثنين : وهما حب العلم ، وحب الأم . الله لا تد لعلمه ، ولا حدة لانعامه على المخلوقات ، ولكن
أرواحكم لم تقو على السير على سبيله فأرسلت الى هذه الأرض . ومن درس هذه النفوس البشرية اعتراف
الحجب منها . ذلك انه يجد أنها مجبولة على حب ذاتها تريد أن تجعل العالم كله خادما لها . وجميع السحرة
في هذه الأرض وكل رجال السياسة هم والشعاذون على حد سواء كلهم يريدون أخذ مال الغير بسهولة أي
يريدون أنفسهم لاغير . فالساحر وقاريء العزيمة ورجل السياسة الذي يتحكم الأمم لمجرد شهوات أمته لا لرقى

تلك الأمم . كل هؤلاء قوم شعثا ذنون أولصوص أو قلع طرق ، بل كل شيوخ الدين ورجال الصونية (غير الصادقين) أى الذين يحبون الشهرة لا غير أو جمع المال فهؤلاء وهؤلاء كلهم شعثا ذنون وقلع طرق وأصوص وبالجملة كل من لا يريد إلا نفسه فان نفسه لا تزال ضعيفة ، لا فرق في ذلك بين الفرد وبين الأمة وبين السوق والمالوك ، فهؤلاء جميعا لم يخرجوا عن أنهم في هيئة أطفال ، فشيروخهم وشبانهم وكهولهم كأطفالهم على حد سواء

خلقت هذه الصفة في الانسان في حال صباه ، وألمهم أن يسعى لرزقه ويكدّ ويكدح ، وفي أثناء ذلك قرأ العلوم وعرف الصناعات ، كل ذلك لشهوته الخاصة لأن روحه لم تقدر على أكثر من ذلك ، ولكن بعض هذا الانسان في أثناء بجهته تظهر له أنواع الجبال والعلوم فيتمسك نطاق عقله يوما فيوما فيرى شمساً وأقماراً وأراضى ومعارف وأما ، ويرى دائرة وجدانه تسع فيرى زوجة وولداً وعشيرة وقرية وأمة ، فيحس في نفسه بحب واتصال بهؤلاء ، فكما اتسع وجدانه زاد احساسه بهؤلاء ، فلا يزال الانسان في استكمال قواه حتى يصبح فيجد نفسه تحب سعادة جميع نوع الانسان وأن يكونوا أمة واحدة أو ما يشبه ذلك بقدر الامكان

هذا من حيث العمل ، أما من حيث العلم فانه يرى هذه العوالم كلها جنته وسعاده ، فيكون منفرماً بالعوالم كلها فهمما وبصيرة لا تنمنا زائلا ، هنالك تصل هذه الأرواح الأرضية الى عالم أرقى من هذه الأرض وتقرب من ربها وتكون رياضتها في أرضنا مشابهة بعض المشابهة لما يحصل في القمامات المزودة في الأرض من انقلابها تفاحاً وموزاً وقمر

وههنا أخذ يقول وأنا أسمعه : « هذه الأرواح الأرضية يحيط بها الجبال وهى لا تنقله ، شمس وأقمار وأرضون وأنوار تحيط بهم أفلا يهتلون ! ههنا رحمة لا حد لها ، وجمال لانهاية له وعناية تامة تحيط بكم ، والدليل على رحمة الله التي لا حد لها وعنايته أن نفوسكم مع قصورها وضعفها واقتصارها على لغة نفسها وما ينفعها في حياتها وتقاضها عن منفعة الآخرين أحييت بكل جمال وكال من أنوار الكواكب والأقمار والشمس والهواء والماء والعلماء والنعم ، ولما كانت لضعفها لا تقوى على النظر الى وجهه ربها ، وهواشدة رحمة الله بكم ونعمته عليكم يحب انكم ترونه لتبتهجوا به لأنه كريم أراكم صورا جميلة وبث زينة في كل مكان ، وأودع في قلوب الآباء والأمهات رحمة ، وفي قلوب المالوك والحكام غيرة على عمالكم بالمحافظة عليها ، وفي قلوب المرءين والأساتذة والأمهات والمراضع عطفاً وشفقة على من يقومون هم بتربيته أو تهذيبه ، وعم الرحمة في كل حيوان كل ذلك إن هو إلا مظاهر لجلاله ورحمته ولعنايته ولعلمه ، أرسلنا لهذه الأرواح من وراء حجاب لما عجزت نفوسكم أن تنظر الى ربها فعلا . ومن الرحمة العظيمة أن الصور الجلية لا تبقى على حال واحدة وهكذا الأمهات والآباء وكل ما تملكون ، فهذه كلها تسلب منكم ولا تبقى ، فانه يقول لكم : « يا أهل الأرض . فهمتم عطف الأمهات وعشق الغادات والتمتع باللذات والنظر السارات . ها أنذا أريتكموه ولكن أسلبه منكم رحمة بكم لتفكروا ، أهذا المنع به المسلوب منا هو الذي تقر به عيوننا ، أم هنالك ما هو دائم ثابت نفرح به بلا انقطاع فينبى الاعطاء والمنع يكون التفكير ولا وصول لكم إلا بهذا . أنا سلطت بكم على بعض وكل يحارب الآخر أفراداً وأما . وفي أثناء ذلك تحدث المعرفة فيعرف الغربي الشرقى والعكس . ذلك لأن نفوسكم غامدة ولا وسيلة لانعاشها بحسب ضعفها إلا بأن يقال لها حاربى لتغنى . وهاهى هذه الحروب الصليبية جرت بمنع العلم والمعرفة وبها عرف الصليبيون عالم المسلمين مع انهم جاءوا لآبادتهم . هذه الحرب العظمى وضعت لاشباع الشهوات ولكن أعقبتها منافع عامة ككثرة الكلام في السلام العام وكرقاء فن الطيران . وبعض ما يستعمل للحرب أصبح نعمة في السلم مثل الآلات المهندسات المستخرجات من نفس (الاوروت) الذى هو أحد عنصرى الهواء فان ألمانيا حولتها بعد الحرب الى سجاد . والحرب الفضل في انتشار هذا الاختراع . كل هذا ناتج من

قصور هذه الأرواح فانها مجبولة على سحب النفس وتجهل غيرها ولكن هذه الانانية استغفرت وسيلة للنعمة النامة . هذه أخلاق هذه النفوس . فسياسة الأمم العامة هي بعينها سياسة الله في الأجسام . فالمرء يأكل لذته وازالة جوعه ، ولكن المقصود بقاء حياته . ويقرب الأثني لمجرد اللذة ولكن الحكمة العامة تريد الولد لسوام نوع الانسان

فنتيجة هذا كله أن النفوس الأرضية لما ضعفت عن اللحاق بالأرواح الإلهية من حيث مجموع العلم وعموم الرحمة وعموم الجمال ، تجلى الله لها بالجمال في عوالم تناسبها كالأقمار والشموس ، ونسبة جمال هذه العوالم الى جمال مبدعها كنسبة ضوء أنوار الشمع والبترو الى ضوء الشمس ، ونسبة هذه العوالم الى كمال مبدعها كنسبة الساعة التي نعرف بها الوقت الى الشمس العظيمة التي تدور أرضنا حولها وتنظم الأوقات العامة . الانسان منعمور في الجمال وفي الكمال وفي العلم ، وهو لضعفه قصير النظر والله لطيفه وكرمه يأخذ بيده والانسانية كلها سائرة الى هذا الخير في عالمنا وفي عوالم أخرى إلا ما شاء الله . كتب صباح يوم الأحد (٩) رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣١ م

هذا كله سر من أسرار القرآن

محبوه في حرفين : حاء ، وباء

وما أن كتبت هذا العنوان حتى حضر صديق العالم الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال : ما هذا العنوان ؟ أتريد أن تقول أن ما ذكرته أنت وما ذكره الخطيب المصري من أمر النفوس الانسانية وأن الحياة التي لها نهاية لا تستحق النهاية وهكذا ما ذكر أفلاطون أن كل ما لبقاء له من الصور والمتاع لا قيمة له أتقول ان هذا كله في حرفين اثنين في القرآن وهما حاء وباء ، واني أخاف أن أحدا ممن يسمع هذا أو يقرؤه من المسلمين (لا أنا طبعا) يقول إن هذه مجازفة واغراق ، فأى حرفين في القرآن يفيدان هذه المعاني ، وأى حاء وباء تريد . ان هذا القول أمره عجب . فقلت : أيها الأخ الفضال ، ماذا جرى ، لعلك اليوم فعلت ما يفعله بعض الناس إذ يسمع - لا تقر بوا الصلاة - فيقول الصلاة منهية عنها ، أفلا تصبر حتى أخبرك الخبر بعد المبتدأ . فقال : ولكن هذا العنوان نفسه هو الذي حفزني أن أقول هذا القول لأنه عنوان غريب ، وأنا مشفق على التفسير أن يطعن فيه الطاعنون . فقلت : هاأنذا أشرح لك أيها الذكي ما تريد ، أتذكر آية ابراهيم في الأنعام . قال نعم . قلت ماذا فيها ؟ فقال انه أيقن بالله ، وهذا الايقان بسبب انه ظنّ أولا أن الله هو السكوكب ، ثم لما أفل قال أنا لا أحب الآفلين ، ولما رأى أن القمر أبهى من النجم . قال هوربي . ولما أفل أظهر الحيرة تعلما لقومه ورجع الى ربه ، ولما رأى الشمس بازغة فصل كما تقدم ، ولما أفلت وجه وجهه لله ، هذا هو ملخصها . فقلت له : ألم تعثر في أثناء هذه القصة التي ذكرتها على هذا السر . فقال : وأى سرّ أهو الحاء والباء ؟ فقلت إى ور بي . فقال : أى حاء وباء ؟ فقلت : أرجع وفكر في الآيات . فقال : لا أرى شيئا . فقلت : ألم تعلم انه نفي الألوهية عن السكوكب وعن القمر وعن الشمس لأبهما متحركات والاله لا يتصف بالحركة لأن ذلك فعل الحادث ، ولأنها غابت بعد الظهور ، والاله لا يغيب بل معنا أينما كنا ، وما يغيب لا يكون إلها ، فالألوهية يناقضها الحركة ويناقضها غيوبتها . فقال : هذا حسن ولكنه لم يأت بالفائدة المرجوة وهي بعيدة عما تريد أن تبرهن عليه ، فأين الحاء والباء ؟ فقلت : أنا أتركها لبحثك أنت لأن العلم اذا جاء عفوا لا يفيد ، والرزق كذلك ، بل نفس الآية معناها أن معرفة الله اذا جاءت عفوا لا يثبت لها ، والا فلماذا نرى ابراهيم يفكر في السكوكب فالقمر فالشمس ! أليس هذا معناه البحث ، فأنا أفعل معك ما فعله الله مع ابراهيم واذا كان ابراهيم نبيا وعمول هذه المعاملة تعلما لقومه أفلا أعمالك أنا كذلك ؟ فلتبحث أنت عما رمزت لك

به . هنالك أخذ يكرر الآية صراحا ويقول : « الحياء في (حيفا) ولكن أين الباء ، والحياء في (حاجه) ولكن أين الباء ، والباء في (ابراهيم) ولكن أين الحاء ؟ ثم رجع ثانيا وقال : أهيا مجتمعتان أم مفترقتان ؟ فقلت ففكر بعقلك ولا تسألني ، وأضع زمنا ثم قال : نعم (لا أحب الآفلين) . فقلت نعم . فقال : أنا والله إلى الآن لا أفهم في « لا أحب الآفلين » معاني تتضمن كلام أفلاطون وكلامك ، وكلام الخطيب المصري ، فإذا تفضلت بشرح هذا المقام كنت لك من الشاكرين ، ويشكر لك المسلمون بعدنا أجهون . فقلت : أيها الصديق : إن ابراهيم لما رأى السكواكب والقمر والشمس كان عند كل واحد منها يقول في نفسه أنه مسخر مقهور لأنه متحرك وهو يشيب ويحضر والاله لا يكون كذلك . قال نعم . قلت : فكان مقتضى الظاهر أن يقول أنا لا أعبد الآفلين لأن المقام مقام العبادة ، ألا ترى أنه قال « هذا ربي » ولما رأى أنه لا يستحق الربوبية حصل له شك فيه بل انكار ، فقتضى الظاهر أن يقول مثلا « هذا ليس ربي » لأنه على خلاف صفات الرب وإذا لم يكن ربي فلا أعبد ، فهو قال هذا ربي ، وعند الانكار يقول هو ليس ربي ويلزم من ذلك أنه لا يعبد فهو لم يقل هذا ولذا ذلك ، ولكنه عبر بعبارة محجية وهي أنه نفي الحب عمن لا يتصف بصفات الرب ، وهذا هو السر ، فقلوه « أحب » المنفي بلا مشتمل على أربعة حروف الهمز وهي زائدة والحاء والباء مضاعفة فرجع الأمر إلى الحياء والباء . فقال : أنا فهمت الآن ولكن لم أصل للمقصود . فقلت : نعم سأوضحه

اعلم أيها النكي أن العابد إما أن تسكون عبادته من أجل الرهبة ، وإما أن تسكون عبادته من أجل الرغبة ولم يكن عابد في هذه الأرض يعبد الله إلا لأحد أمرين : إما أنه خائف من الله لئلا يدخله جهنم ، وإما أن يعبد لأنه طامع في دخول الجنة ، أو تجرد الحب . فالعبادة إما لخوف وإما لرغبة ، فإلعبادة إلا على هذا النمط وخير الجميع أن يعبد حبا له وغراما به وشوقا إليه وعشقا له ، وهذه العبادة هي المبينة على الحب ومستحيل أن يحب الإنسان أحدا إلا بعد معرفة أعماله وصفاته فيعشقه . قال نعم هذا التفسير كله على هذا النمط . فقلت فكل عابد في الأرض لا تسكون عبادته إلا عن رغبة أو رهبة ، وعبادة العابد الذي أحب ربه أحد قسمي الرغبة . فقلت نعم . فقلت : إذن المذكور في الآيتين أحدهما شقي بسبب العبادة وهو الحب ، والعبادة فرع الاعتقاد في الربوبية . فقال حسن . فقلت : ههنا وصلنا إلى المقصود . فانظر رعاك الله إلى ما أقول : أليس ترى أن كل ما تقدم من كلامي وكلام أفلاطون وكلام الخطيب المصري راجع إلى أمر واحد وهو أن المالبقاء له ولا دوام يجب علينا أن نحقره وأن هذه الحياة الدنيا القصيرة ليس من المعقول أن تكون لها قيمة عند العقلاء أصلا إذ لم يكن لها دوام ، وهذا هو قول الخطيب المصري المتقدم ، واستنتج من هذا أن الحياة تدوم والا كان كل هذا عبثا وهوا وجهالة . فقال بلى . فقلت : ألم تر أن كلام أفلاطون يرجع برهانه إلى أن العقول الصغيرة تقف عند ظواهر الجلال والمال والزينة ، وحقر هذا كله وحكم على أكثر عقول الإنسان أنها خاوية جاهلة إذ تظن أن هذه الصور الجلية والأغاني وكل ما في هذه الأرض من زينة محل للتمتع ومناط المسرة والسعادة وهي كلها ذاهبة ، وكيف يفرحون بما لا يثبت له ، ثم أفاد أن ماله ثبات وهو الجلال المطلق الثابت الذي لا تدركه الحواس وإنما يدركه العقل هو الذي إليه تتجه الهمم والعقول . فقال بلى والله . فقلت إذن الحياة التي لا بقاء لها لا يصح أن تحب ولا يعول عليها ، وكل ما هو جميل أو نافع فهو آفل وذاهب لا ينبغي أن يكون محط الرحال ولا هو مناط الآمال . قال نعم . قلت : أليس هذا سلكه معناه أن المحبوب الحقيقي هو الذي يبقى . فقال بلى . فقلت إذن ثبت أن العلم والحكمة أثبتا اثباتا حقيقيا لا تشوبه شائبة أن كل هذه الحياة الدنيا وكل صورها لا ينبغي أن تسكون مقصودة لذاتها بل مقصودة لغيرها ، وذلك الغير هو الذي يحب وتكون هذه المحبوبات الوقتية مذكرات بالمحبوب الدائم ، وهذا المحبوب الدائم يعبد لحبه هو الجنة أو نار . إذن أصبح هذا النوع الإنساني بعد براهين الفلسفة التي خضعت لها جميع حكماء أوروبا والشرق وهي فلسفة سقراط وأفلاطون وما يوافقها

من كلام غيرهما ، كله إلا قليلا ، وهما في أمر الحجة ، فالحجة التي على غير هذا النمط حجة جاهلة . فقال نعم .
 فقلت : إذن قد وصلنا الى المقصود وهو أن التعبير بقوله « لأحب الآفلين » قد حوى تلك المعاني . فإذا
 كانت حياة الناس على الأرض ليس لها إلا هذه المدة الوجيزة ثم تنفض فهي حياة لا تستحق الاهتمام فلا
 يصح الحرص عليها لأنها لا تستحق الحب ، وهذا كلام الخطيب المصري ، وإذا كان كل ما في هذه الدنيا من
 المال والولد والصورة الجيلة ، وما ملكت من عقار ومال ومتاع ، وما نسمع من الأشجان ، وما نستلذ به من أنواع
 المشغومات والمذوقات والمفوسات والمسموعات والمنظورات ، جميعه متغيرا لا بقاء له ، وما لا بقاء له لا ينبغي للعاقل
 أن يحبه بل يحب سببه الدائم الذي يعرف بالعقل لا هو كما يقوله سقراط . أقول : إذا كان كذلك ، أفليس هذا
 هو معنى « لا أحب الآفلين » أي ان ما ييب وما لا يبقى لا يصح حبه . فقال : الله أكبر . الله أكبر . جل العالم
 وجلت الحكمة . وهناك اعترته دهشة وقال والله لم يكن ليخطر لي أن هذه المعاني يحويها القرآن ، وهذه
 أسرار غريبة ، هذه أوروبا وهذه أمريكا وهذه الأمم حولنا يعظمون سقراط وأفلاطون ويتخذون الجمهورية
 نبراسا لهم ويقرءون منها أبوابا لتربية الجيوش والأسرات ويقدمونها ويقولون إن الله لم يخلق مثلها في
 العالم الانساني . فهذان المقدسان عندهم المعظمان هما اللذان أنبا بهذه النظرية أي نظرية الحب وأنه لا ينبغي
 أن يكون لغير الباقي ، وهذه شملت كل ما جاء في الجمهورية ، وهاتين أولاء وجدناهما في معنى الحب
 ثم أخذ يقول : فليحضر علماء البلاغة قديما وحديثا وليقولوا ماشاءوا ، فهذه هي البلاغة ، وهذه هي
 الحكمة ، وهذا هو العلم . الله الله الله . هذه هي المعجزة التي لا نظير لها

أيها المسلمون : انظروا فلسفة أفلاطون وسقراط . وملخص الكتاب الخامس من جمهورية أفلاطون
 دخلت في القرآن بل في حرفين اثنين

يا اخواني أبناء العرب أبناء مصر وبلاد شمال افريقيا وسوريا والعراق والموصل ونجد واليمن تعالوا انظروا
 ديننا ، انظروا قد حوى جميع علوم الأمم ، هاتين أولاء نرى حرفين ابتلعا أعظم الفلسفة
 لتشرقوا عن ساعد الجد ، ولتدرسوا علوم المشرقين وعلوم المغربين ، هاها ، هاأناذا عرفت ، عرفت
 ما يشيع على الألسنة أن القرآن فيه علوم الأولين والآخرين ، فذلك من هذا الوادي يكون ، فإذا سمع
 المسلم - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - علم أن كل العلوم مطلوبة ، وإذا بحث وفكر في عجائب
 العلوم استخرج جزئياتها من بعض الكلمات أو الجمل ، اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة . فقلت الحمد لله
 الذي أقر عينك ، فعرفت اني ما كتبت عنوان المقالة مجازفة أو غلوا أو اغراقا ، فأنا كنت في أول حياتي
 أشك في كل شيء ، فكيف أكتب مالا أوقن به أو ما ليس مبني على برهان

هنالك ذرفت عيناه بدموع الفرح . وقال : أريد أن تفيض بعض القول في عوالم السموات وجاهاها
 فقلت ياسبحان الله ، إن هذا الكتاب أكثره في عالم السموات . فقال ولكن لماذا نسمع الله يقول في آية
 الكرسي (بعد ذكر السموات والأرض) - وهو العلى العظيم - . فقلت : حسن . اعلم أن هذه من الأسرار
 التي تجلت للخليل عليه السلام وهي تتجلى لبعض النفوس الشريفة الاسلامية ، وذلك أن الانسان اذا فكر
 في النجوم واستحضرها بخياله (لاسيما ان كان دارسا لعلم الفلك ، وقد درس قبل ذلك العلوم الرياضية التي
 تعرفه عجائبها) تحدث في نفسه روعة و إعجابا وبحس بجماها ورقتها وعلوها وعظمتها ، فيقول في نفسه
 « ان خالقها على عظيم وجليل أيضا » ، فالعلق والعظمة ذكرت في آية الكرسي تذكيرا بما يخطر للمفكرين
 من العقلاء فضلا عن الأنبياء . فقال : وهذه أيضا من أسرار البلاغة التي لم يعلمها أحد قبل هذا الزمان . ثم
 قال : ولكن هنا أمر يؤسف له . لماذا لا نرى في النوع الانساني أثرا عظيما لحب الله المذكور في الآية « يحبهم
 ويحبونه » و « لأحب الآفلين » فان مقتضاه أن الانسان يحب غير الآفل وهو الله ، وهذا الحب قلبيل

أوضحيل؟ فقلت: أيها الحبيب. أ كثر الناس في هذه الأرض يحبون ربهم، وهذا الحب غير واضح لهم وعلى قدر اكتناه الجحائب يزداد الحب، إن حب الله مغطى بألف غطاء، فإن الشهوات والآلام والعداوات والأصراض والحسد. كل ذلك قد غطى على هذا الحب، ولو ظهرت هذه الجحائب للناس لثقتهم قلوبهم من العشق والحب، كيف لا ونفس الجسم الانساني لا حد للكمال الذي فيه، وهذه النفس الانسانية العجيبة، هذه التي جعل هذا المخ لها مزرعة تزرع فيه أنواع العلوم والمعارف، وفي كل منطقة من مناطقها يزرع علم مخصوص من رياضيات وطبيعيات وإلهيات، حتى أن العلماء عرفوا تلك المناطق ببعض المعرفة اليوم، وفوق هذا علم النفس الذي جاء بطريق التجربة في عصرنا، وسترى بعضه في أول ﴿سورة الجاثية﴾ عند آية - وفي خلقكم - الخ

فهذا العلم أظهر أن في النفس عجائب لا تزال مخبوءة، وستعجب مما ستراه هناك، فهذه الجحائب في نفوسنا، وفي أجسامنا، وفي العوالم حولنا، لو أنها كشفت لنا ولم تغط بالمرض والحسد والعداوات والحروب هلك الناس من عشق مبدع هذه العوالم، ولكن هذه الأغشية من النعم العجيبة التي أنعم الله بها على الناس حتى يقدروا أن يعيشوا في الأرض وإن كانوا معذيين، حياة مع هذا العذاب خير من العدم إن الله مزج الضرر بالنافع رجة بنا ليصرف عقولنا عن هذا الكثر المخبوء في الدنيا وهو الجمال الباهر حتى تسع عقولنا، وأذاك يسلمه لنا في عالم الأرواح، وفي الفاتحة تراه يذكر الرحمة وينبئها بقوله - مالك يوم الدين -، فهنا شدة ولين كما تراه جعل في النبات قوة امتصاص السكر بون من الجو بمساعدة المادة الملونة في الورق مع ضوء الشمس، وهذا السكر بون يتحد مع الماء فيكون هناك الشاء والسكر ومادة (السيلاولوز) التي منها القطن والكتان، وهذه المادة تجعل في الحويصلات التي يتركب منها النبات غطاء يغلف كل خلية من الخلايا التي يتركب منها النبات، لجميع الخلايا مغلفة بهذه المادة كما تقدم مرارا، فهنا في النبات مادة الحياة داخل كل خلية، وكل خلية يحيط بها غلاف يحفظها، فهذا الغلاف فيه معنى الملك والحفظ - مالك يوم الدين - وداخل الحويصلة مادة وهو معنى - الرحمن الرحيم - فهكذا كل العالم فيه ما يسترنا وفيه ما يؤلمنا، فالؤلأ أشبه بغطاء حافظ لما يسترنا، فهذه الشرور مانعات حياتنا من الانحلال، لأننا لو عرفنا جمال هذا الوجود لم نتحمل نفوسنا هذا الجمال، فغشى عليها بالمصائب والبلايا والمرض والموت حتى لا تعرف الحقائق دفعة واحدة بل تلمسها شيئا فشيئا بالتعلم والدرس والرياضة والعبادة، فالجحائب أشبه بمادة الحياة في حويصلات النبات وخلاياه وحوادث الدهر أشبه بما يغلفها من مادة السيلولوز الحافظة للخلية الواحدة، ومن الخلايا كان كل حيوان وكل نبات، فهذا هو السبب في عدم ظهور حب أكثر النواع الانسانية لصانع هذا العالم الحكيم العليم. فقال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الأولى. كتب يوم الخميس ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية، ٢٩ يناير سنة ١٩٣١ م

اللطيفة الثانية

في قوله تعالى - وهو الذي ينزل الغيث - الخ

جاء في جريدة الاهرام في يوم ٦ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي:

أشجار يرجع تاريخها الى قبل ١٥ مليون سنة

« اكتشف في غرب كندا بقايا أشجار يظن انها مما نبت في أمريكا الشمالية قبل خمسة عشر مليون سنة وقد أحدث اكتشافها ضجة في المقامات الجيولوجية لأنه يثبت بالنظريات الحالية فيما يتعلق بالأزمة السابقة

للأزمنة المعروفة في التاريخ. وهي قد اكتشفت في السنة الماضية في بطن الرمال بجهة (فورد كموراي) فأرسلت إلى علماء الجيولوجيا الذين في خدمة الحكومة. وهم بعد بحث طويل دقيق يقولون الآن: «إن وجودها يعيد بالنظريات المشار إليها». ويؤخذ من التقارير الأولى أنها نبتت ونمت على ما يظهر في السهول الذي كانت فيه طبقة سطح الأرض في دور التكوين. ويقول الدكتور (بيلاي) وهو عالم كبير معروف: «إن هذه الأشجار هي من نوع الأشجار التي كانت تنمو في أرض اليابان». وهذا القول يعزز نظرية القائلين أن شمالي أمريكا وآسيا كانا في غابر الأزمنة قارة واحدة، وسيقدم العلماء بمباحث جديدة في المسكان الذي اكتشفت فيه بقايا تلك الأشجار» انتهت اللطيفة الثانية

اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى: ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور
اعلم أيديك الله بالعلم أن هذه العوالم كلها آيات الله، ولكن ليس يدرك ذلك إلا أناس امتازوا بأصبرين: الصبر والشكر، والصبر أقسام كثيرة، صبر على البأساء وهو الفقر، وعلى الضراء وهو المرض، وعلى البأس وهو الحرب، وعلى طلب العلم، وعلى القناعة والاكتفاء بالصبر، وعلى الصدق في القول والعمل والعبادة، وجميع أنواع الطاعات، وهذا الصبر يتحد مع الشكر في كثير من مواطنه، والشكر لا يتم إلا بمعرفة النعم، ولا تعرف النعم إلا بالدراسة، وكيف تتم الدراسة إلا بالصبر عليها، فهنا صبر وهنا شكر اتحدا عملا واختلعا تسمية، فقل لي رعاك الله، أيعرف نعمة الرياح المجريات للسفن والسحاب كل إنسان وكل حيوان. كلا. فإن كل ذي عينين يدرك الحقائق، وكيف يدرك الإنسان الحقائق إلا بالفهم والعمل، فهناك مسألة جرى الرياح هل تعرف إلا بالصبر عليها، ومن ذا يصبر إلا القليل من الناس! هذا بعض السر في قوله تعالى - لكل صبار شكور -

فانظر رعاك الله إلى الهواء الجوى، ينظر الجاهل الهواء الجوى فيراه مهب تارة ويسكن أخرى فلا يدري من أين جاء، ولكن إذا درس وصبر على الدرس علم أن أسباب الرياح كلها ترجع إلى (سببين اثنين) كما قل تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - ففرّوا إلى الله -

خيالى يوم الأحد ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٩ م

كأننى أسمع رب العزة لما خلق الهواء واليابسة والماء يقول: «أيتها اليابسة، ويأيتها الماء، اسمعنا، هاأنا ذا أريد أن أخلق نباتا وحيوانا وإنسانا وهؤلاء لأحياة طم إلا بسحب مطرات، والسحب المطرات لا بد لها من رياح، والرياح لا تتم إلا بأصبرين: حرارة وبرودة. هذان زوجان جعلتهما سبب الرياح والرياح تحمل السحب وتسير السفن. فقالت اليابسة والماء: نحن لك يارب مطيعون. فقال: أما أنت أيها الماء فعليك أن تكون بطيء الحرارة بطيء البرودة. وأما أنت أيها اليابسة فعليك أن تكونى سريعة البرودة سريعة الحرارة، ومتى تم ذلك حصل في الهواء اختلاف كثير فبهت الرياح، وهنالكَ بدور الهواء عليكما كما يدور الدولاب وكما تدور السواقي وكما تدور الطواحين، إن الساقية تدور بحيل صنعها عبادى:

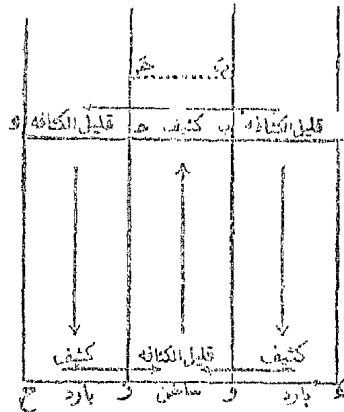
(١) فيدور الثور، وبدورانه في مدار الساقية

(٢) يدور (النير) الذي فوق رقبتة

(٣) والنير يجرى الحبل

- (٤) والخيل يجر خشبة أخرى متصلة بعمود خشبي
 (٥) والعمود الخشبي يدير آلة خشبية مدوّرة كثيرة لها أضراس أفقية الوضع
 (٦) وهذه الأضراس تدير آلة مدوّرة أصغر منها رأسية الوضع
 (٧) وهذه تدير عموداً أفقي الوضع
 (٨) وهذا العمود يدير دائرة خشبية عليها قواديس رأسية الوضع
 (٩) وهذه القواديس تملأ ماء عند نزولها وتفرضه عند طلوعها ، وهناك تسقى الزرع
 هذه حيل العباد في اخراج الماء ، أما حكمتي أنا في الهواء فاني حرّكته فوق الكرة الأرضية وجعلته
 رياحاً بالحرارة والبرودة ، انني لو جعلتك أيها الماء ، وأيتها اليابسة بطبيعة واحدة في الحرارة والبرودة لم تسكن
 رياح فلا يكون لي خلق ، لذلك أمرتك أن تسكونا مختلفين حرارة وبرودة ، وباختلافكما كانت هذه النعم
 وهذه المخالقات ، إن اختلافكما نعمة ، بل هي أصل النعم في الأرض » وهالك إيضاح هذا المقام بالرسم من
 كتاب « الجغرافيا الرشيدة » فقد جاء فيه ما يأتي :

تأثير الحرارة في الضغط الجوي



(شكل ١)

نظرية هبوب الرياح

فتصبح كثيفة و يشتد ضغطها على الأهوية المجاورة لها فوق (اب) و (ج د) لأن هذه الطبقات ما زالت قليلة
 الكثافة ، ويترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية فوقية في الجانبيين في اتجاه السهمين المرسومين في
 أعلى الشكل

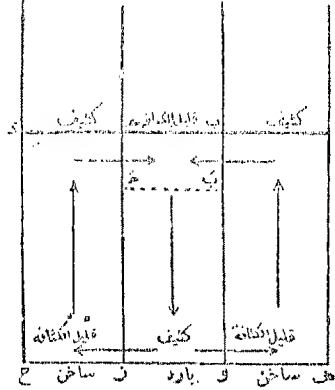
وفي أثناء ذلك يتخلخل الهواء فوق (وز) وتقل كثافته ، على حين أن الهواء لا يزال على جانبيه في
 (هـ و) و (زح) كثيفاً فيترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية سطحية في اتجاه السهمين في أسفل الشكل
 وباستمرار هبوب هذين التيارين واستمرار تسخين الهواء فوق منطقة (وز) يستمر طلوع الهواء
 وهبوب التيارات الفوقية تجاه (اب) و (ج د) ، ويؤول أمر هذا الهواء إلى السقوط في اتجاه السهمين
 الجانبيين على (هـ و) و (زح) ليسد النقص الحادث من انتقال التيارات السطحية

وهالك توضيحاً آخر لهذه المسألة بعينها : كما تراه في شكل (٢) الآتي في الصحيفة التالية ففيه رقعة من
 سطح الأرض (هـ وزح) مقسمة إلى ثلاث مناطق (هـ و) و (وز) و (زح) والمنطقة (وز) مشغولة
 باليابس ، والمنطقتان (هـ و) و (زح) مشغولتان بالماء

ونظراً لاقبال فصل البرد قد برد اليابس قبل الماء فبرد الهواء فوق (وز) وتقلص وتكاثف وهبط

سطحه من (ب ج) الى (ب ج) على حين أن الهواء لا يزال فوق (هـ و) و (ز ح) عاليا كما كان ، فيرتب على ذلك تياران فوقيان في اتجاه السهمين المرسومين في أعلى الشكل وفي أثناء ذلك يزداد الضغط عند (وز) ويخف عند كل من (هـ و) و (ز ح) فينشأ عن ذلك تياران سطحيان في اتجاه السهمين المرسومين في أسفل الشكل (انظر

شكل ٢)



فيتضح من المثلين السابقين أن التيارات الهوائية السطحية تنقل من الجهات الشديدة البرودة الى جميع الجهات المجاورة ، وهذه التيارات السطحية هي التي تؤثر تأثيرا مباشرا في المناخ وهي التي نخصها بالكلام فيما يلي

وينتج من ذلك نظريا انتقال الرياح من الجهات القطبية الى خط الاستواء ، فيكون اتجاهها من الشمال الى الجنوب في نصف الكرة الشمالي ، ومن الجنوب الى الشمال في نصف الكرة الجنوبي

(شكل ٢ نظرية هبوب الرياح)

نسيم البحر ونسيم البر

كأن الله يقول : « أيتها الأرض . اذا طلعت الشمس عليك فلتسرعى بقبول الحرارة ، وأنت أيها الماء عليك أن تسكون بطيء الحرارة ، فاذا فعلتما ذلك فان الهواء الذي يكون فوقك أيها الأرض يكون أسرع سخونة بمجاورتك ، ومتى أسرع سخنانه خفّ وعلا ، ومتى خفّ وعلا أسرع الهواء الذي فوق الماء جفري فوقك لأن الأثقل يحل محل الأخف ، فاذا جاء الليل فلتسكوني أيتها الأرض سريعة البرودة ، ولتسكن أنت أيها الماء بطيء البرودة فتسكون الحرارة فوقك أكثر منها فوقها واذن يجري الهواء من فوق اليابسة اليك كما كان يجري منك اليها نهارا ، فهذا هو المنسمي نسيم البحر ونسيم البر ، فان النسيم يهب من البحر الى البر نهارا ومن البر الى البحر ليلا ، ولذلك يخرج الصيادون في القوارب وقت الفجر مع نسيم البر وفي الضحى يعودون مع نسيم البحر الى الساحل ومعهم السمك ، فهذان النسيمان يلطفان مناخ السواحل ، ومثلهما :

الرياح الموسمية

وكما يخيل لي خطاب الله للبر والبحر يخيل لي خطابه للقارات والمحيطات ، فالقارة بدل البر والمحيط بدل البحر ، والصيف كالنهار والشتاء كالليل ، فثلا تشتد الحرارة على جبال آسيا الوسطى مثل جبال (همالايا) فتقل كثافة الهواء فوقها ، وتسكن المحيط الهندي لا يكون مثلها ، فتهب الرياح من المحيط المذكور الى آسيا كل ذلك في زمن الصيف ، وهذه تسمى الرياح الموسمية ، وبسببها يكون الري والخصب في سهول الهندستان وهناك يعيش نصف سكان الأرض في الهند والصين واليابان ، وذلك بفضل غزارة الأمطار وتولد الأنهار العظيمة ذات الفيضان السنوي ، وتسكون هناك سهول (غريفية) خصبة تتوافر فيها المواصلات والري وأسباب العيش والرفاهية ، وهكذا يحصل في بلاد الحبشة بالرياح الموسمية أيضا إذ ينشأ بسببها في أول الصيف فيضان النيل وهكذا ساحل (ناتان) في شرق افريقية ، وساحل الولايات المتحدة الجنوبي الشرقى إذ تسقط عليهما أمطار صيفية بمثل هذه الرياح وهكذا الساحل الشرقى لآستراليا ، فاذا جاء الشتاء تنعكس الحال فتبرد هضبات اليابس ويظل البحر دافئا ، فتنشأ رياح تنقل من البر الى البحر وهي جافة لصدورها من الجاف وهو البر فاعجب أيها الدكي لأمرين اثنين : حرارة وبرودة نشأ عنهما سائر الناس والحيوان على الأرض

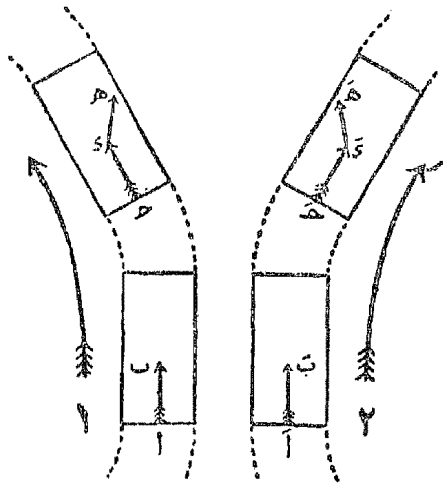
فهذا الهواء فعل الله به ما فعلناه نحن في النواخير والسواقي والآتنا ، ولكن هو أدار الهواء بأمرين اثنين : حرارة وبرودة ، وجعل الأرض عدلا ، نسيم من البر إلى البحر وبالعكس ورياح موسمية بحيث يكون مداها ستة أشهر ، فهنا ليل ونهار نسيم البر ونسيم البحر . وههنا صيف وشتاء للرياح الموسمية . وههنا عاشت الأم بهذه الرياح . وهذه الرياح مبنها الحرارة والبرودة

التيارات البحرية

وقبل الدخول في الكلام على تلك التيارات وخطاب الله عز وجل لها أقدم مقدمة من كتاب الجغرافيا الرشيدة يتضح بها المقام وهاك بيانها :

تأثير دورة الأرض على محورها

تتحرف الرياح في أثناء حركة الأرض على محورها عن اتجاهها الأصلي ، ولتوضيح ذلك نضرب المثل الآتي : في شكل (٣)

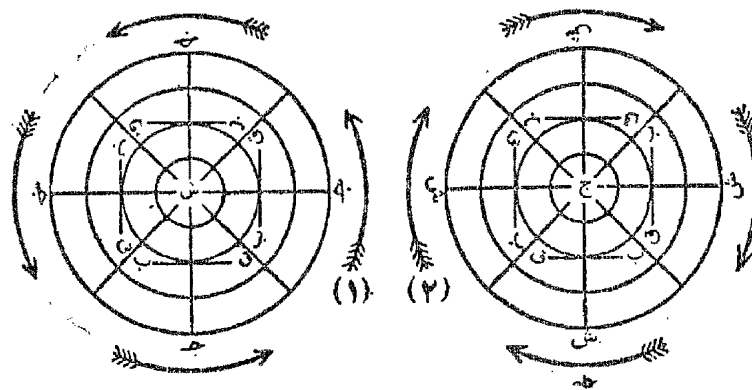


راكب ترام ينظر إلى الشمال ت أمام الترام وينتقل متجهها نحوه في العربة في الاتجاه أب ثم ينعطف الترام يسارا كما هو موضح في القسم الأول من الرسم (١) فإذا كان الراكب مصمما على السير تجاه الشمال فإنه يتحرف نحو اليمين ويكون جلة سيره في اتجاه السهمين (ج د) و (د هـ) .

وبالعكس من ذلك إذا انعطف الترام يمينا كما هو موضح في القسم (٢) من الرسم فإن مجموع سيره نحو الشمال يكون في اتجاه السهمين (ج د) و (د هـ) ففي كلتا الحالتين يحدث انحراف بعكس انعطاف الترام

(شكل ٣) انعطاف مركبة الترام في طريق منعرج

وكذلك الحال على الأرض : إذ تنحرف الرياح بسبب الدورة اليومية : ففي شكل ٤ شطران : يمثل الأول منهما نصف الكرة الشمالي ، ويمثل الثاني النصف الجنوبي .



(شكل ٤ دورة الأرض على محورها)

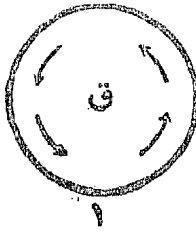
(١) ففي مركز الدائرة في الشطر الأول القطب الشمالي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه جنوب ويتعين الشمال والجنوب يكون الشرق إلى اليمين والغرب إلى اليسار ، وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم

المحيطة بالدائرة

(٢) وفي مركز الدائرة في الشطر الثاني القطب الجنوبي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه شمال . وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم المحيطة بالدائرة .

فإذا وازنت بين شكل (٣ و ٤) تعرف أن الرياح تنحرف إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي ، وتنحرف إلى اليسار في نصف الكرة الجنوبي : وتسمى هذه القاعدة « قانون فرل » وبمقتضاها تصبح الرياح الشمالية في نصف الكرة الشمالي رياحا شمالية شرقية ، وتصبح الرياح الجنوبية في نصف الكرة الجنوبي جنوبية شرقية

مناطق الضغط العظيم خلف المدارين



(شكل ٥ دوران الماء في الوعاء)



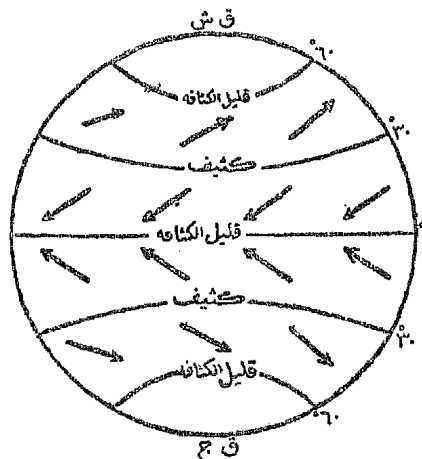
٢

في الشطر الأول من شكل (٥) وعاء فيه ماء ، فإذا دار الماء في الوعاء حول القلب (ق) باستمرار ، لا يثبت أن يهبط سطحه في الوسط ويرتفع عند الحافة ، فيكون سطح الماء كما ترى في الشطر الثاني من الشكل عند (ا ق ب) وكذلك حال الهواء على وجه الأرض : إذ تزيج دورة

الأرض على محورها بعيدا عن القطب ، وتعمل على تكثيفه عند خط الاستواء . ولولا الحرارة عند خط الاستواء لأصبح الهواء عنده كثيفا جدا ، وبالعكس من ذلك تخلخل عند القطبين بسبب دورة الأرض على محورها لكن هنا عاملان متعاكسان : فالحرارة تعمل على إبعاد منطقة الضغط العظيم عن خط الاستواء ، ودورة الأرض على محورها تعمل على إبعادها عن القطب . ونتيجة منافسة هذين العاملين وجود منطقتي الضغط العظيم حوالي خط عرض ٣٠ شمالا و ٣٠ جنوبا

أما خطا عرض ٩٠ شمالا و ٩٠ جنوبا فيكون الهواء عندهما قليل الكثافة بسبب فعل الدوران في إبعاد الهواء عن القطبين

الرياح الدورية على وجه الأرض



(شكل ٦)

الرياح التجارية والرياح العكسية

مناطق هبوبها واتجاهها

ينتج مما تقدم ما تراه في (شكل ٦) فعند خطي العرض ٣٠ شمالا و ٣٠ جنوبا تزيد كثافة الهواء فتهب الرياح منهما إلى خط الاستواء ، وتسمى بالرياح التجارية وتهب من كل منهما إلى خط عرض ٩٠ الرياح العكسية

وتنحرف الرياح التجارية نحو الغرب بسبب دورة الأرض على محورها وبذلك يكون انحرافها إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي وإلى اليسار في النصف الجنوبي

وتنحرف العكسية نحو الشرق أيضا لهذا السبب

فتهب الرياح التجارية من الشمال الشرقي

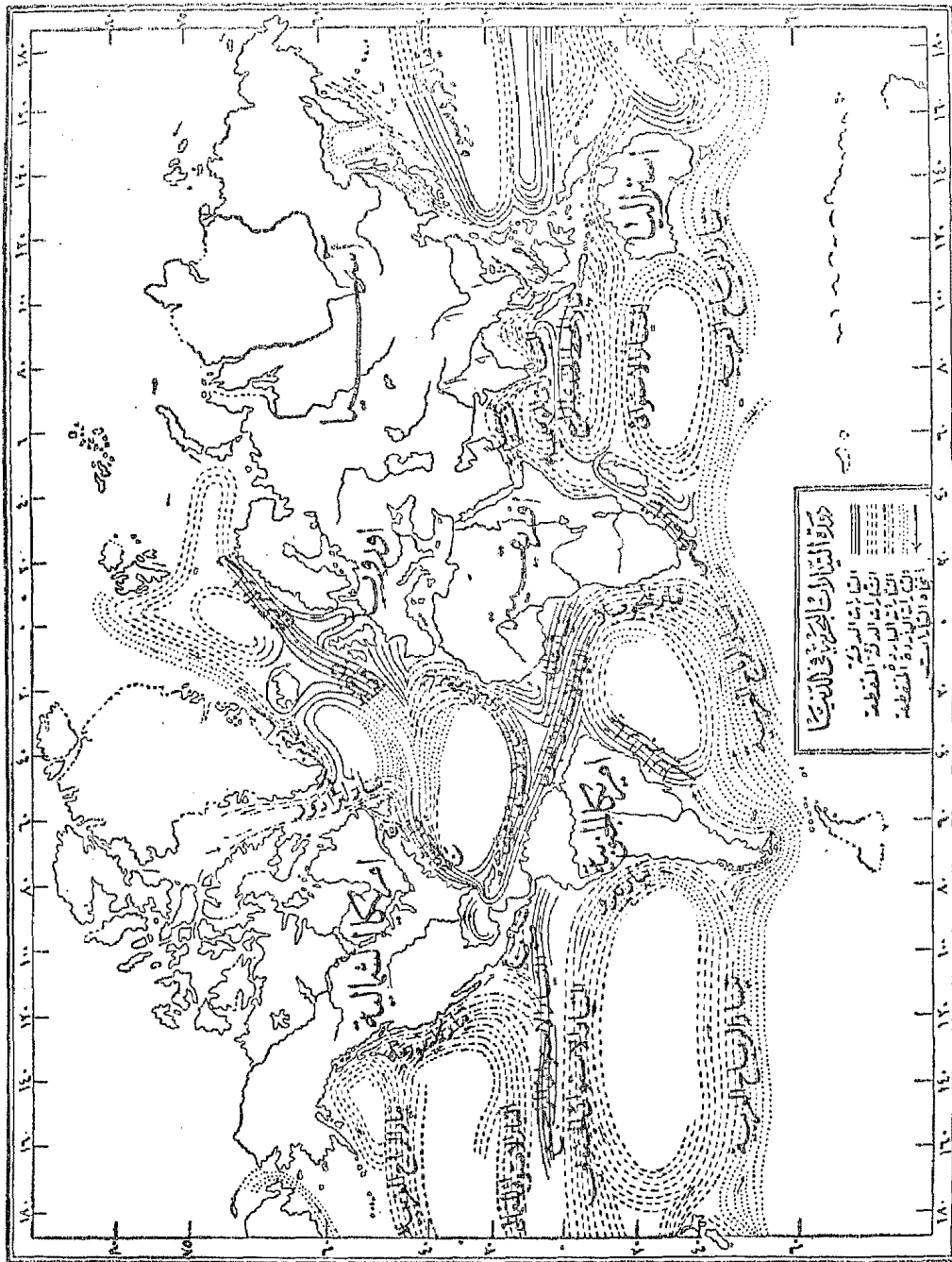
في نصف الكرة الشمالي ، ومن الجنوب الشرقي في النصف الجنوبي ، وتهب الرياح العكسية من الجنوب الغربي في نصف الكرة الشمالي ، ومن الشمال الغربي في النصف الجنوبي . وحول كل من القطبين منطقة ساكنة وعند خط الاستواء منطقة سكون يرتفع عندها الهواء بفعل الحرارة الى الطبقات العليا من الجو ، وعند خط عرض ٣٠ شمالا و ٣٠ جنوبا منطقتان من السكون تسقط عندهما الأهوية من الطبقات العليا انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية الرشيدة

تلخيص ما تقدم

ههنا أن أذكر ما يخيّل لي من خطاب الله عز وجل للماء كأنه عز وجل يقول : « أيها المياه ، اسمي ، هاأنذا جعلت الحرارة من الشمس الساقطة على الأرض سببا في إثارة الهواء ، فباختلاف قبول اليابسة والماء لها أدت الرياح فكانت نسائم البر وكانت نسائم البحر ، فإذا كان الليل هبت النسائم من البر الى البحر لأن جو اليابسة يكون أبرد وجو البحر يكون أقل برودة ، فتجري الرياح من البارد المتقلص وهو البر الى الحار المتمدد وهو البحر ، فإذا كان النهار قلبت الوضع وأجريت الرياح من البحر الذي لم تسرع الحرارة فيه الى البر الذي أسرعت فيه الحرارة ، فهما متعادلان نسيم من البر الى البحر ونسيم من البحر الى البر ومثله الرياح الموسمية ، ثم اني أدت الكرة الأرضية على محورها من الغرب الى الشرق والمحور متجه من الجنوب الى الشمال ، وبسبب هذا الدوران يفرّ الهواء من القطبين الى ناحية خط الاستواء لكن خط الاستواء يطرد الهواء بحرارته ، فلا يحيط للهواء إلا أن يلتجئ الى نقطة معينة وهي هنا درجة (٣٠) شمالا ودرجة ثلاثين جنوبا ، وهناك منطقة سكون تنجبه منها ريحان : ريح تنجبه الى جهة خط الاستواء راجعة وهي السمة التجارية ، وأخرى تنجبه الى ناحية القطبين وتسمى ضدية أو عكسية ، ولابد من انحراف كل من الرياح التجارية والرياح العكسية أو الضدية لأجل تأثير دوران الأرض (انظر شكل ٧ في صفحة ٦١)

فههنا يقول الله للرياح التجارية : « أيها الرياح التجارية الجارية في المحيط الأطلسي عليك أن تحركي تيارين : أحدهما في جنوب خط الاستواء ، وثانيهما في شمال خط الاستواء ، يتجهان معا من سواحل افريقيا الى سواحل أمريكا ، فأما التيار الاستوائي الجنوبي فعلى بلاد البرازيل أن تصدّه ومتى صدته ينعطف محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية . وأنت أيها الرياح العكسية أرجعيه ثانيا الى مقرّه الأول فيرجع الى سواحل افريقية ثانيا ، ويتم دورته حول منطقة ساكنة ، وهكذا يفعل التيار الاستوائي الشمالي ، فليتوجه من سواحل افريقيا الى خليج المكسيك ، وليسر محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الشمالية ، وأنت أيها الرياح العكسية وجهيه الى خليج المكسيك (يسمى تيار الخليج) وهناك يجب أن يقطع قطعتين فيكون هناك تيار أوروبا الغربية وتيار آخر للترويح ، وهكذا ليكن ذلك في المحيط الهادي ، فلتحرك الرياح التجارية تيارين على جانبي خط الاستواء كهذين ، فأما التيار الاستوائي الذي جهة الجنوب فعليه أن يتوجه من سواحل أمريكا الى سواحل استراليا ، وأنت أيها الرياح العكسية رديه ثانيا الى أمريكا ، وأما التيار الاستوائي الذي جهة الشمال فعليه أن يتجه من أمريكا أيضا الى ساحل آسيا عند اليابان وهو التيار الاسود (كوروسيوه) بالرياح التجارية ، وعليك أيها الرياح العكسية أن تردّه الى أمريكا ثانيا ، وهكذا لتفعل الرياح التجارية والرياح العكسية حول استراليا في المحيط الهندي ، فلتحركي أيها الرياح التجارية تيارا واحدا جنوبى خط الاستواء فقط لأن نصف الكرة الشمالي مشغول بقارة آسيا ، وليسر التيار من ساحل استراليا الى سواحل افريقيا ، وعلى الرياح العكسية أن تردّه الى استراليا ثانيا »

هذا هو الخطاب الإلهي الذي يخيّل الى كأنه حقيقة ، وكأن الله عز وجل يقول في منافع هذه التيارات



(شكل ٧)

في تيار الخليج ، و تيار البرازيل في المحيط الأطلسي ، و تيار (كوروسيوه) ، و تيار شرق استراليا في المحيط الهادي ، و تيار موزمبيق في شرق افريقيا في المحيط الهندي . أنا نقلت بعضا من الجهات الاستوائية الى العروض البعيدة عن خط الاستواء لمقصد سام وحكمة بالغة ... وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . يهامون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم في أنفسهم غافلون - أنا نقلتك من الجهات الحارة الى الجهات الباردة لأجل تلطيف كل مناخ تمرين عليه ، اني بالتيارين اللذين عند غرب أوروبا وعند افريقيا أذبت مياه بحر الشمال مع ان بحر البلطيق الذي يساويه في درجات العرض يكون جامدا خمسة أشهر في السنة . والرياح العكسية لحرارتها أثرت في تيار الخليج فأدفأته فوصل الى سواحل أوروبا دافئا فكان المطر الكثير والدفء العظيم

ثم كأنه عز وجل خاطب البحار القطبية والبحار المدارية قائلاً : « انك أيها البحار القطبية لم أسلط عليك حراً كثيراً لذلك كان ماؤك محفوظاً فلم يكن منك بخار كثير بل زدتك ومددتك بكثير الثلج فزادك ماء وأما البحار المدارية فإن الحرارة ترفع ماءها إلى الجو بهيئة بخار . فعليك أيها البحار الشمالية أن ترسل تيارات مائية إلى الأقطار الاستوائية لأني عدل . فاما سمعت هذا الخطاب البحار القطبية الشمالية أرسلت من لديها مدداً وهوتيارات بحرية إلى خط الاستواء

(١) مثل تيار (لبرادو) الذي يحاذي سواحل (جرينلند) و(لبرادو) و(نيوفندل) ثم يقابل تيار الخليج وهودافى فيتلاشى فيه

(٢) وتيار شمالى شرق اليابان الذي يحاذي شبه جزيرة (كشتكا) وجزيرة (يسو) ومتى قابل تيار (كوريوسيوه) يتلاشى فيه

(٣) وهكذا المحيط المنجمد الجنوبي أرسل تياره حول الدنيا من الغرب إلى الشرق دائماً سائراً مع الرياح العكسية الغربية ، ومتى قابل الأطراف الجنوبية لأفريقية وأستراليا وأمريكا الجنوبية يتفرع منه تيارات في المحيط الأطلسي وفي المحيط الهندي وفي المحيط الهادي ، وهذه كلها تقابلها تيارات دافئة لتخفها وتعددها ، فأنت أيها التيارات الباردة لك آثار حسنة ، فانك تؤثرين في جهات (جويسو) في اليابان فتسكون أبرد من (جوهنشو) وفي مناخ جهات (بيرو) في غرب أمريكا الجنوبية فإن حرارتها تكون أطف مع قربها من خط الاستواء الموجب لشدة الحرارة ، ولقد جعلتك أيها التيارات الباردة أشبه بالفعلة والصناع إذ ينقلون التراب والحجارة من مكان إلى مكان لإصلاح البقاع والبناء ونحو ذلك ، فأنت تحملين الثلج معه صخر ، فتى وصلت بثجك وصخرك إلى شواطئ القارات تكون هناك مساحات واسعة مرتفعة عند سواحل (نيوفونلاند) بالمحيط الأطلسي وعند سواحل الشمال الشرقى لليابان ، وماهى إلا الصخور ذات الثلج الذي كان معها أصبحت هي محال لتربية السمك فيسطاده الناس عند تلك السواحل ، إذن أنت أيها التيارات الباردة تحملين برودة معك لتلطيف الحر وتصنعين صنع البنائين والفعلة ، فانك تبينين أما كن للسمك يسطاده الصيادون

خطاب الله للناس

وكأنى أسمع خطابه للناس إذ يقول : « يا بني آدم ، أين عقولكم ، وأين أحلامكم ، أليست هذه آياتي ، فمن آياتي الرياح في البحر كالأعلام ، ولواني أسكنت الريح بسبب اتحاد الحرارة على الماء واليابسة لم تكن رياح ولم تكن تيارات ، انظروا يا عبادي ، فمن أين تكون تيارات حارة تنفذ إلى غرب أوروبا وعند الغروب فتذيب بحر الشمال لمنفعة عبادي في أرضي ، ومن أين تكون تيارات باردة تذهب إلى (بيرو) في غرب أمريكا الجنوبية فتلطف حرارتها ، سياسة أبدعت ، وحكمة نظمت ، وآيات وعجب ! هذه عجائب صنعى ما خلقتها لكم عبثاً . أتم قلدم الطيور فطرتم في الجو بطيارياتكم ، وقلدم الخمل في الحرب . والاسود في الافتراس ، نفرحون وتمرحون وتقولون قد امتطينا الطيارات وقتلنا الأمم بالقذائف النارية وتظنون انكم بهذا مفلحون كلا . ثم كلا . وعزتي وجلالى . ان هذه إلا أساليب الشياطين وأخلاق الحيوان والسباع . فاذا لم يفهم أهل الأرض حكمتي فاني سأهلكهم أجعين أكتعين أبصعين

أيها الجهلاء . أيها الغافلون : ألم يأتكم نبأ تيارات الماء المذكورة . ألم تروها تجري من الجهات الباردة إلى الحارة ومن الحارة إلى الباردة لإصلاح أحوال عبادي ، فهذه التيارات القطبية تجري إلى الجهات الاستوائية لتلطف الحرارة والتيارات الاستوائية تتجه إلى الجهات الباردة فتقلل برودتها ، ألم يكن هذا درساً

لكم ، ألم بأن لكم يا أهل الشرق ويا أهل الغرب أن تسكون سياستكم كسياستي ، هذه سياستي فمن الذي يقلدها ؟ أعوالم السمكة أم عوالم الدواب . كلا . بل أنتم المقصودون بتقليدها ، فتم أنتم فالدنم في الأمور الشهوية ، فطرس في الجو لتغيروا على خيركم ، أولسافروا لأغراضكم الخاصة ، ولكنكم قطلم تتركوا حكمي ولم تقلدوني في مني ، أنا بالحرارة واختلافها أجريت الرياح وأجريت التيارات شرقا وغربا ، هكذا فلتسكن حرارة العلم متأججة في قلوب الناس شرقا وغربا ، ولتسكن منها جاذبية في قلوب الأمم كلها في نظام السياسة والاتحاد كما سرت الجاذبية في التيارات وانتظمت بها تيارات تشبه الأقطاع الناقصة التي تسير فيها السكواكب في السماء فأصبحت التيارات البحرية من افريقيا الى أمريكا ومن أمريكا الى استراليا وآسيا وهكذا كلها متجهات الى تسكون قطع ناقص تشبه بنظام السكواكب في سيرها لأن كل أم يتبعها ولدها ، وكأنها أشارت أن نظام الانسان في المستقبل سيكون أشبه بنظام هذه التيارات والرياح التي يمد الحار منها البلاد الباردة والبارد منه البلاد الحارة ، ألم بأن لكم أيها الناس أن تجعلوا أممكم أمة واحدة فقويها يواسي ضعيفها وتناطفون في الهداية والسياسة بحيث يكون المتوحشون في كنف المتعلمين من جيرانهم ، ايكن مسلحو افريقيا نورا لمتوحشها ، وهكذا ليكن الناس بعضهم لبعض معين ومساعد كما ظهر في التيارات البحرية باردة وحارة ومن عجب أن تسكون هذه الآية في سورة الشورى ، فان لم يكن العالم كله أمة واحدة الشورى أفلا يكون المسلمون وحدهم أمة شورية ١ والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ٣ مايو سنة ١٩٣١

جوهرة في قوله تعالى : ان يشأ يسكن الريح فيظللن روا كد على ظهره

نظرة راكب السفينة فيما حوله من الماء والأرض

لراكب السفينة نظرات فيما حوله ، فتارة ينظر في الرياح واتجاهها واختلافها ونتائجها كما تقدم هنا ، وتارة أخرى ينظر في جوهر الماء والبحر والبر وصور الخلوقات البرية والبحرية ، فيرى أشكالا وألوانا وعجائب وهذا تقرأه في ﴿سورة الروم﴾ في قوله تعالى - فطرة الله التي فطر الناس عليها - وانهم مفطورون على البحث في الأشكال والأحوال والحكم على هذه المادة بأشكالها وبيان مساحتها ونظمها المختلفة وأن هذه العقول بقوتها العظيمة لم تحتج في مساحة محيطات الدوائر ، ولا في مساحة الدوائر ، ولا في مساحة سطح الكرة ولا في معرفة حجم الكرة إلا أن تمسح نصف القطر ، دلالة على حكمة مبدعها وقدرته وعلمه ونوره الذي ألقاه على هذه النفس فنفتت الى سويداء الأجسام فاخرقتها وحكمتها وحكمت عليها بنصف القطر وحده بحيث تربعه تارة وتسكبه أخرى وتضربه في أعداد معلومة محفوظة ، كل ذلك تقرأه في سورة الروم ، ولكن المقام الذي يليق أن يوضح هنا أبهج رونقا وأبهى منظرا وأشرق نورا وأليق بهذا المقام ، لأن ذلك عام في كل ذي شكل في بر أو بحر ، أما ما هنا فانه يختص بالماء والسماء

الماء والسماء

إن راكب السفينة يرى بعينه نجوم السماء وأمواج الماء ، فهو بين نجوم وماء ، فلا جرم يجب أن يقرأ عجائبهما ، ولتعلم أن هذه العلوم مبينة بالبراهين معروفة بالقوانين فلا يصدك عنها قول كثير من المتظاهرين بالعلم انها ظنون أو أوهام . كلا . فلا علم إلا وله براهين أفنت أهله وكل من دخل معهم اعترف بصدق نظرياتهم فاذا قرأت ماسأفصه عليك فلا تخدعك عنه خادع ، ولا يصدك عنه مارق ، يقول لجهله ولخسده : ما هذه إلا ظنون ، فلنقرأ ولندرس ولتعلم أن هذا هو الذي يطلبه الله ودينه ونبيه ﷺ

إن العلماء كما بحثوا الأشكال وعرفوا مساحتها أدركوا أيضا أبعادها ، فعرفوا أبعاد الشمس والقمر والسكواكب ووصلوا الى أن عرفوا أن من أبعاد السكواكب ما وصل الى مائة مليون سنة بحيث ان نور تلك

الكواكب لم يصل بعد خروجه من كوكبه الى أرضنا إلا بعد أن قطع في سيره مائة مليون سنة وهذا واضح في غير هذا المكان من التفسير ، وهذه المقادير وإن كانت تقريبية قام عليها البرهان أى البرهان الهندسى بحيث يستعملون في ذلك المثلثات التى لها أحوال خاصة ، وعلم الهندسة علم يقينى ، غاية الأمر أن المقادير تزيد وتنقص على حسب آلة الرصد لا غير ، فلا يصدّئك عن ذلك قول القائل : « إن علم الفلك علم بخطئى كثيرا » فإن هذا القول صادق فى علم أحكام النجوم وهو العلم الذى يخبر بالحوادث المستقبلية ، فهذا العلم يكذب به العقل ويخطئه النقل ، فأما حساب السنين والشهور وأبعاد الكواكب فذلك قامت عليه البراهين ، إذن فلا شرع فى الكلام على السماء ثم أتبعه بالكلام على الماء

الكلام على السماء

إن راكب السفينة بعد أن يدرس الرياح المتقدمة يخطر بباله ما يرى فوقه من النجوم ، وهذه النجوم قد تقدم الكلام عليها فى مواطن كثيرة ، ولكن الذى أذكره هنا هو الكلام على مدة دورانها فى ذلك كما أذكر فى الماء القوانين العلمية التى بها غاص فيه أجسام وعام على سطحه أجسام أخرى ، فإن تنقل الأجسام وخفتها يؤثران فى صعودها على سطح الماء وستوطها فى قاع البحار ، كما أن السيارات تختلف مدة دورانها حول الشمس باختلاف أبعادها وأحجامها وقوتها الطاردة والجاذبة ، وسأوضح هذا ليجب الأذكى من نجوم باهرات سائر بقوانين لا تختلف على مدى الأزمان ، ومن ماء جيسل يستقبل الأجسام فى أسفله تارة وفى أعلاه تارة أخرى بقوانين بحيث يخرج المطاع على هذا بعد فهم هذا الموضوع وقد تحلت نفسه بحلية العلم وابتهجت بزينة الجبال وعرفت سرا من نبا قوله تعالى - ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للنظرين - وأدركت قبسة من نور قوله تعالى - والسماء بزينها بأيدى وانا لموسعون - ومن قوله أيضا - والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطفؤا فى الميزان -

ينظر راكب السفينة فى السماء فيجد الكواكب تنقسم قسمين : سيارات وثوابت ، فالثوابت هى كل ما نراه فى السماء من الكواكب إلا قليلا والقليل هى السيارات والسيارات تسير حول الشمس ، فها :

- (١) عطارد يدور حول الشمس فى (٨٨) يوما تقريبا ، ويبعد عن الأرض (٥٧) مليون كيلومترا
- (٢) الزهراء تبعد عن الشمس (١٠٧) مليون كيلومترا ، وأبعادها عن الشمس تقرب من أبعاد الأرض عنها

- (٣) المريخ : السيار الذى يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض وهى معروفة فيما تقدم فى أجزاء هذا التفسير والذى يليها هو المريخ ، وبعده المتوسط عن الشمس قدر بعد الأرض عنها مرة ونصف مرة ومقداره (٢٢٥) مليون كيلومترا تقريبا ، والقطر الظاهرى من المريخ يساوى (٥٤ ر .) من قطر الأرض تقريبا أعنى (٦٨٠٠) كيلومترا ، وحجم المريخ (١٤٧ ر .) من حجم الأرض ، ودورته السنوية مركبة من (٦٦٩) يوما بحجما للمريخ

- (٤) المشترى هو قدر حجم الأرض (١٣٠٠) مرة وقطره يساوى (١٤٠٠٠٠) كيلومترا فهو قدر خط الاستواء الأرضى (١١) مرة ، وبعده المتوسط عن الشمس يساوى (٧٧٠) كيلومتر وسننه (١٢) سنة من السنين الأرضية

- (٥) زحل : البعد المتوسط لرحل عن الشمس هو قدر بعد الأرض عنها تسع مرات ونصف أعنى (١٤٠٠) كيلومتر تقريبا ويقطع الفلك فى (١٠٧٥٩) يوما أعنى (٢٩) سنة ونصف تقريبا ، وحجم زحل قدر حجم الأرض (٧١٨) مرة وقطره الاستوائى هو (٩٢٩٩ ر .)

(٦) أورانوس : مدة دورته حول الشمس (٨٤) سنة تقريبا أو (٣٠٦٨٧٧) يوما بالضبط وهذه عن الشمس (٧٠٨) مليون فرسخ ، وحجمه قدر حجم الأرض (٦٩) مرة ، وقطر كرهه (٤٢٥) بأخذ قطر الأرض وحده

(٧) نبتون : بعده المتوسط عن الشمس (١١٠٧٠٠٠) فرسخ وهو أبعد السيارات ويتم دورته في ١٢٥ سنة وقطره (٣٨٠) بالنسبة لقطر الأرض

هذه هي السيارات المعروفة التي عرفها الانسان الآن ، اختلفت أحجامها وأبعادها وأضواؤها ومدد دوراتها ، والمهم في هذا المقام انها مع هذا الاختلاف قد حفظت أبعادها ومدد دوراتها فلم تتغير ، فلا فرق بين أرضنا وبين تلك الكواكب في حفظ مدد دوراتها

اللهم أزل الفسادة عن عقولنا ، هذه الملاحظات البسيطة التي ذكرتها هنا ليست إلا شيئا يسيرا جدا مما تقدم في مواضع في هذا التفسير ، ذكرتها ليتفكر ركب السفينة في عجائب الكواكب ، تلك الكواكب التي لا تخفى في سيرها ولا تتعدى مارسم لها من مداراتها تذكرة لقوله تعالى - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين xx فتضاهى سبع سموات في يومين - فهذه سبع سيارات منظومات سواهن الله عز وجل ونظمهن وأحكمهن وقال لهن : « سرن أيتها السيارات في طرقكن ولا تتعدين مارسمته لكن » سارت هذه السيارات وهي طائفة مختارة ولم تخفى في المسير ولم تنقص في سيرها ولم تزد ثانيا وameda وهذا هو السبب في بقاء هذا العالم منظما آمادا وآمادا . إذن فلننظر في

عالم الماء

هنا نحن أولاه نظرنّا عوالم السماء فرأيناها منظمة سائرة بحكمة وعلم تامين ، فلننظر في عوالم الماء التي تسير السفينة فوقها فهل نجد لها قوانين تشبه تلك القوانين بحيث نفهم به قول الله تعالى - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

هنا نحن أولاه عرفنا من هذا المقام ومن غيره كيف كانت عوالم السماء قد أتت لربها طائعة ، فهل فعلت مثلها عوالم الأرض وأنت طائعة ، نحن لانعرف ذلك إلا بالدراسة فقول :

إن في علم الطبيعة تعرف الكثافة والوزن النوعي ، يقولون ان كثافة الجسم هي كتلة وحدة حجمه وهذه الجلة في ظاهرها غير مفهومة ولكنها لا بد من ذكرها وفهمها والسير في هذه الباحث حتى نعرف أن عوالم الماء كعوالم السماء لها قوانين وقد أطاعت الله كما أطاعته الكواكب . وكل منهما يحتاج الى دراسة تامة . يقولون ان كتلة السنتيمتر المكعب من الحديد تساوي (٧٨) من الجرامات ، وكتلة السنتيمتر المكعب من الزئبق تساوي (١٣٦) من الجرامات ، وكتلة السنتيمتر المكعب من البلاتين تساوي (٢١٥) من الجرامات ، فكثافة هذه الأجسام هكذا بالترتيب (٧٨) و (١٣٦) و (٢١٥) من الجرامات

ومعنى هذا أن الحديد والزئبق والبلاتين اذا أخذنا منها مقادير مساوية لحجم السنتيمتر المكعب من الماء فإن أوزانها تزيد عليه بهذه المقادير فيكون الحديد أثقل منه (٧٨) والزئبق أثقل منه (١٣٦) والبلاتين أثقل منه (٢١٥) وهذا هو الوزن النوعي ، لأن الوزن النوعي للجسم هو النسبة بين حجمين متساويين منه ، ومن الماء المقطر وهو في درجة (٤) فوق الصفر من الميزان انثوى (سنتغراد)

وهنا لا بد من ذكر قاعدة (أرشميدس) وهي كل جسم مغمور في سائل يكون مدفوعا من أسفل الى أعلى بقوة تساوي وزن مقدار من السائل حجمه يساوي حجم الجسم (و عبارة أخرى) « وزن السائل الذي يحل محله الجسم » وينتج من هذه القاعدة ما يأتي :

إذا طفا جسم على سطح سائل كان وزنه مساويا وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه ، ولهذا السبب يطفو الرخام والحديد على سطح الزئبق ، ويمكن أن تطفو الأجسام السكيفة جدا على سطح الماء إذا كانت مشككة بشكل يمكن معه أن يكون وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه مساويا لوزن الجسم كله ، فمثلا السكر المعدنية الجوفاء التي حجمها (١٠٠) سنتيمترا مكعبا ووزنها (٦٠) جراما لا ينغمس منها في الماء إلا مقدار يحل محل (٦٠) سنتيمترا مكعبا فقط ، وفي هذه الحالة يكون وزن الماء مساويا وزن (٦٠) جراما وهو وزن السكر المعدنية ، والسفينة التي تزن (٥٠٠٠) طنولاه لا يمكن أن تطفو فوق الماء إلا إذا زاد حجمها على (٥٠٠٠) متر مكعب حتى يحل الجزء المنغمس منها محل هذا الدر من الماء ، ولذلك تطفو السفن التي من الحديد فوق الماء ، مع أن كثافة هذا المعدن أعظم كثيرا من كثافة الماء

ومن العجيب أن العلماء أوجدوا الوزن النوعي للأجسام بطريق الطفو ، فيضعون مثلامن البالوط متوازي مستطيل في وعاء فيه ماء فيطفو فوق سطحه ، ويحسبون الجزء الطافي والجزء المنغمس في الماء ويطرحون الطافي من المنغمس ، فالباقي يكون هو الوزن النوعي للبالوط وهو طبعها أخف من الماء بعكس الحديد والزئبق والبلاتين والذهب فانها أثقل من الماء

أليس هذا عجبا ! أن الماء يصبح حكما في ورقة كثافة الأجسام (وكتلتها) المنسوجة في أحجامها ، فالكتل المنسوجة في الأحجام التي تعرف بها كثافة الجسم يظهرها الماء ، فإن كانت الأجسام أخف من الماء طفت ، أو أثقل انغمست ، وهناك درجات معينة لأثقل الأجسام وخفتها قد أظهرها نفس الذي جعله الله ميزانا يوزن به ثقل الأجسام وخفتها

ههنا علمت أيها الذكي لماذا ذكرنا هنا كواكب السماء ومقادير أبعادها وأحجامها وعدد حركاتها فإن أجسام المعادن والخشب وغيرها ثقلت وخفت بمقادير معينة عينها الماء وأونحها أيما إضاح كما تعينت الأبعاد والأحجام في السيارات ونسبنا أحجامها ونسبها إلى حجم الأرض ونسبها ، والنسب الكوكبية في السيارات لانتغير والنسب الوزنية في الأجسام الأرضية ووزنها النوعي لا يتغير ، وهذا قوله تعالى - قالنا أتينا طائعين - فهذه هي الطاعة ، طاعة الكواكب وطاعة الأجرام الأرضية ، بل الطاعتان ترجعان لأمر واحد هو الجاذبية فالحديد ثقيل وخشب البالوط المتقدم خفيف ، ففاض الحديد في الماء وطفأ الخشب على الماء ، ذلك لأن الحديد أكثف من الخشب ، فلذلك انجذب إلى الأرض على مقدار كثافته ، فكان أسرع نزولا إليها ، فقلنا هذا ثقيل ، فلكل من الخفيف والثقيل حركات تخصه نسبيها ثقلا وخفة كما اختلفت حركات الكواكب بالنسبة لاختلاف أوصافها وأحوالها وأبعادها ، ولقد بنوا على قاعدة (أرشميدس) تطبيقات أخرى وهالك بيانها :

(١) منها أن انغماس السفن في مياه البحار الملحة أقل من انغماسها في مياه الأنهار العذبة
(٢) ومنها أن السمك يتمكن من الغوص في الماء إذا ضغط حوصلة وبعدها فانسعت ، فبالضغط والتدد لحوصلة العوم فيه يضمر جسمه فيغوص في الماء أو يكبر فيرتفع ، وهذه الحوصلة يراها الانسان وهو يأكل السمك

(٣) ومنها أن السفينة إذا مست قرار البحر أو غاصت في رماله ، فلنجاتها وانقاذها تربط في سفينة أخرى عائمة ثقيلة الحمل ، ثم يلقى محمولها وترتفع وترتفع معها السفينة الفائقة الغارقة

(٤) ومنها أن جثث الغرق تطفو على سطح الماء بعد أيام لأنها تحلت مادتها فتسكونت فيها غازات تصيرها أقل كثافة من الماء فتطفو عليه

هنالك حضر صاحبى العلم الذى اعتاد أن يسألنى فى مسائل هذا التفسير . فقال : ههنا سمعت كلمات

ر بما تكون غامضة على كثير من قراء هذا التفسير ، وأنا رأيت انك تريد أن تجعله سهلاً لجميع القراء ، ذكرت السفينة التي تزن (٥٠٠٠) طونولاته ، وذكرت الجرام ، وذكرت السنتيمتر المكعب ، فكل هذه اللفاظ تحتاج الى إيضاح . فقلت : اعلم أن الله عز وجل كما جعل الماء في الأرض حياة لأجسامنا ونساء لارضنا وأنعامنا جعله ميزانا لأعمالنا ، والموازين على قسمين : موازين طبيعية ، وموازين صناعية . فالموازين الصناعية هي التي سألتني عنها . فأما الموازين الطبيعية فهي الوزن النوعي ، ومعنى هذا اننا نعرف تراكم المادة في الرصاص أكثر من تراكمها في النحاس ، ونعرف تراكمها في النحاس أكثر منه في الحديد ، وفي الحديد أكثر منه في الخشب بموازنته بالماء ، فالماء هو الذي يحكم بينها ، ولقد وجد العلماء ما يأتي :

الاردواز : وزنه النوعي ٢٧ والبلاطين : وزنه النوعي ٢١٥ والحديد ٧٨٦ والخارصين ٧١ والذهب ١٩٣٢ والرخام ٢٨ والرصاص ١١٣٧ والعاج ١٩ والفضة ١٠٥ والفلين ٢٦ والفولاذ ٧٩ والقصدير ٧٢٩ والكهرمان ١١ واللخ ٥٨ والماس ٣٥٢ والنحاس المطروق ٨٩ والنيكل ٨٩

هذه أشهر الموازين النوعية ، فإذا أثبت بالعاج وعرفت منه حجماً خاصاً فانك تجد وزنه يساوي الحجم الذي يساويه من الماء مرة ٩ ، من عشرة من ذلك الوزن ، وإذا فعلت مثل ذلك في الذهب رأيت كتلة الذهب أثقل من نظيرتها من الماء أي المساوية لها في الحجم ١٩ مرة ونحو ذلك المرة وهكذا

فهذا هو الماء الذي جعل معياراً للوزن النوعي لهذه المخالقات ، الماء معيار للوزن النوعي ، وإذا كان كذلك ؟ ذلك لسرّ الربوبية ، سرّ خفي ، سرّ يحججه الناس ، الناس يركبون السفن ويهيم تسير من قطر الى قطر ، ولا يعرفون منها إلا أنهم بها يصابون لأغراضهم ، وفاتهم أن حياتهم قصيرة ، وأنهم خلقوا في الأرض للدراسة ، وأن هذه العقول لم توضع في أدمغتهم إلا للدراسة ، يركبون السفن ويففون عن السرّ الذي حفظها ، ويففون عن قول مجرى السفن في البحر - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظالين رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور -

إذن الآيات على قسمين : آيات في نفس السفن ، وآيات في هبوب الرياح . أما آيات الرياح فقد تقدمت قبل هذا المقام مستوفاة . أما آيات نفس السفن فهي التي نحن بصدد الكلام عليها

العقول النائمة لاتعقل أن في السفن آيات ، ولكن العقول المفكرة تدرس السفن وتعقل الوزن النوعي لها ، وتدرس قوانين صعودها فوق سطح الماء ، وتعرف أن هذا الماء أصره عظيم . إن أمر الماء وبقائه متناسب الأجزاء محفوظ القوام هو الذي به بقيت السفن وحفظت وجوت ، ولو أن أجزاء الماء اختل نظامها لفرقت السفن ، كما ان الكواكب التي تقدم وصفها لابقاء لها في مداراتها إلا بمسك أمسكها فبقيت في مداراتها ، إذن هنا مسك يمك الكواكب في مداراتها ويمسك ذرات الماء فتبقى متلاصقة متماسكة ويمسك ذرات الحديد والنحاس والذهب فتبقى متماسكة ثابتة ، ولولا هذا المسك لم يستقر قرار لهذه الموجودات

سبحانك اللهم وبحمدك . أنرت السبل بالعلم . وحفظت هذه الدنيا . وأنت نظامها . هذا العالم الذي نعيش فيه كله مركب من مادة في غاية الصغر وأجزاؤها الدقيقة وهي الجواهر الفردة بينها مسافات في غاية الصغر ويسمونها المسافات (الجزئية) ولم ير أحد الجواهر الفرد المذكور ولم يقد دليل على وجوده ولكنهم اقتنعوا به في تحليل الظواهر ، ولقد أظهر المنظار المعظم أن آلاف الآلاف من المخالقات الحية تعيش في قطرة ماء كما ذكرناه كثيراً في هذا التفسير ، وهذا القول يدرس الآن في مدارس الشرق والغرب فلا خلاف فيه ولا منكر له ، وهذه الملايين من الأحياء تنمو وتكثر هناك ، ولا يخالو منها مستنقع ، وهي تنفذ بدقائق أصغر منها لانكاد تدرك لصغرها ، ومع ذلك يعتبر الجواهر الفرد أصغر من هذا كله

إن السلامة الانجليزي (وليم تيسن) توصل بطريق الحساب الى ما يأتي : « اذا تصورنا قطرة ماء تمددت حتى بلغ حجمها حجم الأرض ما بلغ حجم الجزء فيها حجم وملة »
 فاذا كانت هذه حال المادة من الصغر والكثرة ومساقتها الصغيرة بين تلك المواد الدقيقة فليس ينفصلها متلاصقة مجتمعة إلا أمر آخر هو الذي يسمى « قوة التماسك »

يقول علماء الطبيعة : « إن كل جزء من نوع واحد يجذب كل منهما الآخر بقوة تنفيرا بما لطبيعة مادتهما وتقوى تبعاً لصغر المسافة بينهما ، وخاصة التجاذب هذه المسماة « قوة التماسك » وانحمة جسدا في الأجسام الصلبة ، وأقل وضوحاً في السوائل ، ومعدومة في الغازات . فقوة التماسك المذكورة هي القوة التي بها حفظت دقائق الماء متلاصقة بحال واحدة ، وكرات الكواكب في السماء في مداراتها وهو المظهر منه بقوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده -

فهذا عرفنا بعض آيات الله في السفن الجارية في البحر كالأعلام ، فهي جرت في البحر لأن ذرات الماء الدقيقة جدا ذات المسافات الصغيرة بقيت متماسكة بحال واحدة في جميع الأزمان فعاش الناس آمنين ، يسافرون عليها ولا يخافون افتراق هذه الأجزاء فتغرق السفن لأن الله لا يخلف وعده « وعده الله لا يخلف الله وعده » فالله لا يخلف وعده في حفظ الكواكب في مداراتها وفي سيرها منظمة ، ولا في انتظام أجزاء المادة وتلاصقها وبقيتها محفوظة كما حفظت الكرات السماوية ، فيقي الناس آمنين على انتظام أزمانهم وساعاتهم ، وآمنين من العرق فلا تنفرك أجزاء الماء المتصقة ، إذن هنا قوة حافظة لهذه العوالم كلها ، وكذلك الله لا يخلف وعده في حفظ أجزاء الحديد والنحاس والذهب والفضة والخشب ، فهو يبقها بالقوة التي تمسكها فتبقى بوزنها النوعي ، فيعيش الناس بها بسلام مطمئنين على ذلك الوزن النوعي وهم سالمون آمنون ، كل ذلك سرّ قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - الخ . وبهذا تم الكلام على الموازين الطبيعية

أما الموازين الصناعية التي سألتني عنها ، فاعلم أيديك الله أن الماء كما كان بثباته سببا لمعرفة الوزن النوعي للأجسام دار أيضا سببا لمعرفة الموازين الصناعية التي اصطلح عليها الناس أجيالا وأجيالا ، وذلك أن المتر وهو القياس الفرنسي المشهور ينقسم الى مائة جزء كل جزء منها يسمى سنتيمترا ، وهذه المائة اذا ربت تصير عشرة آلاف ، واذا كعبت تصير ألف ألف من ضرب مائة في مائة في مائة ، فهذا هو المليون

فاذا كان لدينا إناء طوله متر وعرضه متر وعمقه متر وملائناه ماء مقطرا درجة أربعة فوق الصفر فان هذا الإناء يكون قد حوى ألف ألف سنتيمتر مكعب ، وكل واحد منها طوله سنتيمتر وعرضه كذلك وعمقه كذلك ، وكل واحد منها سموه جراما . إذن هو يحتوي على ألف ألف جرام أو ألف كيلوجرام ، ولا جرم أن هذه تبلغ فرق (٢٢) قنطارا ، ومعلوم أن الكيلوجرام (٣٢٠) درهما وبضرب الألف فيها تبلغ (٣٢٠) ألف درهم ، والقنطار (٤٥) كيلوجراما

إذن القناطير (٢٢) قنطارا ، ويضاف اليها (١٠) كيلوجرامات ، وهذه أيضا (٨٠٠) أوقية ، وكل ٢٦ أوقية قنطار فيكون الباقي بعد (٢٢) قنطارا (٨) أوقات

إذن الطنلانه تبلغ (٢٢) و (١٠) كيلوجرامات أو (٨) أوقات . إذن الماء بثبات دقائقه وتلاصقها حفظ لنا أوزان الأجسام النوعية أي التي نسب ثقل أحجامها الى ثقل حجم الماء المساوي لها في الحجم بحيث يكون مضاعفاته مرتين أو عشرة أو عشرين أو مساويا لبعض أجزائه كالثالث والرابع كما تقدم . وحفظ لنا موازيننا المعتادة من الجرام ومضاعفاته وما يوازنه من الدراهم والأرطال والقناطير . ذلك كله يدعو اليه فهم قوله تعالى - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكب الريح فيظللن رواكده على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور -

ولقد تبين لك من هذا المقام أن هذه المعاني لا يمكن أن يعقلها إلا من يصبر عليها صبرا مستمرا . والا فكيف يقضى للرجل الشهواني الفرج الجاهل أن يصبر على ما ذكرناه هنا من عالم السكواكب المناسب للمقام وعالم الماء وعوالم المعادن ونحوها ، ويستمر في بحثها ويصبر على دراستها ، ولا جرم أنه إذا صبر بهذا الصبر أصبح شاكرا لأن الشكر يرجع الى فهم النعمة ، وفهم النعمة لا يعقل إلا بالصبر على دراستها وتعلمها ، ولما كان الصبر على الدراسة أهم كان الشكر أوفر ، ولذلك يقول الله - لكل صابر شكور - وكلاهما صيغة مبالغة ، فمن بالغ في الصبر كان أكثر شكرا وعلى مقدار الصبر ودراسة النعمة يكون شكرها ، وشكرها أن يحس الإنسان في نفسه بحسب مسدى النعمة ، وينطق لسانه بالثناء في المدارس والجامع والمواظ ، وتنطلق جوارحه بخدمة الأمم التي يعيش الشاكر فيها ، فهو كما يشق مسدى هذه النعم ويحبه لانتقائه صنعه وابداعه يكون مصدر العلم والخيرات لعباده ، بل يكون خليفته في الأرض ، وذلك بأن يكون مقتديا بالأنبياء سائرا على نهجهم في الإصلاح وإسعاد الناس ، وهذا الشكر هو الذي ورد وجوبه في قوله تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - فعلى مقدار العلم يكون هذا الشكر

ولا جرم أننا مأمورون بزيادة الشكر وبزيادة العلم ، وهذا وجوب عيني على كل قادر نص عليه علماء الأصول . فقالوا : « شكر المنعم واجب » وقد علمت معناه

أما إسداء النعم للناس بهذه العلوم فهذه فروض كفايات ، والأمم الإسلامية اليوم قصرت في ذلك كل التقصير ، فأمثال هذه الموازين النوعية الطبيعية ، والموازين الاصطلاحية لابد لها من رجال مختصين بها ويكون عددهم على حسب احتياج الأمم الإسلامية ، فلتدرس هذه العلوم جميعها ، ولتنوزع على جماعات تكفي نظام الأمم الإسلامية وحياتها ، هذا تحقيق المقام والحمد لله رب العالمين ، تم هذا الموضوع مساء يوم الأحد ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩ م

إيضاح بعض أسرار قوله تعالى : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام

الى قوله : إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور

مع قوله تعالى : فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها الآية

ههنا جعل الله السفن الجاربات من آياته ، وهذه الآيات لا تظهر إلا لمن صبر وشكر ، فأما الصبر فعلى العمل والتنظيم ، وأما الشكر فلا يكون إلا بعد فهم النعم . وكيف تفهم بالا بالدراسة . ومن عجب أن آية سورة فاطر مثل هذه الآية في ترتيب نظامها إذ يقول تعالى - وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - فلا ابتغاء من الفضل إنما يكون بالعمل ولا عمل إلا بصبر ، فلا ابتغاء هناك في مقابلة الصبر هنا والشكر مشترك بينهما ، ولقد بينت هناك بعض تعميم السفن من حيث تسهيل النقل مع وصف البحار وأعماقها ، وذلك كله موجب للشكر ، فأنك ترى هناك أن في البحر عجائب مثل السكاشات ذوات الأنياب المحددة والروكال الذي يبلغ طوله (١٢٠) قدما ، ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قامة مع أن النور لا يبعد أكثر من (٢٠٠) قامة ، فهناك في الظلام حيوانات تعيش بلا نور خارجي ، بل أن النور يخرج منها نفسها ، فهو تحت أمر السمكة ، إذن هناك في (٢٥٥٠) قامة في الظلام أحياء ، ومنها ما له نور فسفوري ، وفي البحر المرجان يبني جزائر كثيرة كما بنت الأرض في اليابسة مباني عالية ، إذن الأرض برا والمرجان بحرا فعلا ما عجز عنه الناس ، فإن المرجان أحدث في البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوة الحصان تجر (٣٠٠٠) رطل في البر بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية ، وعلى السكة الحديدية

(٣٠٠٠) رطل للساقفة نفسها والوقت نفسه ، وفي البحر (٢٠٠٠٠) رطل ، إذن الماء أكسبنا شهيا
فوق السبرالمعتاد (٧٠) مرة ، هذه سري آية « وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »
إذن المساهون عليهم أن تكون لهم يد في البحار عظيمة ، هذا ملخص ما كتبتة هناك
وأريد هنا ملجاء في كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » لمؤلفه الأستاذ محمد جدى بك ناظر مدرسة
التجارة العليا ، فقد جاء فيه ما يأتى :

الانسان ومغالبة البحار والمحيطات

في موضوع ترقى الملاحة

ملاحة الأنهار . علاقتها بالسكك الحديدية والفنوت .
ملاحة البحار والمحيطات . مراكز التجارة الموانئ
وأنواعها وأشهر الموانئ التجارية . الموانئ المصرية
تأثير الفنوت الملاحية في تجارة المحيطات . قناة السويس
قناة بناما

الملاحة غريزية في الانسان من القدم اذ كان يدفع بنفسه في الأنهار والبحيرات لصيد الأسماك وكان
ولا يزال يأوى للسكنى على سطح البحيرات في مساكن يقيمها هنالك أمانا من الأخطار التي يمكن أن تتل به
من البر فكان دائما في حاجة شديدة الى أى نوع كان من الزوارق
ولا يخفى مالا أنهار من الأهمية في اجتياز الممالك الغاية أو المستنقعات كذلك لا يخفى أن قواعد المدنية
الأولى كانت راسخة في وديان الأنهار العظمى وإذن كانت هذه الأنهار سبل التجارة بين أرجاء البلاد مثل
مدينة المصريين القدماء على تلك السلخة الأرضية التي يغمرها النيل بخيره ومثلها بابل وآشور في الوديان
السفلى لدجلة والفرات وما نلاحظ في نظام تجارة مثل الممالك سابقة الذكر ان تقوم الممالك بسد حاجاتها
بنفسها خصوصا فيما يتعلق بمواد الغذاء الرئيسية التي هي موضوع التجارة الدولية في العالم في الوقت الحاضر
على منول لم يسبق له مثيل واذا كانت قد قامت حركة تجارية بين تلك الأمم القديمة بواسطة الطرق البرية فانما
كان ذلك في أواخر أدوارها من الرقي وكانت قاصرة على المواد الصغيرة الحجم الغالية الثمن من اللذائذ
لا الضروريات التي لا مندوحة عنها ولم يسمع في عهودها بالتجار في المواد الأولية والصناعية « بكميات طائلة »
لأن طريق البر كانت تستخدم فيها الناس والسواب للنقل فكانت الأبحار على قدر طاقة هؤلاء فضلا عن
أن التجارة كانت عرضة في الزمان القديم الى سطو اللصوص وقطاع الطريق اذا انتقلت الى مسافات بعيدة
براً أو بحراً

ولقد كان التسرع في بعض الممالك من ملاحة الأنهار الى ملاحة البحار طبيعيا وفي أمم أخرى كانت ملاحة
البحار هي الخطوة الأولى لها كما بين سكان الجزر في المحيط الهادى أو الاسكيمو في القطب فترقى الملاحة
إذن ليس أصرا قديما فحسب بل هو أمر عام في أنحاء الأرض ولا يقع طبعاً في الأصقاع الجافة الخالية من الأنهار
كما يفهم من حال العرب في بدء مدنيته حتى لقد كان يكره سيدنا عمر البحر ويهايه مع أنه كان يرى فضل
النقل بالماء اذ أصرا بحفر خليج أمير المؤمنين بمصر - ولا في الأصقاع المحوطة بالبحار الشطرة الطلقة الساحة كما
في الجنوب الغربي من افريقية

وترقى صنع الفلك يمكن تفصيله في التاريخ ابتداء من الخشبة الطافية بالبوص المزوم مما يقضى له أن يحمل
رجلا وحمله ثم السكتل الخشبية المفرغة فالهيكل السبتي المحوط بالجلد فالقارب المصنوع من الأخشاب المسمرة ثم
الى تهبطه « بالدفة » وهكذا

والبوص هو أشهر ماصع من ذلك قديما في الممالك الخالية من الأشجار في مثل أراضي النيل وبحيرات
البحر وأول مظهر من القوارب على شكل الاسيات المنقوفة في الجلود كان في نهر الفرات ثم امتد التقليد
والترقى في ذلك تدريجيا

وفي الأدوار الأولى الرق التجارى تقتصر المسلكة على استخدام أنهارها الملاحية وتكون هذه في غاية
الأهمية لأهلها ولسكنهم في أدوارهم الأخيرة يعتمدون الى استعمال السكك الحديدية مع الأنهار التي ربما قد قبل
استعمالها بترقى هذه السكك ولتضرب هذه الأدوار أمثلة

ففي حوض «الأمزون» تجري جميع المواصلات تقريبا بواسطة الأنهار والنهر الرئيسى قابل للملاحة
بواسطة البواخر الضخمة المحيطة الى مسافة ٣٠٠ ميل لفاية بلدة «ايكويتوس» ثم ما فوق هذه مسافة
٥٠٠ ميل قابل للملاحة بواسطة مراكب أقل حجما مما تسحب الواحدة أربع عشرة قدما عم يصادف
النهر شلالات كثيرة مثل «بنجودى مانزىكي» وغيره وهي من خصائص نهيرات أيضا لاسما في كثير من
جهاتها العالية وفي أواسطها وأحيانا في أسفلها فتجرى الملاحة بواسطة الأنهار في كل جهات البرازيل إلا اذا
اعتترضتها الشلالات فيلجئون الى نقل البضائع برا وليس بالبرازيل سكك حديدية إلا ما ندر منها على الشواطئ
ولقد شرعوا حديثا في مد خط على نهر ماديرا من سان انطون على مقربة من شلالات متوالية (١)

وحوض «الكنفو» من أحسن ما يمثل ارتباط التجارة النهرية بالسكك الحديدية اذا تعذر تسيارها بسبب
الشلالات تدخل مراكب المحيط من المصب الى «مانادى» ومن بعدها شلالات هي من خصائص
جميع الأنهار العظيمة لأفريقية حتى في مجاريها الواطئة وهي التي كانت سببا مهما في تباطؤ كشف أفريقية
ورق تجارتها لأنه يتعذر سلوك الأنهار الى الداخل لذلك توجد سكة حديدية طولها ٢٦٠ ميلا من مانادى الى
«ليو بولفيل» على بركة «ستانلى» فيتنحسبون بواسطتها شلالا عظيما اسمه «يلالا» وبعد ذلك يوجد نحو
١٠٠٠ ميل من النهر صالحة للملاحة لغاية شلالات «ستانلى» فتوجد سكة حديدية أخرى تبلغ ٣٠٠ ميل
لتعاشي هذه الشلالات أيضا وهي من «ستانلى فيل» الى «بونثيرفيل» ثم يعقب هذه ٣٠٠ ميل من النهر
قابلة للملاحة وبعدها سكة حديدية ثالثة من «نيانجوى» يصلون بها الى جزء آخر من النهر قابل للملاحة
في «لوالا العليا» (٢)

وكذلك هو الحال في «وادي النيل» إذ ترى مثل هذه الخصائص من عدم وصول السكة الحديدية فيه
الى حد السككال فهي تمتد في حوضه الواطئ من البحر الأبيض المتوسط الى الشلال الأول على مدى ٧٠٠
ميل تقريبا ثم تقطع الضيق الوادى وتبتدى ثانية من وادى حلفا في حوضه الأعلى الى السودان المصرى
الانجليزى فيبقى النهر الوصلة بين الشلال ووادى حلفا وهكذا يجب تتبعها لدراسة سيرها مع النهر
وفي «كلومبيا» بجنوب أمريكا أمثلة كثيرة للسكك الحديدية التي وظيفتها مجرد اتصال بعض المدن
الشهيرة على الأنهار بالمدن الواقعة خارجة عنها ويحسن لذلك دراسة حوض «المفدلىنا»

وتزداد فوائد الأنهار بشق الترع والقنوات في أحواضها والقنوات اما أن تشق وتكون حافظة مستوى
واحد على طول مداها فيقع في نظام حفرها مستوى سطح الأرض واما أن يكون من نظامها تغيير ارتفاع
سطح الماء فتجهز «بالأهوسة» وقد تبنى الأهوسة كذلك على الأنهار نفسها اذا كان تيارها سريعا لاتيسر
معه الملاحة أو اذا اعتترضته الشلالات في مثل قناة «سوات سان مارى»

وبما أن مجارى الأنهار والترع تكون عادة متعرجة فقد يصيب جوانبها تلف اذا سارت فيها المراكب
بسرعة ودفعت بالمياه يمينا وشمالا فضلا عن أن الأهوسة تكون معطلة قليلا لتوالى سير المراكب لما تقتضيه

من الانتظار في رفع الماء وخفضه لذلك ولأسباب أخرى كانت الملاحة بالأنهار والقنوات بطيئة غير مسهلة ولكنها مع ذلك ذات شأن في نقل الأحمال الثقيل كالنحم وغيره من المواد الضخمة نظرا لرخس الحمل على الماء فيكون ذلك أرجح أحيانا من سرعة القطارات الحديدية ولما تجدد «السين» في سني الحرب دأبوا على قطع الجليد منه ونسفه بالديناميت ليتسنى استخدامه مع أنه في سني السلم كان ملهى انزلاق ونظام القنوات الملاحية في وسط أوروبا وغربها عجيب جدا ومفيد من الوجهة التجارية الفائدة العظمى إذ يشترك جميع الأنهار العظمى بعضها ببعض - الرين والرون والألب والأودر والفيسولا والظونة والسين والوار بقنوات في غابة العظمة والمنفعة وبين ألمانيا وبلجيكا وهولانده وفرنسا قنوات ملاحية من الدرجة الأولى في الحركة التجارية وعليها تمر المحمولات العديدة الضخمة

ولبعض الأنهار والقنوات في شمال أمريكا أهمية عظمى في التجارة فالمسيبي ونهراته عماد حركة تجارية في طول البلاد وعرضها وقناة هادسن وإيرى التي تصل نيويورك بالبحيرات العظمى - والبحيرات العظمى نفسها ، العليا وميشيغان وهورون وإيرى وأنتاريو قطب رعي الحركة التجارية في كندا والولايات المتحدة وعامل من عوامل رقي التجارة الداخلية لتلك الجهة ولقد أقيمت الأهوسة تنحاشيا لشلال سولت سان ماري وتسمى «سو» بين البحيرة العليا وهورون ومن وقت ما أخذت هذه القناة الطبيعية في الحركة التجارية إلى الآن بلغت محمولاتها من البضائع آلاف الآلاف بالنسبة لعهد بدتها ولم يمض عليها إلا نصف قرن كذلك يوجد بين ميشيغان والمسيبي قناة تجارية عظمى وتوجد أخرى بين بحيرة إيرى وأنتاريو تنحاشيا لشلال نياغرا ونهر سان لورانس قابل للملاحة من بعد بحيرة أنتاريو إلى المصب هذا . ويوجد في كندا قناة ملاحية أخرى من خليج جورجيا في بحيرة هورون إلى بحيرة أنتاريو وستشقى أخرى بين خليج جورجيا المذكور ونهر أتاوة لتقصير المسافة وعدم ضرورة مرور تجارة هاتين الجهتين في البحيرات كما يتضح من الخريطة

هنالك يحمل قح كندا في المراكب التجارية من فورت وليام وبورت أرثر على البحيرة العليا ويحمل قح الولايات من موانيه دياوث وشيكاغو إلى بافالو ثم يوزع منها ويحمل الغنل من الحديد من بعض الموانئ على البحيرة العليا وميشيغان إلى جهة بحيرة إيرى ، والحركة التجارية في القمم عظيمة جدا وأكبر محمولات المراكب التجارية لهذه البحيرات تبلغ ١٣٠٠٠ طن أو أكثر - من النحم والحديد وباضخم حجمه ومراكب ظهر الخوت للقمح حولة الواحدة ١٠٠٠٠ طن

وأنهار الملاحة العظمى هي التي يتوافر من شروطها أن تصب في المحيطات التجارية العظمى لأن الممالك النافذة على زمام التجارة واقعة على المحيطات الأطلسي خصوصا وله ثلث الحركة الخاصة بأنهار العالم التجارية وللهادى سبعا وللهندى ثمنها والباقي للمحيط المنجم وداخل القارات

مراكب التجارة

كانت التجارة البحرية تترقى تدريجيا متباطئا فلم تظهر مراكب التجارة في أشكالها وأعجامها الضخمة إلا من عهد ليس بعيد فقد كانت أقصى حولة المراكب الرومانية في البحر الأبيض ٥٠٠ طن أو أكثر من ذلك بقليل وفي عهد الأكتشافات وعبر المحيطات بلغت حولة بعض المراكب المستخدمة ١٠٠٠ طن وعبر كورلبي الاطلنطي في مراكب حولتها ٢٣٩ طن لاغير ولما اكتشف البخار أحدث تغييرات عظيمة جدا في حولات المراكب فظهرت أول مراكب بخارية المحيط الاطلنطي سنة ألف ١٨١٩ ثم اشتهر بعد ذلك صنع المراكب من الحديد وفي سنة ١٨٧٥ صنعت من الصلب وتفاوتت هذه الصناعة على الأولى وازداد عدد المراكب البخارية من هذا الحين حتى تساوت في انجوترا حولة السراعية والبخارية بين سنة ١٨٦٥ - ١٨٧٠ وأخذ عدد المراكب

البخارية من ذلك الحين يملأ عدد الشراعية ففي خلال سنة ١٨٧٠ - ١٨٧٤ زيد سنويا على الأسطول التجاري الانجليزي ٢٤٠ مركبا شراعية متوسط حولة الواحدة ٢٥٠ طن ولكن في خلال سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٩ لم يزد سنويا عليه إلا ١٥٠ مركبا فقط بينما ازداد عدد المراكب البخارية سنويا من ٥٠٠ - ٢٠٠٠ مركب ولا يوجد الآن من المراكب الشراعية الا ربع أسطول العالم

ولقد أدخل حديثا في المراكب الشراعية الكبرى آلات بخارية بفرض اخراجها من الميناء أو تسيرها في مناطق السكون وزاد عدد المراكب التي من هذا النوع على أنه لا تزال الحاجة الى المراكب الشراعية ماسة في التجارة في بعض النواحي فهي تحمل الآن غلال كاليفورنيا وبنرات أمريكا الجنوبية ويتجر بها على ساحل الباسيفيك لأن هذا الساحل لا توجد على مقربة منه مناجم فحم يمكن للمراكب البخارية أن ترسو عليها ولا يزال جزء عظيم من التجارة بين مصر وسوريا والأناضول والبلقان تحمله المراكب الشراعية وغير هذه الجهات كثير

وكان للامبراطورية البريطانية قبل الحرب بيم من مراكب العالم البخارية وقسط كبير من هذه النسبة تابع لبريطانيا نفسها لأن بريطانيا جزيرة في الاطلنطي كثيرة الموانئ البحرية وهي في حد ذاتها ملكة شهيرة بالصناعة شهرة فائقة وواقعة بين أسواق أوروبا وأمريكا فهي من كل هذه الوجوه أسعد جهات العالم بصلاحيته موقعها للتجارة البحرية وبريطانيا وارلندا كانتا تبنيان ثلثي مراكب العالم وكان للولايات المتحدة أكثر من ١/٤ من أسطول العالم التجاري وكان لألمانيا بيم منه وكلتا المملكتين تفرق في الصناعة تقياسا بعمليتهما أن تملك أساطيل تجارية جارية ومن بعدهما تأتي النرويج وكان لها تقريبا بيم وهي نسبة عظيمة بمراعاة عدد السكان فهي ليس لها صناعات عظيمة مثل الممالك الأولى وهي جبلية قفرة ليست غنية بالمزارع الكثيرة ولا بالمعادن الوفيرة ولكن لها شاطئ كثير التفرجات تحميه على مداه جزر عدة خالية من الجليد في فصل الشتاء بالرغم من وقوعها على خطوط عرض مرتفعة وهي غنية بالأسماك والنرويجيون مشهورون بالملاحة من بدء تاريخهم يساعدهم على ذلك فيوردانهم والطرق بين الجزر المنشورة على شاطئهم وعندهم كثير من الموانئ الطبيعية وهم دائما على أهبة أن يزجوا بأنفسهم في البحر فلا غرابة اذا كانت مرتبتهم الرابعة في ملاحة العالم ويأتي بعد النرويج في حمل تجارة العالم فرنسا وإيطاليا واليابان والأراضي المنخفضة

وفي نحو سنة ١٨٩٠ كانت المراكب التي حولها أكثر من ٨٠٠٠ طن قليلة ولكن سنة ١٩١٠ كان ملك الشركات المختلفة أكثر من ٨٠ مركبا تحمّل الواحدة منها أكثر من ١٢٠٠٠ طن والمركب الكبيرة ذات الجل العظيم قد تكاف في الصنع أقل من تكاليف مركبين مجوهرهما مثلها ولكن يراعى في الأولى من حيث حجوها الضخمة عمق الموانئ المستخدمة واتساع الأهوسة

خطاب المؤلف ربه شاكر اله لعمه

قبيل صلاة الفجر يوم الخميس (١٠) رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية ، وه فبراير سنة ١٩٣١ م رباه في العيون جمالك ، وفي القلوب حبك ، وفي السماء عظمتك ، أرىتنا جمالا في النجوم والشموس والأقمار ، وأرىتنا جمالا في الوجوه الحسان في أرضنا ، وظهرت عظمتك في الشمس الكبيرة ، فشمسنا أكبر من أرضنا نحو مليون وثلاث مائتين مرة ، ونجمة من نجوم الجوزاء بلغت في العظم مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة ، رباه أنت جليل ، وأنت عظيم ، رباه حونا بين جمالك وعظمتك ، نهايك لعظمتك ، ونحبك لجلالك ، أنت جليل ، وأنت عظيم ، وصفان عجيبان : وصف الجبال ووصف العظمة ، بالجبال أسرت قلوب الحكماء فتاهت في حبك ، وأشرق نفوسهم اشراقا يضاهي اشراق الشموس

أرسلت ضوء شمسك على الأرض فأعان النبات في تغذيته ، والحيوان في هدايته لسبله ، وأرسلت الحرارة من لدنك فأثارت الرياح فجرت السفن

يارب ذاك ، لأننا مخلوقون من المادة ، والمادة ماهي إلا حركات في الأثير ظهرت لنا بهذه الأشكال نقلنا مادة وماهي إلا كلماتك ، والكلمات غير المتكلم ، وأخلاق المتكلم والمؤلف تظهر في كلامهما ، والعالم كلماتك ، وهو تأليفك وتصنيفك ، ونحن منعنا من النظر لجمال ذاك ، ولصنعة لرحمتك لم تمنعنا من مشاهدة تأليفك وتصنيفك وصنعتك ، ومن هذه الصنعة التي فيها كملت أسرار آثار جمالك وبها لك ، أوار الشمس المشرقات على الأرض ، وقد صممتها الحرارة المنبعثة على الأرض المثيرة للرياح الحاملات للسفن

كلما كان الجبال أودم كانت نتائجه أغزر وأتم ، وكلما كان أفقر ومدى وأسرع زوالا كانت نتائجه أقل عددا ، هذه المشرقات في السماء دام جبالها فكانت نتائجه هذه المواليد من نبات وحيوان وسفن ماخزات في البحار ، وهذه الأوانس الحسان من نوع الانسان قصر أمد الجبال فيهن إذ يصبحن عجائز اذا بقين في هذه الحياة ، لذلك كانت نتائجهن محدودة ضئيلة نبات وبنون

إن نسبة دوام جبال النجوم والشموس المشرقات الى سرعة انقضاء جبال الغواني الحسان كنسبة ما أتمتت الشمس على الأرض من نبات وحيوان وانسان الى من تلبسه المرأة من النبات والبنين ، الضوء والحرارة أرسلتهما الشمس الى الأرض و بينهما ارتباط واتصال ، وبالحرارة جرت السفن في البحار ، فسير السفن بعض آثار الشمس الدائمة الجلال بالنسبة لجمال الفتيات ، فإذا كانت هذه الحرارة والضوء المنبعثان من ذات الجبال البسديع التي استمدت جبالها من جبالك وهي الشمس قد كان من آثارها كل حيوان وكل نبات ، فهكذا نجد من آثار الحرارة الرياح الجارية في المحيطات التي تسهل العمل بحسب العادة (٧٠) ص

فهذه نعم دائمة مادام الانسان على وجه الأرض ، انه مادام الانسان في الدنيا اليوم وغدا أمس يرى نعمها مترادفة في سير السفن في البحار والأنهار ويكسب راحة فوق ما اعتاده سبعين ضعفا كما تقدم بهذا يعرف الانسان نعمة ربه وبالنك يشكره عليها ، وأول الشكر بعد المعرفة هو الحب ، تجري السفن في البحار فتحملنا لطلب المعاش أو العلم أو الحرب ونحن غافلون عن منبع الرحمة والجمال ، نحن في الأرض نجد ونسعى برا وبحرا ، جارين من آسيا الى افريقيا الى أوروبا الى الشرق الى الغرب تحت رعايتك أنت ، نحن في جوف هذه السكرات الهوائية والأرضية والمائية المغموسات في الأثير أشبه بالجنين في بطن أمه ، وأنت تكاؤنا في أحشاء هذه السكرات والفلك بناساثرات بحرا والقطرات جاريات برا والفواصل مختبرات بنا لجبال والطيارات طائرات بنا في جو السماء ما يمكن أن لا نعلم إلا لطفك وحنانك ورحمتك ، غرست فينا عقولا وغرائز ، وأطلقتنا في هذه الأرض وأبتتها لنا ، وقلت لنا : إياكم أن تخرجوا من أقطارها ، إياكم أن ترتفعوا الى كوكب آخر ، السكواكب عليكم محرمة ، أنتم هنا محبوسون كما يحبس الجنين في بطن أمه ، هو حر له أن يروح ويفدو في بطن أمه كما يشاء ، ولكنني حظرت عليه أن يفاديه إلا اذا بلغ الكتاب أجله ، فهكذا أنتم من شيب وشبان لا تفارقون هذه الأرض إلا في أجل معلوم ، ثم قلت لنا : « أنا لم أعط لأحد في هذا العالم حرية غيركم ، فلكل حيوان غريزته ، ولكل كوكب مداره ، ولكل نبات نظامه : أما أنتم فاني متمتعكم بنعمة الحرية التي صممت عقولكم ، فهما أنتم أولاء يا عبادي :

(١) أولا اتخدم البوص سفنا

(٢) فالسكتل الخشبية

(٣) فاطيكل المخطوط بالجلد

(٤) فالقارب من الخشب

(٥) عم ألهتمكم صنع القطار في البر ، فأعم لكم أعمالكم التي لم تقوم بها سفن البحار لاسيما إذا صدها الشلال في وسط الأنهار

وهكذا أخذتم تزيدون سفنكم اتساعا فبعد أن كانت تحمل (٥٠٠) طن في زمن الرومان ازدادت فصارت تحمل (١٥) ألف طن فضوعف المحمول (٣٠) مرة وتزيد ، وذلك بما ألهتمكم أن تصنعوا السفن من الحديد والصلب وتقووها بالآلات بخارية ، ومن فضلى عليكم أن سفنكم البخارية على قسمين : قسم منها يجرى في خطوط معلومة يحمل ركابا وبضائع ، وقسم منها جوال في البحار والمحيطات لنوائد غزيرة لا يترنم خطا خاصا ، وقد أعددت أماكن من شواطئ أنهاركم وبحاركم لتسكون « موانئ » ولا تصنع السفن إلا مقتضى هذه الموانئ :

(١) فأمثال موانئ (لندن) و (ليربول) و (همبرغ) و (أنفرس) و (روتردام) و (فيلادلفيا) موانئ جاءت عند مصب الأنهار ، فهي بوقوعها على البحر تصدر منها البضاعة الى الممالك الأجنبية وبوقوعها على النهر تصرف البضائع في الداخل والعكس

(٢) وأمثال موانئ نيويورك وسان فرانسيسكو موانئ طبيعية ، وهكذا موانئ بلاد التروج ، فهذه كلها اتسع داخلها وضاق مدخلها والموانئ الطبيعية جعلتها لكم نموذجا لتتخذوا لكم نظيرها بضاعتكم ، فكما انكم رأيتم خشبا وورقا يعوم فوق الماء فعرفتم بعقولكم أن هذا الماء يحمل السفن فصنعتموها ، هكذا هذه الموانئ الطبيعية التي صنعتها لكم فتحت لكم بابا للموانئ الصناعية فصنعتم بأنفسكم ميناء الاسكندرية وميناء دوفر ، أن الثلج يعوق سفنكم أن تدخل ميناء ريفغا على البلطيق المسماة (أوست دفسك) في فصل الشتاء ، وهكذا في الموانئ الواقعة على سان لورانس في كندا (كوبيك دمنريال) فهاتان تفلقان من نصف ديسمبر الى ابريل ، فهذه كلها وان صدمكم عنها الثلج شهورا فانها موانئ مشهورة ونظامها كنظام الليل والنهار ، فكما انكم بالليل نيام والنهار تعملون ، هكذا جعلت هذه الموانئ ذات نوبتين : نوبة للسكون ، ونوبة للعمل ، لأفتح لكم باب النظر والفكر ، ولقد ألهتمكم أن وصلتم البحر الأبيض بالأحمر بحفر قناة السويس فزادت حركة التجارة بين الشرق والغرب ، وفتحتكم الطريق البحري الغربي الى الهند بحفر قناة (بناما) ذات القطار الست المزدوجة التي تقطعها السفن في نحو عشر ساعات وتمر فيها (٤٠) مركبا في (٢٤) ساعة وبهذه القناة سهلت تجارة بريطانيا وألمانيا وفرنسا الخ مع بعض الولايات المتحدة وكندا ومع المكسيك وجواتيالا وزيلانده وشيلي وبيرو وهكذا ، هذه يا عبادي أعمالى ورحتى لكم الواسعة ، ولكن ليس معنى هذا أن تعيشوا كهيش السمك في البحر ، أو الطير في الهواء ، أو الهوام في التراب ، أو الأندام فوق الأرض ، هذه كلها لاجرية عندها كحريتمكم بدليل انها لزمتم الخطط التي رسمتها أنا لها ، أما أنتم فاني منحتكم الحرية وجعلت الأرض والأنهار والبحار مدارسكم فتعيشون الى أمد عم تموتون ، وقد ظهرت حريتمكم في أعمالكم البرية والبحرية المذكورة وبهرت ، فكما ظهرت آثار حريتمكم في الأعمال الحيوية في الحياة الدنيا فلتظهر ولتهبر فيما هو أبعد مدى وأشرف منزلة من شرف نفوسكم واسعادها وترقيتها ، انى خلقت في أرضكم فلاسفة وأوحيت الى أنبياء وقلت لهما : أفهموا عبادى أن مايفنى لاقيمة له (كما تقدم في مقال سقراط قريبا في آية - الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ) لا يفرتمكم ماتصنعون وماتملكون ، ألم تقرأوا الآية التي بعد هذه الآية وهى - فما أوتيتم من شئ فتاع الحياة الدنيا وزينتها - ، فهذه السفن البخاريات والمصانع والمتاجر والممالك لابقاء لها ، كلها زينة لكم وجمال ولكنها فانية كما يفنى جمال فتيانكم وفتيانكم ، إذن فليكن حرصكم على الجمال الدائم ، والجمال الدائم ملازم للحياة الدائمة التي منها استمدت الشمس طول

بقائهم وأضاءت أرضكم بأنوارها ، إن جبال الانسان وكل ما أوتى من زينة الحياة الدنيا لا قيمة له بالنسبة لجبال السموس والأقمار والكواكب ذوات الزينة السائمة نوعاً ما ، وهذه المشرقات لانسبة بينها وبين الجبال المقدس وهو جبالى ، هذه البحار ، وهذه السفن ، وهذه الممالك ، وهذه الأرضون ، وهذه السموس المشرقات كلهن آثار من رحمتي المصنوعة بعلمي وحبي وقدرتي وجبالى ، كل ماهو جميل فهو من آثار جبالى ، سيزول العالم وتروني ، وهنالك تنسون هذا الجبال بما يسبي عقولكم ، فاستمعوا لذلك المقام »

إن الجبال (ثلاثة أقسام) قسم أدنى وهو زينة الأرض من جبال الفتيان والفتيات وكل نبات وحيوان ومعدن ، وقسم أوسط وهو جبال النجوم والشموس ، وجبال أعلى وهو جبال ذاتى ، والأول جبال نارى حاد سريع الزوال ، والثانى جبال نورى بطيء الزوال ، والثالث جبال روحى إلهى لا يعثره الزوال ، ويتبعه العشق فهو نارى ونورى وروحى إلهى ، فالأول ما اختص بالوجود الجيلة وزينة الأرض ، والثانى ما تعلق بجمال العوالم العلوية وتبعه الفلسفة ، والثالث ما تعلق بجمال مبدع الكائنات ، والأدنى الخاص بالجبال النارى صاحبه بعد الموت فى جهنم مؤقناً ومؤمبداً ، والأوسط فى الجنة والأعلى يرى ربه

هذا ما خطر لى فى معنى آية - ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام - مع الآية بعدها - وما أوتيتهم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها - . كتب صباح يوم السبت ٧ فبراير سنة ١٩٣١

اللطيفة الرابعة

مباهج العلم ومناهج الحكمة

فى مآخص سورة الشورى

اللهم انك أريقنا الحب فى مباهج آياتك المصنوعة ، كما أريقنا مناهج الحكمة فى آياتك المقروءة ، هما ترومان . ورضيما لبان ، وفرسا رهان لا يفرقان بدأت سورة الشورى بأنك

(١) أوحيت قرآنا عربيا ، وأنت عزيز حكيم .

(٢) وأنت مالك السموات والأرض . وأنت على عظيم . فأنت عظيم بما خلقت . على بما أنعمت . وغالب وحكيم فيما أنزلت . وهذه العوالم خاضعات لك مدبرات بعوالمك الروحية العالية وهم الملأ الأعلى بأمرك وأنت خلقت هذه العوالم على صراط مستقيم . ونظام محكم بتدبيرك كما قلت فى آخر السورة - صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض - كما جاء فى أول السورة . هذا ما فى أول السورة وما فى آخرها فرجع العجز الى الصدر

(٣) وشرحت فى وسط السورة نتائج السموات ونتائج الأرض

(٤) فأبنت لنا أنك لم تبسط لنا الرزق بسطا تاما لحكمة بالغة . ذلك أنك حكمت أن تكون حياتنا كلها مبنية على العمل والحركة المباركة كما ترى الشمس والقمر وجميع النرات متحركات . فلو أن حركاتنا سكنت وأعمالنا وقفت بما تبسط لنا من الرزق لكان الوبال والخلال . فلذلك جعلت الغيث بعد القنوط . واليسر بعد العسر . والرفعة بعد الخفض كل ذلك تدرى وتعليم وتربية بالحكمة والعزة والعلو والعظمة المذكورات فى أول السورة

(٥) وذكرنا لك ما لدينا من الحيوان الذى بثته فى الأرض . وماحبوتنا من الثرية ذكرانا وإناثا . ومن البحار والرياح . والسفن الطاريات فى البحار العظيمة

هذا مجمل ما جاء فى هذه السورة . أما مجمل ما جاء فيها من آيات الوحي فذلك أنك :

- (١) أنزلت قرآنًا عربيًا
 (٢) وأول من يتعلمه وينذر به أهل مكة ومن حوّلها
 (٣) وهذا الدين ليس بدعاً بل هو كالأديان السابقة . فما نزل دين إلا للاجتماع ، أما الافتراق فإنه آت من
 الأهواء والأغراض والشهوات وحسب التملك والاستعباد والترف
 (٤) وهو ﷺ مأمور أن يدعو إلى هذا الدين . ويستقيم كما أمر . وأن يعدل بين الناس : والعدل
 على مقدار ما يظهر له من الحجج والبيّنات في القضايا . فعليه أن يحكم بالظواهر . والله يتولى السرائر
 (٥) ان الله أنزل الكتاب المقروء لنعمل به . ونحكم بأحكامه . ونصب ميزانا في العوالم العالوية والسفلية .
 وذلك الميزان توزن به هذه العوالم كلها في الدنيا والآخرة ، وبه توزن أيضا أعمال العباد . فالتم نعم الحجج
 الظاهرة والبيّنات أمام القضاء فهناك يكون فصل القضاء فيسه يوم القيامة وذلك قوله تعالى - الله الذي أنزل
 الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب -
 (٦) والله كما اتصف بصفة العدل اتصف بصفة اللطف . فليس لطفه بمطمع الظالم في الخروج عن العدل
 فيجعل كالمصالح - بل الظالمون مشفقون مما كسبوا - والآخرون في روضات الجنات . فاللطف اذن لا ينافي العدل
 هذه خلاصة مما جاء في هذه السورة من آيات السموات والأرض وما بينهما وآيات الوحي . فلا جهل الكلام في بسط
 هذا المقام على قسمين (القسم الأول) في نظام السموات وضوء الشمس وآثاره في النبات والانسان . واتصال
 عوالم السموات بهذا الانسان . بحيث تدرك أيها الذكي أن هذه العوالم كلها كأنها حيوان واحد أو نبات واحد
 كما تقدم مفصلا في مواضع من هذا التفسير (القسم الثاني) في هذا القرآن المنزل بالحكمة . ولماذا أمر
 ﷺ أن ينذر أم القرى ومن حوّلها ولماذا ذكرت أم القرى في هذا المقام . مع أن أهل مكة كانوا أشد
 الناس انسكارا للوحي وللقرآن . وأما الحكمة التي تظهر في هذا الزمان وهناك نذكر تعداد المسلمين الذين حول
 أم القرى من الأمم والأجناس ثم نبين الأجر الذي حصر النبي ﷺ سؤاله فيه . وأي أجر له . وأي أجر
 للمصلحين بعده أهو أجر يجز لهم مغنا دنيا أم أصرا أدبيا دائما تقرّ به نفوسهم ويفرحون به عند ربهم في
 دنياهم وآخرتهم بيان قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين - وقوله أيضا - قل ما أسألكم
 عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا - وموازنة هذه المعاني بقوله تعالى - إلا المودة في القربى -
 في هذه السورة فلا بدأ بالقسم الأول وشرحه فأقول

الكلام على السموات وعجائبها

اللهم إنا نحمدك جدا جزيلا . ونشكرك شكرا كثيرا . على نعمة العلم وبهجة الحكمة . أرى قنا ياربنا
 جلالا تراه عيوننا . وحكمة تبصرها نفوسنا في سمواتك . وذلك له علاقة بأجسامنا وعقولنا وزنت حركات
 الأفلاك . وأنعمت ببيانه في هذا التفسير في مواضع كثيرة ، لك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة ،
 أرسلت الأضواء لأرضنا بالحكمة وقدرتها بالميزان . فها هوذا عطار ديدور حول الشمس في ٨٨ يوما إلا قليلا
 والزهراء تدور في ٢٢٥ يوما إلا قليلا . والأرض في ٣٠٦٥ يوما ٢٥٦ من الألف من اليوم . والمرج في ٦٨٧ يوما
 إلا قليلا . والمشتري في ٤٣٣٢ يوما ونصف يوم تقريبا . وزحل في ١٠٧٥٩ يوما وخمس يوم تقريبا . وأدرا نوس
 في ٣٠٦٨٧ يوما إلا قليلا . ونبتون في ٦٠١٢٧ يوما إلا قليلا
 هذه هي السيارات المعروفة أبعادها ومنها أرضنا . أنت يا الله نظمته وفصلت حركاتها . وجعلت بين الأرض
 والقمر والشمس علاقات أخرى غير الحركات المذكورة وتلك هي حوادث المد والجزر . فان البحر يرتفع
 وينخفض كل يوم مرتين بل كل ٢٤ ساعة عن تسوية متوسطة فحينما يرتفع البحر يزحف على الشواطئ ويدفع

بالثاني مياه الأنهر فترتفع حينئذ في مجاريها وهذا هو المد . ومدة الارتفاع ست ساعات ومتى أخذ البحر نهايته العظمى من الارتفاع يستمر سبع أو ثمان دقائق ثم يتبدى في الانخفاض زائفا عن الشاطئ التي كان عليها شيئا فشيئا وهذا هو الجذر . بعد الجذر يحصل مد جديد وهكذا

والمسافة بين المدين ٢٥° و ١٣° ومدة المد تزيد عن مدة الجذر لأن البحر يستعمل زمنا في الصعود أكثر

من النزول والفرق ليس واحدا بالنسبة لجميع المين فقداره في هافرو بولوني ٢٨° وفي مينة برست ١٧° فقط تغير أوقات المد والجذر التأخير اليومي لحادثة المد والجذر هو ٥ دقيقة وهذا المقدار هو مقدار تأخير مرور القمر بمستوى الزوال كل يوم وحيث أن تأخير ٥ دقيقة كل يوم يحدث تأخيرا قدره ٢٤ ساعة بعد ٢٩ يوما وثلاث أعين بعد شهر قري فيجب حينئذ أن تنقلب أوقات المد والجذر كل نصف شهر قري من صباح الى مساء وبالعكس و بعد شهر قري كامل يعود المد والجذر الى الأوقات الأولى بعينها وحينئذ فهناك ارتباط بين الأوقات التي يحصل فيها المد والجذر وبين أوقات مرور القمر بمستوى الزوال

تفسير الارتفاع كلما كان ارتفاع المياه في المد كبيرا كان انخفاضها كثيرا في الجذر التالي له وبأخذ المتوسط بين جذر ومد متتاليين يتحصل على نتيجة ثابتة تقريبا وهذه النسوية تنسب الارتفاعات في عمليات الميزانيات ويسمى مدا كليا متوسط مدتين أحدهما إلى جذرا والآخر يسبقه والمد السكلي في الوقت الواحد متغير على حسب المين بسبب اختلاف شكل الشواطئ وفي المينة الواحدة يتغير على حسب أوجه أشكال القمر وعلى حسب أبعاد الأرض عن القمر والشمس وعلى حسب ميل هذين السكوكين في وقت الاجتماع والاستقبال يصل المد نهايته العظمى والجذر نهايته الصغرى وأما في وقت التريعين فيأخذ المد نهايته الصغرى وليعلم أن أعظم مد لا يحصل في نفس لحظة الاجتماع أو الاستقبال بل بعدها بقدر ٣٦ ساعة فالد الثالث الذي يلي الاجتماع والاستقبال هو الذي يكون أكبر مد وكذلك الد الثالث الذي يلي الترييع الأول والأخير يكون هو أصغر مد وهذا التأخير ينسب لاحتكاك العناصر السائلة بعضها على بعض وعلى قاع البحر وينشأ عن هذا الاحتكاك بطء في حركتها وفي (برست) يصل المد السكلي للاجتماع والاستقبال في المتوسط ارتفاعا قدره ٢٥ و ٢ مترا والمد السكلي للترييعين فيها هو ١٠ و ٣ مترا فقط

وبعد الأرض عن القمر يحدث تأثيرا على مقدار المد السكلي الذي يزداد باقتراب القمر من الأرض ويتناقص ببعاده عنها وفي مينة (برست) تغير البعد المذكور يحدث تغيرا مقداره ١٧٧ في ارتفاع المد السكلي وكذلك تغير بعد الشمس عن الأرض يؤثر على مقدار المد السكلي غير أن ذلك التأثير قليل بالنسبة لتأثير القمر

وكذا ارتفاع المد والجذر يتغير على حسب ميل الشمس والقمر فحينما يكون القمر قريبا من دائرة المعدل في وقت الاعتدالين يكون المد المقابل للاجتماع والاستقبال هو أكبر مد ، وينتج من جميع ما تقدم أن هناك ارتباطا أصليا بين حادثة المد والجذر وحركات القمر والشمس

وسنبين أن المد والجذر هما نتيجة تأثير جاذبية القمر والشمس على الأرض أعني نتيجة من قاعدة الجذب العام اهـ

فهذا اجال الكلام على علاقة الأرض بالشمس من حيث حركاتها حولها مع السيارات الأخرى ومعها ومع القمر باعتبار المد والجذر . وهذا معناه أن هذا العالم كله أشبه بالجسم الواحد (انظر المجموعة الشمسية مرسومة في سورة الأنعام وفي سورة سبأ وآثار الأضواء في الأرض)

ان الأضواء تصل الى الأرض منتظمة فمساكن الصيف والخريف والشتاء والربيع فاذا رأينا رأينا النباتات

موزعات على أيام السنة ﴿أو بمبارة أخرى﴾ ان هذه النباتات قد ثبتت في زرعها وترتيب أوقاته نظام حركات الأرض حول الشمس سبحانه اللهم وبحمدك أنت الحكيم . أنت الملق . أنت العظيم . أنت العزيز . فبالعزة قهرت الأرض فدارت . وبالحكمة قدرت حركاتها . وأنت لا تلبس المادة التي غرقنا فيها بل نحن فيها محبوسون . ياربنا . وأنت منزّه عنها . فأنت على وأنت عظيم . فلك العلوم على هذا النظام ولك العظمة اللهم إنا نرضينا أن نكون مغمورين في هذه المادة تحت عظمتك وعلوك والأرض تجري بنا حول الشمس بنظام محدود وأوقات لا تتغير ولا تقبل . وانما رضىنا بهذا لأننا نعلم رحمتك الواسعة التي غمرتنا بها ، فنحن لما شاهدناها رضىنا بكل ما تحسبكم به فينا في هذه الدنيا وفي الآخرة . فاذن نتوكل عليك . وليس يصح التوكل ولا يتم الا بأن نسير على نهجك ونكون صالحين مصلحين لعبادك جارين على صراطك الذي نصبته في سمواتك وفي أرضك

ومن هذا الصراط وهذا الميزان أوقات الزراعة . فلكل فصل من فصول السنة بل لكل شهر شمسي أنواع من الزرع تنبت فيه (اقرأ هذا المقام مفصلاً في أول سورة الزمر) وهاك بعضه هنا وبقيته هناك ﴿شهر هاتور﴾ فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج (١) والمنشور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقي من الباذنجان وما يجري مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يتبدى حصاد الأرز . وفي خامسه أول تشرين الثاني من شهور السريان . وفيه يتبدى برد المياه . وفي سادسه أول المطر الوسمي ، وفي سابعه يتبدى أهل الشام الزرع . وفي ثامنه يتبدى هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعه يتبدى زرع الخشخاش (٢) وفي حادي عشره يتبدى اختفاء الهوام . وفي ثالث عشره يتبدى غليان البحر ، وفي رابع عشره تسمى الحيات . وفي سادس عشره يجمع الزعفران ، وفي ثامن عشره تسكن الوحوش . وفي الثاني والعشرين منه يفلق البحر الملح وتمتدح السفن من السفر فيه لشدة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه يتبدى سخونة بطن الأرض : وفي الرابع والعشرين منه أول اسفيدارماه من شهور الفرس

﴿شهر كيهك﴾ فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك النرجس والبنفسج . وتلاحق الحمضات . وفي أوله ابتداء أر بعينيات مصر . وفي ثالثه يتبدى موت الباب . وفي خامسه أول كانون الأول من شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادي عشره يتبدى الشجر في رمي أوراقه . وفي ثاني عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أر بعينيات الشام . وفي ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادي والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول صردوماه من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفي السادس والعشرين منه تلتجح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء في الليل . وفي الثلاثين منه يتبدى تقليم الكروم

يا سيحان الله . هذا هو ميزانك الذي شاهدناه في هذه الدنيا وهذا هو صراطك المستقيم . رأينا في الحياة قبل أن نموت . فأنت لم تدر حركة ولا ذرة إلا وزنتها . فأما الحركة ففي علم الفلك . وأما الذرة ففي علم الكيمياء

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف

(٢) بفتح أوله

(٣) سيأتي قريباً أن يبرز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذي ورد في صروج الذهب

وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر في أسماء الشهور الآتية

لك الحمد اللهم على فهمة العلم . علمتنا يارب أنك ذو نظام جميل ففهمناه . وعلمنا أنك لم تقف في الوزن عند العوالم العظيمة كالسكواكب السيارة . كلا . بل نراك راعيت هذا الميزان في خلق النبات . وأرى بتناجذوره مفصلات تفصيلا بديعا بحيث كانت ملائمة كل الملائمة لما خلقت له بحيث تجتذب الجذور من الأرض بأنابيبها الشعرية ما يوافي الثمرات التي خلق ذلك النبات لها والحبوب والخضر وهكذا . فنراك كما قدرت حركات السيارات ولم يكن فيها خطأ هكذا قدرت ووزنت تلك الأنابيب الشعرية والفتحات التي تهرس مشاهداتها فكانت مناسبات لنتائج النبات من حب وفاكهة وزيت ونشاء وهكذا . وهذه الفتحات لا تجتذب من الأرض إلا الملائم لها . ولو أن نباتا اتسعت فتحاته أوصاقت عما يلائم ما تجتذبه لم يخرج لنا تمر ولا بر ولا خروع بل هناك يختلط الحابل بالنابل ويموت الانسان والحيوان

اللهم أنت اللطيف بنا - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز - فأى لطف أعجب من هذا ؟ عجب يارب دقة الحركات في الشمس ، ودقة فتحات الجذور أصران عجيبان . هذه أعظم رحمة لك . ولكننا لانظن لها ولا نفكر فيها . ذلك لأن شهواتنا الصغيرة حبست عقولنا فلم تنبئه الى النظر في دقة هذا الصنع لأن شهواتنا استحوذت على عقولنا فغمتها من التفاهل في هذا الجمال

هذا ولم يقف الأمر عند دقة الحركات ونظام أوقات الزرع على مقتضاها ولا عند نظام الفتحات بل الأمر فوق ذلك . لقد رأيناك أبدعت في خلق الورقات بأن جعلت لكل ورقة حجرا داخلها فيها ولكل حجرة سقف وحيطان . ووضعت في كل حجرة سائلا وهذا السائل فيه مادة ذات لون . وهذه المادة باتحادها مع ضوء الشمس (الواصل من بعد عظيم يبلغ بسرعة القطار ٣٥٠ سنة . وبسرعة قلة المدفع ١٢ سنة . وبسرعة الضوء ٨ دقائق و١٨ ثانية) تكون سببا في أن النبات يتغذى من الهواء بمادة الكربون (الفحم) وهذه المادة الكربونية تدخل النبات فتكون منه أنواع الخشب والتبن ونحوهما أليس من العجب أننا نراك تحسب حركات الأرض التي لو اختلفت لاختل نظام زرعا

يارب ما أجهلنا أهل الأرض ما أضغف عقولنا يارباه . أنت ريبتنا بانتظام حركات أرضنا وانتظام الزرع على مقتضى تلك الحركات وبالفتحات الموافقات في الجذور وبالبحيرات المقدرات في الأوراق . تلك الحجرات التي قد تبلغ في البوصة المربعة ١٢ حجرة و ٢٤ وفوق ذلك إلى آلاف وآلاف . هذا في البوصة فما بالنا بالورقة الواحدة . وما بالنا بالورق . وما بالنا بالشجرة كلها . وما بالنا بالحقول كلها

بهذه يارب بنا عشنا في الدنيا . هذه هي الحياة المنظمة ونحن جميعا في الأرض غلما نواجهلنا لانفكر فيها . وهذه الأوراق مغذيات للنبات (انظر هذا المقام في سورة يس وانظر شرحه وصور الورق المذكور) إذن لو أن هذه الورقات لم تكن فيها الفتحات منظمة لم يكن نبات ثم لم يكن حيوان ولا انسان لأن هذه الفتحات التي تعد بالآلاف المؤلفة عليها قوام حياة النبات وحياة الانسان . أليس هذا هو قوله تعالى في سورة أخرى (يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنون) أليس هذا الذي تذكره في هذا التفسير هو من التفصيل الذي وعد الله به . وإذا فصلت الآيات في نفس الخلق ولكنها لم تفصل في عقولنا فمن أين يأتي اليقين لنا ؟ هذا هو اليقين . وهذه هي السعادة ، أي السعادة التي أحس أنها الآن ويحس بها جميع المفرمين بهذا التفسير وما فيه من عجائب الصنع المفصلات المورثات اليقين

ثم اننا لم نجد الأمر وقف عند هذا الحد فان بين كل ورقة وأخرى حسابا هندسيا ونظاما متقنا . فنرى الأشجار والأوراق عليها متقابلات مثنى وثلاث ورباع وخماس وهكذا . وهذه الورقات قد رسمت شكلا هندسيا من حيث وضعها (انظر هذه الأشكال في سورة الحجر) ، وتعجب مما تقرأه هناك من ورقتين على الفصن بينهما ١٨٠ درجة من الدائرة على الفصن وثلاث ورقات وخمس ورقات قد رسمن شكلين حلزوينين وهذان

الشكلان يتمان دائرة منتظمة بديهة عجيبة وتكون الدوائر الثامنة متساويات والأوراق الخمس منظمات قد اقتسمن تلك الدائرة اقتساماً صادقا بحيث ترى بين كل ورقة وأختها ٧٢ درجة من الدائرة الباقية ، ٣٥ درجة من ضرب ٥ في ٧٢ وتجد كل ورقة من الخمس في دائرة موازية لتظيرتها في الدائرة الأخرى . جل الله وجل العلم وحلت الحكمة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الدوائر المنتظمة في نبات بينهما وبين الدوائر الأخرى في نبات آخر مناسبات عجيبة حتى أننا بالبحث نجد أن جميع أوراق النبات بينها علاقات حسابية وهندسية كالعلاقات الحسابية والهندسية في نظام النجوم الثوابت والسيارات والأرض .

وهذا النظام كله نتأجه هو ما يأكله الحيوان والإنسان مما ذكرناه قريبا في السورة السابقة . فانك تجد هناك الجدول المبين لأنواع النشاء والمادة الاوزوتية والمادة الدهنية ، وهذه الأنواع الثلاثة لم تتم إلا بنظام الأوراق والجذور والأضواء والأيام التباينات حركات الأرض حول الشمس ، وينتهي الأمر بالجهاز الهضمي الذي شاهدت صورته في سورة فاطر وفي سورة فصلت قبل هذه السورة فهناك تجد الحساب مفصلا والنظام متصلا ، وأن القوى والعمليات المختلفة الموضوعات في جهازنا الهضمي موزعات على تلك الأنواع الثلاثة الناجات من نظام النبات المنتظم الأوراق . الجارى على سنن الأضواء في وصولها الى الأرض .

أليس هذا معناه أن هذه العوالم كلها أشبه بجسم واحد ؟ (و بعبارة أخرى) أليس معنى هذا أننا على هذه الأرض مازومون أن ندرس الكواكب والأرضين والأضواء وحسابها والنبات وحسابه وشرح أجسامنا وتأثيراتها ثم نفوسنا

خطابى للمسلمين

يا معشر المسلمين : الحق أحق أن يتبع . نحن نميش في الأرض عالة على الأمم في هذه القرون المتأخرة يا معشر المسلمين أكتب كتابى هذا . وقريبا أفارق هذه الأرض . وأصعد الى الله وأبرأ من السكتان ، وأقول يارب قد اجتهدت أن أبلغ المسلمين ما عرفته من صنعك وما فهمته من كتابك وما على إلا أن أبين . وفوق ذلك أقول : انكم ستبلغون شأوا عظيما في سعادة الحياة وسعادة الممات ، انكم ستسرسون كل ما ترونه في السموات والأرض . وهناك تفهمون لماذا يكرر ذكر العوالم العلوية والسفلية في كثير من آى القرآن وبهذا تم الكلام على القسم الأول في نظام السموات والأرض

القسم الثانى

في هذا القرآن المنزل ، ولماذا أصريت أن ينذر أم القرى ومن حولها ، ولماذا ذكرت

أم القرى في هذا المقام الخ

لنجعل هذا القسم في ﴿ فملىين : الفصل الأول ﴾ في أن القرآن عربى ﴿ الفصل الثانى ﴾ في ذكر أم القرى ومن حولها

الفصل الأول

في أن القرآن عربى

فأقول : قد تقدم الكلام عليه في ﴿ سورة فصات ﴾ وهى السورة السابقة ، رسيانى للكلام بقية في ﴿ سورة الزخرف ﴾

الفصل الثاني

في بيان تخصيص أم أنقرى ومن حولها

اعلم أيها الذكي أن الله عز وجل قبيل نزول القرآن قد كان نظم أمّتين وهما فارس والروم ، وهاتان الدولتان قد اقتسمتا الأقطار المحيطة بجزيرة العرب قبيل النبوة ، فسكان للروم البلاد الجنوبية ، وقد ملكوها نحو (٦٠٠ سنة) وللفرس البلاد الشمالية ، وكان لهم عليها بعض السلاطين نحو سيف وثلاثمائة سنة ، ولم يبق إلا مكة والبلاد المجاورة لها بنجوة من نفوذ هاتين الأمّتين

وأنت عليم أيها الذكي بما كان لهذه الأمة العربية بسبب القرآن من السطوة والنفوذ ، وكيف أزال ملك هاتين الدولتين ، ثم كيف بقيت قرونا ، ثم كيف تولاهما التلور والضعف حتى أصبحت أم أوروبا على أبواب مكة ، والمسلمون في مكة وسور مكة الآن بعد ١٢٥٩ سنة قد بلغ تعدادهم ما بينته في كتابي المسمى « القرآن والعلوم العصرية » وقبل أن أذكر ما كتبت في ذلك الكتاب وما خاطبت المسلمين به أذكرك أيها الذكي بما تقدم في أول سورة « العنكبوت » من الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى ملوك وأشراف العرب والحجم ، وبعد أن تقرأ ذلك أكل القول بحادثتين تاريخيتين لم يذكرها هناك « الحادثة الأولى » هي التي وردت في (آية) أيام النبوة « الحادثة الثانية » هي التي جاء ذكرها في قبائل البعجة الذين كانوا يسكنون مصر ، وإنما نذكر هاتين الحادثتين هنا لأننا في مقام إندازم القرى ومن حولها بالقرآن العربي ، وهذا الانذار تبعه رقى أم القرى وما حولها حتى تعدى العرب حدود آسيا وأفريقيا واحتلوا ربع أوروبا ، ولما بلغوا العلم لتلك الأمم ورفعوا شأن الإنسانية رجعوا ثانيا إلى ما يشبه حالهم الأولى ، فإذا ذكرنا الحادثتين فاعلموا نريد بهما كيف كانوا يعاهدون الأمم ، وكيف يحافظون على النفوس والأرواح ، وهم إنما خلقوا في جزيرة قاحلة لا علم فيها ولا حضارة ولا مدنية وأن هذه السيرة سترجع لهذه الأمم كما ابتدأت

الحادثة الأولى هي حادثة العقبة

إن الإنسان يصعد إليها بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى يصل إلى قمتها ، فإذا أردت أن تنزل إلى الجهة الشرقية صرت نازلا صاعدا وصاعدا نازلا في أرض حجرية تارة ، وأخرى رملية ناعمة ، وأخرى خشنة أوزاوية إلى أن تمر في مضيق لا يسع إلا جلا جلا ، ويسمى قطع لاذ ، وطريق هذا القطع حارونى تقريبا أصلحه ابن طولون ، ثم محمد بن قلاوون ، ثم عباس باشا الأول ، ومع ذلك فإن المسافرين لابد أن ينزل عن دابته ويسير على قدمه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولا وضفها صعودا ، ومن دون هذه العقبة قرية العقبة ويسمونها (آيلة) وهي بلدة قديمة جدا ، وكانت عاصمة من زمن مديد ، وكانت في مدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ميناء كبيرة للراكب التي كانت تفد إلى الشام من اليمن والهند وفارس ، وانقطع بها طريق البر من اليمن إلى بطنه ، ولما مات سليمان رجعت الطريق الأولى إلى ما كانت عليه في نقل التجارة برا ، وكان فيها أسواق كبيرة ، بل كانت مركزا للتجارة بين مصر وبلاد العرب وفارس والعراق ، ولما أتى النبي ﷺ إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة أتاه ابن ربيعة صاحبها وصاحبه وأعطاه الجزية فكتب له عليه الصلاة والسلام عهدا هذه صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسوله لتحية ابن ربيعة وأهل آيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن

أخذه من الناس وأنه لا يقبل أن ينفروا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من برّ أو بحر» هذا كتاب جهنم بن الصلت
وشرحبيل بن - حسنة بأذن رسول الله ﷺ

وفي سنة ٥٦٦ هـ كان الأفرنج قد استولوا عليها في الحروب الصليبية ، فسار اليها من مصر صلاح الدين
الأيوبي ، وأخذ معه صراكب مفصلة على الجبال ، حتى إذا وافي مياهها أصلح صراكبه ، وأزله في البحر ،
وحاصر المدينة برا وبحرا ، حتى أخذها عنوة وطرد الأفرنج منها ، وهي الآن قرية صغيرة في أيدي عرب
الحويطات ، وفيها قلعة بناها السلطان مهرداد الرابع فيها بعض الجنود لحراستها ، وعدد سكانها لا يزيد عن مائة
نفس ، وفي هذه القرية نخيل وأشجار ، وماؤها حلو ، ويزرع في أرضها الخضراوات ، وبين العقبة ومعان نحو
مائتي كيلو متر شرقا ، والطريق فيها صعبة ، وتحترق جبال السمرة التي يكسوها الجليد طول الشتاء ، وبينها
وبين بيت المقدس شمالا بفرب نحو (٣٠٠) كيلومترا في صحراء قليلة المياه طريقها وعرة ، وبينها وبين
السويس نحو (٣٠٠) كيلومترا . وبهذا تم الكلام على الحادثة الأولى

الحادثة الثانية في قبائل البجة

جاء في كتاب « الرحلة البخارية » مؤلفه الاستاذ محمد بك لبيب البغدادي تحت العنوان التالي مانسه :

الطريق القديم والحديث

من مصر إلى الحرمين

كانت مصر ولا تزال طريق المسلمين إلى حج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام ، في نصف
الكرة الأرضية الغربية باعتبار أن مكة المكرمة هي قلب العالم أو النقطة المركزية التي تنبعث منها أنصاف أقطار
إلى محيط جميع دائرة الأقطار ، فالأندلس الذي كان يسكن في غرب أوروبا ، والمغرب الذي في غرب إفريقيا
ومادونه من مسلمي البربر فالسنغال وبلاد السنغال وبلاد السودان الغربي والشرقي كانوا إذا قصدوا الحج إلى بيت
الله الحرام سافروا من بلادهم إلى مصر بحرا أو برا ، وكذلك كان يقصدها كثير من أهالي الشام والترك
والقوقاز وجزائر البحر الأبيض المتوسط ويجمع السكك بالقاهرة قبل شهر رمضان ، ثم يسبرون منها إلى قوص
برا أو النيل (٦٤٠ كيلومترا) في نحو عشرين يوما ، ثم تسافروا قوافلهم منها في صحراء عذاب مدة ١٥ يوما
يقطعون فيها نحو ١٢٠ كيلومترا إلى القصير على البحر الأحمر ، وكانت من قديم ميناء مصر الشرقية أي
انها كانت من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن ، وكانت هذه القرية في أيدي عرب البجة الذين
كانوا يتولون نقل الحجاج على إبلهم في صحراء عذاب

وقبائل البجة أو البجة يقال انهم من البربر وكانوا يسكنون في صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى
قرية يقال لها الحزيب في صحراء قوص ، وهذه الصحراء عاصرة بمادن الزمرد والذهب والفضة والحديد
وفيها مغائر وآبار قديمة لاستخراجها ، وهي طبعاً من عهد قدماء المصريين ، وبعضها من عمل المغفور له نحمد
على باشا إلى مصر ، وكانت العرب تستخرج منها المعادن ، وخصوصاً التبر في القرن الأول والثاني للهجرة ،
بذلك باتفاق مع ملك البجة الذي كان مقره اسوان ، وكان ينال المسلمين منه ومن قومه أذى كبير ، فأرسل
الأمموني إليه عبيد الله بن الجهم فسكانت له معهم وقائع ، ثم وادعهم وكتب بينه وبين كمنون رئيسهم كتاباً
تذكر لك طرفاً منه لتعرف مقدار التسامح الإسلامي مع أهل الغمة ، وكيف انه كان لا يفرق بينهم وبين المسلمين
في المعاملة . « عسنا كتابه كتبه عبيد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير
أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله ، في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين اسكنون بن

عبد العزيز عظيم البعجة بأسوان : أنك سألتني وطلبت إلى أن أؤنسك وأقبل ببلدك من البعجة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك إلى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقامت واستقاموا على ما أعطيتني وشروطت لي في كتابي هذا ، وذلك أن يكون سبيل بلدك وجبلها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وبافع ملكا للمؤمن عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعز الله تعالى ، وأنت وجميع أهل بلدك عبيد للمؤمنين إذا أنك نسكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البعجة وعلى أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البعجة ، وذلك مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار وازنه داخله في بيت المال ، والخيار في ذلك للمؤمنين ولولاته ، وليس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج ، وعلى أن كل أحد منكم أن ذكر محمد رسول الله ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به ، أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة أمير المؤمنين أعز الله وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذرايرهم ، وعلى أن أحدا منكم أن أعان التجارين على أهل الاسلام بمال أو دل على عورة من عورات المسلمين أو أثر لفرقتهم فقد نقض ذمة عهده وسب دمه ، وعلى أن أحدا منكم أن قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا أو عبدا أو أحدا من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لأحد من المسلمين ، أو أهل ذمتهم ببلد البعجة أو ببلاد الاسلام ، أو بلاد النوبة أو في شيء من البلدان برا أو بحرا ، فعليه في قتل المسلم عشر ديات ، وفي قتل العبد المسلم عشرين ، وفي قتل النسي عشر ديات من دياتهم ، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه ، وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البعجة تاجرا أو مقما أو محتارا أو طاجا فهو آمن فيكم كأحدكم - نى يخرج من بلادكم ، ولا تؤثروا أحدا من أتقى المسلمين فإن أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين ، وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلامؤنة تازمهم في ذلك ، وعلى أنكم أن تزلن ريف صعيد مصر لتجارة أو محتارين لا تظهرون سلاحا ، ولا تدخلون المدائن والقرى بحال ، ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ، ولا تخيفوا السبيل ، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ، ولا أهل الذمة ، ولا تسمقوا المسلم ولاذى مالا ، وعلى أن لا تهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا ، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة الخ » وباقى الكتاب لا يخرج عن هذا المعنى . وبهذا تم الكلام على الحادثة الثانية

تعداد المسلمين في بلاد الاسلام

أذكر في هذا المقام ما جاء في كتابي « القرآن والعلوم العصرية » من تعداد المسلمين في بلاد الاسلام والخطاب الذي وجهته لهم ، فقد جاء فيه في صحيفة ١٥ وما بعدها تحت العنوان التالي مانصه :

المسلمون كثير عددهم

أيها المسلمون : ما أكثر عددكم على وجه الأرض

مليوناً

٧٠

٧٥

٥٠

١١

إن منكم في بلاد الهند الصينية والصين

وفي الهند وما جاورها

وفي ماليزيا والاقيانوسية

وفي ولاية الحجاز والعين بأقسامها المستقلة وغير المستقلة وعسير

وعدن والنواحي التسع وعمان ومسقط والبحرين وحضرة وت ونجد والكويت والربع الخالي

	وعنه رشم الخ
٦٥٥	وفي سوريا وفلسطين والعراق العربي والعراق العجمي
١٨	وفي مصر والسودان المصري
١٨	وفي طرابلس وتونس والجزائر وساكش
٢٠	وفي الصحراء الكبرى والسودان الفرنسي
٥	وفي السنغال وما يتصل به والسودان الأوسط واداي
	وباكومي وما حوالها
٥٥	وفي جمهورية ليبيريا

الجميع ٢٧٤

٨	وفي السودان الإنجليزي والنييجر وما حوله
	وفي مستعمرات الكمبرون الألمانية والكونغو والكاب وموزمبيق ومدغشقر وشرق إفريقيا
١٠٥	الألماني وزنجبار وشرق إفريقيا الإنجليزية وأوغنده والحبشة وأرتريا وما يتصل بها
١٥	والأتراك في روملي وجهات الأناضول والبلقان والولايات
	العثمانية التي معظمها من غير المسلمين
٣٥	وفي ولاية روسيا الأوروبية ومنها التتر الذين هم أهم قسم من
	الأتراك ، وفي قفقاسية وآسيا الوسطى وفرغانة وسيبيريا وخيوة وبخاري
٢٥	والترك في الشمال والشمال الغربي من بلاد الصين
١٠	وفي بلاد أفغانستان وفي بلاد إيران والحجم
	فيكون جميع المسلمين في أقطار الأرض ٣٧٧ مليوناً والتأمل في هذا يجد عشرين مليوناً مكررة
	واذن نقول إن المسلمين ٣٥٠ مليوناً تقريباً فسألتكم بالله أيها المسلمون كيف ينقلب هذا العدد الكبير والجمل
	الفقر وكيف يصادرون في حريتهم ويذلون في عقودهم ويسامون سوء العذاب ، كل ذلك من الجهل والتفرق
	وعدم الاتحاد ، وقد آن وأن أن أشرح طرق الاتحاد عسى أن يكون فيه ذكرى لأخواني المسلمين

طرق الاتحاد

﴿ كيف يتحد المسلمون ﴾

أيها المسلمون هذا المجموع الكبير العظيم الممتد من بكين في الصين إلى رأس الرجا الصالح ، ومن طنجة إلى المحيط الهندي . هذا المجموع جسم له رأس وأعضاء ، وقد ذكرنا الحديث الشريف اذ جعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحي وهذا بعينه ما يحصل الآن في أطراف المعمورة فان السلم الافريقى يتألم لما يصيب أخاه الصيني ويسمره ما يسره قال تعالى - انما المؤمنون إخوة - ولا جرم أن الأخ الأرشد واجب عليه وقاية الأصغر ، والحفاظة عليه وترقيته وترقيته . فعلى العقلاء والعلماء والأمراء والأغنياء من العرب والفرس والترك والهنود والصينيين أن يكونوا جماعة تتخذ لها مركزاً خاصاً (ولعلها الآن موجودة)

وإذا كان رسول الله ﷺ شبه الأمة كلها بالجسم ، فلننهج منهجه عليه الصلاة والسلام ، ولنسج على منواله مبينين بالعقل صحة ماتواخينا والطريق التي ارتقينا ، فنقول :
ان في الجسم رأساً ، هو مركز الحواس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس ومنه تصدر جميع

الأعصاب الحساسة واليه ترد بما نقلت من أخبار السمع والبصر الخ ، فالرأس هو القائم بأعمال الجسم النظيم لحركاته فلو تخلى الرأس عن الجسم لأصبح جثة هامدة لا تفنى ولا تسخن . « هذا العلماء في هذه الأمة والأغنياء والأسراء والعقلاء المفكرين المستبصرين ، هم المسؤولون في الدنيا والآخرة ، وهم وحدهم الذين يقفون بين يدي الله تعالى يسألهم عز وجل عن إعمالهم أمي هذه الأمة ويسأل الله عز وجل المفكر والعالم والأمير والفني ويقول لهم أتمم رأس هذه الأمة وقوتها فإذا فعلتم ؟ تركتم هذا المجموع يئن تحت نير العبودية والذلة وهذه الطوائف الإسلامية من أقصى الأرض إلى أقصاها جهاتنا أمانة عندكم فكيف تشاغلتم عنها حتى أصبحوا أذلاء وأتمم شاركتهموهم في ذلهم وقاسمهموهم ضعفهم وانكسارهم . ألم أنزل عليكم في كتابي - لا يكاف الله نفسا الاوسعها - فأنأذا لا أكاف الزارع المستكين ولا الجال ولا البدال هذا الأمر ، أولئك عيالكم واخوتكم الصغار وانما أكافأر باب العزل ورجال الحكمة وأهل المال أولئك هم المسؤولون - وقفوهم انهم مسئولون - ألم أنزل في كتابي على نبيكم - لولا ينهائهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون - ومعنى هذا أن الله يوضح علماء أهل الكتاب من الأحبار والرهبان على عدم نهيمهم الأمة عن قولها الكذب الذي يأثم به الانسان ومن أكلها السحت أي الحرام ، ثم بالغ في ذمهم فقال - لبئس ما كانوا يصنعون - مبتدئا بالام القسم ، وهذا مبالغة في التوبيخ أفلا تعلمون أني قصصت عليكم ذلك لتعتبروا ولتذكروا أيها المسلمون ألم يقل لكم نبي محمد ﷺ « لاترول قدما ابن آدم من عند ربه يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن شبابه فبم أفناه وعن عمره فبم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم ؟ » ألم يكن في هذا الحديث دلالة على أن العالم والفني شر يكاف في المسؤولية كلاهما مسئول . العالم مسئول ، والفني مسئول وفي حديث البخاري أن النبي ﷺ قال « لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الخير ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس »

والمراد بالحسد الغبطة وهي تمنى مثل ما عند الغير ، فالى الأغنياء والى العلماء والمستبصرين من الأمة أوجه قولي فلقد افصح أنهم هم المسؤولون يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فأقول :
لتسكن منكم جماعة خاصة تكون بمنزلة الرأس ، ولتتخذ لها مكانا ، وليكن لها فروع تمتد إلى أقاصي المعمورة ، أشبه بالأعصاب في الجسم ولتكن أعمال تلك الجمعية مقسمة الى قسمين القسم الأول يأمر بنشر الأخلاق والعبادات والعلوم والصناعات في سائر أقطار الاسلام وينشر الكتب والرسائل ويعلم في الجرائد ويوعز الى أهل البلاد باذاعة ذلك كله مع المحافظة التامة على العوائد الإسلامية وليحجبوا الى الناس أن يعرفوا ما ذرأ الله في الأرض وما أبدع في السماء وما أفاد من صناعة وما بث من حكمة حتى يضارعوا أوروبا ويتفوقوها اقتصاديا وماديا

والقسم الثاني يكون قصارى أمره ومتهى رأيه أن يدرس أعمال أوروبا مع الأمم الإسلامية في أقطار العالم وينشر ذلك في جميع الأقطار الإسلامية ليعرفوا إخوانهم النابهين من الترك والفرس والعرب والصين والهند تلك الأمم القديمة الشرف العظيمة القدر ، ومتى انتشر ذلك في الأقطار الإسلامية عرف المسلمون إذ ذاك للجاهل جهله وللفاضل فضله وأن ذاك يقرعون - وجزاء سيئة سيئة مثلها - فيقاطعون الدولة المسيئة في التجارة سواء أ كانوا في الصين أم في أفريقيا أم في تركيا . ذلك شأن هذه الطائفة ، ولعلكم تقولون من أين عرفت ان هذه الجمعية بها يتعهد المسلمون وهل هذا دواء شاف ؟

أقول : عرفت من نفس القرآن ، فانظروا الآية المقدسة ، الخاصة على الاجتماع ، وهي :
- واعتمموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون - هذه

الآية أمرت المسلمين بالاجتماع وعدم التفرق ، ولكنهم لم يبين كيف السبيل إلى ذلك ، ولذلك أردفها بآية أخرى البيان ذلك فقال : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف .. وهذا هو الفريق الأول الذي بنى الشام والعمارة والصناعات ويحضر على العبادات الدينية ثم قال : وينهون عن المنكر .. وهذا هو القسم الثاني فالتبني عن المنكر هذا يشمل التنبؤ الخاصة بين المسلمين والكفر والمعاصي والمظالم الواقعة عليهم في مشارق الأرض ومغاربها فأولئك هم الذين يجمعون تلك المظالم ويوصلونها إلى الجمعية الكبرى ، وهي بسبب هذا القسم وبذلك تكثر أخطار تلك المنكرات في أقطار الأرض حتى يفر المسلمون من هذه المظالم ويقاطعوا تجارة الأمة الظلمة واذن يحق لهم وعد الله إذ قال : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولتكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . هذه الآية ذكرنا هامة أخرى في الكتاب وأعدناها هنا بعد أن يبين طريق الاتحاد بين المسلمين تلك الطريق التي هدانا الله لاستخراجها من الكتاب العزيز لا سبيل إلى إسعاد المسلمين بغيرها ولا سبيل لراحتهم وتيسيرهم في الأرض واستخلافهم فيها وتبديل خوفهم أمنا إلا بهذه السبيل وحدها فليفسكر المسلمون ماشاءوا فهم والله لا ينجون من شر الفرنجة إلا بهذه السبيل وحدها ، ولنقرأ الآية على وجهها فنقول : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . فانظروا يا معشر المسلمين كيف قال : ولتكن منكم أمة لا الأمر للوجوب فالمسلمون في اتحاد المعمورة أي الأغنياء والعلماء منهم آثمون مذنبون إن لم يقوموا بهذا الأمر ، و بعد أن بين القسمين وهم الأميون بالمعروف والناسون عن المنكر قال : وأولئك هم المفلحون إشارة إلى ما ينالون في الدنيا من الطمأنينة والسعادة والثناء الحسن عليهم من الأمة الإسلامية وفي الآخرة من علو الدرجات ومنتهى السعادات والقصور والخور والولدان فهذا قوله : وأولئك هم المفلحون . ولما كانت الآية مبينة كيف يكون اتحاد المسلمين وسهلت الطريق وأبانت حقيقتها الناصحة أردفها بالإنذار فقال : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . وهذا إنذار من الله للمسلمين إذا أغفلوا أمر هذه الجمعية المركزية ذات الفروع إذ قال احذروا أن تكونوا متفرقين كالأمم السابقة التي بينت لها السبيل ومهدت لها الطرق فتفرقوا طرائق وكل حزب بما لديهم فرحون لأنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم الآيات البينات الواضحات

واقداً بنت لكم يا معشر المسلمين كيف تكونون متعدين وعامتكم طرق الاتحاد وعدم التفرق فإذا خالفتم وغفلتم بعد هذا البيان كنتم كأولئك الذين عرفوا الطرق فتركوها فتفرقوا فكان لهم من ذلك عذاب عظيم في الدنيا بالذلة وفي الآخرة بحبهم أما من ساروا على طريق الاتحاد فأولئك هم الفائزون

﴿ فصل في أن الكعبة المشرفة أيام الحج دار ندوة ﴾

وعلى هاتين الطائفتين المصلحتين في الاسلام المرسلتين من الجمعية الكبرى التي أشار الله لها في كتابه العزيز أن يجتمعوا كل سنة عند البيت الحرام بمكة شرفها الله فإن للحج أكبر نصيب في هداية المسلمين النازحين إليه من أطراف البلاد ، ولقد علم الله قبل أن يخلق الاسلام والمسلمين حاجتهم إلى بيت يحجونه ويكون مثابة لهم أي مرجعاً وأمناً فقال : وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - وقال - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم - فانظروا وتعجبوا كيف ختم الآية بقوله : ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض - وقد زاد على ذلك فقال : - وأن الله بكل شيء عليم -

فتأملوا كيف جعل أن عامنا بأن الكعبة قيام للناس يورثنا علم أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض بل يعلم

كل شيء ذلك لأن الأسماء اتضح في هذه الأيام أن المسلمين ينتهون سياسياً برجوعهم إلى هذا المكان وجهه دار ندوة كل عام يتشاورون فيه ويتباحثون وهم في مأمن في ذلك الوادي السحيق فضلاً عن فريضة الحج ، إن ذلك أمر لم يكن في علم أحد من الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومن ذا الذي يعلم الغيب إذ ذلك فيقول إن السكبة ستكون مرجعاً للمسلمين يعرف بعضهم بعضاً ويقضون في الأمور السياسية العامة ويتعارفون ويتحدثون ويكون من وراء ذلك سؤددهم وعزهم ومجدهم وخروجهم من تحت نير ذل العبودية ، لا جرم أن الذي نعرف ذلك هو الله الذي فرض الحج ورسم البيت وعرف مستقبل المسلمين وما يؤول إليه أمرهم فهو يعلم مافي السموات ومافي الأرض الخ إلا أن لكل شيء سبباً فلا يكون الحب بلا زرع ولا الثمر بلا شجر ولا النيل بلا مطر ولا الرى بدون سقى ، هكذا لن يكون اتحاد المسلمين ، إلا بالطرق التي رسمناها والبيئات التي أوضحناها ، والله هو الولي الحليم وبهذا تم الكلام على القسمين : قسم السموات والأرض . وقسم انزال القرآن باللغة العربية وانذار أم القرى ومن حولها . وأختم هذا المقال بخطاب أوجهه لجميع المسلمين فأقول :

أيها المسلمون : قد شرحت لكم نظام العوالم إجمالاً ، ولا جرم أن أولها علم المجرة الذي يدور مرة واحدة في (٣٠٠) مليون سنة ، وهناك دوران الكواكب السيارة في أوقاتها المعينة والأرض ثم النبات وأوراقه وثمراته واتصال هذا كله بأجسامنا ثم نفوسنا ، ثم بعد ذلك شرحت اتصال الأمم الإسلامية على الأرض في مكة وما حولها ، وهذه أمة العرب جميعها الاسلام ، وسجتها اللغة العربية ، وجهها تقارب الأوطان ، فهي إذا لم تبادر بالاجتماع والاتحاد فهي لا محالة معاقبة على فقر يطلها ، وبينها وبين الفرس والترك علاقات الدين والجوار ، فليكن اتحاد بين هذه الأمم وعلاقات متينة وهكذا سيكون ، إذن فليعلم التعاليم الآن في بلاد العرب وبلاد الاسلام ، ثم لتدرس العوالم كلها ، وتدرس السكرة الأرضية من حيث الجغرافية ، ولتدرس التاريخ دراسة تامة ، وليخصص لكل علم طائفة ، ولتقرءوا علوم كل الأمم ، ثم ليكن منكم حكماء وعلماء بكل علم وبكل فرع ، هناك هناك أيها المسلمون تكونون شهداء على الناس كما أن الرسول شهيد عليكم ، هناك فقط تنبؤن مركزكم في الأرض ، هناك أنتم تعلمون أم الشرق وأم الغرب كيف يكون السلام وكيف تكون السعادة المستقبلية ، ولأختم هذا المقال بإيضاح أبحر المصاحين وأجره ﷺ فوق ما تقدم في التفسير اللفظي ، فأقول مستهيناً بالله :

لا ملخصاً في هذه الأرض ، عارفاً بصانع العالم ، دارساً لنظام هذه الدنيا إلا وله قلب متقد حرارة وصلقا وإخلاصاً وبهجة ونورا وحبالرق هذه الانسانية المسكينة المضطربة المعذبة.

هذه حال الدارسين العارفين في جميع أمم الأرض ، فإذا كانت هذه حال الدارسين المفكرين فكيف تكون حال الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، إن للأنبياء سعادة في نفوسهم يحسون بها ، ولقد ضرب لنا الله مثلهم المحسوس بالأم ترضع ولدها والأب الشفيق ، فالأب والأم يريان ولدهما لا يفيان جزاء ولا شكورا ، بل هما يجعلان حياتهما وقفاً على تمية هذا الطفل . فإذا كانت هذه حال العامة في الأمم بالنسبة لأبنائهم فكيف بالأنبياء بالنسبة لأنهم . إن للأنبياء حبا علواً لرهبهم . وهذا الحب يقودهم إلى كل قول وفعل جيدين ، وصدورهم منشرحة لما يصنعون . ثم إن الصالحين من أممهم يقول الله لهم - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً - فهذا الود الذي يلقي في قلوب الناس لهم ود الله ولهم نتيجة مرتبة على الأعمال الصالحة ، إن الأجر لا يسأله إلا الرجل المتكاف ، أما الأنبياء فليسوا متكافين - قل ما سألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين - إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمون نبأه بعد حين -

الذي لا تكاف عنده يكون عمله قريباً من السليقة ، فنفوس الغصص محبوب ومن تتأججه المودة ، الأنبياء

لا يسألون أجرا على التبليغ والله برأ رسوله من ذلك ، وغاية ما يحبه الأنبياء ويكرمون به أن يكون أتباعهم مقربين إلى ربهم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان النبي يسرهم هو ارتقاء أممهم في الإصلاح والتقوى ، فإمكان هناك أجر لم يزد على ذلك ، ومعلوم أن هذا ليس أجرا وإنما هو نجاح رسالتهم وتتمام أمرهم ورضيتهم في إسماع الناس وهذا قوله تعالى : قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، إذن قرّة عينه ﷺ أن يرى أتباعه يتقربون إلى الله تعالى ويطلبون الزلفى لديه بالإيمان والطاعة ، فصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود فعله وهو ليس بأجر وإنما هو حب للإسماع العام للناس ، وهذا المعنى هو الذى جاء فى الآية فى هذه السورة على قول من أقوال العلماء غير الجمهور - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - أى إلا أن تودوا الله ورسوله فى التقرب له تعالى بالطاعات والأعمال الصالحة ، وهذا المعنى لا ينافى المعنى المشهور ، ان المعنى المشهور داخل فى هذا بطريق التسع لأن المودة للأشراف مقربة لله كجميع الأعمال الصالحة ، وهذا المعنى العام هو الذى يطابق آية الفرقان المتقدمة - إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا -

تحقيق لمقام الود

وتبيان عام لمودة الأنبياء والمصلحين

اعلم أنه لا سعادة فى دنيا ولا فى أخرى أجزل من سعادة الحب والود ، إن الله هو الغفور الودود ، فإذا وجدنا بعض الكتاب فى عصرنا فى صحيفة « الضياء » يوم ١٩ يناير سنة ١٩٣١ م يصف الحب الخاص والود المحدود بأوصاف منطقية على ما نشاهده فى أحوال الناس من التضحية والايثار والفرح بكل ما يتهيج به المحبوب فما بالك بالحب العام الذى يسع العالم كلها ، فانظر كيف ضرب مثلا :

- (١) لسعادة الحب بما يبدو من محبوبه وقد شبه ذلك بانعكاس نور الشمس عن القمر
- (٢) وبالكاتب الفكاهى الذى يتلمس سعادته من السامعين لكتابه
- (٣) وبالمرء يجد لحديثه سامعا جديدا
- (٤) وبالرجل يجد امرأته تحبه
- (٥) وبالرجل آتى بالشمس لأطفاله الفقراء فسعادته بفرحهم
- (٦) والعاشق مع من عشق فى الفقر وقد أكل المحبوب العنب والمحبة فرح به ، وهالك نص المقال المذكور

خواطر فى الحياة

انحصار المرء فى ذاته وتقييد شعوره وفكره بنفسه من دواعى الألم والشقاء وأما سعادته وغبطته فهى فى الخروج بمهونة الخيال عن دائرة نفسه وحدودها ، والسعادة وإن كان ينبوعها كائنا فى نفوسنا الأنا لا نعرفها ولا نتذوقها إلا إذا انعكست علينا من شىء خارج عن أنفسنا كنور الشمس المنعكس عن صفحة القمر ، وهذا العنصر الأجنبى الذى يمزج بالسعادة يكسبها فى شعورنا حلاوة وغرابة مثلما تفعل عناصر القمر بنور الشمس انظر إلى الكاتب الفكاهى مؤلف الكوميديا ، انه يجهز ملحه وطرائفه فى الخلاوة فهل يتذوق حلاوتها إذ ذاك ؟ كلا ، إنما يتذوق لذاتها ، ويحبنى ثمراتها من ريق السرورى أعين الجماهير الشاهدة تمثيلها ، ومن هتاف الطرب فى أصواتهم المتصاعدة ، ألا ترى إلى الحديث المألوف من طول الاعادة كيف يخلف ملاته ويكتسى رونقا ورواء إذا صادف سامعا جديدا ؟ وأنت قد تكون مثيرا من المحامد والمناقب حامل الجمل من المحاسن والمزايا ولكنك لا تشهر بهذه تمام الشعور ولا تغتبط بها حتى لا تغتبط ولا تفرق طربا لها وجذلا حتى ترى لألاءها منعكسا عليك من وجه غادة ألوف . وتبصر جاهلها يتألق فى أظفارها الضاحكة . ففى هذا الظرف ولا فى غيره تحس السعادة

حقاً وتعرف حلاوة مذاقها ، والرجل الفقير يعود الى داره بقرطاس الشمس أو البرقال ، فإذا دخل على أولاده فأيقظهم فاستروا جالسين على فرشهم الرثة المهلهلة وتناولوا منه النكاكة يلثمونها النهاما والعصير يتعذب من أفواههم المنهومة الظمئة ، والفرح يتوقد في عيونهم المحرومة المشوقة ، عاد لشدة الفرح والجدل كأنه قد ملك حداق يافا وبساتين دمشق ووجهه ، فهل يجدن مثل هذه اللذة في أكلة برتقالة ؟ وأنت إذا كنت مع حبيبة لك في قنار وفياف وقد آذالك السغب والصدى ثم رزقت عنقودا من العنب فأى الخلطين أحب إليك أن تقسمه على السواء بينكما أو تؤثرها به (الاعنبة واحدة تضاف بها نار ظمئك) وتظل ترنو اليها وهي تلتقطه حبة حبة كما تفعل العصفورة بالقرطم ، وفي هذا المنظر الجليل والشهد البديع ما يشبعك ويرويك ويلاً بطنك ويكظ أضلاعك وأى طعام (عمرك الله) أشبع من الجلال وأروى ، وأى شراب أمتع من الحب وأشهى ؟ والحق انه لا سعادة في الدنيا الا ما كان من اجها الحب ، وما الحب الا استكشافنا أنفسنا في خلالتنا وأصفيائنا . وسرورنا بهذا الاستكشاف ، والا انسان منفردا عن الجماعة لا يستطيع أن يدرك السعادة كالذي يعيش بعيدا عن المرأة لا يستطيع أن يعرف صورة وجهه قيمة المرء ما يحسنه وآثاره عنوان ما يكمن فيه من الفضل ، وهى السراج الذى به نستطيع أن نسير غور شخصيته ونقبس أعماقها وابعادها ولا جدال في أن كل امرئ يخرج الى الدنيا منطوياً على قدر معارم من القوة أو الكفاية لا يزال متناسبا مع مقدار إنتاجه . وكذلك ترى أن كل كلمة أو فعلة تصدر عن امرئ تكون مطبوعة بطابع شخصيته بل تكون حلقة في سلسلة حياته ، ولقد كذب من حسب الانسان متناقضاتنا انما هو متجانس متناسق متشابه الاقوال تماثل الافعال . وما صدق من قال عن رجال الأدب أنهم عقلاء أذكىاء على الورق . أما في ميدان الحياة فحق أغبياء «يفرقون في شهر من الماء» هذا كذب وبهتان . ولا يعقل أن ترى الرجل الواحد فيلسوفا على مكتبه وحماسا في الشارع . ولا أن يكون فردا بعينه أعرج في الطرقات ثم أبرع وقاص في الخفلات الساهرة . أجل انه على قدر قوة المرء وبحسب حذقه ومهارته في استخدام هذه القوة تكون قيمة عمله . كما أنه على قدر قوة الدفع يكون مرمى قذيفة المدفع وعلى قدر قوة الباس وامتداد الأنفاس تكون سرعة العداء والمشاء وإذا رأيت شعرا خاليا من حسن النسق والانسجام فاعلم ان ذلك لاختلال النسق وقلة الانسجام في روح الشاعر . وكذلك اذا عثرت على الكلمة أو الفعلة لرجل ما دللتك عليه وساقنتك اليه كما يرجع بك شعاع الشمس الى الشمس . معظم الناس لا شخصية لهم . أولئك لا وزن لهم ولا قيمة . وأهميتهم في كثرة عددهم . ومن أجلهم يشتغل العدادون وكتاب الاحصاء . ومنهم تتألف الجماعات والجاهير والأغليات الساحقات . وهم الذين يجمعون الأموال ويؤدون العادى المعروف من أعمال هذه الدنيا ولن تكون لهم قيمة الا تحت إشراف القادة الزعماء فهم كالبحينة يشكها الصانع الخاذق كما يشاء ، ويشيد بهم البناء كما يشيد باللبنيات ، وهم في الجلة يكونون الرأى العام وان كنا نعرف أن الرأى العام في كل عصر وجيل انما هو زبدة أفكار ستة أو سبعة من الرجال يتوسلون صفائح قبورهم في طمأنينة وسلام ، والجاهير تحتفظ بأفكار أولئك الموقى كما تحتفظ هواء الجو بحرارة الشمس ونورها بعد الغروب ،

ولامشاحة في أن الشخصية البارزة أو التفرد أو قوة الخلق أو الرجولة الشاذة المتينة أو ما شئت أن تسمى تلك الميزة التى اصطالحنا على تلقيها (العبقرية) هى أفضل هبات الطبيعة للانسان وأجزل آلتها وليس مقدم الرجل القوى الى هذه الدنيا الاحسن البشارة بسعادة المستقبل ، فهو نبوءة خير ، وبشرى فلاح مثله في ذلك كل ربح تهب الآن ههنا ولكن الموجة التى هى من فعلها وأثر هبوبها لن تلبث بعد ركودها أن تفيض وتطغى على الساحل القصى الواقع على مسافة ألف ميل ،

ان الرجل انشاذ ليعد نعمة عظيمة في مثل دنيانا هذه السخيفة السمجعة الاعتيادية ، وكفى أرباب الشذوذ

والانحراف وأهمل المجون والهزل وذوى الغلاظة والتهتك نظارا أنهم يذهبون من وسنة الحياة الاجتماعية وينفون من سامتها ودللها بتقوى يعهم من تماثل هيئتها وصورتها وبشكسيتهم من استواء أديها الجامعة الميت وجدير بالإنسان أن يصبح مهروفا بين الملأ بشيء خلاف اسمه ولقبه ،

وهذه الثمرة الشخصية والطابع الدقيق أو (المشاركة) الدائمة تكون في عالم التأليف جليظة القيمة ، من حيث ان عظمة المؤلف لا تتوقف على ما يشترك فيه غيره بل على ما ينفرد فيه بنفسه ويستأثر به وحده ، والرجل العظيم هو المستبكر الذي يصنع الشيء لأول مرة ، لقد كان استكشاف القارة الأمريكية من أصعب المشاق ، فلما استكشفت أصبحت الرحلة اليها من أسهل الأمور ، وتلك الميزة الخاصة المنفردة التي تمتاز بها القطعة الفنية من شعر أو نثر أو نقش أو غناء هي الأساس الذي يقوم فوقه الحكم النهائي عليها وتسجل كلمة التاريخ وعلى أية حال فالهمل الفني المشتمل على هذه الميزة الخاصة الفردية يكون حائزا لعناصر الخلود ،

أنظر الى الطبيعة تنبعث الحياة من جميع انحاءها وأرجائها ، وتبحث الحياة في جميع جزئياتها وذراتها وكأنها باورة صافية شفافة تتجلى من ورائها الروح الأبدية السرمدية في مليون شكل وهيئة ويولوج من دونها المر المقدس الاطى ، الظاهر الخفى ، في آلاف الآلاف من الصبغ والألوان ، والنغم والألحان ، والصور والأشباح والأجراس والنبرات ، والروائح والنفحات ، وكل شيء في الطبيعة تنبجس منه الحياة وتنفجر حتى الصخر الأصم ان هو في كنهه وحقيقته الاحياء تجسمت وروح تجسدت . كتلة من الروح السكلى وثوب تنفسه الحضرة القدسية الألية ، . في تلك اللحظة انعدمت المادة في نظرى وتلاشت . والواقع انه لامادة في الكون للعين الشاعرية الملائكية ، النافذة الثاقبة الجلية .

وكما أن الريح الجواللة على البحر تستل من كل موجة جزأخفيا فتحمل منه الى أهل الساحل روح المحيط الأثيرية فكذلك النسيم الخطار على العشب والسكراب ، والشجر والنجم والدوح ، والنهر والجندول والغدير يسرق من الزمان ، صيفا كان أم خريفا ، جزئياته وذراته إذ يستلب من الأفنان والاغصان ومن الورق والاكمام والأزهار ، ومن سائر النبات والاعراس ، ذرات ضوء الشمس فيحملها اليها ويمزجها مع الانفاس بنفوسنا ، وكذلك يروح تيار الهواء بعد انغماسه في كؤوس النوار والازهار تحت موسيقى النحل والاطيار : تدب فيه الروح وتبحث الحياة ، فاهو بالجماد ، ولكنه كأن سحى يتزعم بذكر الله ويسبح بحمد المانع الوهاب

في هذا الوادى المقدس أمام ذلك المشهد الرائع ، بين أكناف الطبيعة البديعة وقفت احتسى كأس الخلود وقد تفتح صدرى وانفسح جنائى لأبعد أغوار الخريف واسحق أعماقه ، حتى وسع قلبى ما امتد أمامى من ذلك المنظر الفتان الى الأفق المديد القصى . الى أدنى حشرة فى الثرى . الى اسمى طائر فى الجو

وكذلك بهرنى مشهد الطبيعة الرائع . وسحرنى وملك على مشاعرى فاندفعت على ضفاف النهر تجذبني وشائج الاغصان ولقايت الأفنان وتحدوني أعجميات الألحان . على عسذبات الابل والبان ، وذوات الاطواق على منابر الأوراق ، وأحس حيا الحياة تندفق من ضياء الشمس ومن نسيمات الشمال فى كيائى ووجدانى وكان العشب والسكراب المنبسط امامى بلا نهاية . والدوح الباسق المنتشر القوى ومطارب البلابل والقمارى . كأن هذه كلها تنصب فى روحى ، وتمتزج بأجزاء نفسى . وتلك الأزهار التى تلقت لثامات الصباح على الآلاف المؤلفة من وجنائها ، رأيتنى اشاطرها حياتها وسرورها وفرحها

وأبصرت الجبال ينبثق من كل ورقة وزهرة والحسن ينسكب من كل موجة وقطرة وعجائب صنع الله تتجلى فى كل هباء وذرة . ووجه الأرض صحيحة كتبت عليها سورة الجلال ، ولوحة نشئت بها صورة الفتنة والجمال

ولتعلم «عامت الخير» أن الساعات التى تظل فيها الروح مستغرقة فى الجلال لى وحدها الساعات التى

نعيشتها والجديرة ان تحسب من العمر ، وكل برهة تقضيها بين الليل والليل والرائع والبديع انما هي فرصة تختلس من الدهر ، وغنيمة انتهب من محال الزمن . هذه الساعات التي تستغرق الروح وتنفقها جبالا هي الخليفة حقا بأن يقال انها لم تذهب ضياعا ولم تطع جبارا ، هذه هي الحياة المحضة الصريحة وكل ماعداها خدع واذليل ، وأكاذيب وأباطيل

بين أرجاء هذا المشهد الرائع الذي كله روح تجيش وحياة تنفزز محال ان يذكر الانسان الموت وتمر بياله فكرة الفناء ، وكيف يتأتى له الجمع بين الضدين والناقضين ، صورة الحياة في أكمل معانيها وأنصع مجاليها وصورة الموت . لقد جعلت أقول لنفسي وأنا أنظر الى الطبيعة كأنها عروس قد تبرجت لزفاف وتزينت ، وأرنبو الى الوادي العشيب يهتز نغمة وريا

ورياض من مخايل الأرض فيها يد خبلاء الفتاة في الأبرار
لقد جعلت أقول في نفسي وأنا أتأمل ذلك المنظر الحلي المتألق الخفاق ، ولكأن الموت لم يهتد قط الى هذه البقعة البهجة ولم يدرك السبيل اليها . وأكبر ظني أن عالمنا الأرضي قد كان هكذا قبل هبوط آدم وحواء على أديمه الذق يذنبو بهما وخطاياهما وذريتهما الباغية الطاغية المجرمة الاثيمة بشروورها وآفاتهما ومصائبها ونكباتها وحاشيتها وبطايتها من الأبالسة والشياطين على رأسهم ابليس ، وزبائنهما من العلل والأمراض والاورثة على رأسها الجلاد الأكبر عزرائيل .

أجل لقد كانت هذه البقعة البديهة قبل ظهور ألأم صنف الحيوان أعنى الانسان . وتالله ان الناظر الى هذا الوادي الأنيق لا يكاد يتصور أن رسول المنية قد جالس قط خلاله ، وخاض ظلاله ، ولأن الأرض الطويلة العريضة تحتوى قبرا واحدا أو تنطوى على رمة ، ولأن الكون بأسره قد تصعدت قط فيه زفرة أو تحيرت عبرة ، أو علت أنه اودوت رنة أو قام فيه عداد . وليس سواد ، أو شقت جيوب وإبراد .
الحب وحده هو الذي يشفي غلة النفس الصادية ويشبع نهمة الروح الجائعة . الحب وحده هو الدواء وهو السعادة وهو البغية والفاية والمراد ، وليس في سواه من ملذات الحياة ما يسد مسده أو يقوم مقامه . وماذا ترى في مسرات العيش يغني غناه ؟

اللهو ؟ اللهو لا يشبع روح ذي الروح السامية ولا يطرب نفس ذي النفس الشريفة العنة العالية ولا ترضيه اذهان ذوى الازهان الثاقبة النيرة . اذن فماذا يقوم مقام الحب ! السواصي والحفلات والأندية . هذا كتاب سرعان ما نقرؤه ونحفظه حتى نمله ونسأله . العلم أو الفن . هذا أوداك لا يمكنه أن يملأ من عواطفنا الاجزاء معينا .

القراءة أو الثقافة ؟ هذه لا ترد لطفة ولا تبرد غليلا . ولكن هنالك شيئا واحدا هو الكفيل أن يخلع على الحياة ذلك النور الذي لم يشاهد قط في أرض ولا سماء ولم يرقط فوق بر ولا بحر وذلك هو الحب
الحب أبعد غاية من أن يقاس وأعمق من أن يسبر وأكثر من أن يحصى ويحصى . وأعمق الحب وأشده مانعاضى عن معايب المحبوب ومعايره مهما عظمت

والصدقة قد تحتاج الى أن تدعم على أساس من الاحترام المتبادل . ولكن الحب لا يحتاج الى أى أساس أوسد أو دعامة . الحب يكتفى بنفسه وحدها ويعيش على نفسه دون سواها
وشراة الحب قد تدح من نظرة أولسة أو همسة . اما الاحترام فليس في طاقته أن يوجد الحب كما أن قلة الاحترام لا تستطيع أن تمحو الحب ، ولا جرم ان العاشق ليظل وهذه الملايين التي تملأ الأرض أموات في عينه ولم يبق حيا على ظهر الأرض الا عينان مشرقتان تنظران في روحه وتمرقانها فتتركها رمادا . أتفهم ما أقول ؟ .
كلا ؟ . أذن أنت لا تفهم الحب أتقول الاحترام أساس للحب ؟ .

تزعّم أيها القارئ أنك لن تحب المرأة الا اذا كان لها من الصفات ما يستدعى احترامك ؟ . كأن الحب قرش في جيبك لن تخرجه الا لمن أعجبك من الشحاذين وراقك طباعه ؟ ان كان هذا رأيك فانت أجهل الناس بالحب وأولى لك ان فتح موضوعه أن تسكت أو تنسحب

والواقع ان العاشق لا يحيا إلا بروح معشوقته . ولا يجد في العالم الاشخصية واحدة ، هي وحدها المحبوبة وهي الجيلة وهي الضرورية وهي البغية والفرض والأمنية . شخصية واحدة من بين الملايين التي تملأ الدنيا وهذه الشخصية مهما هفت واخطأت ومهما جنت وأجمرت ومهما أسفت وسفلت ، ومهما لقيت من تحقير الناس وأصغارهم وسخر بهم وازدرأهم لتبقين في عين عاشقها كما هي لا يؤثر فيها ذاك شعرة ولا ينقصها مثقال ذرة . وهذا لا يستطيع أن يغير الحب ، بل كلما زيد الأذى على تلك الشخصية وضوعف البلاء تبين لهاشقتها أنها أحوج ما تكون الى الحب ، ومن ثم ما زاه كثيرا من العشاق من مكافأة خيانة حبايبهم بالأمانة وغدرهن بالوفاء . ما أعجب الحب وما أعجب حاله ! نرى مليون وجه . ونسمع مليون صوت ونلقى مليون أنثى حالات الثغور والآلى والعيون بالالاء ، ولكنهن لا يمسسن أرواحنا ، ولا يحركن شعورنا ، ثم نصادف من يذهبن واحدة فإذا هي تحمل لنا الحياة أو الممات في يدها ، وتلعب بهما كما يلعب الطفل بلعبه ٦ . يا للعجب ، بماذا تمتاز هذه الواحدة عن تلك الملايين ؟ بلا شيء ؟ . وما هي أفضل ولا أجل ولا أنبل ولا أكمل ممن شاهدنا قبلها . ومع ذلك تجدنا نرى الدنيا من غيرها سحراء مجذبة انتهى . وفي هذا المقال الجميل بعض المعاني السقيمة الساقطة

هاأنذا أيها الذكي كتبت المقالة جميعها وفيها وصف الحب ، وهذا الحب هو الحب الأدنى الذي لا يعرف الشبان إلا إياه وقيمه ضئيلة ، ولقد ذكرت في هذا التفسير كثيرا أن الحب ثلاثة أقسام : أدنى ، وأوسط ، وأعلى ، فاذكر هنا هو الأدنى لأنه معروف ، والأوسط عشق العلوم ، والأعلى حب الله تعالى وعشقه وهذا لا يتصوره كثير من الناس ، وقليل جدا من النوع الانساني من يفهم حب الله تعالى الذي يشير له أكثر القرآن ، وترى الحمد في الفاتحة يشير له إذ الحمد والمدح لا يكونان إلا بعد نعمة عرفها الخادم ، وهذه المعرفة أولا تحدث في قلب الخادم حبا للنعمة فينطلق اسانه بالثناء وأعماله للخدمة ، والخدمة هنا بالجوارح للأثم الأرضية الذين هم تحت رعاية المحبوب الممدوح ، ولا جرم أن الله عز وجل منبع كل جمال وعلم ورحمة وشجاعة ، فحضر الكاتب الحب في المرأة راجع الى الطبقة المعروفة والحكام يرتقون طبقات ويفرحون فرحا لاحد له بمحبوبهم ، ويذكروهم بذلك المحبوب كل شمس وقمر ونجم ونهر وبحر وشجر وحجر وحبيب متبسم ، وتصبح حياة هذه الطائفة سعادة دائمة ولا يحسن بسعادتهم أحد إلا هم أنفسهم ولا قدرة لهم على التعبير عنها

هذا هو الود الذي ورد به القرآن انه للصالحين ، فهؤلاء هذه حالهم ، وهذا هو نموذج الود المذكور في قوله تعالى في آيتنا هنا . قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . أى اذا كان لى أجر فهل هو إلا أن تودوا الله ورسوله بالتقرب بالطاعات

فهذا هو التفسير الذي تؤيده آية الفرقان كما تقدم ، وهذا هو الذي جاش بخاطري ووافق تفسير بعض علماء الاسلام ، وفسر بمنطوق آية الفرقان ، وذلك ليلة الخميس ثالث يوم من رمضان الأغر سنة ١٣٤٩ هـ بعد نصف الليل

يامعاشر المسلمين : كفى غفلة وجهلا ، لم ينزل هذا الدين إلا لانهاش الأمم وإيقاظها واحداث حركة فكرية جدية ، أما اذا ظن المترفون المنعمون وهم على فرشهم أن الأنبياء ينتفون من النبوة أن يقال في أبنائهم ما قاله النصارى في المسيح ، فيقول الباطنية في كرام آل البيت انهم آلهة (كما تقدم في سورة الكهف عند آية . وما كنت متخذ المضلين عضدا . وعند آية ابراهيم في آخر سورة ابراهيم وهكذا) فذلك جهالة تؤدي الى بطلان . اكرام آل البيت مطلوب مرغوب ، ولكن مما لاسبيل الى قبوله أن يتخذ ذلك ذريعة الى أن

تشاط أمور المسلمين بمن لا وسيلة عنده إلا الفسب . كلا . ثم كلا . ديننا يراعى الكفاية للأعمال ، إن نبينا ﷺ خاتم الأنبياء فلا يوسد عملا إلا إلى أهله .

أيها المسلمون : أيها الأذكىاء . لاسعادة إلا بالحب ، والحب الدائم حب الحق الذي لا يموت ، وهذا دونه خطر القتل لأكثر نوع الانسان ، ولن يصل إليه إلا الأقولن . انتهى ليلة الخميس الموافق ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية

جمال الحكمة والبهجة

في هذا المقال

يا الله أنت أربنا جمال وضعك ، وحسن صنعك ، وآسننا بنور وجهك ، وأشرقت علينا بهجات نورك وأنوار شمسك وأقمارك ، رأينا ياربنا علاقات تامة بين أرضك وشمسك ، مدا وجزرا ، وكذلك مع قرك ، ورأينا الحركات منتظمة ، ورأينا أجسامنا وتربيتنا منوطين بالحرارة والضوء الساريين في النبات الموصول لنا الصحة والقوة من عالمك الأعلى ، وهانحن أولاد رأينا علاقتنا بالأُم حولنا كملاقتنا بالشمس والقمر وكل معدن ونبات وحيوان

نظام خلق الانسان

هانحن أولاد ياربنا نفهمنا وضعك ، وشرح صدورنا فعلك ، وقد بهرنا ما رأينا في خلق أجسامنا ، ياربنا هانحن أولاد نرى أجسامنا مصنوعة بشكل يخالف كل حيوان في برّ أو بحر أو هواء ، إن هذا الجسم كتاب مفتوح هورق منشور ، هو حكمة ، هو علم ، هو رمز ، ومتى ملكنا هذا الرمز عشنا في الأرض سعداء ، رباه رأينا لك جعلت الحيوانات مقسمة أقساما ، فمنها الفقرية ، ومنها الحلقية ، ومنها المفصليّة ، ومنها الرخوة ، ومنها النباتية (١) إن الحيوانات النباتية هي التي نراها تهيش في البحار كأنها نبات ، إذن فيها حياة كحياتنا ولكنها لم تعط قوة كمقوتنا وعقولا كمقوتنا (انظر صورتها في آخر سورة الحج ، فبعضها ذات خمسة أشعة منتظمة جميلة ، وهي عند آية الذباب)

(٢) والحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف الذي فيه اللؤلؤ ، وأم الخلول (وقد شرح بعضها في سورة صريم في أولها شرحا وافيا فانظره) فهذه مع ما قبلها لما قبلنا صنعك فيها بصنعك في أجسامنا دهشنا أشد الدهش من اتقان واحكام فينا وارتقاء صرفع عن تلك المخاوقات اللاصقات بالأرض المحبوسات في البحار ، ولم تعط يدين بهما تصنع ما تشاء كما تصنع نحن من جيل الأعمال (٣) ولم تكن الحيوانات المفصليّة (مثل العنكبوت والعقرب والسرطان ، ونحو أم أربعة وأربعين رجلا ، وذوات مائة الأرجل ، وأمها ذوات ألف رجل المتقدم ذكرها في سورة النور) بمتمتعات بقوة الانسان وعقله ويديه القويتين المفصليتين تفصيلا بديعا تصنع أعمالا لا قبل للعنكبوت بها ولا السرطان ، فأولهما أعطى حرفة النسيج وهو يعيش في البرّ ، والثاني يعيش في البحر مقيدا بقيود خاصة ، فأتى له بقوة الانسان

(٤) وهل الحيوانات الحلقية (ومنها دود السباح ، ودود العلق ، وحيوان البلهارسيا ، والانكلستوما ، والدود السكوي) إلا عاجزات عجز ما قبلها من المفصليّة ، فكل منها لاصقات بالأرض ، لا حول ولا قوة لها إلا غرائزها تعيش ثم تنفي من الوجود

(٥) وليست جميع الحيوانات الفقرية (التي شاركت الانسان في فقراته ولها هياكل عظمية وبعضها له دم أحمر كدمه) الا أقل من الانسان تفصيلا في أشكالها ، ونظاما في أفعالها

وهل السمك في البحار قامت شوكاته التي يهزم بها مقام يدي الانسان في شيء اللهم إلا انها تعينه على السباحة وان شارك السمك الانسان في الفقرات والهيكل العظمي ، وهل السلاحف بدركاتها والورل والشعابين بسمومها بخائب الانسان إلا عواطل من القوى الشريفة والأعمال المنيفة ، ولعمرك ما ينفي جناح (الدجاج والطاووس) والحجل والبط وأبي قردان والنمارة والبلبل والبيضاء والفسر والحداة والعقاب) فتبلا ولا قطميرا ، وهل لذلك الجناح إلا انه يحمل الطير في جو السماء ، وهل للجناح إلا عمل واحد هو حمل الطائر ليصل الى أعماله ، و فرق عظيم بين الأجنحة وأيدي الانسان القائمة بأعمال غير محصورات ، وما القيطس العائش في البحار الذي يستخرج منه الانسان الزيت ، ولا الفلين الذي ينفع الانسان بحفظه من الفرق ولا الكشال الذي يستخرج منه الناس العنبر السجاني ، ولا الحيوانات المجترية (المشروحة في سورة النحل بصور بعضها) ولا ذوات الظلف الواحد (كالفرس) ، ولا ذوات الأرجل المشقوقة مثل الخنزير وجاموس البحر ، ولا ذوات الخرطوم كالفيل ، ولا الحيوانات السدسية آكلة الحشرات مثل القنفذ والفار الغيطي . ولا الحيوانات آكلات اللحوم كالأسود والنمور . ولا القرود) لها مالا للانسان من قوة اليدين والعقل العظيم

يار بناه نحن أولاء نظرننا فوجدنا اليدين اللتين وهبتهما لنا أعطانا ما لم يعطه الأسد في عرينه ولا القيطس في مائه . ولا النسر في جوه . ولا الفيل بقوته . ولا الفرس بسرعه

نظرننا هذه المخلوقات فألفيناها مقيدات مقيدات لما غرست فيها من الغريزة . وأعطتها بالطبيعة . كاهن مقيدات ناقصات . فهن أقل من هذا الانسان قوة معنوية وقوة مادية

رباه : نحن بنظرنا في هذا الوجود ألفيناك وضعتنا في مركز هام عجيب . فان نظرنا للشموس والأقمار وعالم النبات والحيوان والبحار والهواء . وجدناها كلها كأنها جسم واحد ونحن في داخله ولنا به اتصال عجيب بل يكاد كل جسم من أجسامنا يكون أشبه بعضو في الجسم العام في السموات والأرض . وان نظرنا الى ما فيه الحياة مثلنا من كل حيوان . وجدناك قيدهم جميعا . فقيدت ذا الظلف . وذا الجناح . وصاحب نصف الجناح وقيدت الزاحف والماشي . وكل ما في هواء . وأعلى الأرض . وأوفى لجج البحار . فكاهن مقيدات . ولم يفك من العقال إلا هذا الانسان ، فان أيدينا وعقولنا تفعل ما لا يقدر عليه الجناح . ولا يسموله الخرطوم في الفيل ولا القوة الأسدية . والافتراس النمرى

إذن أنت يا الله فضلتنا بعقل وبأيدي فضلا عن سواهما . إذن أنت ياربنا جعلت أجسامنا مفصلات تفصيلا كأنها كتاب نقرؤه . وهذا الكتاب مفصل أبدع تفصيل . إذن يارب أنت أنعمت علينا بما وهبتنا من الحرية العقلية ، وباليدين اللتين بهما تقدر على الاختراع والاحكام والتدبير وإدارة كل عمل في أرضنا من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وإبداع واختراع . كل ذلك ابتكرته عقولنا وصنعتة أيدينا . إذن هذا الكتاب الذي قرأناه في أنفسنا وتفصيلها وفي الحيوانات حولنا وفي العوالم العلوية والسفلية يوجب علينا أن نكون خلفاء لك في أرضك . وإن نحقق هذه الخلافة إلا بالعلم والعمل . وأنا الآن يارب أكتب هذا القول للمسلمين تلك الأمة التي برزت في الوجود منذ (١٣) قرنا وغربت معالم الكرة الأرضية . وبسببها ظهرت أمم وأمم في الشرق والغرب . فأنا أكتب هذا لهم وللأمم . وأسألك يارب يرحيم أن يقوم فيهم مجددون يقومون للنوع الانساني بما قام به أسلافهم كل بحسب زمانه . وأخطبهم قائلا :

« أيتها الأمم الاسلامية . ويا أيتها الأمم العربية : طال نومكم . ألم تسمعوا قول ربكم - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - . فأين خيريتكم الآن . أستمع لما نتم عن وظيفتكم نولى بعضها غيركم من الأمم . أنتم خلفاء الله بنص الآية وبما يفهم من تفصيل الجسم الانساني . أتريدون أن تكونوا في الأمم أشبه بالعناكب والذباب وهم يكونون أشبه بالانسان . أتريدون أن تتجاهلوا ما لكم

من العقول والأيدى فيجعل بعضنا نفسه كذى الجناح أودى الخافر (حاشا لله أن يكون ذلك) وهل يرضى أبناء العرب الذين هم أصل هذه الأمم الإسلامية أن يكونوا في مؤخر الأمم ويتزلزلوا عن مجدهم الرفيع وشرفهم الكبير. ويذروا عقولهم بلا تفكير وأيديهم بلا عمل . ويجعلوا ما عرفت الأمم حولهم من العلوم والصناعات . لا لا . يا أمة الإسلام ها أنذا وصلت لكم القول ليعلم المفكرون منكم قوله تعالى - وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها - والله كما فصل القرآن فصل آيات هذا الوجود . ومن هذا التفصيل تفصيل جسم الانسان . فهو مفصل تفصيلا عجيبا . فها هو ذا القرآن وها هو ذا جسم الانسان يقضيان بحرمان الجاهلين الكاسلين الذين يذرون مواهب العقول وابتداع الأيدى عجائب الصناعات وابتكارها غرائب المنافع في الدنيا والدين . كتب في ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ و ٢٢ يناير سنة ١٩٣١

نظرتي أمس (٣ رمضان أيضا) في بلدة البركة

امرأة تطحن على رحاها

يا سبحان الله : مررت على هذه البلدة كهاتى لأنها في طريقي الى مزرعتنا بتلك الجهة قرب القاهرة فمأريت المرأة تدبر رحاها تطحن بها برا تصنعه لأهل منزلها (وقد كان هذا الموضوع أى موضوع السموات والأرض وانتظام هذا المجموع واتصاله بجسم الانسان وأمم الأرض مراتبها في ذهني محضرا في عقلي لا أقدر على التماس منه) حتى كانت هذه الرحى اتماما للموضوع وشرحا وتطبيقا على ذلك كله

الله أكبر : دارت الأرض حول نفسها فكان الليل والنهار . الأرض دائرة في يد صانعها مجذوبة حول الشمس فكانت لها تتأرجح لاعدد لها ولا حصر . وبدوراتها كان الصيف والشتاء والخريف والربيع وهناك ما لا حصر له من المخالقات . فهي رحي كبيرة . إن رحي المرأة التي رأيتها أمس مدورة والأرض كرة . إن رحي المرأة دائرة بيد المرأة والأرض دائرة بيد الصانع الحكيم . ولكن فرق ما بين الدورتين . فدورة الأولى لغذاء بيت واحد . ودورة الثانية لغذاء أم وأم

ايه أيها المسلمون . كلما كانت الأم في صناعاتها أقرب الى صنع ربها كانت أسعد حالا وأنعم حالا وكلما ابتعدت عن صنعه كانت أقل وأذل . أفلاترون الآلات الطاحنة ذوات العجلات المنتظمة الدوائر دوران هذه الرحى عملتها أيدي أناس مثلكم فقامت مقام آلاف رحي المرأة التي رأيتها في بلدة البركة أفلاترون الآلات الخابزات والخارثات والحاربات في البر والبحر فقد عملتها أيدي كأيديكم بارشاد عقول كعقولكم فأغنت أمما وأمما

كلما كانت صناعات الأم أقرب الى البساطة كانت الأم أقرب الى التفريق فيكون الانحلال ثم الفناء . وكانت بالنسبة للأم ذات الصناعات العظيمة أشبه بالحيوانات الرخوة بالنسبة للانسان . وكلما كانت صناعاتها أقرب الى صنع الصانع الحكيم مبدع الكون كانت أقرب الى الاجتماع والاتحاد والكمال في الانسانية . والانسان اليوم سائر الى هذه الحال شاء الجهال من المسلمين أم أبوا . وسيكون هذا النوع الانساني أشبه بأمة واحدة تعمل لغاية واحدة ومنفعة للجميع وتكون سعادة الانسانية بتلك الأيدى والعقول فوق ما هو عليه الآن آلاف آلاف مرة ، وتكون نسبة سعادتهم اليوم الى سعادتهم في المستقبل كنسبة الحيوانات المفصليّة والحلقية كالعلق والعقرب الى نوع الانسان ، أو كنسبة هذه الرحى التي تديرها المرأة التي شاهدتها في بلدة البركة وغييرها الى آلة بخارية عظيمة تطحن لآلاف من الأسر في القرى والأمصار . هذا وانى أحبك اللهم على نعمة التوفيق والعرفان والحكمة والتبيان . كتب يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الى هنا تم السلام على اللطيفة الرابعة والحمد لله رب العالمين

اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء انه على حكيم -

حضر أئمة العالم الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال : لقد جاء ذكر الشيخ الدباغ ذلك الأئمة في آية - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ . ولكن القول هناك بقية . ولقد أذكرني بها هذه الآية لأن البشر ليس لهم أن يكلمهم الله إلا بالوحى أو من وراء حجاب أو إرسال رسول الخ . فيا ليت شجرى أمثال هذا الأئمة من هؤلاء حتى يأتي لنا معلوم عجيبة بعضها نقله وبعضها لا ندركه . فقلت : أيها الأخ . الشيخ الدباغ وأمثال الشيخ الدباغ لا تأخذ العلم عنهم وإنما هؤلاء مذكرون لنا بالوحى . فاذا سمعنا من هؤلاء حكما لم ندر كما نحن وبحسنا فوجدناها موافقة للوحى المنزل على نبينا ﷺ قبلناه وإن رأينا ما يخالفه نبذناه . فلنا عقول ولنا دين . ولكن ليس معنى ذلك أننا نترك هذه الينابيع النابعة من فيض الله كما لا ندع الينابيع الظاهرة من الأرض بلا غمسل منا . إن المسلم في مستقبل الزمان غدير المسلم الماضي في القرون المتأخرة . انه انسان غير جامد . انسان فيه حقيقة الانسانية . لا يدع نعمة تصل اليه ولا حكمة يسميها إلا يبحث فيها . فاذا كان الماء النابع من العيون لا ينبغي للمسلم ترك الاستفادة منه . هكذا لا يليق به أن يترك حكما تصدر على انسان انسان بدون أن ينقدها ويفكر فيها . بل فوق ذلك يعلم أن الله هو نفسه الذي ساقها اليه اختبارا له لينظر أيشكر بقبولها وبحسها والاستفادة منها أم يكفر بتركها واحتقارها فيقول لا لا أنا لم أقرأ نص هذا القول في الدين . بل أقول فوق ذلك كل قول يسمعه المسلم من أى عالم في أقطار الأرض في جميع العلوم الرياضية والطبيعية والسياسية والتاريخية إنما هو نعمة من الله ساقها اليه فنبذها إنما هو نبذ لنعمة المرسلة من الله اليه . وعليه أقول : ان المسلمين بعد انتشار هذا التفسير (وقد انتشر فعلا) سيكونون نورا للام لا يذرون قوة في الأرض وما عليها . ولا حكمة صادرة من رجل فتح عليه وهو لم يتعلم كاشيخ الدباغ . ولا علما جده فيه عالم صيني أو ياباني أو ألماني أو فرنسي الخ . بعقله ونصه وآلاته الرصدية أو الكيمائية أو غيرها إلا سارعوا اليها ودرسوها وحسوها . واحفظوا ما هو نافع . وتركوا ما هو ضار

هذا هو الحق الذي لا محيص عنه . أليس هذا هو قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -

فالآية عامة وتخصيصها لا معنى له . والأرض أرض الله والناس عباد الله . وإذا انتفعنا بماء الأرض الذي هو من صنع الله وفيضه فإن الانتفاع بما تنتجه العقول أولى لأن العقول أفضل من المواد والماء مادة والعلم ينتج من العقول . إذن ترك ذلك كله أو بعضه جهالة وقلة دين وعقل

لك الحمد اللهم على نعمك ، ولك الشكر ، ولك الفضل العظيم علينا وعلى الناس أجمعين ، أنت الذى خلقت الانسان وجعلت جسمه فى هذه الأرض محوطا بالخير والشر وحججته عن المعارف والعلوم بما سلطت عليه من شهوة وغضب ، فأخذت الأمم يموج بعضها فى بعض ، وبلغن بعضهم بعضا ، جهلتهم مسذنين فى صورة منعبين ، وجهلاء فى صورة علماء ، وأريتهم بصيصا من العلم ، وبصيصا من الجلال ، وهديت أرواحهم لقبوله بدرجات مختلفات بحيث لا يتفق اثنان من الناس فى درجة واحدة ، فهم فى معارفهم مختلفون اختلافهم فى ألوانهم ولغاتهم ، واختلافهم فى خطوط أيديهم التى ظهر سرها فيما تقدم فى السورة السابقة ، واختلاف استعدادهم الفطرى

(١) فهاتين أولاه نجد القرآن نزل على رسول الله ﷺ ولقد فهمه الصحابة رضى الله عنهم والنابعون

فنشروه في السكرية الأرضية ، وكان لهم فيه فهم غير ما نفهم ، وآراء غير ما نعرف ، والدليل على ذلك نتائج أعمالهم في الأمم التي حكموها والممالك التي أحكموها والمظالم التي منعوها وأنواع العدل التي سلكوها والمبرات التي أظهروها والسعادات التي نشروها

(٢) ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وبغوا في الأرض الفساد وقطعوا الأرحام حتى عليهم قول الله - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - فلذلك استرد الله منهم ممالكهم وأورثها قوما آخرين قرونا وقرونا وهم يتدلون في حضيض الجهالة والمذلة ، وكلما نبع نابع ذموم وحقره ، وكلما ظهر عالم ازدروه ، واكتفوا من العلم بقشوره ، ومن القرآن بلفظه ، ومن العبادة بظاهرها ، ومن الدين باسمه ، واستحلوا الجمل واستمذبه ، واستبشعوا العلم وبنذوه ، لذلك حرقوا كتب الامام الفزالي في بعض بلاد القرب في القرن الخامس ، وذموا ابن رشد وكفروه أيام دولة الموحدين ، فلم تقم في أمم العرب خصوصا وأمم الاسلام عموما للعالم قائمة بعد ذلك كما ذكرته سابقا في هذا التفسير في مواضع كثيرة وأوضحته أيما إيضاح

ولما تم ذلك قبض الله للخلف قوما آخرين ليسوا علماء كالذين نعهدهم ، بل خلقهم على شاكاة تلك الأمم لم يتعلموا علما ولم يحفظوا ديننا ولم يقرءوا القرآن وأنطقهم بعلوم فوق طاقة نوع الانسان ، وانما فعل ذلك رحمة بهم ، ذلك لأن رحمة الله عامة ، فانا نراه لم يذر حشرة ولا طيرا ولا حيوانا ذريا لاتراه العيون إلا أحاطه بالنعم وملاؤه بالحكم ، وأنت أيها الذكي تعرف ذلك من المجائب المتقدمة في هذا التفسير ، فان العلوم التي ملأ الله بها أرضنا والمسلمون كانوا محرومين منها وقد كتبت ثمراتها في هذا التفسير ، تملأ القلب روعة وحبا لله تعالى وإيقانا بأنه لم يذر ذرة إلا ملأها بالحكم ولا حيوانا دقيقا أو عظيما إلا أحاطه برحمته فهو كذلك سبحانه أحاط أباءنا الذين جهلوا القرآن وكرهوا العلوم برحمته ولم يذرهم يتخبطون في دياجير الظلام بلا مرشدين بل بث فيما بينهم هؤلاء الأقوام وهم أرباب القلوب والصالحون ، وكانوا كلما أوغلوا في الجهل زادهم الله من هذه الطائفة ، ومن هؤلاء من ذكرته سابقا في هذا التفسير وهو الشيخ الديباج الذي ظهر في بلاد مراکش منذ نحو قرنين اثنين ، فانه كان في القرن الثاني عشر الهجري ، فهل لك أيها الذكي أن أحدثك عما جرى بيني وبين بعض علماء مراکش في عصرنا الحاضر في أمر هذا الشيخ ، وذلك ان هذا التفسير أثناء طبعه أخذ أفاضل العلماء في مدينة فاس وغيرها يقرءونه لتلاميذهم ، فأنا حدث الله عز وجل وزدت إيقانا بما سيكون لهذه الأمة من السعادة والفضل العظيم

والحديث الذي جرى بيني وبين هذا العالم الفاضل هو ما يأتي . قال : « انا لما اطلعنا على تفسير الجواهر انشرفت صدورنا وازدادت مسرتنا ووا لله لقد سرت روح هذا التفسير أثناء طبعه في البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأصبح العلماء والطلاب والعامة الذين يتعلمون منهم يفكرون في منافع أرضهم ومعادن جبالهم ومصادر أنهارهم ومواردها ، وفي الصناعات والعلوم على اختلاف درجاتها ، وقد انفتحت بصائرهم وانشرفت صدورهم بسبب ما يلقيه العلماء من الحكمة التي أودعها الله في هذه الدنيا ، فأصبحوا يرون حكم الله في الحجر والشجر والنهر والبحر والجبل مع أن تفسير القرآن كان العلماء يحرمونه قديما على التلاميذ باعتبار انه فوق طاقة المخلوقات ، وهذا القول سمعته من كثير من علماء تلك البلاد »

ثم قال : والله لقد أحدثت وأجديت وشرحت المصدر ، وهذا موافق لأقوال أكابر علماء الاسلام الذين لا يعولون في أقوال أهل الكشف إلا على موافق الدين وأنت صرحت بذلك ، إذن هذا يشجعني أن أسأل في بعض كلام الشيخ الديباج ومما تصوده حتى نستفيد منه . فقلت : سل ما بدالك . فقال إن الشيخ عبدالعزيز الديباج ذلك الرجل الأبي قد أتى في تفسير الحروف التي في أول السور بامور عجيبة جدا تفوق طاقة الانسان

ولما اطلعنا على تفسير الجواهر وجدنا بعضا من نور كلامه فيه وبقية جهته فوق متناول العقول في زماننا ، فأريد منك إيضاح هذا المقام حتى أبينه بين أخواني العلماء إذا رجعنا الى تلك الأقطار . فقلت : اذا تفضلت بإيضاح السؤال فإني أرجو من الله أن أوفق للإجابة . فقال : انه يقول في معنى (ص) انها تشير الى الفراغ الذي يتألف على ما تقتضيه أفعال كل ذات من الذوات ، فتراه على كافر عذابا وعلى مؤمن الى جنبيه رحمة من الرحات وعلى كافر آخر واقف الى جنب هذا المؤمن عذابا ولكن لا من جنس العذاب الذي للكافر الأول بل من جنس آخر ، وعلى مؤمن آخر واقف الى جنب هذا المؤمن رحمة ولكن لا من جنس الرحمة التي للمؤمن الأول بل من جنس آخر اقتضته أفعاله وهكذا حتى تأتي على جميع من في المحشر ولا تجد فيه حيزا يشبه حيزا أبدا مع انه فراغ واحد في رأي العين وعلى ما تقتضيه طبيعة الدنيا ، والمفتوح عليه يرى هذا عيانا ، فيرى زيدا في فراغه على ما كتب له ، ويرى عمرا في فراغه على ما كتب له ، وكأنهم الآن واقفون فيه بين يدي الله عز وجل ، فلهذا قلنا : لو علم الناس ما أريد بص وما أشير اليه به ما اجتروا واحدا على مخالفة أمر الله عز وجل ، فانه لو فتح للناس على مكاتبتهم في ذلك الفراغ لاغتبط المطيع ولمات المخالف أسمى ، ولا يخفى أنه يكون في ذلك الفراغ الكفار والمؤمنون والأنبياء والملائكة والجن والشياطين ، وقد أشار الى الكفار في سورة بقره بطوائف منهم ، والى الأنبياء بذكر طوائف منهم ، والى المؤمنين بذكرهم خلال ذكر الأنبياء ، والى الملائكة بذكر الملائكة الأعلى آخر السورة ، والى الجن والشياطين بالإشارة اليهم في آخر السورة وذكر أحوالهم في الدنيا وان لم تكن لهم في المحشر لأنها هي السبب في اختلاف أحوالهم في ذلك الفراغ الذي يحشرون فيه وبقيت أسرار آخر تتعلق بما في السورة لا يحل إفشاؤها والله تعالى أعلم .

ثم أخذ بعد ذلك يتكلم على معنى « كهيعص » وغيرها فلا أطيل به ، ثم قال : « وقد رأيت نفس هذا الشيخ لما سأله الشيخ أحمد بن المبارك في سبب كون تكبير العيد سبعا في الركعة الأولى وستا في الثانية أجابه مسرعا قائلا : « إن التكبيرة الأولى يشاهد فيها العبد المكبر ولا سيما سيد الوجود ﷺ المكونة التي في الأرض الأولى والتي في السماء الأولى ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الثانية يشاهد فيها المكونة التي في الأرض الثانية والتي في السماء الثانية ، ويشاهد المكون سبجانه وتعالى لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها المكونة التي في الأرض الثالثة والتي في السماء الثالثة ويشاهد المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها المكونة التي في الأرض الرابعة والتي في السماء الرابعة ويشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتي في السماء الخامسة ، والتكبيرة السادسة يشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتي في السماء السادسة ، والتكبيرة السابعة يشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتي في السماء السابعة ، والتي في السماء السابعة ويشاهد فيها المكون سبجانه وتعالى لأنها أفعاله تبارك وتعالى »

هذا في الركعة الأولى ، وأما الركعة الثانية فان التكبيرة الأولى منها يشاهد فيها ما خلق في اليوم الأول وهو يوم الأحد ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الثانية يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثاني وهو يوم الاثنين ويشاهد المكون سبجانه ، والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء ويشاهد المكون سبجانه ، والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الخامس وهو يوم الخميس ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة السادسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويشاهد المكون سبجانه وتعالى . فقلت : وهذه المخلوقات في هذه الأيام الستة هي التي في السموات السبع وفي الأرضين

النسج . فقال رضى الله عنه يشاهد عند رؤيته الى الأيام أصول المخاوقات التي كانت في بدء الخلق ، وأما عند نظره الى السموات والأرضين فيشاهد المخاوقات الموجودات على ظهرهما . فقلت : فتكبير العيد سبعا وستا شرع في حق كل مكاف وأين كل مكاف من هذه المشاهدة ؟ فقال رضى الله عنه من فتح الله عليه فلا كلام فيه ومن لم يفتح عليه فينبغي له أن يستعمل هذه المشاهدة ويستحضرها ولوعلى سبيل الاجال والله تعالى جواد كريم ، فان استحضر العبد ما ذكر في هذا العيد وفي العيد الذى بعده وهكذا وفرح بربه ودام على ذلك فان الله تعالى لا يخيبه ولا يخرج روحه من جسده حتى يريه تعالى هذه المشاهدات تفصيلا لأن الله على كل شئ قدير ، والبعد والانتقال إنما حصل من ناحية العبد لامن ناحية الرب سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »

ثم لما أجابه عن ذلك سأله عن سر التكبير ثلاثا اثنا عشر عشرة فريضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع . فقال : التكبير الأولى يستحضر فيها ويشاهد تصوير الذات نطفة ثم علقه ثم مضغة ، والتكبير الثانية يستحضر فيها ويشاهد تمام التصوير وكيله وحسن خلقه ونفخ الروح فيه وصيرورته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، والتكبير الثالثة يستحضر فيها ويشاهد فساد الصورة ورجوعها ترابا حين تكون في القبر ، فان هذه الامور الثلاثة من عجائب قدرته تبارك وتعالى ، ومن غرائب ما أبدعه في مصنوعاته سبحانه وتعالى لا اله الا هو ، وهذا التكبير لا يختص عند الصوفية بما ذكره الفقهاء بل يستعملونه دبر كل صلاة ولكن قبيل السلام منها . قال رضى الله عنه : والمفتوح عليه يشاهد هذه الأحوال عيانا ويراهها جهارا ، فيشاهد من باهر قدرته تعالى ما لا يكيف ، وكم من عجائب لله تعالى في مخلوقاته ، فاذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر اليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ومحو ما نزل به ما لا يكيف ، فغير المفتوح عليه يدفعه بالرؤية والعيان (كذا) . قال رضى الله عنه : وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا الى دليل ، من تلك العجائب ما اذا شاهده العبد علم بوحدانية الله تعالى من غير دليل وتكفيه مشاهدة ذلك الأمر ، ومنها ما اذا شاهده العبد علم بوجود الجنة ، ولا يحتاج الى اقامة الدليل على وجودها ، ومنها ما اذا شاهده العبد علم بوجود جهنم ولا يحتاج الى دليل ، الى غير ذلك من عجائب مخلوقات الله تعالى والله أعلم . انتهى من كتاب الابريز

هذا هو الذى أسألك عنه . ثم قال : ولست أقول انك تجيبني من ذلك المقام الواسع فانه فوق طاقة أهل الأرض ولكنى أسألك لتجيبني بما يفتح الله به عليك أنت مما يناسب زماننا الذى خلقنا نحن فيه . فقلت اعلم أيها الأخ الفاضل ان الله عز وجل خلق أرباب القلوب وجعل بعضهم كالشيخ السباغ من الطبقة التى لم تعلم ، والسبب في ذلك رحمة بالعباد ، فان المسلمين لما كرهوا العلوم وحرموها وطردوا أهل العلم فذهبوا الى أوروبا وهو سبحانه وعد ووعدهم حق إذ قال - ورحمتى وسعت كل شئ - فلم يشأ أن يذرهم بلا علم لأن الانسان هو الحيوان الناطق . فقال لهم : « يا عبادي أتم كرهتم المفكرين والعقلاء الذين يجتهدون بعقولهم ، فأنا أرسلت لكم من ينطقون بالعلم بلا كلفة ولكنى عدل ولم أخلقكم في الأرض ليكون علمكم بلامشقة ، إن العلم الذى يعطى للانسان بلامشقة لا فضل فيه له ، وكل ما كسبه الانسان بنفسه ونعمه كان كلاله ، وكل ما أعطى له بلامشقة ولا نصب كان أشبه بالمال الذى يرثه الولد عن أبيه ، فهو لا يعرف له قيمة ولا وزنا

فهؤلاء الصالحون بهم الله فيهم ، ففهم الصادقون وهم قليل جدا وأكثرهم يعيشون مهتمين بالراحة على نفقة هؤلاء الجهلاء ، وقد جعلوا الدين شبكة يصطادون بها حطام الدنيا ، وهم هم الذين يساعدون الفرنجة في إذلال الشعوب ومثلهم بعض أمراء الاسلام ، فههنا ثلاث طوائف : بعض رجال العلم والتصوف وبعض الأمراء والمستعمرون ، فهؤلاء هم الذين يحبون أن يبق المسلمون في الذل والجهل ليعيشوا معا على حسابهم

ومن كدّ أديهم ، وهذه الطوائف الثلاث كالعنكبوت تصطاد الذباب بالشبكات ، فالذباب هم جهال المسلمين والعنكبوت الصائد هم المستعمرون وبعض أمراء الاسلام وأكثر رجال التصوف وأهل العلم الذين يعمّون لارضاء المستعمرين

فإذا خلق الله أمثال الشيخ عبد العزيز الدباغ وأنطقه بالحكمة التي فوق متناول عقول أهل الأرض فذلك لحكم :

﴿ أولاً ﴾ ان هذا الشيخ لم يقرأ مثلهم ، وليس فيلسوفا ولا حكيما حتى يكفروه ، فهذا به يأتسون وهذه رجة بهم

﴿ ثانيا ﴾ هو ينطق بالعلوم المدهشة التي يقف أكبر حكيمة أمامها حائرا لعلوها ، وهذا يجعل أولئك الجهلاء مصدقين بالدين الاسلامي فيكون أرباب القلوب إذ ذاك أشبه بأوتاد وجمال ، فكما أن الأوتاد تحفظ الخيام من أن تزعزعها الرياح ، والجبال تحفظ الأرض من أن تميد ، هكذا أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص ومن على شاكتهم بهم الله في الأرض كما بثّ الجبال الرواسي فثبتوا قلوب آبائنا علماء وجهلاء وثبتت العقائد وآمن الناس واستماتوا في الدين استماتة حفظته من الضياع حتى سلوه الينا

ولادين في الأرض يبقى بلادعة ، وهذه النصرانية لولا جمعيات المبشرين (الذين يملكون من المال مئات الملايين ويجمهونه من سائر الأقطار ، وبهم زلزلوا عقائد بعض المسلمين) لم يبق لها وجود ، والدين الاسلامي لاجمعيات له والله يريد بقاءه كما وعد ، نطق هؤلاء الذين هم أرباب القلوب فنطقوا بالحكمة التي تجري على ألسنتهم كما ينطق المنوّمون (بالفتح) تنويما مغناطيسيا ، وهؤلاء وهؤلاء يشاهدون عوالم لم نشاهدها نحن في أجسامنا هذه ، غاية الأمر أن أرباب القلوب من المسلمين وصلوا لذلك بأنوار بصائرهم والمنوّمون (بالفتح) وصلوا لذلك بطرق صناعية ، والأولون أرقى منهم ، والعوالم كلها في يد الله وهو الذي فعل ذلك رجة بآبائنا حفظ هذا الدين ثم وصل الينا فنظرنا فيه وفرحنا بنعمة الله

حكم أرباب القلوب

(كالشيخ عبد العزيز الدباغ) وتفسير الجواهر

كلاهما من مصداق قوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب - الخ وقوله أيضا في السورة السابقة - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد -

فقال الاستاذ : إن في الأمر لغموضا ، فأرجو إيضاحه حتى أفهمه ، فقلت له : ماذا قال الشيخ عبد العزيز الدباغ ، ألم يقل ان كون تكبير الركعة الأولى في العيد سبعا وفي الثانية ستا يرجع الى مشاهدة عجائب السموات السبع والأرضين السبع في كل تكبيرة سماء وأرض من تلك الأرضين والسموات . قال بلى . قلت : ألم يرجع هو رجه الله تكبيرات الركعة الثانية الست الى مشاهدة المخلوقات التي خلقت فوق الأرض في كل يوم عالم من العوالم كالذي تقدم في علم طبقات الأرض إجمالا موضحا بالصور الفوتوغرافية في السورة السابقة . قال بلى والله . قلت رجع كلامه في تكبير الركعتين الى عجائب السموات والأرضين في الركعة الأولى والى ما كان عليهما في مبدأ الخلق في الثانية ، ولما كانت الأمم تعرف السبع والست ، وأن الأولى سموات وأرضون ، والثانية أيام ، أنزل هو التكبيرات على ذلك باهام من الله تعالى

ومعلوم أن عوالم الأثير الذي لا وزن له قد قرّر علماء عصرنا انه عالم أثقل من الذهب والحديد بملاحد

له كما تقدم في أول ﴿سورة الصافات﴾ وإن لم يكن مادة ، وإذا كان السهب أثقل من مقدار حجمه من الماء نحو ١٩ مرة فإن المليم الواحد من هذا الجو أثقل من ألف طن كما تقدم في أول ﴿سورة الصافات﴾ نقلا ماديا ، فقرأه هناك ، فصلا ، فالسموات السبع والأرضون السبع اقتصر عليها لأن الناس لم يسمعوها إلا بها ولكن في زماننا ظهر أن المجرة فيها عشرة آلاف مليون أرض ، وكما في السكون من ملايين المجرات ، إذن هذا ماهو إلا قول على مقدار ما يفهم السامعون

ثم قلت : انظر زادك الله علما ، وشرح صدورنا وصدور العلماء في الاسلام لانقاذ هذه الأمة المسكينة من الجهالة ، أفلاست تراه لما سئل في التكبير ثلاثا أثر خمس عشرة فريضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع ، قسم أطوار خلق الانسان الى ثلاثة أقسام : فجعل أطوار النطفة والعلقة والمضغة قسما ، ثم تمام التصوير والحسن والجمال والكمال وانتشار الروح فيه وحياته قسما ، وهلاكه وفساد صورته ورجوعه ترابا قسما . وجعل كل قسم لتكبير من التكبيرات الثلاث . قل بلى . قلت : ثم انه لما أتم ذلك أتى بالمقصود الحقيقي ، وأبان أن ذلك ليس هو كل شيء وإنما هو ضرب أمثال . فقال : « إن المفتوح عليه يشاهد من باهر قدرته تعالى مالا يكيف ، وكما من عجائب الله تعالى في مخلوقاته ، فإذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر اليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ومحور ما نزل به مالا يكيف »

ثم قل : « وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا الى دليل من تلك العجائب الخ »

أفلا تعجب معي من هذا المقال ؟ أليس هذا هو عين ما قلته في هذا التفسير مرارا : « إن العبادات يقصد بها فتح باب العلوم »

ومن أعجب العجب أن يقول في التكبير « إنه يقصد به التفكير في السموات والأرض وما خلق عليها » وهذا هو تفسير قول المصطفى « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد الخ » وعين اذكاره في ركوعه وسجوده إذ يذكر السمع والبصر الخ إذن هذا سرّ أظهره الله في آياتنا هذه ، بل ألا تعجب من انك أنت سألت هذا السؤال أيها الدكي ؟ فقال وكيف ذلك ؟ قلت : إن هذا المقال كله تفسير لآية - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فأما الآفاق فهو ما ذكره الشيخ الدباغ من السموات والأرض في تكبيرات العيد ، وأما الأنفس فهو ما ذكره الله في تكبيرات أيام التشريق في (١٥) فريضة . إذن هذا كله تفسير لآية - سنريهم آياتنا - الخ في السورة السابقة

وإنما أبرزه الله على السنة هؤلاء الذين يخلقون في زمن اضمحلال العلم وشيوع الجهل ليكون ذخيرة للمسلمين يقرؤونه وهم معجبون فيؤمنون كما تقدم ، ولستهم لطردهم العلماء وفرحهم بالجهل يعكف الصالحون منهم على العبادة ويذرون عقولهم تتخبط في دجور الظلام

إذا ما لم تكن ابل فعزى * كأن قرون جلتها العصي

ويكتفون بأنوار السلاح مع حرمانهم من أنوار العلوم . وغاية الأمر أن أناسا منهم يفتح عليهم هؤلاء قليل نفهم للأمة ونحن جثنا في الأرض ليكون بيننا رابطة ودية ، ولن تتم تلك الرابطة بيننا إلا بأن نعرف العلوم التي بها الله في أرضنا بعقولنا ، وهذا هو مقصود القرآن ، أما الفتوح فأمر آخر يختص بالانسان نفسه والسعادة الحقيقية في اسعاد الأمة ولاسعاده لها إلا بتعميم التعليم ، ولن يكون ذلك إلا بالعقل والفهم والجرى على سنة الله في أرضنا ، إذن أرباب القلوب :

(١) نفهوا القدماء بالايمان يسبب مشاهدتهم ، ولكن هؤلاء الأنباغ لاعلم عندهم وعقولهم تقف عند حد خاص لأنهم يرون جميع علماء الاسلام جهلاء ، فالنقمة والاصول ونحوها كلها لافائدة منها

وهكذا التفسير إذ تفسير هذه الطائفة فوق طاقة المفسرين

(٢) ونعموا الذين في زماننا وهم قراء أمثال هذا التفسير ، ذلك ان قراءه في أقطار الاسلام سيكونون جميعا على مشرب واحد لأنهم يحبون معرفة العوالم العاوية والسفلية ، ويرون حكم الله في كل ماجل ودق ، ويفرحون فرحا لاحد له ، ويوقنون رقا لا أعرف أنا منتهاه الآن ، فيكون الشافعي والحنفي والحنبلي والزيدى والمالكي والجعفري وكل شيعى على سنن واحد في حب ربهم وحب الأمة الاسلامية وحب العلوم ، ويرون هذا الخلاف البسيط في عدد الركعات أو التكبيرات أو نحو ذلك أمرا سهلا عاليا ويتجلى لهم الجلال في كل هذه الدنيا ، ويزدرون تلك العداوات في القرون المتأخرة الناشئة من الجهل بنظام الله تعالى في العوالم كلها ، فهؤلاء سيذيعون ما في هذا التفسير من العلوم بين أمم الاسلام قاطبة . وهناك يقابلهم طوائف من العباد والفساك وتلاميذ صغار مشايخ الطرق ، فيقولون لهم إن هذه العلوم التي في هذا التفسير ماهى إلا بدعة ولم ترد عن المتقدمين فيقولون لهم : أرأيتم ان أعظم أمرا أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص فماذا تصنعون ؟ فهناك يخضعون ويكون مانقدهم من كلام الشيخ الدباغ حجة عليهم ، ومتى سمعوه يقرّون بأنهم جهلاء وانهم يجب عليهم أن يتعلموا ، وغاية الأمر أن الأغبياء منهم يقولون هذا أمر لا يصح إلا بالفتح ، فيردّ عليهم بما تقدم في سورة الحج بما نقلته أنا في هذا التفسير عنه نفسه وهو أن الفتح ليس مقصودا بل الحجاب لأكثر الناس خير منه . فقال الاستاذ : حقيقة أنا قرأت هذا في تلك السورة منقولا عنه »

فقلت : إذن ملخص كلام الشيخ الدباغ تفسير هذه الآية وهو مقدمة جعلها الله مخزونة في السكتب حتى ظهر تفسير الجواهر وأمثاله في زماننا فوافق شرحه طبقته . ذلك ليأنس بهذا السكتب جميع أفراد الأمة وأكثرهم أتباع مشايخ الصوفية . وهؤلاء متى عرفوا أن ذلك أهم مقصود الصوفية فرحوا به وأحبوه وتعلموا العلوم بعقولهم . واذن لا يكون هناك تعطيل لعقول المسلمين كما كان في القرون المتأخرة . إذن لم يبق إلا أن أذكر معنى (ص) في كلام الشيخ الدباغ

ثم ان ما قاله في معنى (ص) وغيرها فكاه على هذا الخط . فهو للأمم الاسلامية الجاهلة في القرون المتأخرة إيمان وثبات عقيدة وللأمم الاسلامية المستقبلية المسقنة بصائر ونور إذ يعرفون أن كلامهم هو إجمال لعلوم الأنفس والآفاق . وأمثال هذا التفسير تفصيل يدركه العقل . وترى الأمم الاسلامية المستقبلية والمحاضرة التي قرأت هذا السكتاب وهو « تفسير الجواهر » أن هذا ليس بدعا بل أرباب القلوب قد ألمعوا الى ما فيه وأتوا برموز وإشارات . فهم في المسامين أشبه بحروف أول السور في القرآن . فكما أن حروف أول السور مفاتيح لعلوم تلك السور . وقد فتح الله في هذا التفسير في معاني هذه الحروف بما أراده على مقدار طاقة المؤلف وطاقة الأمم الاسلامية . هكذا جاء أولئك الصالحون وكانهم رموز وكلامهم رموز قد حفظها المسلمون ولم يدركوا مقصودهم . فجاء أهل عصرنا وقرعوا أمثال « كتاب الجواهر » فأدركوا التفصيل وهذا معناه أن تتصل الأمة سلفها وخلفها . فالسلف الأول وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم بالشريعة والعلوم الاسلامية وخلفهم الجهلاء في القرون المتأخرة بالرموز والإشارات وكلام أرباب القلوب والمسلمون بعدنا بالعلم والحكمة وظهرهم في الأمم المستقبلية وسماحتهم أولا واسعادهم لأهل الأرض ثانيا . وكل ذلك مع حبهم لربهم وخدمتهم للإنسانية العامة

ولاجرم أن المعاني التي ذكرها الشيخ الدباغ في معنى (ص) لم تخرج عن آيات الله في الأنفس . وإذا رأينا في التكبير وراء الصلوات أيام القشربق الثلاثة من أول ظهور يوم النحر يرجعها هوالى أحوال الأنفس

من حيث حياتها الجسمية في الرحم وفي الدنيا وفي حال الموت وجعلها من المحجبات والغرائب . فهذه في معنى (ص) يقول : « انها تشير الى الخلاه الخ »

ومعنى هذا اننا نحن في الأرض اليوم متفقون بحسب الظاهر في الحيوانية والناطقة ، واننا نأكل ونشرب ونلبس ، والحقيقة اننا الآن أشبه بقوم في أحلام ، فاذا رأيت جماعة في مجلس وهم يتحدثون فظاهرهم واحد ، ولكن الحقيقة أن أحدهم بين جنبه نار ، والآخر بين جنبه نار أخرى ، وثالث في قلبه مسرة ، ورابع في قلبه مسرة أخرى وهكذا ، فهم إذن أشبه بالناعمين ، فهذا يحلم حلمًا مفرحًا والآخر بجانبه يرى انه لايس تاج ملك ، أو ان عروسًا تزف اليه ، فاذا تشابه الناعمين أجسامًا واختلفا نفوسًا من حيث المسرة والمساءة ، فهكذا هؤلاء الجالسون المتشابهون في مجلس واحد أكثرهم في نصب وتعب وشقاء في الحياة الدنيا والآخرة ، ولاشقاء هناك إلا من الشقاء هنا ، لأن من يملك قطارًا من الذهب في غاية الحزن لأنه لا يملك قطارين ، وهذا ظاهر واضح ، إذن هذه الحياة أشبه بنار جهنم ولكن الناس لا يعلمون أنهم في تلك النار الجهنمية ، فهي وان لم تكن نارًا ظاهرة فهي عذاب شديد ونحن لانحس به ولا نظن انه عذاب

هذا معنى كلامه ، ومثل ما قلنا في الشقاوة تقول في السعادة ، فالسعيد أقوام تخلت نفوسهم عن الطمع والحسد والغفل ، وهؤلاء يعيشون بيننا ولكن الناس حولهم لا يعرفون سعادتهم وصفاءهم وهم بين ظهرانينا إذن هذه الأنفس فيها عذابها الآن ونعيمها الآن ، وينبوع العذاب والنعيم هذه الأنفس الانسانية في الأرض والله هو المتجلى على الجميع ، وكأن الناس اليوم واقفون أمام ربهم والله سبحانه يعذب ويرحم كل نفس بما أودعه فيها ، والوقوف يوم القيامة تابع للوقوف في الدنيا

هذا معنى كلامه وقد جعل جميع ما في السورة راجعًا الى هذا الأصل كما تقدم ، فهذه المعاني التي يقو لها الشيخ الدباغ راجعة كما قلت لك الآن الى عجائب الأنفس كما ان عجائب قلب الانسان في أطواره راجعة الى عجائب جسم الانسان

إذن معنى (ص) الذي ذكره مؤيد لما ذكرناه من أن هؤلاء القوم وان كانت علومهم ليست من المستوى الذي نسير عليه في أمثال هذا التفسير بل ترجع الى مقام آخر فلها ترجع الى عجائب الأنفس والآفاق واذن سؤالك أيها الذكي جئت فيه ما يتناول الآفاق في السموات والأرض وما يتناول الأجسام الانسانية وعجائب النفوس الانسانية .

وبهذا ظهر أن الأمة الاسلامية متحدة المشارب ساهرة على نطق واحد أولها وآخرها . فقال : ماشاء الله كان ، لقد شرحت صدرى وأبنت الحقيقة وتجلت ، فله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة . ولكن عندي سؤال واحد ، فهل لك أن تأذن لي به ؟ فقلت سل ما بدا لك . فقال : لقد سمعت في أثناء الاجابة على ماسألتك عنه تقول : « إن هؤلاء الصالحين وأرباب القلوب يخلقون في أيام اضمحلال العلم وشيوع الجهل » فكيف يكون ذلك ؟ فقلت إن الله عز وجل قال - والله أنبتكم من الأرض نباتًا - ولاجرم أن الانسان نبات مقلوب ، فرأسه في الهواء والنبات رأسه في الطين ويداه ورجلاه كفروع الشجرة وأغصانها وصدره وظهوره كذئع الشجرة ولذلك يسمونه في علم التشريح الجنع . قال نعم فهمت ، هذا واضح . فقلت إن النبات على قسمين : نبات يخرج بالزراع زارع ولاحرث حارث كما نرى في الغابات والأودية والبرك والمستنقعات والأنهار وفوق الجبال ، ولقد مررت عليك في هذا التفسير أنواع المرجان التي تظهر بهيئة نبات وان كانت حيوانات كثيرة اجتمعت بصورة نبات ، وبالجملة هذه الأرض يفت فيها نبات نافع بالزراع له وتخرج منه ثمار مهجة بهية ناعمة ، فاذا سكن تلك الأرض الانسان فانه يزيل تلك الغابات ويبيد الحشائش ويقطعها فينتفع بالخشب والأعشاب ، ثم يستعمل الأرض لما يزرعه هو على حسب حاجته فلا يخضع للطبيعة بل شرفه

هو أن يخضعها هو بقله الذي هو أشرف من الطبيعة
 هذا هو المثل الذي أردت ضربه ، فلننظر الى المسلمين فانهم لما تركوا عقولهم ومواهبهم كانت نفوسهم
 أشبه بالأرض التي ظهرت فيها أنواع الطحالب والحشائش والشوك والحسك والأشجار المثمرة وغير المثمرة .
 فأما الطحالب والشوك والحسك فهم أولئك الدجالون من الشيوخ الذين يجتمع الناس حولهم وهم لا علم
 عندهم ولا دين ، وما أكثرهم في بلاد الاسلام ، وعلامتهم انهم يأخذون المال إما من الحكومات الأجنبية
 المستعمرة ، وإما من أهل البلاد ثمنًا لولايتهم وصلاحتهم
 وأما الأشجار المثمرة ونحوها فنظيرها في المسلمين أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص وهؤلاء قليل .
 فإذا ما ازدهوت البلاد الاسلامية بالعلم وعمرت العقول بالحكمة وترعرعت العلوم وارتقت ، فهناك تقل هذه
 الطوائف إذ لا حاجة اليها كما يقل الحسك والشوك والأعشاب الضارة بالزراعة والبركة والمستقدمات الضررات
 بنوع الانسان اذا انتظمت البلاد وعم الأمن وحفظت الأنهار والقنوات ، هنالك يحل زرع الزارعين من
 الناس محل مزارع الطبيعة ، ونرى النخل والزيتون والريمان والعنب والقمح بدل الشوك والحسك والحشائش
 الضارة . هذا هو المثل الذي ضربه الله في أرضه هؤلاء الصالحين بقسميهم ، فانه اذا ارتقى التعليم في بلاد
 الاسلام يقل هذا الفريق صادقهم وكاذبهم . فقال : لقد سمع ما أردت أن أعرفه وانشرح صدري . فقلت
 الحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الجمعة ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م

جمال العلم وبهجة الحكمة

ههنا قال صديقي : هل تأذن لي أن أسأل سؤالين يلذان للمسلمين الاجابة عليهما ، فهذا المقام وان
 طال فان القول فيه جليل والحكمة بهجة والسعادة ترفرف بأجنحتها على هذه الأمة الاسلامية باظهار هذه
 الحكم التي كانت خافية على العقول ولم تكن إلا رموزا ، والدين يسر والقرآن شفاء ، والله يقول - ثم إن
 علينا بيانه - ويقول - ويربك آياته - ويقول - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
 أنه الحق - وإذا كان تبیان أن القرآن حق لا يكون إلا باليقين . فاذن أنا أطلب منك الاجابة على
 السؤالين الآتيين فما طلبت إلا اليقين الذي وعد الله أن يفشره في المسلمين ، وقد صدق الله وعده في زماننا
 وجاء اليقين لاسيما في هذا التفسير ، فلعل بعد هذا البيان أحظى بأن تأذن لي بإيراد هذين السؤالين . فقلت
 حبا وكرامة . فقال :

(١) أولا إن ما أوردتموه في تفسير كلام الشيخ الدباغ من حيث ان العجائب الكونية وأنواع الجبال
 تعرف الناس أن هناك جنة وأن هناك نارا يحتاج الى إيضاح أوفى وعلم أوسع ، فلقد ذكرتم أمثال
 الدباب والقاذورات وأمثال الصقور والرمم وأمثال البهائم والمزارع من حيث اختلاف الأغذية
 باختلاف المغذيات . وفي المقام طول . والاستنتاج يعوزه العقول الممتازة . فنحن في حاجة الى
 برهان يسهل على كل قراء هذا التفسير

(٢) ثانيا إن الكلام في العفونات والرطوبات وما يقابلها من الشهوات يعوزها زيادة إيضاح وبيان أنهم
 من حيث الحكمة بحيث يكون بانضمامه الى ما تقدم كافيا وافيًا لاشباع هذه النفوس المشرقة
 للحكمة في بلاد الاسلام

فقلت نعم أئين هنا عجايب آخر وهو اختلاف النبات ورقا وزهرا وثمرًا . إن في اختلاف النبات ثمارا وروائح
 وطعوما وجالا وصغرا وكبرا لهما تفتح لنا باب المعقولات على مصراعيه . ألم تر أن معلوماتنا وعلومنا وعقولنا
 وعواطفنا تترى في معاهد ومدارس مخلوقات في داخل أجسامنا . وتلك المدارس والمعاهد الداخليات في

نفوسنا تشبه من وجه المصانع والمعامل التي وزعت على قناتنا الهضمية واختلفت باختلاف مناطقها . ففي الفم ترى ستة أنهر جمعت لمضم المواد النشوية ، وهناك ترى غدة البنكرياس وغدة الصفراء وعصارات المعدة والأمعاء وحركات القبض والبسط لأغذية الهضم ، فهذه في هذه الأغذية المادية التي يتعاطاها الإنسان التي يملكها أيها الدكتور الرجوع إلى دراستها ككرة أخرى في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً - الخ وترى أشكالها مرسومة تسير قلبك بالتفعل وروحك بالفهم وجليستك بالأنس . فهذه هي التي شبهنا بها المدارس والمعاهد الموزعات في مناطق عقولنا المرسومات في مخنا فهذه إذا وردت لها علوم إما بواسطة الحواس كالبصر والشم والذوق ، وإما بواسطة كلام يتحول في الهواء داخل في الصماخ دال على نفس تلك المعاني المنقولة بتلك الحواس مباشرة ، فإن تلك المعاهد التي شبهناها بمناطق القناة الهضمية تتلقاها ، وكل معهد من معاهد المخ يعمل في تلك المعاني عمله ، فعمل يجمع تلك المعلومات جميعاً كأنه مخزن الرسوم وهو الحس المشترك ، ومعمل التحليل والتركيب كالمعامل الكيميائية في المدارس وهي القوة الخيلية ، ومعمل لإصدار الأحكام وهي القوة المفكرة ، ومعمل جعل لمجرد الحفظ ، وهناك آخر جعل للتذكير وهي « الذاكرة » . وهناك معمل جعل لإبراز آثارها كمن في تلك المعاهد كلها بهيئة ظاهرة غير خافية ، فهو يصور ما تحويه تلك المعاهد كلها ويظهر للعالم الخارجي بحيث يستبين للناس أن وراء هذا المعهد معاهد جمعت صوراً لكل ما هو ظاهر للناس في أقطار الأرض ، وهذا المعهد الأخير هو اللسان ، فهو يعبر عن تلك القوى كلها ويبرزها بهيئة حروف ، فهو يعبر عن كل ما في خزانة الخيال والحس المشترك والقوة المفكرة إلى آخره ، فهذه هي المعاهد أو المعامل التي في نفوسنا الموزعات على مناطق أدمغتنا المطابقة للموالم الخارجية المشابهة كل المشابهة لمعامل المناطق الهضمية المشروحة سابقاً

إذا صح هذا فنقول : إذن هنا تربية للمعلومات في نفوسنا تربية حقيقية كما رينا الغذاء في القناة الهضمية نفرجت ثمرة الغذاء بعد الهضم على مقتضى القناة الهضمية من ضعف وقوة واجادة وإهمال ، وأى فرق بين نتيجة الغذاء من حيث الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والجمال والقبح ، والذكاء والبلادة ، التي ترتبت جميعها على هيئة الغذاء الذي ربيناه وهذا بناء بالآتنا في معاملنا الموزعات على مناطق قناتنا الهضمية وبين علومنا ومعارفنا التي ربيناها في مناطق مخنا وترعرعت وشبت وبلغت أشدها وصارت فتيمة قوية ، كل ذلك بما لنا من معاهد قائمة في مناطق أدمغتنا ، فيها معهد لجمعها ، ومعهد لتحليلها وتركيبها ، ومعهد لإصطفاء ما هو أجل ، ومعهد هو خزانة لما ينبغي بقاءه ، ومعهد هو دار لتكري ما نحن في حاجة إليه ، ومعهد لنشر ما في الخارج ، إن في الدماغ لأمكن لعلوم اللغات ومناطق للعلوم الرياضية وأخرى للطبيعية وهكذا ، ولو أن منطقة من هذه أصابها العطش ، وحل بها الوصب ، وزلت بها السكوارث ، وانتابها الخطوب ، لتعطلت تلك المنافع المترتبة عليها ورسب في الامتحان تلاميذ معاهدها ، فلانرى ذلك الإنسان يحسن أن يعد الأحاد فضلاً عن العشرات ، فضلاً عن الطرح والقسمة والضرب إذا اضمحلت مناطق علوم الرياضة من الدماغ كما تسكون الأمة الأمية لاعلم لها بالحساب إذا لم يكن فيها علماء به ، وعلى هذا ففس ، فالنتيجة أن المعارف تربي في نفوسنا تربية منتظمة ونتائجها تكون على مقتضى مناطق تربيتها لها في عقولنا كما كانت نتائج الأغذية تابعة لمناطق القناة الهضمية سواء بسواء

هذا ولا جرم أن هذا عين ما يكون في النبات ، فزهرة وورقه وأثماره تابعة لتلك المعامل السكامة في باطنه ، فالنبات معامل في داخله تربي فيها جراثيم الأزهار والأنوار والأوراق والثمار وتكون الثمار الناتجة تابعة لمزاج ذلك النبات في الداخل ، فيكون حلواً ومرراً وعفصاً وحريفاً ومسهلاً وقابضاً وغذياً ومنعشاً وردياً وحسناً وذو رائحة جميلة ورائحة غير جميلة وساماً وشفافاً ومسكناً ومختلراً وهكذا من الصفات والأحوال

المختلفات ، إذن عندنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ من المناطق ﴿ النوع الأول ﴾ القناة الهضمية في كل حيوان ﴿ النوع الثاني ﴾ المناطق التي في النبات ، ولا جرم أن هذين النوعين من واد واحد ، لأن النبات والحيوان في هذا المعنى متشابهان ، لأن في كل منهما مناطق هضم واختلافت ظواهرها واتحدت وجهتها ﴿ النوع الثالث ﴾ مناطق الفهم في الدماغ اللاقي فيها تربي العلوم ، وهذه تتخذ حذو القسمين الأولين في أن النتائج لا تصدو المقدمات . وهنا آن أن نظهر نتيجة هذا كله فنقول :

المعارف والآراء والعواطف التي رزقها الانسان في هذه الحياة تكون نتائجها تابعات لما أدته مصانع عقله ومعامل ذهنه كما تشمل قنانه الهضمية وكما يكون ثمر النبات . أليس هذا هو البرهان اليقيني على الجنة والنار ؟ وماهي الجنة ، وماهي النار ؟ ألم تقدم أنهما يرجعان لسكل محبوب ولسكل مكروه مهما كانت هيئته ، ألم تر أن ثمرات النبات تختلف سموما وأغذية . قال صاحب بلى ، وحلاوة وجوضة ، قال بلى وربى . قلت : وأحدهما محبوب والثاني مكروه . قال بلى . قلت فأحدهما يمثل الجنة وثانيهما يمثل النار . ومعنى هذا أن جهاد النبات في معاملة الداخلية أنتج ماهو محبوب لنا وماهو مكروه على حسب المصانع التي تربت فيها الثمرات هكذا جهاد الانسان في معاملة الداخلية أنتج ماهو محبوب له ومكروه على حسب تلك المصانع ، ان خيرا غير وان شرا فشر ، وإذا كانت علومنا ومعارفنا ماهي إلا نتائج معاملتنا الداخلية مادمننا في هذا الجسم ، وإذا نبذناه وألقيناه شاهدنا النتائج عاقلة بأرواحنا ظاهرة في نفوسنا ، نراها رأى العين ، فهذا نظير ما اذا درسنا القمح وذريته وغربلناه فألقيناه حبا لا تبين معه ولا طين ، ويكون الحب نتيجة لذلك الزرع شرفا ووضعة ، كما ان عواطفنا وعلومنا نتائج مصانعنا شرفا ووضعة وصحة ومرض

وإذا كان لسكل نبات ثمرات لها مصالح تتبعها ، فمن الجهل والغفارة أن نقول ان هذا الانسان وعقله وعواطفه التي رباها في نفسه لانه نتيجة لها ، أليس من الغفلة أن نعرف أن الانسان والحيوان والنبات كلها أجسام نامية ، هم اننا نعلم علم اليقين أن لثمرات النبات نتائج تختلف باختلاف مزاجه ونسكه وذلك في نوع آخر من أنواع الناميات وهو الانسان ، وإذا كان حب النبات يبقى متميزا بعد تمام تربيته وهلاك زرعه ، فكيف لا يبقى نظيره في الانسان بعد فناء جسمه ، فإذا رأينا حبا مختلفا غذاء ودواء وسما بعد تشليل مائتي فيه وهلاكه هكذا نحكم بأن هناك علوما ومعارف وعواطف وأخلاقيات تبقى بعد فناء الجسم وتفرق عناصره وتبدده في العراء

أفلا يكفيك هذا أيها الدكي في شرح ما قاله الشيخ الدباغ بقدر الامكان ، في أن الحجاب في هذه الدنيا تعرفنا الجنة والنار ؟ فقال والله لا أقدر أن أقول كفتي في هذا الحجب ، ولست أكن أقول انها كفتي وحدها في قوله تعالى ... ثم إن علينا بيانه ... وفي قوله ... سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ... ولولم يكن بيان سوى ما قلتموه الآن لكفى ، ولقد تجلت انفسى الآن معان في هذا المقام ، ذلك ان هذا الذي ذكرتموه هو عينه تفسير لآية ... اليه برز علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ... فهذه الآية أثناء شمرحك المسهب الجزل كانت ترد على خاطري وأراه شرحا لها ، فقالت : هذا إلهام ألقاه الله على قلبك وأنا أقرئك عليه لأن ذكر خروج الثمرات من الأكمام بعد ذكر علم الساعة أشبه بذكر الدليل بعد المدلول أو بالحجة بعد الدعوى . فقال : إذن أرجو الاجابة على السؤال الثاني . فقلت : اعلم أن الحكمة عاقمة في المقام المتقدم والذي سند كره ، فكما أن نتائج الزروع وحجوبها مختلفات اختلاف أصولها بحيث لا يستوى الشجر المر مذاقته والشجر الحلو طعم ثمرته كالحنظل والنخل ، ولم نرم من العقلاء من نفر من هذا النظام ، بل جميع نوع الانسان مقرر بفضلته معترف بكماله فرح بهيجته ، لا فرق بين جاهلهم وعالمهم ، وناهم وخاملهم ، فكل هؤلاء هؤلاء يرون أن نتائج الزروع والأشجار كمال من حيث المتناقضات ، فنه المغذى والمسهل والخدر

والنفس والسام المهلك الخ

فاذا صحّ ذلك فيما نراه ، فهكذا يسوغ فيما لانراه من نتائج العقول الانسانية ، فاذا تجرّدت أرواحنا وأنست نفوسا اختلفت أوصافها اختلف ثمر الزرع ، فكان منها من هو أحقّ بأن يكون مع الملائ الأعلى ومن هو أحرى بأن يكون مع الشياطين في جهنم تبعاً لخواص نفوسهم وأمزجة عواطفهم ، فانها تأنس بذلك الاختلاف ولا تفرق بينه وبين اختلاف الحنظل والتمر من حيث انه نظام حسن

أقول : فاذا صحّ هذا في نتائج الزرع والعقول به مطمئنة في ثمرات النبات في الدنيا وفي ثمرات النفوس في الآخرة ، هكذا قلقل في شهوات النفوس وأخلاقها الغضبية ، إن هذه القوى السكامة في نفوسنا اللاصقة بها المهيجّة للأعمال الحيوانية والبهيمية والسبعية اذا تجرّدت الروح من الجسم بعد الموت وجب هناك أن لا تكون معطلة ، واذا كنا نشاهد العفونات والجرائم التي تجلّ وجه بعض الأرض ، وكذلك الرمم الملقاة فيها لم تعطل بل كان لها من المخلوقات الحية مقام بأكلها فتغذى بها رجة :

(١) بالأحياء من الحيوانات لئلا يهلكها الهواء الفاسد

(٢) ورجة بالحشرات لأنها تغذى به

(٣) واطهاراً للحكمة القائلة : « انه لامعطل في الوجود »

فهذه العفونات وهذه الرمم بعد أن كانت مصدر الوباء أو معطلة لافائدة منها أصبحت رجة للحشرات التي تأكلها ، فهكذا نحكم على خصال الشر الشهوية الباقية في نفوس الناس بعد الموت ومثلها خصال الشر الغضبية كالبغي والسرقة ونحوهما ، فهذه تعيش بها تلك النفوس التي أشرت حبها ، فهي على وزان نظائرها من قاذورات الأرض تعيش بها أرواح ألفتها بعد الموت كما عاشت بنظائرها في الأرض أشباح لازمتها فيحصل هنا

(١) انه لامعطل في الوجود

(٢) وأن الشر يشتق منه الخير

وما الخير هنا إلا بقاء تلك النفوس بسبب بقاء تلك الشهوات ممثلة في أفسكارها ، ولو أزيلت تلك الأفكار الناقصة من تلك الأرواح لم يكن وجود ، ولا وجود لروح إلا بما يقوتها من الآراء والعواطف كما لا تعيش الأجسام إلا بما يقوتها من أغذيتها ، وهذه ليس لديها من الآراء الشريفة ما به تعيش ، وليس لديها إلا تلك الآراء الرديئة التي اعتادتها في الحياة الدنيا ، فهذه الآراء تعيش تلك النفوس ولا مقر لها إلا في جهنم ، فهم معذبون بتلك الحال ، فهنا رجة عامة « ورجتي وسعت كل شيء » وههنا أيضاً عذاب ، فالعذاب هنا رافقه الحكمة والرجة ، خيانتها في نفسها رجة

(١) بدليل أننا اذا قلنا لتلك النفوس في جهنم أترضين بالموت فانها تقول لا

(٢) وهي حكمة لأنها أنتجت من شرور النفوس حياة لها كما يعيش السود في القاذورات والفيضان في المراحض

(٣) وذلك من عجائب النظام المفيد أنه لامعطل في الوجود

فكما أن الله لم يعطل القاذورات في الأرض ولا الرمم بل اشتق من شرّها خيراً ، هكذا لم يعطل الشهوات المغروسات في النفوس بل جعلها غذاء لها بعد الموت لأنها لا تعيش بغيرها كما لا يعيش الدباب بغير القاذورات هذه هي الحكمة البديعة ، والآية الطريفة ، والحكمة العالية ، اللهم إنا نحمدك جداً جزيلاً ، ونشكرك شكرياً كثيراً ، لقد أربقنا ونحن في هذه الدنيا محبوسون ممنوعون من الاطلاع على الحقائق أن في مزارعنا وحيواننا من العلم ما به نعرف أن هناك ناراً وأن هناك جنة ، وأن تلك النيران وتلك الجنان لوازم لما زاولته تلك الأرواح في هذه الحياة من الأعمال مع حكم أخرى شرحناها ، وعجائب كبرى بيننا ، فالحمد لك في

الأولى والآخرة ، ولك الشكر والفضل العظيم . كتب بعد صلاة يوم الجمعة ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الخامسة من اللطائف العامة والحمد لله رب العالمين

فذلك في قوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم

آثار القرآن لاسيما سورة الشورى في أمم الأرض

أولا انظر أيها الديكى ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند الكلام على قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - لترى النظام العام في العلوم الواجبة على أمة الاسلام ، وفي ﴿سورة النساء﴾ عند آية - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل - فهذه الآية ونحوها من آيات الشهادة - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم - الخ وهكذا فيها ذكر الخلافة الاسلامية والعدل ، وكيف كان قائما ، وكيف عدل قوم وظلم آخرون ، وهكذا في ﴿سورة المائدة﴾ ذكر العلوم الواجبة أيضا ، وفي ﴿سورة التوبة﴾ بيان أن قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل - الخ كان إيقاظا للمسلمين أن يكونوا سببا في اظهار أحكام الاسلام للأمم ليقوم العدل في بلادهم ، وهناك ترى شهادة سيدة أوروبا أسلمت تقول : « ان فولتير وروسو اللذين كانا سبب الثورة الفرنسية لم يتعلما ما كتباه إلا من آراء ابن رشد وعلماء الاسلام » وهناك تقرأ مظالم رجال الدين المسيحي في أوروبا واضحة مهيمنة للشعوب ، وفي ﴿سورة النحل﴾ نقرأ نظام السولة في آية - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - وفي ﴿سورة الاسراء﴾ تقرأ في أوائلها كيف حاد بعض ملوك الدولة الاسلامية في الأندلس ونحوها عن جادة الصراط السوي فذلوا ، وفي ﴿سورة السجدة﴾ تقرأ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - كيف ظهرت في الاسلام طوائف حرمت انتشار التعليم ، وكيف ظهر قوم من الفرس ألهمهم ظهور مجد العرب بالاسلام ، فسكادوا للمسلمين كيدا عظيما ، وكيف حرّم حسن بن الصباح على أتباعه حرية الفكر والتعليم ، وكيف كان كثير من رجال الصوفية يفعلون فعل ابن الصباح ، وأوروبا اليوم تنهج مع المسلمين هذا المنهج عينه ، وتقرأ في ﴿سورة النمل﴾ بمناسبة آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ مع آية - فتلك بيوتهم خاوية بما ظاهروا - فذلك عن ظلم الأمم المتأخرة الاسلامية ، وكيف كان ذلك سببا هلاكهم ، وتقرأ في ﴿سورة القصص﴾ عند آية - وزيد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض - كيف هلك الظالمون ونصر الضعفاء ، وفي ﴿سورة سبأ﴾ عند آية المحاورة بين الضعفاء والذين استكبروا قصة (محمد بن تومرت المهدي) وكيف أقام ملكا ولكن لم يدم أكثر من مائة سنة ، وبيان منافع الذين ادّعوا المهدوية وضررهم ، وهناك تبيان القول الفصل في هذا المقام واطهار الخفائق لأمم الاسلام بعدنا حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أسلافهم ، وهكذا في ﴿سورة المؤمن﴾ نماذج علمية وعملية تتخلل السورة ، وقبلها في ﴿سورة الزمر﴾ عند آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ نماذج التربية التي أثبتتها الاستاذ (كانت) الألماني في كتابه ، وبيان أن الأمراء والملوك وحدهم لا يرقون الشعوب ، بل يجب على المفكرين أن يتحدثوا في ذلك كما حصل في ألمانيا

فاذا اطلعت على ذلك أو أكثر ، فانظر الآن في أمر أمم الأرض نظرة إجمالية فانك لا تجد الشورى ظهرت في أمم الأرض إلا بعد ظهور الاسلام ، فانظر أولا في أمم الأمم الانجليزية ، فهؤلاء كانوا أول من فكروا في التخلص من ظلم ملوكهم ، وتبعتهم فرنسا ثم بقية الأمم ، وامتدت الحركة إلى أهل آسيا وأمريكا ، وزلزلت الأرض زلزالها ، ومادت عروش ، وهلك جيوش ، وقامت جمهوريات ، وجاءت الحرب العظمى من سنة ١٩١٤

الى سنة ١٩١٨ م وظهر هذا التفسير ليوفظ الله المسلمين من سباتهم به وبأمثاله فانظر ماذا جرى أولا في انكلترا تلك الأمة التي لم تكن في أول أمرها إلا أقواما من الجنس (الساكني) من سكان مقاطعة (برطنيه) شمالي غربي فرنسا ، جاءوا الى الجزيرة المواجهة لهم وسموها (بريطانيا) باسم بلادهم الأصلية ، ومنها انتقلوا الى (ايرلنده) وبقى هؤلاء القوم أصحاب الشأن في تلك البلاد الى أن دخلوا في (الأمبراطورية الرومانية) بسد حروب طويلة بها خضعوا خضوعا تاما حتى اضممحت الدولة الرومانية وتركزت البلاد لأهلها ، هنالك أغارت عليهم قبائل الانجليز والسكسون والجات ، وهم كانوا في شمالي ألمانيا ، وكان ذلك في أثناء القرنين الخامس والسادس المسيحي أي قبيل ظهور الدين الاسلامي بقليل ، فتقلب الفاتحون على أهل البلاد وسموها (أنجلند) أي أرض الانجليز ، فصارت هنالك ممالك متنافرة

وفي سنة ١٠٦٦ م أغار على بلادهم (دوق نورمندي) وهزمهم في موقعة هاستنجس ، وتوج ملكا على انكلترا ، وهنالك امتزج النورمنديون بالسكان الأصليين فكان هذا الشعب الانجليزي الحديث الذي يعتبر من ابتداء الفتح (النورمندي) وظهر إذ ذاك ملوك انكلترا شأن في فرنسا بطريق المعاصرة ، ثم كانت حرب المائة سنة التي تمت سنة ١٤٥٣ وبه خرجت انكلترا من فرنسا ، وفي مدة النورمنديين المذكورين ظهر الدستور الانجليزي الذي سقنا الكلام هنا لأجله ، ولم يكن ذلك إلا آثار الاسلام كما تقدم ، ولهم الفاتح المتقدم ذكره وان دخل البلاد فاتحا قد خضع من شوكتهم بعض قوانين للنظام الاقطاعي الذي كان عاما في أوروبا إذ ذاك ، ولما حكم (هنري الثاني) في القرن الثالث عشر المسيحي نشأ النظام المعروف بنظام المحلفين وهو أشبه بمبدأ لرق الشورى في البلاد ، ولما تولى جون ابنه قاوم الأشراف ورجال الكنيسة الملك المذكور وحاربوه فاحترم حقوقهم ، وهكذا أخذ البرلمان يقوى ويشدد وقتا بعد وقت ، وأخذ يراقب المالية ويحاسب الملوك . وفي عهد أسرة (انكستر) زاد نفوذ البرلمان الى أن ضف الملك وقامت حرب سميت (حرب الوردين) (١٤٥٥ — ١٤٨٥) إشارة الى الوردة الحمراء التي كانت شارة بيت لانكستر ، والوردة البيضاء التي كانت شارة بيت (يورك) فبات أكثر الأشراف وانتصرت أسرة لانكستر ، وتوج هنري تيودور (دوق تشمند) ملكا على انكلترا باسم (هنري السابع) وبقيت هذه الأسرة من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٦٠٣ وفي أثناء هذه المدة ظهرت حركة إحياء العلوم وذلك في زمن (هنري الثامن) في القرن السادس عشر الذي أخذ يقطع العلائق الدينية مع رومه ، وفي هذا القرن ظهر الإصلاح الديني ، هناك أخذ (الدوق سمرست) الذي لقب نفسه (حامي الملكة) إذ كان رئيسا لمجلس الوصاية على (ادورد السادس) يهضم التماثيل والصو من الكنائس ، وألقى الصلاة اللاتينية ، وأخذوا يصاون بالانجليزية ، وصودرت الأديرة وأملأوها ، وكل ذلك اتباع للمذهب (لوثر) وهو المذهب البروتستنتي ، ذلك المذهب الاصلاحى الذي امتد الى أوروبا من آثار دين الاسلام كما تقدم

وارتقى البرلمان والشورى في أيام اليبابات ، تلك الملكة التي كسر جيش الأسبان وقهرهم ، وفي أيامها أيضا ظهر (شكسبير وبنسون) و (فرنسيس بيكون)

وقامت بعدها أسرة (اسقورت) ومنها شارل الأول سنة ١٦٢٥ الى سنة ١٦٤٩ وثار البرلمان عليه ففر منهم الى الشمال ، وأخذ يحاربهم بجنود وهم قابله بالمثل ، ثم أخضعوه وحبسوه ، واتهم البرلمان الملك بالخيانة وحاكمه ، وأعدموه سنة ١٦٤٩ ، وكان المطاع في البرلمان أقوى رجل فيهم وهو (أولفر كرمول) وأصبحت انكلترا جمهورية ، وهذه هي الحادثة الأولى في العالم الجديد التي بها عرف الناس أن الملوك لاحق لهم في اضطهاد الشعوب ، وأن الشورى هي الحق والعدل ، وهذا صدى صوت هذا الدين الحنيف « وأمرهم شورى بينهم »

اللهم انك أنت تحفض وترفع ، أنت رفعت العرب الأولين بالشورى ، ولما قصروا فيها بعثتها الى أوروبا فاتمت الحال بقتل (شارل الأول) ملكهم أى ملك الانجليز . كل ذلك سرّ (سورة الشورى) وبقيت البسلطة جمهورية من سنة ١٦٤٩ الى سنة ١٦٦٠ ثم عينوا شارل الثانى سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٨٥ فرجعت ماوكية وملكهم قيدوها الى الآن وجميىمى الثانى من سنة ١٦٨٥ الى سنة ١٦٨٨ وتكن البرلمان كان يكره هذا الملك فعزله وولى (ماريه) وزوجها (وليم) وفرّ جيمس الى فرنسا وههنا لم يسفك دم وساد البرلمان فى انسكاترا الى الآن ، وبعد ذلك أصدر البرلمان (قانون الحقوق) وهذا القانون بنيت عليه الحرية الانجليزية وذاك سنة ١٦٨٩ وأعلنوا فيه أن حق الملك فى العرش مستمد من ارادة الشعب الممثل فى البرلمان ، وأن البرلمان له حق نقل التاج حسب المصلحة ، وبهذا قضوا قضاء مبرما على فكرة « الحق المقدس للملك » وبهذا منع الملك من التداخل فى السلطة القضائية ، ومن جمع الجيوش وقت السلم ، ومن جمع الضرائب بدون إذن البرلمان ، هذا كله سرّ هذه السورة (الشورى)

فرنسا بعد انكلترا

قلنا إن سبب الثورة الفرنسية إنما هو ما كتبه فلتير وروسو ، وقلنا ان هذا كما قلنا فى سورة التوبة إنما كان بسبب ما قرءوه فى كتب المسلمين لاسيا كتب ابن رشد . وأنضج الفسكرة عند الفرنسيين ماسبقهم به الانجائز من قتل ملكهم (شارل الأول) وطرد ملك آخر وهو جيمس . كل ذلك على صراى ومسمع من فرنسا جارتهم ، فكانت الثورة الفرنسية أشد وأشدكى ، فهى على قاعدة ان كل مجتمع سياسى له حق الدفاع عن نفسه ، فهو يقاوم كل مجتمع يريد به سوء . وهذا الحق إنما يستمد من نفسه لامن حاكمه « وأمرهم شورى بينهم »

ولقد بدأت حركة الدين فالسياسة فى الشعب الفرنسى فى النهضة الأوروبية الحديثة التى بها نالوا الحرية الديفية وتبعتها الحرية السياسية . وأشهر الكتاب (فلتير) المتقدم ذكره و (روسو) . أما فلتير فكان من سنة ١٦٩٤ الى سنة ١٧٧٨ فتحكم بأساوية المجيب بنظام عصره السياسى والدينى مناديا بإبادة القديم الذى لا يصالح ، وحارب الكنيسة وامتياز الأشراف وسوء تصرف المارك وفساد القوانين الجنائية ، فجاء (جان جاك روسو) من سنة ١٧١٢ الى سنة ١٧٧٨ وهو متشبع بروح فلتير ، فألف لهم كتاب (العقد الاجتماعى) الذى أبان فيه طريق الانتخاب وأن تنبى الأمة عنها رجالا منها يتولون شؤونها ، وهذا معناه « وأمرهم شورى بينهم » . وأساس نظريته أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية ، وأن الحكومة منه تستمد قوتها وسلطانها والتشريع يجب أن يكون بيد الشعب ، وآراء (روسو) صارت كأنها انجيل وكتاب مقدس يسير على مقتضاه زعماء الثورة الفرنسية . وهكذا كتب (روسو) فى التربية والموسيقى . وهو يميل للرجوع للحال الطبيعية وجاء بعده الفيلسوف (مونتسكيو) فكتب موفها الدستور الانجليزى ومزاياه ففتح أذهان الشعب الفرنسى وعرف مزايا الحرية التى يتمتع بها الانجليز . ثم فصل السلطات الثلاث بعضها من بعض وهى التشريعية والتنفيذية والقضائية . فالأولى بيد البرلمان . والثانية بيد الوزراء . والثالثة بيد القضاة . وهؤلاء مستقلون عن السلطين السابقتين . فعرفوا بذلك فساد حكومتهم إذ كانت هذه السلطات الثلاث فى يد فرد واحد وهو الملك . وظهرت حركة اصلاح أخرى فى الاقتصاد . فقام أمثال (كسناى) و (ترجوت) وأمثالهم ينفدون طريقة توزيع الضرائب فى فرنسا وارهاق الشعب بها فيكسدت التجارة وبارت الصناعة ومات بروح الاختراع ووقعت المجاعات الحلية . وقد كانت فرنسا ثلاث طبقات : الأشراف . ورجال الدين . والشعب . وكانت

الحكومة تخص الطبقتين الأوليين بامتيازات لا نصيب للشعب فيها . فسكانوا يعفونهم من ضريبة الخراج ومن المكوس ، وكان كل شريف من الأشراف له حق أخذ جزء من محصول الفلاح والزمامه بطاحن غلته في طاحونه وعصر نبيذه في معصرته بأجر عظيم ، وله حق الصيد في حقول الفلاحين ، وان لحق الضرر بزراعته ، ووظائف الحكومة خاصة بالأشراف فهم السفراء والقواد والضباط في الجيش ، والكنيسة خمس أرض الدولة ولا تدفع عنها ضرائب ، ويجمعون الأعشار من الشعب ، وأكثر ما يجمعونه يدخل جيوب الأساقفة ورؤساء الأديرة . أما الشعب وهو الطبقة الثالثة فكان (٢٥) مليوناً ، والطبقتان الممتازتان كانتا (١٧٥) ألفاً إن الملك يتصرف كما يشاء ويهوى لا قيد له فيعبد من يشاء ويطلق سراح من يشاء ويقتل ويعطي ويمنع ، وكان معه برلمان صوري

ولقد كانت فرنسا عند موت لويس الخامس عشر في سنة ١٧٧٤ على شفا جرف هار من الإفلاس بسبب ما فسرته من المال والمستعمرات في الحروب التي أدخلهم فيها لويس المذكور ، فلما تقلد الحكيم لويس السادس عشر أراد تخليص فرنسا من الضيق المالي ولكن حاشيته لم تساعد على ذلك مخالفين رأي العالم الاقتصادي (ترجوت) الذي أشار بتقليل تلك الحاشية الملكية التي تأخذ كثيراً من مال الدولة . ولما نشر (نكار) العالم الاقتصادي الذي حل محل (ترجوت) تقريراً عن حال المالية المترتبة بسبب القروض التي اقترضتها الحكومة لمساعدة الولايات المتحدة لتتخلص من حكم انكارترا ، وبسبب ما يصرفه الملك على نفسه وعلى حاشيته عزل الملك (نكار) وولى (كالون) مكانه فقال للملك : يجب أن يرغم الأشراف ورجال الدين على دفع الضرائب وأن تلقى الجمارك الداخلية ، فلم يقبل ذلك منه رجال الدولة ، فزله الملك وتولى هو تقرير الضرائب بنفسه ، فلم يوافق البرلمان على تلك الضرائب ، وأكرهوا الملك على عقد الجمعية العمومية سنة ١٧٨٩ فرفض النواب من الطبقتين الممتازين أن يجتمعوا معهم ، وقد كان لكل طبقة (٢٠٠) نائب فصاروا جميعاً (٦٠٠) نائب وأربع مائة من الأشراف ، ورجال الدين هم الذين استكبروا أن يجتمعوا مع هؤلاء العامة ، اللهم إلا بعض أفراد تسللوا وإذا حضروا مع نواب الشعب في مكان آخر غير قاعة الاجتماع وهو ملعب (التنس) وهناك أعلنوا أنهم هم (الجمعية الوطنية)

ولما اجتمع جميع النواب لسماع خطبة العرش ، وانصرف بعض الأشراف ورجال الدين شدد أمين الملك في طلب انصراف نواب الشعب فقال له (ميرابو) وهو أقوى النواب : نحن هنا بأمر الأمة ، ولن نفارق مكاننا إلا بأطراف الأسنة . وهناك أمر الملك أن تكون الجمعية الوطنية مشكلة من الجميع بحيث يجتمعون معاً ، ولكن العامة أوجسوا شراً من الملك ، فاشاعت تخيلوها ، فانقضوا على (حصن الباستيل) وهدموه وأطلقوا المسجونين فيه ، وكان ذلك في (١٤) يولييه ، وقد أصبح ذلك عيداً تاريخياً ، وهذا اليوم هو أحسن أعياد فرنسا . وازداد الجوع في فرنسا فدخل الشعب لاسيما النساء في شهر أكتوبر على قصر (فرساف) يطلبون الخبز من الملك ، ولولا الحرس لدخلوا على الملك والملكة . فانتقل الملك إلى باريس وهكذا الجمعية الوطنية أيضاً . وأصلحت الجمعية الوطنية القوانين . ونظمت كل شيء . وأزالت كل ظلم . ولكن العامة بعد ذلك تطرفوا وتغالوا وفقدوا رشدهم . فهرب الملك . فكشفوا أمره عند بلدة (فازن) في يونيو سنة ١٧٩١ فقاده العامة إلى باريس ووافق على النظام الجديد الذي أسسته الجمعية الوطنية وأعلنت انحلالها . ولكن في أثناء ذلك هاجر الأشراف خارج فرنسا واتفقوا مع النمسا وبروسيا على محاربة الثورة الفرنسية وارجاع حقوق الملك إليه . ودعا الأمبراطور (ليو بولد الثاني) وهو أخو الملكة ملك أوروبا لاختاد هذه الثورة . وهذا الأمبراطور وملك بروسيا أصدرتا منشوراً للملوك فواء « انهما مستعدان أن يكسرا ثورة فرنسا مع من ينضم إليهما »

وقهرت الأمة الملك على أن يعلن الحرب على النمسا ولكن جيوش فرنسا تقهقرت أمام المغيرين فاتهموا الملك بالخيانة ، وكلما قربت بروسيا من فرنسا ازداد غضب الفرنسيين على الملك ، هنالك أعلن القائد البروسي « ان كل من مسرّ شجرة من رأس الملك يقتل » فزاد ظنهم السوء به ، فهاجموا عليه ، فهرب إلى الجبهة الوطنية سنة ١٧٩٢ واستلجس قواموا ولكن الملك أمرهم أن يسلموا ، وهنالك كثرت المذابح ، ذلك أنهم قد اتهموا كثيرا بالخيانة كما اتهموا الملك وقتلوا نحو (١٥٠٠) نفس ، وفي هذه الفترة أصلحوا الجيش فقاوم البروسيين وأعلنوا الجمهورية في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وألقوا الملكية ، وأخطر الأمة المؤثر أن يحاكم الملك بتهمة الخيانة فحاكموه وأثبتوها وحكموا عليه بالقتل ، ونفذ الحكم في (٢١) يناير سنة ١٧٩٣ م وهذه الجمهورية لم تطل إذ تولى العرش نابليون سنة ١٨٠٤ وجعل نفسه إمبراطورا

خطاب المؤلف لله عز وجل

اللهم إنك أنت الحكيم العليم العدل ، آتسنا عدلك ونظامك في نجومك وشموسك وأقارك ، نظام بدیع ، لا ينحس شجرة ، حركات منتظمة ، ومعجائب وانحناءات ، اتحدت أضواء الشمس السبعة وهي الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي والبرتقالي والبيلى ، اتحدت نكبات الألوان الأبيض ، وبنات هاسعدنا في الحياة ، وشاهدنا سبلنا ، وتغذى نباتنا بمواد السكر بون انطأ في الهواء (الظاره مشروحا هسروماني سورة يس) وهذه الألوان هي التي ظهرت بها أفانين الألوان في الأزهار والأشجار وبدائع الجبال في عوالمنا الأرضية ، انتظمت النجوم في سيرها واتحدت في أنها لا تداخل في حجابها ، فإذا كان ؟ ظهرت بها سعادتنا على الأرض ، أما في البر ؟ معلوم ، فأما في البحر فان رباب السفينة العظيمة لن يفتأ ليلا ونهارا وهو فوق متن الماء ، ينظر السكواكب السيارة ويحسب حسابا دقيقا مقبدا لا يتفرقه سواء ، ولأنه توافى خطية لضل الطريق ولم يعرف أين هو ، فوق سطح البحر نجوم منظمة وأسوار كاملة ، هنالك عملك ، وأنت على صراط مستقيم ، لقد خلقتنا في وسط هذا النظام الجليل العجيب : وأعطينا عقولا دقات لنا « وأمرهم شورى بينهم » فيارباه هاهوذا نوع الانسان آخذ في التقليد لنظامك ، نظامك العجيب البدیع ، نظامك الذي لا تداخل فيه ، هذه هي النجوم رأيناها في أماكنها دوائر منتظمة ، لا تصادم لا تتهاافت لا تداخل

أما نظام أمننا وجاعاتنا فهو جاهل غير مبني على التجارب المتعاقبة لأننا لا غريزة لنا ننبهنا كغريزة النمل وغريزة النمل وغريزة الأرض ، غرائز صافيات كدلات بها عاشت تلك الجمهوريات بقاية النظام . أما جاعاتنا وجمهورياتنا فانك جعلتها مبنية على تجاربنا نحن ، فهاهوذا القرآن يأمرنا بالشورى فقام بها أسلافنا ثم تركها آبائنا وأسيادنا فتولاهم قوم آخرون وكان رائداهم التجارب ، انك أردت بذلك أن تكون سعادتنا ورقينا مبنيين على جدتنا واجتهادنا ، وأنت أمين المجتهدين في أى أمر كان نرى أودنوى ، وهاهي ذه فرنسا وانسكترا لهما مجالس شورية (البرلمانات) وهكذا أمريكا وبقية أوروبا ، وقد لحق بهؤلاء أهل الصين والفرس والترک

اللهم إن عبادك لايزالون ضعافا فان فرنسا التي أعلنت الحرية في بلادها وهدمت حصن الباستيل وقتلت لويس السادس عشر وانسكترا التي قتلت (شارل الأول) لأجل ظلمهما هاهما معا قد اتضا على بلاد الاسلام ونرى فرنسا تريد تغيير دين البربر في صراكش وتذل المسلمين في شمال إفريقيا ، وانسكترا تعبت بحقوق مصر وبعض بلاد العرب

اللهم إن الانسان نظام كنفار ، قتل الانسان ما أكفره ، إنه كان ظالما جهولا ، إن الأمم حلت محل ملوكها المتولين في ظاههم ، فهم يفعلون مع الأمم في الظالم ما فعله معهم ملوكهم ، وقد جهلوا أن هذه الأمم

المظالمه ستمعمل معهم لظلمهم ما فعلوه هم مع ملوكهم عاجلا أو آجلا
 اللهم انك أنت حكيم ، ان النوع الانساني قد جعل على أنه لا يعرف قيمة شيء إلا اذا تعب في تحصيله
 فهذه الأمم الشرقية سلطت أنت عليها دول الغرب لاذلالها ليكون ذلك باعثا لهم أن يتخلصوا بقوتهم هم
 ويخرجوا من قبضة الظالمين كما تخلصت تلك الأمم من ظلم ملوكهم الذين جعل الله ظلمهم وسيلة لجهاد شعوبهم
 وارتقامها ونيل حريتها

خطاب المؤلف للأمم الاسلام وأصرائهم

يا أمم الاسلام : اسمعوا . ها هو ذا كتاب الله ينادى بالشورى . وها هم أسلافكم كانوا قسوة الأمم .
 وها هو ذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « من رأى منكم فى أعوجاجا فليقمنى » وها هو أحد
 آبائكم يقول له : « والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بحدسيوفنا »

فهل فعلت انكثرتا وفرسنا مع (شارل الأول) ومع (لويس السادس عشر) غير ذلك . عمر بن
 الخطاب الذى كان يلبس ثوبا مرقعا بضع عشرة رقعة بعضها من ليف . عمر بن الخطاب الذى منع ابنته من
 أن تضيخ ازارها بالروائح العطرية من بيت المال . هذا هو الذى فهم الدين وعرفه . وفهم معنى الشورى
 فدانت له المشارق والمغرب هو والخلفاء الراشدون . وأنتم يا أصدقائي قراء هذا التفسير لاتوانوا فى إرشاد
 هذه الأمة ، فوالله انى لأعتقد فى نفسى بأن أى خاطر يخطر لى فلا أكتبه للمسلمين يجر على جسمى وعلى
 عقلى أذى كبيرا فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر

إياكم أن تتوانوا فى بث فكرة الإصلاح العام الذى فى هذا التفسير وفى غيره الذى يكون على شاكلة .
 على كل منكم أن يكون أمة بنفسه لا يتسكى على غيره ، إن المصلى منا يقول فى افتتاح الصلاة « وأنا أول
 المسلمين » . فلتسكن أول مسلمى قريتك فى أمثال هذا الإصلاح وإعلانه ، أو صلحى أمنك . إن الإنسانية
 آخذة فى الارتقاء والاتحاد على منوال ما فعله الله فى السموات والأرض ، وذلك لا يتم إلا بالجهاد ، وليس الجهاد خا .
 بقتل الأعداء ، بل محاربة العدو جهاد أصغر ، أما الجهاد الأكبر فهو ما ترونه فى أمثال هذا التفسير فان نشر
 هذه الآراء يصلح جميع مرافق الحياة ومنها نظام الجيوش الذى لا يتم إلا بإصلاح جميع أحوال المملكة ، وأن
 مداد العلماء أفضل من دم الشهداء ، والعلم أعظم النعم فى الاسلام ، ليأخذ المسلمون عموما وأبناء العرب
 خصوصا مكانتهم العلمية ، وليقودوا هذه الأمم المتخبطة الآن فى ديجور الحياة ، ولتكون وجهة المسلمين
 اليوم أنهم يكونون أقوى من جميع الأمم ، ليقودوهم الى معنى قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها »
 وذلك بالسلام العام ، وهل يعم السلام إلا اذا ساويت الأمم فى جميع أعمالها

وأنتم يا أصراء الاسلام اسمعوا منى نصيحة أنا ملزم أن أعلنها : « من كان من بيت الملك منكم فليفكر
 فى أمراطور اليابان جد الأمراطور الحالى ، ذلك الذى لما عرف أن أوروبا تحاول إذلال منسكته تنزل عن
 تلك العظمة التى جعلته هو وأباه لا يرى الشعب لأنهم فوق الناس ، بل هم من نسل الآلهة (فى خرافاتهم)
 فسار فى الطرق وقال للناس : « ها أنا ذا الأمراطور ، أنا مثلكم وأعلن التعليم العام » فعلم الشعب وارتقت
 بلاده ، وهو وأبناؤه لا يزالون ملوكا بعظمتهم وملسكهم ، والشعب هو الذى يتولى إدارة الشؤون ، ولهم كمال ملك
 الانجليز حقوق لا تضرب الشعب والشعب راض بهذه الحقوق »

هذا هو ما أوصيكم به ، إن جهل الشعوب كان غير ضار بالملوك قديما ، أما الآن فان الأمم بالرصاد فهى
 لاتذرة أمة ضعيفة إلا استعبدتها . وهذا هو العدل الإلهى فاذا كان قوم يعطلون نعم الله التى خلقها لعباده .
 وهناك قوم يقدررون على استخراجها . فمن عدل الله فى نظامه أن يرسل الآخرين ليسيطروا على هؤلاء الجهال

الذين لم يستخرجوا نعمه لمنفعة عباده بصناعة أو زراعة أو تجارة . هذا قولى وأستغفر الله لى ولكم . كتب قبل فجر وفى نضى يوم الاثنين ٢١ فبراير سنة ١٩٣١

موازنة بين سيرة عمر وجمهورية سقراط

وتطبيق نظام الأمم العربية والتركية والفرنجية عليها

أيها المسلمون : قد ظهر الحق وانطلق عمود الصباح . أيها المسلمون : بهذا يفهم النوع الانسانى معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »
أيها المسلمون : عمر وأمثال عمر هم الذين فهموا معنى قوله تعالى « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ومعنى « الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم . عمر رضى الله عنه رحيم بالعبد والحر والذى والمسلم . قرأت فى بعض كتب الزيدية المطبوعة حديثا عن آل البيت أنه عليه السلام رأى رجلا وامرأة فى السبي منكس الرأس ذليلين ، فسأل عنهما ، فقيل اننا بعنا ابنهما لأجل طعام السبي ، فأمر برده اليهما قد تقدم فى ﴿سورة النحل﴾ عند آية « إن الله يأمر بالعدل والاحسان الخ » آراء (سقراط) فى الحكومة ، وانه رتبها خمسة أقسام ، وأن كل نام فانه يذبل ، ونظام الحكومات والأفراد كنظام كل ماله حياة فهو شاب فكهل فشيخ فهرم وهكذا

وهاأنذا أوضحه هنا بعض الايضاح ، وأعجب والله كل العجب من سياسة عمر رضى الله عنه ومن فراسته الحكومة خمسة أقسام : اروستقراطية ، وديموقراطية ، واليفاركية ، وديموقراطية ، واستبدادية . ومعام أن الأمة كالفرد ثلاث طبقات : طبقة الفلاسفة وأولى العلم ، وطبقة الجند ، وطبقة بقية الشعب . وهو يقول : « إن هؤلاء الحكماء هم الذين يحكمون القسمين الآخرين كما ان قوة العقل فى الانسان تحكم قوة الغضب المقابلة للجند فى الأمة وتحكم قوة الشهوة المقابلة لبقية الرعية . ثم إن كل قسم من الثلاثة فى الأمة وفى الفرد يجب أن يقوم بعمله ، فالجند تطيع الحكم ، والعامه يطيعون القسمين كما تطيع قوة الغضب عقولنا والشهوة تطيع العقل وقوة الغضب ، ولا معنى للعدل إلا هذا . فهذا معنى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل . فاذا تولى حكم الأمة الحكماء فهذا معنى (اروستقراطية) واذا مضى الجيل الأول فترت همة الجيل الثانى عن الفلسفة والعلم واكتفوا بقوة الجند وحكموا الأمة بمجرد القوة التى لانصحبها الحكمة المستمدة من الله تعالى ، فهناك تسمى الحكومة (ديموقراطية) والثانية أقل من الأولى درجة ، ولكن اذا تمادى الجند فى الحكم رأوا أنفسهم هم والأمراء الذين لا علم عندهم ولا حكمة مغرمين بالمال إذ يقتسمون مال الطائفة الثالثة ، وهنالك يتنزل الأبناء عن منزلة آبائهم ، وتكون الحكومة إذ ذاك (اليفاركية) وهى حكومة الثروة ، فالحكمة فى الأولى تنزلت الى حساسة فى الثانية ، وهذه تنزلت الى مطامع الشهوة وجع المال ، وهنالك تزيد غلات فريق الحكم ويصبح الناس طبقتين اثنتين لا غير : أغنياء يملكون أكثر مافى الدولة وهم قليل جدا وفقراء وهو جميع الشعب فلا مناص من قيام الشعب على طبقة الحكم واذلالهم والاستحواذ على أموال الدولة وهذه تسمى (ديموقراطية) وهى دولة التهلكة والخلاعة وعدم الحياء والصيانة فيصبح الأمر فى يد العامة والجهلاء ولا يحترم الأبن أبويه ولا المحكوم الحاكم وهكذا ، ونظير هذا فى الفرد الواحد التهلكة والخلاعة وعدم الحياء والمجاهرة بكل موبقة وعدم الاكتراث بالعار والشار . والأمة اذا وصلت لهذه الدرجة فلا بد من ظهور واحد فيها يستبته بها ويذلها ويقهرها وهذه هى الحكومة الخامسة وهى الاستبدادية ، وخير هذه الخمس أولها وشرها آخرها ، والثلاثة التى بينهما مرتبات ترتيبا تنازليا

ههنا فلننظر . أليس ماقاله أفلاطون فى الجمهورية (التي ألقاها الله على قلبه وعلى قلب سقراط أستاذة قبل

ظهور النبوة المحمدية بمدة تزيد على تسعة قرون) أصبح نموذجاً لنا نفهم به قيمة الحكومات ونعتسبها ونبحث فيها بحث

سبحانك اللهم وبحمدك ، علمت قلة علومنا ، وعامت انقطاع سبيل العلم بيننا ، فأطاعتنا على آراء سقراط ففهمنا انها أشبه بمقدمة هذا الدين الخفيف

أقول هذا وأنا موثق به ، ان عقلاء أُمم الأرض وحكامهم في عصرنا وبعده كلهم يقتسون سقراط وأفلاطون من حيث التفكير ، ومتى عرفوا أن هناك تالوفاً وتوافقاً بين المدنية التي اختطها عمر رضى الله عنه وبين مرسومه هذا الفيلسوف أيقنوا بمعنى « كمنتم خير أمة أخرجت للناس »

إن الذي يأمر جنده أن لا يأخذوا أرضاً ليزرعوها من فلاحى الأمة التي دخلوها ويقول أتم أيها الجند عليكم حفظ البلاد ولسكم أرزاقكم على بيت المال وكفاكم ما تأخذون منه ، ويقول : أتم اذا ملكتم الأرض تنازعتم وفشتم وتذلون عباد الله وبزول ملككم ، وما خائف بعض رجاله هذه الأوامر بهصر أرسله عمرو ابن العاص الى عمر فهابه هيبة شديدة كما تقدم ، ولما أظهر التوبة عفا عنه

أقول : إن الذي يفعل هذا في ذلك الزمان الذي كان الفرس والروم قد انتهوا في الحكم الى الدرجة الخامسة وهي الاستبدادية وهي أدنى الدرجات ، ثم نراه يحكم الناس بالطريقة التي مدحها (سقراط) في الجمهورية وهي ان الجند لا يجز لهم أن يكون لهم ملك لئلا يميلوا الى جمع المال وكفاهم رزقهم الذي يفرض لهم من الخراج الذي تدفعه الرعية

أقول : إن الذي يفعل هذا كله وهو لم يقرأ تلك الجمهورية ولا غيرها بل هو في أمة كلهم أميون وليس عنده من العلم إلا أعماله صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي جاء فيه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وجاء فيه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - الخ أقول : أمثال هذا إنما جعله الله نموذجاً لأُمم الأرض قاطبة في الشرق والغرب ، والانسانية العامة لا بد يوماً ما صائرة اليه ، إن الله عز وجل أبهى جمهورية أفلاطون في الأُمم وهي مترجمة لجميع اللغات وفيها هذه المراتب ولم يظهر لاعلى يد أفلاطون ، ولا على يد أستاذه سقراط ، ولا على يد دولة اليونان ولا الرومان حكومة تسكون مثلاً أعلى لأُمم الأرض وإنما ظهرت في (٣٠٠) سنة وهي مدة الخلافة وبقيت في التواريخ ، وهذا مصداق حديث « الخلافة بعدى ثلاثون » واذن نفهم معنى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فهذه هي الرحمة العامة ، أليس من العجب أن الأُمم الاسلامية بعد عصر الخلافة اعتراها ما اعتري الزرع وكل حى من أنه آيل للفرق والانحلال ، ألم تحصل هذه المراتب الخمسة التي رتبها (سقراط) في الحكومات وقال انها أمور طبيعية لا يمكن اجتنابها ولا نفيها ، ورأينا أبناء العظماء بعد تلك الخلافة وبعد الصحابة (الذين كانوا مجتهدين) قد نزلوا الى الحكومة (الديموقراطية) ونرى ذلك في أوائل حكم بنى أمية وبنى العباس وهي حكومة الجند لاحكومة العلماء الذين يسرون بالحق التام . ألم نر أن بعض أواخر دولة بنى أمية قد نزلوا عن أخلاق آبائهم الى درجة (الاوليغاركية) كما نزل ملوك بنى العباس بعد المأمون والمعتمد ونحوهما الى تلك الدرجة وعكفوا على المفاني والشرب والذات ، هكذا نرى الفرس الذين استعان بهم بنو العباس لكسر شوكة العرب قد تغفلوا في الدولة الاسلامية ، وأخذ الملوك يرجع القهقري ، وأذلوا الرعية كما أذلوا الملوك وهكذا الأتراك ، أليس ذلك قريباً من المرتبة الرابعة وهي (الديموقراطية) وهي التي يشرف فيها المحكومون على الحاكمين ولا يبقى للحكومة هيبة ، ثم ظهر في الأمة مستبدون من القواد فحكموا الأمة بيد من حديد ، ويمثل الديموقراطية أيضاً (قيام طائفة الانكشارية) في الترك على ملوك بنى عثمان ، ولم سمل الجند أعين الخلفاء العباسيين كما فعل أمثالهم من الانكشارية مع ملوك بنى عثمان ولتجرب مما تقدم قبل هذا من أمر ملوك فرنسا أيام

لouis السادس عشر ومن قبل لويس ، وكيف رأيت فيما تقدم هنا أن الأشراف ورجال الدين ما كانوا يدفعون الضرائب ، وكانت الرعيصة أذلة للطائفتين ، أليست هذه هي الحكومة الثالثة وهي (الاوليفاركية) وهي حكومة الثورة وجمع المال ، وهي أدنى من الحكومة الارستقراطية ومن الحكومة التيموكراسيه أي حكومة الفلاسفة وحكومة الجنود ، وانظر كيف اضطربت الأمة كلها على بكرة أبيها وقامت فتنت (١٥٠٠) من محبي الملك وقتلوه على مرأى ومسمع من أوروبا كلها والمالوك كلهم بالمرصاد ، وقد اتحد الروس وأهل بروسيا على قتال فرنسا ، أليست هذه هي الحكومة الديموقراطية التي هي أسفل وأدنى منزلة من الثلاثة قبلها وهي الحكومة التي تكون بيد الأمة كلها ، ثم انظر بعد ذلك ، أليست ترى أن نابليون ذلك الضابط الصغير لما شرب الثأرين بالمدايح فضعت الأمة إذ أمسكها بيد من حديد ، أليست هذه هي الطبقة الخامسة وهي أدنى الحكومة باعتبار عمومها لأنها هي حكومة المستبد وان كان نابليون له مزايا لطفت الاستبداد اللهم اني أحمدك وأشكرك على نعمة العلم ونعمة الحكمة ، اللهم إن العلم الذي لا تطبق عليه أحوال الأمم لا يفيد الفائدة التامة المرجوة

اللهم اني أحمدك إذ كشفت لي حقيقة أمنا الاسلامية ، وعرفتني طرق اصلاحها . وكيف غشت الجهالة على أقوام وأقوام من أسلافنا ، فابتدعوا أحاديث ، واختلقوا لها أسانيد ، وجعلوا حكم الأمم منشؤه الأنساب في حد ذاتها . كلا والله . كذب والله

اللهم انك شرحت صدى للعلم وأنا أكتبه لأمتنا الاسلامية ، فأنا أحمدك جدا كثيرا وأشكرك ، أحمدك أن وفقني ، وجعلت لي أصدقاء في جميع أقطار الاسلام ، وهم هم الذين سيبطلون الباطل ويحققون الحق ، أنت يارب أردت ذلك ، هم سيشرحون هذه المسائل العلمية ويبينونها للناس ، هم الذين سيديسون علوم الأمم وعلوم الاسلام وعلوم النبوة (التي نحن معاشر المسلمين أكثر الأمم جهلا بحقائقها) وذلك بما انتشر بيننا من الدعايات لأهل الأنساب بحيث يرث الابن أباه في حكم الأمة وان كان جاهلا غيبيا ، عاكفا على المنبر والمغاني فيهلك وتهلك أمته معا ، لاسيما في زماننا

هنا وقد يتخذ أمثال هذا الأمير الدول الأوروبية وسيلة لاستعباد الأمم الاسلامية ويذلونها باسمه ، وليعلم المالوك والأمراء الاسلاميون أني لست أقول أعطوا الملك لغير أنبائكم فان ذلك ليس في الامكان وليكني أقول : « يجب أن يتعلم الشعب كله لأن الملك وحده لا يقوم مقام الأمة ، وإذا كان ولي العهد صالحا للملك فهو أحق من غيره ، وليكن لسنا على يقين من أن الأعقاب يكونون على منوال الآباء بدليل ما تقدم من حوادث التاريخ ومن نفس طبيعة النوع الانساني »

فلينظر علماء الاسلام الذين يقرءون هذا التفسير وملوك وأمراء الاسلام ، فإذا أنسوا من بيت الامارة والملك علما وكلا سياسة وحكمة فهم أولى بالحكم ، ولكن لما كان عالمنا الذي نعيش فيه يسير على طريقة تنازلية بحيث يكون كل جيل أضف مما قبله وهكذا وجب (لأجل الاحتراس) أن يجعل الأمر بيد مجلس الأمة ، وهؤلاء المالوك ينفذون ما يقرره المجلس وللك مزايا خاصة تقرر بينهم وبينه ، فهنا لك يحصل الغرض المطلوب ، فالأمة كلها تجتهد في التحصيل وتحسن بالتبعية الملقاة على عاتقها ويخفف الحبل عن الملك وأعوانه ، ويبقى الأمير أو الملك موضع الاعزاز والاعظام والاجلال ، وذلك كما في بلاد اليابان وبلاد الانجليز ، حتى اذا كان أحد الأبناء منحرفا عن الجادة فان الأمة والوزراء هم المسؤولون وكفى

وقد ذكرت هذا من قبل وأكرره في كل مناسبة . هذه طريقة سهلة . فإذا لم توفق أمة من أم الاسلام الى ذلك فلتجعل الامارة بالانتخاب والشورى كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وكما تفعل الولايات المتحدة ، ومتى انتظمت امارات الاسلام وجب على الأمراء أن يجتمعوا وينتخبوا واحدا منهم يكون خليفة

للمسلمين كآبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويكون انتعاذه لمدة معينة نحو خمس سنين ، وذلك خيفة أن تغير أطواره فتحصل الفتنة . هذا ما فتحت الله به في معنى « وأمرهم شورى بينهم »

أما أن نسمع أن أم الإسلام تتخذ رجلاً لأجل اسمه وتقول انه (إله) أو الإله سلت فيه ويحصل له أعوانا يشيدون باسمه ، أو تتخذ آخر لأجل صلاحه وقد اجتمع حوله تلاميذه يفادوه فوق جميع الأولياء والصالحين وذكروا له كرامات ، ثم يحكم الناس بهذه الوسيلة فيقولون هو المهدي (اقرأ ما في أول سورة الحج من الكلام على المهدي) أو نحو ذلك فهذه أشبه بأواج في بحر السياسة تموج فيه ثم تضمحل عند الشاطئ اقرأ ذلك في أخبار المهدي محمد بن تومرت في سورة سبأ وفي سورة الكهف عند آية « وما كنت متخذ المضلين عضداً » . اللهم إني كتبت ما فتحت به على اليوم ولك الحمد على نعمة العلم

إن الرجال الذين اشتهروا بالصلاح وهم حريصون على المال لهم منافع ومضار ، وضرتهم أكثر من نفعهم ، أما الذين وصفناهم وقررناهم فهم الذين يجب أن يتولوا الملك لأن نفعهم أكثر من ضررهم

ولأختم هذا المقام بحديث دار بيني وبين أحد مشايخ الطرق بمصر ، ذلك اني كنت أسكن بجهة طولون عند قلعة السكيش ، وكان بيني بالقرب من شيخ طريقه معظم في بلاد الصعيد ، وهذا الشيخ له صريدون وأكثرهم من البرابرة ، وكان اذا نزل الصعيد وعلم صريدوه قابله ٥٠٠ خيال احتراماً له واتخذوا يوم حلوله عيداً لهم ، وهناك يكسو الرجل زوجته وأبناءه وبناته ، ويكون الفرح والهناء بمقدم الشيخ ، والبلاد التي يعظمه أهلها تقل فيها السرقات ، وقد شرح ذلك شرحاً بيناً فقال : أنا اذا قدمت القرية يحضر زيد فيقول لي يا أستاذي أنا أخطأت لا تقضب عليّ فيقول له من كان معك ؟ فيقص القصص انه هو وفلان وفلان وفلان سرقوا بقرة أو نقبوا حائطاً أو قتلوا رجلاً ، فهناك يقطب الشيخ وجهه وقد حفظ أسماء الشركاء ، فمضى حضر أحدهم يأمر الشيخ بهدم دخوله عليه ، فهناك يزيد الاعتقاد في الشيخ

فهذه هي منافع هؤلاء الشيوخ ، فأما مضارهم فان هذا النفع لا قيمة له لأنه لم يكن من نفس الفرد بل انه خائف من الشيخ ، والشيخ لا ينال هذا إلا بجهل أتباعه ، وأمة هذا شأنها تكون عالة على المجتمع الانساني ، وبعض هؤلاء الشيوخ يمثلون عجل السامري ، وهذا العجل يجب أن يحرق ويذرى في الهواء كما فعل موسى فان التقوى المبنية على الرعب من نفس الشيخ تقوى لا بقاء لها وهذا هو الاتسكس وضباع الأمم بل لابد من الارشاد والتعليم

وهذه المسألة الجزئية تفسر لنا الطريق التي سنها حسن بن الصباح في قلعة الموت (هي مذكورة في سورة الكهف) فلا يظهر لأتباعه وقد حرم عليهم دراسة العلوم وحكامهم يمثل هذه الطريقة ثم انقضت تلك الدولة ، فهما كانت نية القائم بالأمس من الإصلاح فهي مخالفة لدين الاسلام وضارة بالأمم وفساد للمجموع

وهالك حديثاً آخر حدثني لي هذا الشيخ وأنا معه في منزله وأتباعه يذكرون الله والمنشد يقف . قال : إن أحد أتباعي بالصعيد (وكان أعجمي) أخذ يبتدئ في العبادة والذكر على حسب طريقتي ، فأخذ الناس يذكرون له كرامات وسمع هو بذلك فصار يتظاهر بما يدل على ذلك حتى أشاعوا أنه ارتقى فوق مرتبتي أنا ، وأنه نال فوق ما نلت . فلما نزلت ببلدتهم وكان الجمع محشداً وهو بينهم وقفوا جميعاً أما هو فانه بقي جالساً ليحقق قولهم وأنه أعلى من شيخه في الولاية ، فسأمت عليهم جميعاً ، ولما لم يقم لم أسلم عليه مع انه لو كان غيره من الناس لضربوه وأهانوه ، ولكنهم احتراموه لأنه أصبح أعلى في مقام الولاية مني ، فأوعزت سرا إلى أحد أتباعي أن يسرق حذاه . فلما أخذنا ننقل من ذلك المكان وقام معي هذا الجمع المحشداً لم يجد حذاه .

وظهر للناس انه لا علم له بمن سرق نملاه . إذن هوليس بولى فتركوه فشى حافيا . ثم أتى ليذكر مع الذاكرين فأخرجهم أتباعي بأمرى ، فشكاهم الى ، فقلت له : إن الولاية لى أنا فكيف تتكبر على بها ، وأخذ يوجه على فعلته ، ثم عفا عنه ، فرجع فردا من الأفراد والتلاميذ المعتادين وانما ذكرت هذا لأنه مهود في أكثر ديار الاسلام والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية و ١٢ يناير سنة ١٩٣١ م

بيان العدل العام في السموات والأرض

وأن الشورى مفتاح العدل ، وأن العدل والجمال يرجعان لأمر واحد ، فيكون جمالا في المحسوسات أو موسيقى ، وغريزة في الحيوان ، وعدلا عند الانسان ، ثم ذكر أنباء الشورى في زمن النبوة والخلافة وبقاء الملك ، ثم بيان تركها وذهاب الملك ، وتبين أن المسلمين بسبب ما ذاقوا من حلاوة الشورى في زمان أبي بكر وعمر قتلوا عثمان غيلة لما ظنوا انه يفضل بنى أمية ولم يلم بهم من الظلم عشر معشار ما ألم بالانجليز حين قتلوا (شارل الأول) في القرن السابع عشر ، ولا ما ألم بالفرنسيين إذ قتلوا (لويس السادس عشر) في القرن الثامن عشر ، ولا بالألمان إذ ثاروا على أمرائهم في القرن التاسع عشر

بعد ما كتبت ما تقدم من أمر الشورى في بلاد فرنسا وانكثرتا (تطبيقا على آية - وأمرهم شورى بينهم -) وبيان أن هذه الثورة السياسية في الأقطار الأوروبية لم تكن لديهم إلا من آثار النهضة الاسلامية الأولى ، جاشت النفس بخواطر في أمر الشورى في مدة الخلافة الاسلامية وهي (٣٠ سنة) وكيف كانت إذ ذاك ، وأن النبي ﷺ هو الذي بين الشريعة للناس ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج لولا فعله ﷺ وفعل أصحابه ما عرفنا شيئا منها ، فآية الشورى آية مجملة والاجال لا يفنى عن التفصيل والله يقول « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ونحن اذا اكتفينا في تفسير هذه الآية بما تقدم ذكره قد خالفنا منهج الحق ، وهذا الكتاب اليوم بين يدي المسلمين ، خفى على أن أذكر جملة صالحة توضح أمر الشورى في عصر النبوة وفي عصر الخلافة حتى يعرف الناس السبب في هذا الملك العظيم الذي امتد شرقا وغربا ولماذا أزال الله ذلك الملك ومنزق أبناء الذين قاموا بهذا الأمر تدرجاً بعد العصور الأولى ، وأقدم قبل ذلك مقدمة في النظام العام في السموات والأرض . فأقول :

اعلم أن العدل والجمال يرجعان معا الى النظام العام ، فكل ما كان منظما فهو مرغوب فيه محبوب ، وما فقد النظام فهو منفور منه ، إن النظام حليف الدوام ، والاختلال يقبضه التفرق والانحلال ، إن من اطمع على هذا التفسير أو أكثره فانه يوقن أن نظام الكواكب والشموس والأقمار نظام تام عجيب لا خلل فيه فكانت نتائجه لا تحصر لها ، إن التناسب وحسن النظام اذا فارق الأجسام الحيوانية والنباتية لم تكن لها حياة ، واذا لم يكن تناسب بين الخدين والعينين والمنخرين والفم في الوجه فقد الجلال ، فالجمال يبع التناسب والقبح يلزم عدم التناسب ، هكذا كل عضو من أعضاء الانسان والحيوان ، وكل غصن أو ورقة من نبات لها نسب خاصة ، وبغير تلك النسب لا تكون حياة للنبات ولا للحيوان

تقدم في هذا التفسير في غير ما موضع أن شبر الانسان مقياس لأعضائه ، فهو بمثابة أشبار بشبره وبعها من الركبتين الى القدمين ، وبعها من الركبتين الى الحقوين ، وبعها من حقويه الى رأس قواده ، وبعها من رأس قواده الى مفرق رأسه ، واذا مدي يديه يمتد ويسرة كان امتدادهما (٨) أشبار أيضا ، واذا مدي يديه

الى فوق رأسه فانه يجد أن المسافة من السرة الى أطراف أصابعه (هـ) أشبار كالمسافة التي بين السرة والقدمين ، أنا لا أطيل في هذا لأنه تقدم ولكنه تذكري بحجمال الوضع في العالم المشاهد والسمكال فيه ، وهذا في المشاهد المحسوس بحاسة البصر ، ومثله المحسوس بحاسة السمع كما تقدم كثيرا في غير ما موضح فان الموسيقى القديمة المبنية على نسب (البم والمثنى والمثلث والزير) والموسيقى الحديثة المبنية على قاعدة المتواليات الهندسية (١٦ — ٣٢ — ٦٤) وهكذا لم تخرج عما تحبه النفوس من النظام والجمال

الله أكبر . اللهم انك أنت الجليل الحكيم العليم . أنت الذي أحكمت ملكك . ونظمت خلقك . عجبتنا يارب من ابداعك . أنت واحد ونظامك واحد ، ولكن اختلاف مظاهره . أنت سريع الحساب فان كان ذلك الحساب في المشاهدات بحاسة البصر كبهجة الأشجار وجمال الأزهار والزروع وجمال الوجوه سميناه جالا (وان هو لا تناسب بين الألوان والأعضاء والأوراق والأعضاء بحساب لا خطأ فيه البتة كحساب سير الكواكب ، انظر بعضه في سورة الحجر عند آية « رأيتنا فيها من كل شيء موزون » فهناك تعرف أيها الذكي لم فرح الناس بالأشجار وعدوها جميلة ، وهناك تشاهد رسم الأوراق والهندسة في الدوائر التي تكونت على الأغصان وأكثر أهل العلم عنها غافلون) وان كان في السموات سميناه موسيقى واستلذت النفس به وان كان ذلك الاتقان في جماعة الحيوان كما تقدم في جمهورية النحل وجمهورية النمل وجمهورية الأرضة (المذكورات المصورات في سورة النحل والنمل وسبا) سميناه غريزة . وان كان ذلك الاتقان في سياسة الانسان العاتية وحفظ الجماعة سميناه عدلا

عجبا ياربنا ! أينما قلبنا الطرف وأدركنا وجوهنا يمينا ويسارا وفوق وتحت لاشهد إلا نظاما واحدا ، وهذا النظام له مظاهر مختلفات ، فهو جمال ونعمات وغريزة وعدل ، وأقرب المخلوقات اليها هذه الحيوانات التي نظمت بمالكها نظاما أدهشنا ، عجز الانسان والله عجزا ظاهرا أن يجاري النمل في جمهوريته ، أو يساوي النحل في مملكته ، أو يجاري الأرضة العمياء التي تتحكم مئات الالوف من تلك الحشرات التي هي عمياء مثما فهذه يارباه حكومات منظمات على منوال ما نظمت أنت من جمال وجوهنا وبدائع أشجارنا وأزهارها والأثمار نعم الانسان لم يقدر أن يجاري هذه الحشرات ولا غيرها ، فان عدل يوما ظلم سنين ، وان علم شيئا جهل أشياء ، أنت أعطيت الحرية ، ووهبت معها عقلا ، وقلت له : دونك التجربة ، ولم تضره ونفسه ، بل أرسلت له أنبياء فعلموه ، وخالقت قوما حكما ففهموه ، ومع ذلك لا تزال الشقوة تحيط به ، والذل يفشاه ، وآخر من أرسلته من الأنبياء نبينا ﷺ وجاء في وحيك « وأمرهم شورى بينهم » . فهانحن أولاء نبعث في سيرته ﷺ وسيرة الخلفاء الخاصة بالشورى فنجد انه روى أن المنركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سؤل ولم يدعه من قبل ، فاستشاره فقال عبس الله ابن أبي ابن سؤل : « كثر الأنصار يارسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط إلا أصاب منا ولدخلها علينا إلا أصبنا منه فسكيف وأنت فينا ؟ فدعهم يارسول الله فان أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين » وكان ﷺ أميل الى هذا الرأي . وقال بعض أصحابه « أخرج بنا الى هذه الاكباب لئلا يروا انا جبننا عنهم وضعفنا وخفناهم » . فقال رسول الله ﷺ « إني قد رأيت في منامي بقرا فأولتها خيرا ، ورأيت في ذباب سيني فلما فأولتها هزيمة ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم » فقال رجال فاتهم بنس وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : « أخرج بنا الى أعدائنا » وبلغوا حتى دخل فلبس لامته . فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم . وقالوا : اصنع يارسول الله ما رأيت . فقال : لا ينبغي لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقتل اه

(اقرأ بقية الكلام على هذا المقام في ﴿سورة آل عمران﴾ في المجلد الثاني من هذا التفسير) . إذن هانحن أولاء رأيتهم كان يميل إلى أن يبقى في المدينة لأنها تأويل الدرع الحصينة التي رآها في المنام . ولكن لما أشاروا عليه لبس لأمتة ولم يرجع عما أشاروا به وإن كانوا هم ندموا على مخالفتهم في طلب الخروج للقضاء . وهكذا نجد عمر رضي الله عنه وهو من خلفائه يجتهد في العدل والحق . ولا يبرم أمرا إلا بمشورة أصحابه حتى ما يختص بأمر نفسه . أو ما يقوم بأمر معاشه

﴿أولاً﴾ - ذلك أنه جمع الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال اني كنت اصرا تاجرا وقد شغلته في بأمركم هذا فإذا ترون أنه يحمل لي من هذا المال فأكثر القوم وعلى رضي الله عنه ساكت : فقال يا علي : ما تقول قال ما يصالحك ويصالح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره : فقال القول ما قال علي بن أبي طالب

وأخرجنا عن أسلم قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما يحمل لك من هذا المال : فقال ما أصلحتني وأصلح عيالي بالمعروف وحلة للشتاء وحلة للصيف وراحلة عمر للحج والعمرة ودابة لحوائجه وجهاده وروى الطبري أن هذا العطاء الذي رضي عمر لنفسه وفرضه له المسلمون لم يكفه واشتدت به الحاجة فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وتشاوروا في زيادة يزيدونها لعمر في رزقه من بيت المال فهابوا مقابلته بذلك فأتوا بيئته حفصة وأمروها أن تخبره بالخبر وتري رأيها فيه ولا تذكر له أسماهم فلما أخبرته بذلك عرفت انفس في وجهه وقال لها : من هؤلاء قالت لا سبيل إلى عامهم حتى أعلم رأيك فقال لوعامت من هم لسوت وجوههم أنت يفتي وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما أقتني رسول الله ﷺ في بيتك من اللبس (وكانت زوجته) قالت ثوبين مشقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع قال فأبى الطعام ناله عندك أرفع : قالت خبزنا خبز شميم فصبنا عليها وهي حارة أسفل عكة (١) فجعلناها هشة (٢) دسمة فأكل منها وتطعم استطابة لها : قال فأبى مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ (٣) قالت كساء لنا تخين كنا نربعه في الصيف فنجعله تحتنا فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم عني أن رسول الله ﷺ قد فرغ فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية واني قد تريت فوالله لأضعق الفضول مواضعها ولأبلغن بالترجية (٤) وانما مشي ومشي صاحبي كثلثة سلكوا طريقا ففضى الأول وقد تزود زادا فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضي برادهما لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما

هكذا كان شأن عمر رضي الله عنه في العفة والقناعة والرضى بالكفاف مما يسد الجوع ويستترى ، وروى في المناقب عن الحسن قال خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة ، وفي المناقب أيضا عن أبي عثمان النهدي قال رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة احدها من بادم (جلد) أحمر : وفيها عن قتادة أن عمر بن الخطاب أبطأ على الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر اليهم في اعتباسه وقال : انما حبسني غسل ثوبي هذا ولم يكن لي ثوب غيره

وفيها عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك هذا وأكث طعاما هو ألين وأطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكث من الخير . فقال اني سأخاضمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من اليبس : فإزال يذكرها حتى أبكها

(١) قربة السممن الصغيرة (٢) طرية (٣) ألين (٤) قال في القاموس تبلغ بكذا اكتفى به والترجية والرجاء بمعنى واحد وهو ضد اليأس

﴿ثانيا﴾ - جاء في كبر العمال عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب قال في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: أرايتم لو ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين فسكتوا فقال ذلك مرتين أو ثلاثا . فقال بشير ابن سعد لوفعلت ذلك قومناك تقويم القديح (وهو السهم المموج قبل أن يرأس وينصل) فقال عمر: أنتم اذن أنتم اذن (استحسانا لقولهم) . وفي المناقب عن عبد الجبار بن عبد الواحد التنوخي قال: قال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر أنشدكم الله لا يعلم رجل مني عيبا إلا عابه فقال رجل نعم يا أمير المؤمنين تدبيل بين البردين وتجمع بين الأديين ولا يسع ذاك الناس قال فما أدال بين بردين ولا جمع بين أديين حتى اتى الله . وقوله يدبيل بين بردين أى يلبس قيصا ويخليه ويلبس غيره . وذكر بعض المؤرخين أنه خطب يوما فقال: أيها الناس من رأى منكم في أعوجاجا فليقومه ، فقام رجل فقال: والله لو وجدنا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا . فقال عمر: الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم أعوجاج عمر بسيفه

﴿ثالثا﴾ - قال الأحنف بن قيس: كنت مع عمر بن الخطاب فلقبه رجل فقال يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعدني على فلان فإنه قد ظمئني فرفع عمر الدرة فخفق بهارأسه . فقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى اذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه اعدني اعدني . قال فانصرف الرجل وهو يتذمر قال «أى عمر» على الرجل «أى رده على» فألقى اليه الخففة . وقال امتثل «أى اقتص بمثل الضربة» فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك: قال ليس هكذا اما أن تدعها لله ارادة ما عنده أو تدعها لى فاعلم ذلك: قال أدعها لله قال «أى الأحنف» فانصرف ثم جاء يمشى حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين وجلس فقال «يخطب نفسه» يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حلك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضر به ما تقول لربك غدا اذا أتيت . قال فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض

﴿رابعا﴾ - من انصافه للرعية ما روى انه أتى رجلا من أهل مصر الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم . قال عذت معاذ . قال سأقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين ، فسكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بانه عليه فقدم ، فقال عمر أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأكرمين ثم قال للمصري ضعه على صلعة عمرو: قال يا أمير المؤمنين انما ابنه الذى ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو: مذكم تعبدتم الناس وقدرتتم أمهاتهم أحرارا: قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني (يعنى) المصري

﴿خامسا﴾ - ومن معاملته لأهل الذمة وشفقته عليهم ما جاء في نفس هذا الكتاب وهذا نصه: «ومن جيل سياسته اهتمامه بأهل الذمة الذين دخلوا في عهد المسلمين وساطانهم من الشعوب غير المسلمين ووصاياهم للعمال بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وأذاهم وبلغ اهتمامهم بهم ان كان اذا غابت عنه أخبارهم أو بلغه أقل شيء عنهم يستدعى ذوى أمانة من المسلمين الذين أقاموا في بلادهم ويسألهم عن أحوالهم ويستقصي سيرة العمال منهم ومن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه ان عمر رضي الله عنه كتب الى أمير البصرة أن يبحث له جماعة من ذوى الرأى والبصيرة فأرسل اليه وفدا فيهم الأحنف بن قيس فسألهم عن أهل الذمة وهل يشكون ظلمنا أوحيفا فأجابوه بالسلب ولم يطمئن لقولهم حتى استوثق من الأحنف وكان يثق به صدقهم

ومن أجل ما يؤثر عنه من الرفق بأهل الذمة ما جاء في كبر العمال ان عمر صمّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد فقال: ما أنصفناك كنا أخذنا منك الجزية في شديتلك ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه

﴿سادساً﴾ - ومن حسن سياسته تقدمه الى قواده بأن لا يسكوا الجند في الفوز أكثر من أربعة أشهر وسببه أنه كان يطوف ليلة بالمدينة على عاتقه فسمع امرأة من وراء بابها تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه * وأرتقى أن لا خليل لأعبسه
فلولا حذر الله لأشياء مثله * لخرج من هذا السرير جوائبه

فكتب عمر الى عماله أن لا يغيب أحد بالفزو : ونعم الرأي

ومن سياسته توقيفه الحدود عند الضرورة الداعية لذلك فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمار قال : كتب عمر بن الخطاب ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سريه أحدا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حية الشيطان ان يلحق بالكفار

ومن سياسته أنه كان يحبس عن العمل كثيرا من كبار الصحابة منهم من كان لا يستعمله خوفا على دينه من أن يدنس بالولاية فقد أخرج ابن سعد عن عمران بن عبدالله قال : قال أنس بن كعب لعمر بن الخطاب مالك لا تستعملني : قال اكروه أن تدنس دينك

ومنهم من لا يستعمله خشية أن يحمله على رقاب الناس أو خشية أن يتحدث نفسه بالأمانة اذا بعد عن مراقبته وهؤلاء هم بنو هاشم لما كان يتفرسه فيهم من التطلع الى الامارة في صروج الذهب للسعودي عن عبدالله بن عباس أن عمر أرسل اليه فقال يا ابن عباس : ان عامل حص هلك وكان من أهل الخير وأهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك فخارأيك في العمل قال لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك . قال وما تريد الى ذلك . قال أريده فان كان شيء أخافه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريئا من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عمله هنا لك فاني قلما رأيت أو ظننت شيئا إلا عايته . فقال يا ابن عباس انني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في عمله فتقول هلمّ الينا ولاهلمّ اليكم دون غيركم . اني رأيت رسول الله ﷺ يستعمل الناس وترككم : قال (أي ابن عباس) والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك : قال (أي عمر) والله ما أدري أضنّ بكم عن العمل فأهل ذلك أتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك فخارأيك قال : (أي ابن عباس) أراني لا أعمل لك : قال ولم : قال ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك قال : فأشر عليّ . قال اني أرى أن تستعمل صحيبا منك صحيبا لك

﴿سابعاً﴾ - جاء في كنز العمال عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان اذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيّا ولا تلبسوا رقيقا ولا تنلقوا أبوابكم دون حوائج الناس إن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة . ثم يشيعهم فاذا أراد أن يرجع قال اني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعشارهم ولا على أبشارهم (١) ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيهم وتحكموا بينهم بالعدل فان أشكل عليكم شيء فافروه الى . ألا فلا تضرّوا العرب فتذلوها ولا تجمروها (٢) ففتنوها ولا تعتلوا عليها فتجرموها : جودوا القرآن . (وفي رواية) وأقلوا من الرواية

وكان اذا بلغه عن أحد من عماله أمر يخل بالمرءة عزله في الحال ففي المناقب لأبي الفرج بن الجوزي عن ابن سعد قال : كان عمر بن الخطاب يستعمل الزهيمان ابن فضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال ألا هل أتى الحسناء أن حليلها * بميسان يسقي في زجاج وحنتم

في أبيات يقول في ختامها

(١) كناية عن أجسامهم وأموالهم (٢) قال في القاموس جره تجميرا جمعه والقوم على الأرض تجمعوا الى أن قال والجيش حبسهم في أرض العدو وأهله هو المراد

لعسل أمير المؤمنين يسوع ✕ تنادى بالجو سقى المتهمسدم
فلما بلغ عمر قوله قال . نعم والله انه ليسوفى من اقيه فليخبره انى قد عزلته . فتقدم عليه رجل من قومه
فاخبره بعزله فقدم على عمر فقال والله ما أحب شيئاً مما قلت ولكن كنت امراً شاعراً وجدت فضلا من قول
فقلت فيه الشعر فقال عمر والله لا تعمل لى على عمل ما بقيت . وفي رواية عن عثمان الخزامى عن أبيه قال لما بلغ
عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب الى النعمان بن نضلة (بسم الله الرحمن الرحيم) حم تزيل الكتاب من
الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . أما بعد فقد
بلغنى قولك

لعسل أمير المؤمنين يسوع ✕ تنادى بالجو سقى المتهمسدم

وايم الله انه ليسوفى وعزله
ومن عجيب سياسته مع العمال أنه كان يحصى أموالهم قبل العمل ومازاد بعده يصادهم على كله أو بعضه
ومن هذا ما رواه الطبرى أن عمر استعمل عتبة بن أبى سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال فقال له ما هذا يا عتبة
قال مال خرجت به معى وتجرت فيه . قال ومالك تخرج المال معك فى هذا الوجه فصيره فى بيت المال
وروى أن خالداً لما أدرب هو وعياض الى بلاد الروم انتجعه من العراق رجال منهم الاشعث بن قيس
فوصله بعشرة آلاف درهم فبلغ ذلك عمر فكتب الى أبى عبيدة أن يحصى مال خالد ويصادره على النصف
فدعاه وتلا عليه أمر أمير المؤمنين وصادره على نصف ماله حتى الخفين أخذ منهما واحدا وترك له الآخر
(ثامنا) — شاطر عمر سعد بن أبى وقاص على ماله وشاطر أباهريرة ولما أبى أن يشاطره ضربه وصادر
غيرهم أيضا ورد أموالهم لبيت المال

(تاسعا) — واخرج عن حبيب بن أبى وائل قال . قال عمر بن الخطاب لو استقبلت من أمرى ما استدبرت
لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين
(عاشرا) — ومن أخباره فى التأديب التى تدل على عظيم رحته وحنانه وشدة عقوبته اغلاظ القلوب
ما جاء فى كنز العمال عن أبى عثمان النهدي قال : استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بنى أسد على عمل جفاء يأخذ
عهده فأبى عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدي . أتقبل هذا يا أمير المؤمنين والله ما قبلت ولدا قط . قال عمر
فأنت والله بالناس أقل رجة هات عهدنا لا تعمل لى عملا أبدا
(حادى عشر) — تظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى أنه ضربه وتعدى عليه فقال . اللهم انى لأحل
لهم اعشارهم ولا أبشارهم (أموالهم وأجسامهم) كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دونى ثم أقاده منه (أى
أخذله القود)

وقال المقبرة بن شعبة وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه أن يخدع وعقل يمنعه أن يشخدع
فى كنز العمال عن طاوس أن عمر قال أرأيتم ان استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أقضيت
ما على ؟ قالوا نعم . قال لاحتى أنظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا
وفيه عن عمر قال . الرعية مؤدية الى الامام ما أدى الامام الى الله فاذا رفع الامام رفعوا (أخرجه بن سعد)
(ثانى عشر) — (حكاية عمر مع جبلة بن الأيهم ملك غسان) فانه لما أسلم ووفد على عمر بن الخطاب
بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب و بينما هو يطوف يوما وطى على إزاره أعرابى من بنى فزارة فضربه على
وجهه فشكاه الاعرابى الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له اما أن ترضيه واما أن يضربك كما ضربته
فكبر ذلك على جبلة وقال : ألا تفرقون بين الملك والسوقة . قال لا قد جمع بينكما الاسلام ، فاستمهله الى الغد
ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا ولحق بالامبراطور هرقل بالقسطنطينية فأرسل عمر من يسترضيه فأبى الرجوع

﴿ثالث عشر﴾ - ما ذكره الطبري في تاريخه عند الخبر عن إرسال الجيوش الى نهاوند في أخبار سنة (٢١) قال ونزل بسعد (أي ابن أبي وقاص) أقواماً وأبو عليه فيما بين ترأس القوم واجتماعهم الى نهاوند ولم يشغلهم مادمهم المسامحة من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر فقال عمران الدليل على ما عندكم من الشر فهو وضعكم في هذا الأمر وقد استعد لكم من استعداد وأيم الله لا يمنني ذلك من النظر فيما لديكم وان نزلوا (يعني الفرس) بكم فبعث عمر محمد بن مسامة والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع وكان محمد بن مسامة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكى زمان عمر (١) فقدم محمد على سعد ليطوف به على أهل الكوفة والبعض تضرب على أهل الامصار الى نهاوند فطوف به على مساجد أهل الكوفة لا يتعرض للمسئلة عنه في السر وليست المسئلة في السر من شأنهم اذ ذاك . وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد الا قالوا لا نعلم الاخيرا ولا نشتهي به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه . إلامن مالا الجراح بن سنان وأصحابه فانهم كانوا يسكتون ولا يقولون سوءا الى أن قال الطبري وخرج محمد به (أي بسعد) وبهم الى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فسأله عمر عن أوجه الشكوى فأنكرها ولم يسعهم إثباتها فردهم عمر وخشى اذا أتى سعدا على الكوفة أن يكون بينهم وبينه أمر فعزله احتياطا وسأله من خلفتك على الكوفة فقال له عبد الله بن عبد الله ابن عتيان فأقره

ومنه تعلم كيف كان رضى الله عنه مراقبا لعماله كثير التحقيق عن أخبارهم لا يتعجل في أمرهم اذا جاءته شكاية على أحدهم بل ينثبت الخبر بنفسه ويحققه بمواجهته فان ثبت عليه شيء مما يدعيه الشاكى عزله

﴿رابع عشر﴾ - كان رضى الله عنه لا يحب أن يفرق عماله في المعاملة بين الحر والعبد ولا بين القوى والضعيف أخرج بن جرير الطبري عن الأسود بن يزيد قال كان الوفد اذا قدموا على عمر رضى الله عنه سأله عن أميرهم فيقولون خيرا فيقول هل يعود صرضاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه بالضعيف وهل يجلس على بابيه فان قالوا لا عزله

﴿خامس عشر﴾ - لما وفد عليه الأحنف بن قيس وسأله عن حال الذمة في ولاية البصرة وصرفه كتب معه كتابا الى عتبة بن غزوان أمير البصرة يوصيه فيه بأهل الذمة هذه صورته (عن تاريخ الطبري)

اعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بنى فانكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم اليكم فيما أخذ عايكم فأوفوا بهمد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصرا

وبلغه مرة أن حرقوصا عامله على الأهواز نزل جبل الأهواز والناس يختلفون اليه والجبل كثود يشق على من راحه فكاتب اليه ماصورته نقلا عن تاريخ الطبري في حوادث سنة (١٧)

(أما بعد) بلغني أنك نزلت منزلا كثودا لا تؤتي فيه الاعلى مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد وقيم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكسر دنياك وتذهب آخرتك

﴿سادس عشر﴾ - وأخرج عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا بأشاركم ولا يأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسمتكم (وفي رواية ويقضوا بينكم بالحق ويحكموا بينكم بالعدل) فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه (٢) فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرايت ان كان رجل من أمراء المسامحة على رعيته فأدب بعض رعيته أنك لتقصه منه . قال إى والذي نفس عمر بيده اذن لأقصنه منه وكيف لأقصنه

(١) وظيفة محمد بن مسامة هذه تشبه وظيفة المفتشين لهذا العهد

(٢) يعنى يمكن خصمه من الاقتصاص منه أو يقتص له منه

منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه . ألا لاتضر بوا السامين فتدلوهم ولا تجردوهم فتقتنوهم ولا تمنوهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الفياض فتضيروهم

وعن أبي راحة قال كتب عمر بن الخطاب الى العمال . اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قري بهم كعبيدهم وبعيدهم كقريهم إياكم والرشا والحكم بالهوى وان تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار

وروى الطبري أن عمر كان يقول في عمله . اللهم اني لم أبعثهم ليضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني . ومع كل هذا التشديد على العمال فانه رضى الله عنه كان دائماً قلقاً على الرعية خائفاً من أن يجار عليهم بأس لا يصله خبره لهذا عزم قبيل قتله أن يسافر ويطوف على العمال جميعهم ليعتد عن أمور الرعية ويقضى حاجاتهم . فقد أخرج الطبري عن الحسن قال . قال عمر بن الخطاب لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً فاني أعلم ان الناس حوائج تقطع دوني أماعمالهم فلا يرفعونها اليّ وأماهم فلا يصلون اليّ فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين والله نعم الحول

(سابع عشر) - كان من عماله سلمان الفارسي وكان عامله على المدائن وكان على جانب من الزهد والتقوى والصالح عظيم فكان يلبس الصوف ويركب الجار يردعته بغير إكاف ويأكل كل خبز الشعير فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله أذكرك الله (١) عندهمك اذا هممت وعندك لسانك اذا حكمت وعندك اذا قسمت . فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا الخفون وأرى هذه الأسودة (جمع سواد وهو المال الكثير) حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا دواة وركوة ومظهرة

وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجاني فعذل على ذلك وقيل له انك بالشام وأمير المؤمنين وحولنا الأهداء فغير من زيك واصلح من شارتك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله ﷺ

وكان عامله على حصص سعيد بن عامر بن حذيم فشكاه أهل حصص اليه وسأله عزله . فقال عمر اللهم لا تقل فراسني فيهم . ماذا تشكون منه . قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحداً بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا . فقال عمر عليّ به فلم اجمع بينه وبينهم فقال ما تنقمون منه . قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعيد . فقال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فاعججن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره أن أذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا له يوم في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لى خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسى . فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراسني فيكم يا أهل حصص فاستوصوا بواليكم خيراً . ثم ان عمر بعث اليه بألف دينار وقال استعن بها . فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتمنا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صرراً ثم دفعها الى من يشق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى فلان ومسكين آل فلان حتى يبق منها شيء يسير فدفعه الى امرأته وقال أنفق هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادماً فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه . انتهى من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

(١) لعل الصواب قد كنت تذكر الله

هانحن أولاء الله شاعدا جيل صنعك وبيدع اتقائك في عوالمك المشاهدة والسموعة والتي أوجيت بها للحيوان وما علمت به الانسان. وهانحن أولاء نقرأ آثار ﴿سورة الشورى﴾ في آخر الأديان المنزلت الى الأرض. كل جبال في كوكب أوزهر أو وجوه حسان في نوع الانسان. وكل نظام في جماعة الحيوان أو عدل على يد نبي أو خليفة أو صالح داخل تحت آية « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض »

أما صراطك الذي في السموات والأرض فهذا التفسير قد ألمّ بصور كثيرة منه . وأما الصراط المستقيم الذي يدعو اليه رسولك ، فبعضه ماجاء في هيئة الشورى المتقدمة أيام النبوة والخلافة اللهم إن هذه الأعمال الشريفة ، والمعاني المنيفة ، لم يبق عند كثير من أمم الاسلام إلا أخبارها ، اللهم إني بينت باعانتك وأنت الحكيم العليم ، فاشرح صدور المسلمين لدرس تلك الأعمال الشريفة ليرجعوا مجددهم ويقوموا بنظام أمهم ويساعدوا الأمم على النظام العام

هاهم أولاء المسلمون بعد (٤٠ سنة) وهي التي كانت فيها الخلافة أخذوا يرجعون القهقري تدرجاً كافاً كاد عثمان رضى الله عنه يقتل حتى قرعت القارعة واشتد الخضم والنزاع على الخلافة ، نعم كان ذلك باجتهاد من أصحاب نبيك ﷺ فأما بعد ذلك فإن الأمر كله راجع لملك وحده ، وأخذ بنو أمية وبنو العباس يتنافسون على الخلافة ، وأدخل الآخرون الفرس معهم لاذلال العرب فذهبت ريحهم على مر الأيام ، ولا زالت الأمة تتقهقر بالتدريج حتى يومنا هذا

لاملاذ ولا ملجأ للمسلمين إلا أن يرجعوا للنفس النبوة ونفس الخلافة فيدرسوها درساً تاماً مفصلاً . هانحن أولاء لم نجد في أئمتنا الاسلامية حولنا ولا في أمم أوروبا حكومات نشأ كل حكومات الخلفاء الراشدين تبين من كلام عمر مع ابن عباس أنه يرضى بالمسلمين أن يكونوا تحت إمرة من يتولى الخلافة بحق النسب خيفة أن تترك الشورى ويحلّ النسب محلها وذلك الذي خاف منه عمر رضى الله عنه قد حصل عند الأمويين وعند العباسيين ، فالنسب صار أصلاً للخلافة ، وعمر يقول : كلا . انما يكون بالشورى ، شاطر عمر بعض العمال في أموالهم وكره من آخر كما تقدم ما أعطى من المال للناس ودم ذلك سواء أكان من ماله هوأم من مال الأمة ، وعده على الأول اسرافاً وعلى الثاني خيانة ، فهاهوذا تاريخ ملوك الاسلام قديماً وحديثاً انهم جميعاً إلا قليلاً منهم مسرفون في مال الأمة اسرافاً فاحشاً ، وكان الشعراء لا يعيشون إلا من عطاء الأمراء والملوك وكل هذا مال الأمة ولا تكبر عليهم ولا رقيب

قتل المسلمون عثمان رضى الله عنه بما ظنوا من ميله لقومه بنى أمية ، وبما اتهم به مروان بن الحكم من تزوير كتاب فيه اراقة دم لمسلم ، وهذه لا تبلغ معشار عشر ما ابتليت به أمم الفرنسيين والانجليز والألمان ففصوا ملوكهم ، فلقطعت علمت كيف ظلم الانجليز ملوكهم ظلماً فاحشاً ، وكيف ظلم رجال الكنيسة والأشراف الأمة الفرنسية ، فكان لا يدفع الضرائب إلا الطبقة الثالثة وهي أيضاً لاحق لها في أن تمنع الطائفتين الغالبتين عن افساد الزرع بصيد الأشراف فيه كما تقدم

أيها المسلمون : ها هوذا كتاب الله ، وها هي ذه سنة رسوله والخلفاء من بعده ، فوالله لاحجة لكم بعد هذا ، قامت حجة الله على أمراء المسلمين وعلى العلماء وعلى العامة ، أما العلماء فببشر الفكرة بحيث تصبح كالعقيدة الجوهرية في الاسلام ، فوالله إن خطاب المسلم لربه في الصلاة إذ يقول « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » يتضمن ما تقدم عن الخلفاء ، إذن هذا الصراط وهو العدل والشورى هو صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض المذكورين في أول هذه السورة « حم عسق » الى قوله « له مافى السموات ومافى الأرض الخ » . عدل الخلفاء الراشدون لاشراق نور النبوة عليهم ، ولتكن ذلك النور

أخذ إشراقه بتفضله على من بعدهم ، وخير أعلام الإسلام ومالك الإسلام أن يدرسوا مع السيرة النبوية والخلافة نظام العالم أيضا (كالتدريس في هذا التفسير ، فذلك مفتاح لمعرفة نور النبوة في مستقبل الزمان) وأما المالك فعملهم الاجتهاد في اتباع سيرة الخلفاء ، وأما العامة فعملهم الانقياد للوالي النافع ونبت الظالم ، وذلك لا يكون إلا بتعميم التعليم ، وأتمها أم الأرض المحيطين بالإسلام ، هاهوذا نظام السموات والأرض الذي أبدعه الله وهو الذي ألهم الحشرات (وكل حيوان يعيش بهيئة جمهورية) كيف تنظم الجاعات وتعطي كل ذي حق حقه ، فأنتم محاسبون جميعا على ماترون من هذا النظام ، أنتم جميعا بعد الموت سترون النقص في نفوسكم وهذا النقص نفسه عذاب لكم ولا بد لكم من قطع عقبات في عوالم أخرى حتى تصلوا الى تمام النظام ، وذلك بأمرين : علم تام بهذه السكائنات ، وإخلاص تام للجماعات بحيث تصبح نفس الانسان في المساعدة لأخواتها بعد التروى والتفكر أشبه بما طبعت عليه النحل في جاعاتها والنمل في قريتها وهناك يكون الوصول الى الله والنظر الى وجهه الكريم وتسكون السعادة التامة ، أما قبل ذلك فلا ، هذا ما عني لي اليوم كتبته في تاريخه والحمد لله رب العالمين . الأرباء ١١ فبراير سنة ١٩٣١ م — ٢٣ رمضان سنة ١٣٥٩ هـ

عدل عمرو وانصافه

جاء في « كنز العمال » في كتاب « أشهر مشاهير الإسلام » مانصه :
كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة . فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا ، فجعل زيد بن ثابت قائما ، فقال عمر : أئتيك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم ، فلما دخل عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال ههنا يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : هذا أول جور جرت في حكمك ، ولكن أجلس مع خصمي ، فجلس بين يديه ، فادعى أبي وأنكر عمر ، فقال زيد لأبي : أعف لأمر المؤمنين من العيين وما كنت لأسألهما لأحد غيره ، خلف عمر ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء ، وفيه عن عبد الله بن حكيم . قال قال عمر بن الخطاب : « انه لا حلم أحب الى الله تعالى من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله تعالى من جهل امام وخرقه » اهـ

جمال الحكمة والعلم

في آية . « وأمرهم شورى بينهم » وآية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » اللهم إني أنت الحكيم العليم ، أنت الرب الشهيد ، يا الله ما أجل صنعك في السموات والأرض ، وما أبدع نظامك في العقول الانسانية ، حارت الأمم الاسلامية ياربنا في دين الاسلام ، هذا الدين الذي أنزلته منذ (١٣) قرنا ونصفا ، المسلمون يرون في هذه السورة أنك تحب البهم الشورى ، ثم هم يجدون الأمم الاسلامية أكثر حكوماتها جاهلة غافلة ، فيقرءون سيرة عمر فيعلمون الى أي حد وصل العمل بهذا الدين أيام سنى الخلافة فيفسدوا في السير على منواله ، ويرون في هذه السورة « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » ويرون المفسرين مختلفين في تفسيرها كما قدمناه ، ويجدون آية أخرى تؤيد أن القربى هي التقرب لله كما قدمناه إذ يقول : « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا » والقرآن يفسر بعضه بعضا ، ولكنهم يجدون تفسير الجهور وهو أن المراد بالقربى قرابة النبي ﷺ هو المشهور بين الناس ، ثم يرون لآل البيت مقابر جعلت محل الاعظام والاحلال ، وأخذ الناس يقدمون لها في بعض أقطار الاسلام النذور ، يريدون بذلك قضاء الحوائج ، وفوق ذلك يرون كثيرا من العلماء في الاسلام يقرءون ذلك ، فهم في شدة الخيرة من ذلك ! فهذه الخيرة أفضت مضاجعهم ، وفرقت وحدتهم ، ولكن رحمتك التي

وسعت كل شيء تداركت الأمة بمثل ما جاء هنا في محاوره ابن عباس مع عمر في سبب عدم اسناد العمل الى آل البيت ، وقول الثاني للأول كما تقسم : « انى خشيت أن يأتي على الذي هو أنت وأنت في عمالك فتقول هلم الى ولاهلم اليكم دون غيركم ، انى رأيت رسول الله ﷺ استعمل الناس وترككم » ثم أشار عمر الى أن سبب ذلك خشية أن يبايع الناس آل البيت بمنزلتهم فيقع العقاب ، ولا بد من عتاب . ثم قال : فقد قرعت لك فما رأيك ؟ الى آخر ما تقدم

اللهم انك أنت الحكيم العدل . وأنت الرحيم . ظهر السر الذي كان مخبوا . ظهر في ثنايا السكتب المتروكة . أنت أصرت بالشورى ولكن الناس يتأثرون بشورى البيوتات والجند والشرف ولا يراعون العلم والقوة . وكثيرا ما راولوا طفلا صغيرا منزلة والده الراسل الى ربه . فاذا صح أن رسول الله ﷺ ترك ولاية بعض بني هاشم خيفة أن يبايعوا الناس بمنزلتهم . واذا صح أن عمر فعل ذلك أيضا وقد ظهر صدق فراسته إذ تقلد ابن عباس ولاية اهلى رضى الله عنه وأخذ مافى بيت المال لنفسه فأخزن أمير المؤمنين عليا بذلك فضلا عما يلقاه من معاداة معاوية بالشام . أقول : اذا صح هذا فقد ظهر الحق واستبان السبيل

اللهم لاحجة للمسلمين في مخالفة الحقائق « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فهنا أمران : أولا الامارة لا يجوز أن تكون إلا بالكفاءة . وهذه يعرفها أهل الحل والعقد . والعبرة بالأغلبية (ثانيا) اكرام آل البيت رضى الله عنهم ، إن هذا الاكرام لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ، ولكن هذا الاكرام ليس معناه (أولا) أن نولى أئمتهم ولاية وفي الأمة من هو أجدر منه ونضج المسلمين ونطمع فيهم الكفار بهذا السبب واعمرى لأن تحفظ بلاد الاسلام من عدوان الأعداء وآل البيت محترمون فيها خير من أن يأخذها العدو فيعم الدل آل البيت وغيرهم (ثانيا) أن ننسب لهم النذور فتقول : « ان شئى مسرى أوجاه غائبى فالى أضع فى صندوق السيدة زينب رضى الله عنها أوفى صندوق سيدنا الحسين رضى الله عنه كذا كذا من النقود » فان هذا من أوضاع الجاهلين من أئم الاسلام

اللهم ان قرأ هذا التفسير المفرمين به لا يعوزهم ايضاح هذا المقام ، ولكن سأقل لهم ما جاء من أقوال الشيخ الدباغ لأنه من كبار الأولياء والصالحين وبقوله يستجيبون على كل من ادعى الولاية من المسامين ، أولئك الذين يقولون : « إن الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر » فهذه خديعة كاذبة خاطئة ، فانظر ما قاله وهذا نصه قال ابن المبارك : « وسألت رضى الله عنه ؟ لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد اذا جهد في يمينه يقول : وحق سيدى فلان كسيدى عبد القادر الجيلانى أوسيدى يعزى أوسيدى أبى العباس السبى وغيرهم فعن الله بهم ، واذا أراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه في يمينه يقول : احلف لى بسيدى فلان ، واذا أصابه ضرر وأراد أن يسأل كالمسألة الذين يتكففون الناس صرح باسم سيدى فلان وهم فى ذلك منقطعون عن الله عز وجل ، واذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا ، فما السبب فى ذلك ؟ فقال رضى الله عنه : أهل الديوان من أولياء الله فمالوا ذلك عمدا لقوة الظلام فى الدوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة ، وأولياء الله تعالى يحبون الذين يذكرهم رخصاتهم سبعا أنه تكون ذاته طاهرة لأنه تعالى يحب من دعاه اذا انقطع اليه باطنا وقت الدعاء . واجابته تكون بأحد أمرين : إما أن يعطيه ماسأل ، وإما أن يبين له سر القدر فى المنع اذا منعه وهذا لا يكون إلا للأولياء ، ولا يكون للبعدهاء المحجوبين ، فلو توجهت الذات الظلمانية اليه تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يطاعها على سر القدر فى المنع لربما وقع لها وسواس فى وجود الحق سبعا فتقع فيما هو أدمى وأمر من عدم قضاء حاجتها ، فكان من المصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين لأنه اذا وقع لهم وسواس فى كونهم أولياء فان ذلك لا يضرهم .

قال رضى الله عنه : وما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا وينهب بها الى ضريح ولّى من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب منه متاع الله في سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ للولّى فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون ، وسببه أن العسكرة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم ووجوده العظيم إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه ، لكن لما كان الحامل عليها والساعي الى اخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحفظه خص بها موضعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعندما . قال رضى الله عنه : وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب تلمسان الى الساقية الجراء فاذا هو من النانير ثمانون دينارا ومن الغنم ثلثمائة وستون شاة ، ومن البقر اثنان وسبعون ثورا ، أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين وما أخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم . قال رضى الله عنه : وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها وهي منحصرة في ثلثاة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل . فقلت : وهل حضركم الآن منها شيء ؟ فقال رضى الله عنه اكتب : ﴿ الأول ﴾ الهدية للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل ﴿ الثاني ﴾ التوسل الى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة ، فيقول الزائر : « قدمت لك رجاء الله ياسيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي » وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية ، فانه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس ﴿ الثالث ﴾ زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض كعده صلوات وحب قضاؤها عليه فترك قضاءها الذي هو حق الله وفيه نور الله وسرّه تعالى الذي يرجو به وذهب الى زيارة صالح ، ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام ﴿ الرابع ﴾ الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما فيقول في نفسه : « لا أعصى هذا الظالم لأنى ان عصيته قتلتى أو منع رزقى » أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه ولو تحقق بوجود الحق تعالى منه وأصرّ فيه وفي ذلك الظالم لعلم أنه هو الفاعل وحده ، لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره في فعل من الأفعال ، وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى ، وبقدر ما يقوى هذا النظر في العبد يقوى قرب به من ربه تعالى ، وبقدر ما يقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه ﴿ الخامس ﴾ الطمع في الظالم فيتقرب اليه لينال منه رزقا ، ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرزاق لم يصدر منه ذلك ﴿ السادس ﴾ النصرة للكافرين فيلهمهم مصالحهم في دنياهم بأن يرى لهم طريقا ونحوه فانه من أسباب الانقطاع عن الله عز وجل . قلت : وما رأيانا من نصيح ظالما إلا وكانت عاقبة أمره خسرانا ، ونذكر ههنا قصة سفيان الثوري رضى الله عنه مع الذي أراد أن يوقظ حرسيا للصلاة . فقال له سفيان : لا توقظه دعه هذه الساعة نستريح منه ومن شرّه فيها ﴿ السابع ﴾ عدم النصيحة للمسلمين ، فيرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرز منه ، ويرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له ﴿ الثامن ﴾ استتلاء التعب والمشقة في طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سببا من أسباب الانقطاع ﴿ التاسع ﴾ طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحق ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الخائفة ففسد طلبها بمعاص هي أحسن منها أى من الدنيا ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليتب الى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أعز منها ﴿ العاشر ﴾ أن تكون أعمال العبد وطاعته بقصد أن يرجو الله بها وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحفظه لا بقصد وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر الناس إلا من رجه الله عز وجل جعلنا الله منهم بمنه وفضله . قال رضى الله عنه : ولولم يخلق الله الجنة ولا ناراً لتبين من

يعبد من لا يعبد ، ولكانت عبادة الذي يعبد خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المهرقة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، ولكن الناس لما سمعوا بذكر الجنة والنار تفرقت أغراضهم ففعلوا عن السبيل ﴿ الحاشي عشر ﴾ المعاصي في حرمان الله تعالى كالمساجد ونحوها فإن العبد لو تحقق بإضافة البيت الى ربه وقال في قلبه « هذا بيت الله » لم تفسد منه فيها معصية ﴿ الثاني عشر ﴾ اللواط وستأتي مفسدته وأنه لا مزيد عليها ﴿ الثالث عشر ﴾ ضرب الرجل امرأته من غير ذنب فلذلك الضرب سبب في الانقطاع لما لها عليه من الحقوق ﴿ الرابع عشر ﴾ المنة على العيال والأهل بالنفقة فيقول : « أنفقت عليكم كذا وكذا » بقصد المنة ﴿ الخامس عشر ﴾ الحسد . وسيأتي ان شاء الله تعالى ما فيه من المفاسد وأن غالب المعاصي منه ﴿ السادس عشر ﴾ الاقدام على المعصية مع معرفتها ، وسيأتي ان شاء الله بيان ذلك عند الكلام على أشد الناس عذابا يوم القيامة ﴿ السابع عشر ﴾ جمع الدنيا من الحرام . قالت : ولا يتكرر مع الوجه التاسع كما لا يخفى ﴿ الثامن عشر ﴾ عقوق الوالدين : فسميته رضى الله عنه يحكى عن شيخه سيدى عمر بن محمد الطوارى ، وذكر أنه كان جالسا معه عند السيرة المحررة التي هي خارج روضة سيدى على بن حزمهم فجاءه ولده يودعه وأراد الذهاب الى الحج فأبى عليه أبوه سيدى عمر . قال : وكان عاقا لأبيه ، فذهب وأبوه غير راض عنه . فقال لى سيدى عمر : نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور : أحدها أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه كما يبغض المؤمن جهنم . ثانيها أنه اذا جلس في موضع من المواضع وجعل يتسكك مع الحاضرين في شيء من الأشياء صرف الله قلوبهم عن الاستماع لكلامه ، وينزع الله تعالى البركة والنور من كلامه ويصير عمقوتا بينهم . ثالثها ان أولياء الله تعالى من أهل الديوان والتصرف لا ينظرون اليه نظر راحة ولا يرقون له أبدا . رابعها أن نور إيمانه لا يزال ينقص شيئا فشيئا ، فن أراد الله به الشقاوة والعياذ بالله لم يزل كذلك الى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالسكينة فيموت كافرا ، نسأل الله السلامة ، ومن لم يرد به ذلك مات ناقص الإيمان أعادنا الله من ذلك . قال : ونتيجة رضاهم أربعة أمور هي أضداد هذه الامور : تحبه الدنيا كما يحب المؤمن الجنة ، ويحلو كلامه بين الناس ، ويحسن عليه أولياء الله تعالى ، ولا يزال إيمانه يزيد شيئا شيئا والله الموفق فانظريا أخى هذه المفاسد الأربع التي في عقوق الوالدين ، والمحاسن الأربع التي في بر الوالدين ﴿ التاسع عشر ﴾ مخالطة المحجوبين كذوى الرياسات فان في ذات العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبه من ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بدمها ويخاف عليه من الانقطاع أصلا ، وانسد الثقب بمخالطة أرباب الرياسات ، فانهم برياستهم وأمواهم وجاههم يستولون على ذاته فتكون تحت أسرهم وفي حكم قبضتهم ، فلا يزال يصنى اليهم بقلبه وقلبه ، ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع الحق سبحانه في فكره ولا في خاطره ، فلا يزال كذلك مسترسلا في أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقب أصلا والعياذ بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياسات . نسأل الله السلامة ﴿ العشرون ﴾ التفريق بين الخلفاء الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ رضى الله عنهم أجمعين

هذا ما قاله الشيخ الديباغ رحمه الله تعالى ، ومن عجب ماذا كره الشيخ الشعراني في كتابه المسمى « درر الفواص في هذا الموضوع » فقد سأل شيخه الشيخ الخواص . فقال مانعه :

وسأله رضى الله عنه : هل أقرأ أو أصوم وأجعل ثواب ذلك لأدم عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك وصلة بينى وبينه في المعرفة في الآخرة لسبب أعلمته به ؟ فقال : لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبي أو غيره . فقلت له : كيف ؟ فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب في الدعوى الى الله لا الى نفسه فاذا وقع الايمان الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب الى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الافاضة على العبد من جانب

التشريع والاتباع كما في حال المناجاة في السجود سواء ، فنفس الرسول يغار من أمته أن يفتقروا معه دون الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الحديث ، وانظر يا أخي إلى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لمحمد ﷺ « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فأعلمنا تعالى بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله الله تعالى واسطة لنا في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد أن يصريح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في شوقه قوله تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقوله « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » ومع ذلك قال له « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يذهبهم فانهم ظالمون » فأخرجه عن حال الخلق ونفاه عنهم وأثبتته معه في البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له في كماله أو ربته ﷺ فافهم وأنه أعلم . انتهى كلامه

درّة يتيمة

حضر صاحبي الذي اعتاد أن يحادثني في هذا التفسير . فقال : هل تسمح لي أن أتقد هذه المقالات . فقلت حبا وكرامة . فقال : أين الثريا وأين الثرى ؟ ذكرت سيرة عمر رضي الله عنه لمناسبة آية الشورى وأتبعها بأقوال الشيخ الدباغ ، فأين المناسبة بينهما ؟ فقلت بإصباح الأسر سهل ، إن في السورة آيتين وهما آية الشورى وآية المودة في القربى وبينهما صلة ما . ألا ترى أن المسلمين أبوا أن يسيروا بالشورى بعد معنى الخلافة وهي (٣٠) سنة كما تقاسم ، ولقد ظنّ الناس أن الانقسام لعظيم ألوامك كاف ، وهذا في الحقيقة انحراف عن الجادة في الخلافة ، فأية المودة في القربى باعتبار التفسير المشهور جعلت سببا في إبطال الشورى في زمان ما من أزمان التاريخ الاسلامي ، ولقد تعالى الناس في التسدي والتنزّل والتفاضل عن الحقائق الاسلامية حتى نذروا النذور لمن مات من الأولياء شرفاء أو غير شرفاء ، فلذلك ذكرنا أقوال الشيخ الدباغ ليظهر للمسلمين الحقائق التي يقول بها علماء الاسلام وظهرت على لسان صالح من صلحاء الاسلام ولوانهم أدركوا الحقائق لرجعوا الى ربهم في صغيرات الامور وكبيراتها والله يقضى بالحق ، إن الذي أضل كثيرا من المسلمين هو الجهل الفاضح ، ولعلك تذكر ما قدمته من حديث عمر مع ابن عباس . فقال : أذكره ولكن أريد ما هو أوضح . فقلت اسمع ماجاء في كتاب « أشهر مشاهير الاسلام » وهذا نصه : « ومن عجيب فراسته التي كان كأنه ينظر منها بعين الغيب ما ذكره ابن عبد ربه في العقد . قال : قال أبو بكر بن أبي شعبة ، كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب ، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد ﷺ ولم يستعمله قط ، فقال له يوما كمدت أستمع لك ولكن أخشى أن تستحلّ النفي على التأويل ، فلما صار الأمر الى طي استعمله على البصرة فاستحلّ النفي على تأويل قول الله تعالى « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى » واستعمله من قرابته من رسول الله ﷺ كما تفرّس فيه ذلك عمر من قبل . هكذا كان مبلغ فراسة عمر رضي الله عنه خصوصا في بني هاشم وقد كان يتفرّس فيهم القيام يوما لطلب الخلافة وإثارة غبار الفتن والاستحواذ على ذلك المنصب الذي كانوا يرون أنفسهم أحقّ الناس به على خلاف ما كان يراه جلة المهاجرين الذين يعامون أن رسول الله ﷺ منعهم من أن يعملوا له عملا كي لا يحدثوا أنفسهم بشيء من الامارة لأنها غير النبوة ، ومن ذلك ما ذكره في العقد أن العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ طلب منه ولاية فقال له : « ياعم نفس تحييها خير من ولاية لانحسبها »

وكان عمر لتفرّسه فيهم التطلع الى الامارة لا يستعمل أحدا منهم كما لم يستعملهم رسول الله ﷺ ويحاهر

بطلانه هذا فيهم ، وقد جاهر به لعبد الله بن عباس سرارا ، ومنه ما تقدم ذكره في باب سياسته إذ قال له : « يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلمّ إلينا ولاهلمّ إليكم دون غيركم » وقد تحققت فراسته في بني هاشم بعبد إذ قضا عسورا طويلا في مكافحة الملوك ومراعاة الخطباء على الخلافة وأسسوا عدة دول أضخمها العباسية في بغداد والفاطمية في إفريقيا وأهرقوا سيولا من دماء أشياعهم وأشياع غيرهم في سبيل نيل هذه البغية ، وتأتى عن هذه المزاولة من التشويش في أمور الدول الإسلامية والاضطراب في المسلمين ما الله به عليم ، على أنهم لو اتفقوا بعمل رسول الله ﷺ إذ صرف أسلافهم عن الإمارة وصرفها عنهم لما أقدموا على شيء من ذلك بل لكانوا إذا استمرّ في نفوسهم شيء من التطاع إلى الخلافة سلكوا إليها سبيلا غير ذلك السبيل وجعلوا الأمة بأجمعها طامحة الأنظار إليهم ساعية بنفسها لاسناد منصب الخلافة لأهل الجدارة منهم وحسبهم موعظة وذكرى أن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه على صلاحه وتقواه وسابقتها في الإسلام وقربته من رسول الله ﷺ وشهرته بالعدل والورع والزهد (ومن كملّى بعده) لم يوفق إلى جمع كلمة الأمة على الرضا بخلافته لا لقصور فيه معاذ الله وإنما هو لما وقر في نفوس الأمة يومئذ من أن أهله يمين بسبب قربتهم من رسول الله ﷺ لا ينفكون عن الادلال على الناس وحب الاستعلاء على الكافة والناس يومئذ في إبان نشأة الإسلام وعزّ الحرية وحظيرة المساواة والاخاء اتى مشرعهم إليها الإسلام بقوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » وبقول النبي ﷺ « لأفضل لدي على عجمي إلا بالتقوى » فبتوهم أن يساهم بنو هاشم شيئا من هذه النعمة بالاستعلاء عليهم ، كانوا غير مبالين لاستخلاف أحد منهم ، يدلك على صدق هذا القول ما ذكره في العقد عن عبد الله بن عباس . قال : « ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي : يا ابن عباس ما يمنع قومك منكم وأنتم أهل البيت خاصة ؟ قلت لا أدري . قال لكنني أدري أنكم فضلتموهم بالنبوّة . فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوّة لم يبقوا لنا شيئا وان أفضل النعميين بأيديكم بل ما أخطأ إلا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنفس قريش (ريد الخلافة) » انتهى ما أردته من كتاب « أشهر مشاهير الإسلام » والحمد لله رب العالمين

فقال صاحبي : لقد وضع المقام وضوحا تاما فالحمد لله ، فإذا تقول في الأمم الإسلامية الحاضرة ؟ هل ظهرت في بعضها بوادر الشورى . فقلت : إن هذا هو الزمان الذي سيظهر فيه نور النبوّة وتظهر سيرة النبي ﷺ وسيرة عمر وغيرهما ، وهناك تبدل الأرض غير الأرض ، والمسلمون مقبلون على هذه الحال طوعا أو كرها ، والذي منعهم من ذلك هو الجهل ، أما اليوم فإن الله قد أذن بانتشار العلم في الإسلام ، وستكون الحكومات كلها شوروية ، فهل لك أن تسمع ما جاء في جريدة الاهرام يوم الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

الحياة النيابية في أفغانستان

جلالة الملك نادرشاه يمنح البلاد مجلسا نيابيا

حفلة الافتتاح وخطاب العرش

نشرنا في الاهرام القراء منذ أسبوع كلمة عن جلالة الملك نادرشاه ملك أفغانستان الحالي بمناسبة تتويجه واليوم جاءنا البريد الأفغانى طامحا بوصف حفلة افتتاح المجلس النيابي الجديد الذي أنعم به جلالة الملك نادرشاه على بلاده التي تعشق الحرية وتنمى في النود عن حياضها من قديم الزمان رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في تلك البلاد

وقد ألقى جلالاته خطابا ضافيا بحث فيه عن حالة المسلمين وقارن بين تاريخهم الماضى وتاريخهم الحاضر

بشيء من الإيجاز وخرج من بحثه بنتيجة هامة هي منح بلاده الحياة النيابية الصحيحة لتتمكن في صراحة وإيمان من إدارة شؤونها بنفسها . وقد قامت الأمة الأفغانية الجيدة على بكرة أبيها تهمل وتسكب لهذا الحادث السعيد . وانا لا أرى مندوحة من أن ننشر للقراء الكرام وصف حفلة الافتتاح كما شريحتة الجرائد الأفغانية وترجمة خطاب العرش الكريم . قالت جريدة « اصلاح » التي تصدر في كابل « كان يوم ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ يوما مشهودا في كابل تطاولت اليه أعناق الافغانيين وتطلعت اليه أبصار الشاهدين منهم والفائزين لانه فاتحة عهد جديد وغرة عصر جديد وهل هناك أعظم من نعمتي الحرية والشورى المليئة بغير هذا اليوم أن يحتفل به الأفغانيون احتفالا جديرا بهم وهم الأبطال الأماجد

ففي هذا اليوم نعمت ردهة قصر جهل ستون (الاربعين عمودا) بجموع وكلاء الأمة وعظمائها والكثيرين من العلماء والموظفين العسكريين منهم والملكيين وذلك لمشاهدة الاحتفال بافتتاح المجلس النيابي الافغانى الذى يبدأ كبر حادثة تاريخية في افغانستان في العصر الحاضر لأن افغانستان التى نشأت من القديم على حب الحرية كانت محرومة من نعمة الشورى بطريقتة رسمية تخضع لها الحكومة المركزية وتسكون رهن اشارتها ، وقديما كان القول الفصل فيها هو الحاكم الأعلى لارقيب عليه ولا حسيب ، وكثيرا ما نتج عن ذلك مضار لا تحصى وأخطار كبدت الأمة ضحايا كثيرة وخسائر جسيمة وفي الوقت نفسه يجبر بالحاكم العظيم خصوصا في بلد كافغانستان أن يعول على عضد شعبه ورضاء بدلا من أن يستقل برأيه الشعبى ويتبع هواه ويستغنى من مواطنيه ولتصفهنا تاريخ افغانستان لوحدنا أن الحكام الذين ساروا وفق رغبة الأمة كانوا في مركز أعظم ضمانا وأكبر حرية وأكبر كرامة وأبعد نفوذا وبالعكس فإن الذين فسقوا عن أمر الأمة واستهانوا بكرامتها طردوا ولم يجدوا لهم عوناً ولا نصيراً

وهامو جلالة الملك نادرشاه الذى نفخ في بلاده تلك الروح العالية التى نشلتها من السكرة التى كادت تؤدى بها الى الطلاك وتكمل في سبيل ذلك كل ما يتحمله المخاضون مستعينا في ذلك بما وهبه الله من قوة ذهن وسعة العقل وحسن البصيرة يفتتح عهده السعيد باعطاء البلاد حريتها التامة وحقوقها الكاملة فأنشأ المجلس النيابي (لويه جرگه) رغبة في جمع كفة الأمة وتوحيد الوجهة الوطنية توحيدا صادقا لخدمة الصالح العام كما يتضح من خطاب العرش وهذا ترجمته :

أعزائي المحترمين : أجد الله الذى أتاح لنا هذا الاجتماع الأخوى بعد أن قاسينا ما قاسينا في سبيل تبديد تلك الشدائد والمخاوف التى كانت تحيط بنا وبالبلاد من كل جانب فاجتماعكم أيها النواب في هذا المجلس المقدس وأنتم على أتم ما تكونون اتحادا وأخوة اسلامية عملا بقول الله تعالى : «أما المؤمنون أخوة» انما هو المقصد شريف وهو ترقية افغانستان والعمل على اسعادها ورفاهيتها وتقوية أركانها وفقا للأمر الإلهي القائل «وشاورهم في الأمر» «وأمرهم شورى بينهم» لهذا اجتمعتم في مكان واحد وفقا لرغبائنا الصادقة . والى أشكر الله تعالى على ذلك شكرا عظيما وأحييكم من صميم قلبي وأتمنى أن تكونوا أنتم وكافة أفراد الأمة بخير وعافية ، وبعد فانسكم تعلمون أن النجاح والسعادة في الحياة هما في الاتفاق كما أن الخراب والعبودية في النفاق . وقد شاهدنا ذلك بعيوننا في مدة لا تتجاوز السنة فتأكدنا أن النفاق عذاب إلهي كما أن الاتفاق رحمة سماوية وتفصيل هاتين الحقيقتين واضح في التاريخ في كل زمان ومكان ، وأثرهما يعرفه كل انسان

وانكم تفهمون لماذا وكيف انتشر الاسلام وعم الآفاق ونشر ألوية الامن والسعادة البشرية والترقيات العصرية خفاقة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ومن سلك مسلكهم لم يكن ذلك بقوة السيف وحده وانما بالاصول الصحيحة والقواعد السليمة التى جذبت الجماعات المختلفة والأقوام المتباينة الى حظيرة الدين الخفيف الذى انتشر بقوة البرق الخاطف أينما حل وسار . ومن أكبر دواعي نجاحه انعدام

الفوارق الجنسية والاجتماعية بينهم ، فالسامون اخوة مهما اختلفت لغتهم وتعددت أجناسهم وتباينت أوضاعهم فلا فضل لأحد على الآخر الا بالتقوى فهل تراهم عسكروا بأهذاب المساواة وحافظوا على الشورى في أمورهم وأعمالهم ، ان رقى السامون في الماضي لم يكن له من سبب الا بحفاظتهم على هذه الصفات الكريمة والازايا الحميدة فلما انحرفوا عنها وهي في الحقيقة أساس الرقي والتقدم سقطوا الى الخضم ، لقد عرفت الدول المتمدنة بعد طول التجارب ان اصول الاسلاميه كالحرية والمساواة والشورى أفضل الأصول وأرقاها ولذا اتخذتها أساسا لحكوماتها بعد أن أراقت في سبيلها السماء الغزيرة ولم يكن قبل الاسلام حرية بمعنى الكلمة حتى يمكن أن يشير اليها ومن أحسن أنواع المساواة في الاسلام مسألة ترتيب الصفوف في الصلاة فالخادم يقف بجانب الملك في حضرة الاله يؤدي الفرض بلا كلفة ولا حرج ، ونفس صلاة الجماعة أعظم مثل في المساواة الاسلاميه . ولكن لسوء الحظ فان الحكومات الاسلاميه مالت الى الاستبداد وعكفت على الافساد والفرقة فتأخرت وانحطت حتى أصبح يضرب بها المثل في الذلة والمساكنة

فما سبب هذا التدهور وذلك الترقى ؟ ياترى الدنيا عالم أسباب : فاذا كانت الأسس التي تبنى عليها الأعمال والاصلاحات مبنية على التجارب الصحيحة والقواعد الثابتة وكانت النتيجة في أى زمان ومكان لاشك مفيدة منتجة

واذا كانت الأسس غير صالحة والتجارب غير ناضجة جاءت العاقبة وبالابلاء ، وهذا هو القانون الاساسى الذى لا يتبدل ولا يتحول الى قيام الساعة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ففي الزمن الأول كان السامون أهل استقامة وعلم بالسياسة وحزم وشجاعة عملا بقانونهم الالهى القويم فوصلوا بذلك الى ماوصلوا اليه من الرفاهية والسؤدد . فلما ابتليت الأمة الاسلاميه بالملوك الانانيين والعلماء المفسدين وساءت سيرة الحكام مع انتباز قانونهم المدين وصلت الى ما هي فيه الآن من الهجز والانحطاط

ومن دواعى الأسف أنه كلما ظهر في هذا العصر رجل بصير حازم غيور على دينه وبلاده سواء أكان من الحكام أو العلماء قام في وجهه المعارضون فلا يهدأ لهم بال إلا اذا نكسوا رأسه فيخاوا الجور لتوى الأغراض والمصالح الشخصية وهذا مايقبأه به السامون والتاريخ شاهد عدل على ذلك

ولما كان لابد من قوة تنظم وتؤيد المعاملات والأحكام أعنى حكومة عادلة تسير على منهاج الشرع الالهى يكون فيها الحاكم هو المسئول الأول في تنفيذ القوانين التي شرعها الجماعة التشريعية ويكون مسلكه قدوة للبيعة اذ « الناس على دين ملوكهم » كان من الواجب أن زمام أمر كل أمة دائما أبدا بيد شخص عاقل صادق يسهر على مصالح الأمة ويعمل على محو الفوضى والخراب وجلب السعادة والرفاهية

هذه هي نظريتي التي توصلت اليها أعرضها عليكم أيها الأعزاء وفيما يختص بوطننا العزيز ، فإني لأسف بأن الانقلاب الذى وقع أخيرا لم يكن وحده هو سبب خراب افغانستان بل أيضا عدم وجود أساس حكيمى ثابت كان أكبر عامل في ضعف وتأخر البلاد

فاذا لم تتخذ بالرغم من كل شيء الاحتياطات اللازمة والوقايات الضرورية ازاء أمثال هذه الصدمات المفجعة والنكبات المدهمة فاننا نعتبر مقصرين في خدمة الوطن الخادمة الحققة اللائقة به ان لم نعتبر خائنين له

واننى كما تعلمون حقا أحب بلادى من صميم فؤادى ولست أرغب فى شيء أكثر من أن أعتبر خادما من خدام الدين والوطن ، ولهذا وبالرغم من المشاكل المالية التي وقعت عقب الانقلاب الأخير أرغب فى أن تكون حكومة افغانستان على أساس صحيح وأمن رغبة فى تقدم البلاد وانهاضها الى مدارج الفلاح . وكل من يساهم فى هذا المقصد النبيل لاشك يفوز برضا الوطن المقدس واحراز السعادة الأبدية الخالدة

ولهذا المقصد عينه الذى اعتبره مفتاح السعادة طلبتكم أيها الوكلاء لأعرض عليكم رغباتي الخاصة وهي أنا

منهنا رعيةنا الشريفة الكاملة التي لم يحصل عليها أكثر الأمم رغم إراقة الدماء وأمرنا بالمجلس النيابي رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في هذه البلاد ، ولتعالوا أنكم إذا أحسنتم استعمال حقوقكم الخوّل لكم أمكنكم الحصول على فوائد جمة خير وطنكم وحكومة بلادكم

واني لأرجو أن تقوم في أفغانستان الشورى الملكية التي هي دواء المرض ومفتاح السعادة على خير الأسس وتحوز كافة الصفات والعناصر التي هي في الاسلام

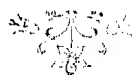
واني أحمده الله الذي وفقني الى تحقيق ما وعدت به وهاهو المجلس النيابي يتعقد هذا المقصد السامي وبذلك أشكر الله شكرا كثيرا على ما هداني الى احياء سنة كانت متروكة الى هذا اليوم

وسيتباحث معكم في هذا الباب الصدر الأعظم ومجلس الوزراء في جودتي للوصول الى طريقة الانتخاب وعدد الوكلاء وفقكم الله وسدد خطاكم حتى يكون عمالكم هذا موضع إعجاب ورضا العالم أجمع آمين »

وانا لنبتهل الى الله بالدعاء بأن يحصل هذا العمل محمود النتيجة مبارك الأثر على البلاد وأن يفيء به عليها ظلال الامن والرفاهية وان يحفظ للبلاد ذات جلالته السكرية وهو من شهد له التاريخ بعمله الموفق في انقاذ البلاد من الفوضى ومن عرفته البلاد مآثره السكرية في نشر ألوية الحرية مؤيدة بتوفيق الله : انتهى ما جاء في المطبوعة المذكورة

فلما أنتمت هذا المقال قال صاحبي : لقد شرحت صدرى فأحمد الله عز وجل ولستكن ماذا تقول في بقية بلاد الاسلام . فقالت : هي الى هذا سائرة ، فأهل مصر بلادى وطرابلس وتونس والجزائر وصرا كوش ، وكندا أهل الشام والعراق وغيرهم ، كل هؤلاء ستكون حكوماتهم شورية صادقة ، وستزول الأمم الأوروبية من بلادهم فالتبقى انكليترا في بلادنا مصر وفلسطين والعراق ، ولا ايطاليا في طرابلس ، ولا فرنسا في الجزائر وصرا كوش وتونس والشام ، ولا اسبانيا في صرا كوش ، بل هذه الدول ستدخل من تلك البلاد لأن الذي أدخلها فيها هو جهل المسلمين وغفلتهم ، والقوم اليوم استيقظوا ، وستكون الحكومات محمية صادقة بعيدة عن الترف والنزوات والشهوات القاذرة

إن الذي أضر المسلمين بعد الصدر الأول ظنهم أن الحاكم هو الذي ينهل ما يشتهي ويتمتع ويأكل كل كما تأكل الأنعام في هذه الحياة ، وهذا مرض رجس ، فليتعلم المسلمون تعالما أرقى ، وليعلموا أن ذلك كله مرض وجعل فاضح وخزى عظيم ، الملك والأهير والحاكم والقاضي يجب أن يكونوا أزهدي الناس في مال الدولة وأرفعهم نفسا وأعفههم ، والله هو الولي الجيد . انتهى تفسير سورة الشورى



تفسير سورة الزخرف

(هي مكية)

إلا قوله تعالى : فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فندية

آياتها ٨٩ - نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ * أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ * وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَنَحْنُ الْمَوْلُونَ * وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ * وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوْ مَنْ يَنْشُرُ فِي أُخْلِيَّةٍ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ خَيْرٌ مُبِينٌ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ أَتَيْنَاهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ

مُقْتَدُونَ * قَالَ أُولَؤُا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ * فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً
 بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ سَنَىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ
 مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ
 عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْيَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا لَيْتَهُمْ مَعِدْيَتَهُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ
 رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ *
 وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ * وَمَن يَعْمَلْ
 عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَاكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبُئْسَ
 الْقَرِينُ * وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنْتَ
 تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
 مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي
 أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَدَرُّ لَكُمُ الْكُرْخِ وَالْقَوْمِ عَلَيْكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ *
 وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ * وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ
 بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْاَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا
 لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
 قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا

خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَسْكَاذُ يَبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
 مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ * فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا
 آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ * وَلَمَّا
 ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون * وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ
 إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي
 إِسْرَءِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَمَعْلَمٌ لِّلسَّاعَةِ
 فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
 تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ * فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَمِّ * هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
 عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ
 بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
 تَأْكُلُونَ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *
 وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ
 إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ * لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ
 أَمْرُؤُا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا
 لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرَهُمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
 يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *

﴿ تفسير البسملة ﴾

الحمد لله على نعمة العلم والحكمة وعلى ما أوليتنا من الجليل ، وشرحت صدورنا لتبيان بعض أسرار كتابك الكريم . هذا ولما كتبت هذه الكلمات حضر صديق الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال ما الذي تريد أن تكتب في البسملة بعد ما تقدم في بضع عشرة سورة ، وكيف تعيد القول فيها ، وهذا إلى التكرار أقرب ، والتكرار في التأليف غير محمود ! فقلت أيها الصديق : لقد تجملت على وما كان لك أن تحكم حكماً قاطعاً من طريق الظن . فقال : ليس بالظن . إن البسملة معروفة المعنى يفهمها الخاص والعام ، فعادة القول فيها جار على المثل « توضيح الواضحات من المشكلات » . فقلت تسبح لي أن أبدي رأيي ؟ فقال وهل تجاسرت على الاسراع في الاعتراض إلا لأسمع مقلتك ، وأفهم بيانك ، إضاحاً للأرض ، وتبييناً للحق فقلت : إن هذا النوع الانساني ما أوقعه في الائم وأضاع منه معظم سعادته فأصبحوا في الأرض متقاطعين متدابرين إلا اغترارهم بعقولهم وظنهم انهم يعلمون كل شيء ، فهم يرون الجبال في الوجوه الانسانية والصور الحيوانية والنباتية والكواكب المشرقة ، ولكن أكثرهم عن الجبال مسحورون وفي ذنوبهم وهمومهم الوهمية محبوسون مغمورون ، وما يدرك حقائق الجبال إلا أولوا الألباب

ومثل الجبال في شيعه وعدم تعقله الماء كل والمشارب ، فالتناس جميعاً يأكلون ويشربون ويعيشون ويموتون ولاهم يذكر حقائق ما يأكلون ، فهم عن معرفة حقائق الماء كل مسحورون كما أنهم عن بدائع الجبال والفرح بها مبعدون

وعلى هذا القياس تسمع المسلمين من نوع الانسان يقرءون الفاتحة في الصلاة ويسبحون ويحمدون ويظنون انهم يفهمون حقائق الرحمة التي يقرءونها في البسملة ، وهذا الظن استوى فيه علماءهم وجهلاؤهم وشيوخهم وصبيانهم ، وهم جميعاً إلا قليلاً منهم مغرورون لأنهم لا يعلمون

ان الانسان اعتاد أن يظن أن ما ألفه عنده معروف ، ألا لافرق بين الشمس والقمر والنجوم التي اعتدنا رؤيتها وألفنا منظرها وبين البسملة والماء كل والمشارب والجبال العام ، فهذه جميعها يظن الجاهل بسبب ألفتها انها بها علم وما هو بعلم . لا يعقل الجبال من نوع الانسان إلا القليل وهم الحكماء وما أندركهم في هذا الانسان ، وقد مرر الكلام في هذه وحدها في ﴿ سورة السجدة ﴾ عند آية - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين - الخ فارجع اليها إن شئت ، وبقى الكلام في الطعام والشراب والبسملة . فقال صديقي : أما البسملة فنعم ولماذا تذكر عجائب الطعام والشراب ؟ فقلت إضاحاً لسؤالك ، ألم نسوي بين هذه الثلاثة في أن أكثر الناس يجهلونها وما هم بعالمين . قال بلى . قلت : ألم أقل ان أهم الجبال تقدم في ﴿ سورة السجدة ﴾ . قال بلى . قلت إذن نشرح القسمين الباقيين ، فأما أحدهما فن باب التنظير ، وأما ثانيهما وهي البسملة فهي المقصود ، وهذا الأسلوب الذي سلكته في هذا التفسير وان كان فيه الطناب سيكون من بواعث انهاض الأعم ، وبعث العزائم ، وشرح الصدور ، وإبرازهم كانت خادمة ، وعقول كانت

نائمة ، قل لي رعاك الله : أيهما أقرب الى إيقاف ألهم ، وبعث تلك النفوس الشريفة التي أودع الله فيها قوى يعوزها الإيقاف والتنبيه ؟ أ أعواب البسملة الذي كان كثير من المؤمنين يكررونه في أول كل كتاب وتطبيقها على العلوم الاثنى عشر المشهورة عند المتأخرين من أهم الاسلام وموت النفوس في قشور العلوم فيكون الجهل التام والموت الزوام ، أم القوص على الدرر والجزاهر في بحار العلوم واستخراج خلائصها في أول كل سورة بمناسبة ما في نفس السورة كالذي نفعله الآن ، إن تفسير البسملة في هذه السورة لا تكرر فيه البتة ، هي فوائد مستخرجات من نفس القرآن بل من نفس السورة التي فيها البسملة ، وسترى في هذه السورة عجبا فان الرحمة مكررة في سورة ﴿ الزخرف ﴾ هنا ثمان مرات اثنتان على هيئة المصدر وهم يسمون رحمة ربك الرح ورحمة ربك الرح و (٦) هيئة الصفة المشبهة

(١) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا الرح

(٢) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اثنا

(٣) وقالوا لرشاء الرحمن الرح

(٤) ومن يعش عن ذكر الرحمن الرح

(٥) أجهلنا من دون الرحمن آله الرح

(٦) قل إن كان للرحمن ولد الرح

فالرحمة وما اشتق منها تكررت في السورة وذكرت في البسملة ، والطاء والميم في أول السورة حرفان من الرحمة ، وهذه الآيات التي بها الرحمة فيها أسرار لا بد من اظهارها ، وسترى هنا من عجائب العلم : بدائع الحكمة مما فتح الله به في ليلة الجمعة الفاتية وفي ليلة السبت بعدها قبل الفجر أى في ليلتي (١٤) و (١٥) نوفمبر سنة ١٩٣٠ م ما تقر به أعين أرباب البصائر ويرز علم غزرون تفتح به أقفال كانت موصدة قبل أثنى سنة على كنوز خبائها سقراط وأفلاطون في كتاب الجمهور به عند الكلام على المثل الأفلاطونية وما اعترض به عليها أرسطاطاليس بعدهما ، وما قاله الفلاسفة بعد تلك القرون وأغلق الأسم عليهم ، فأرجو أن أوفق في هذا المقام لتحقيق هذا المقام وذلك بطريق العقل تفسيراً لهذه الآيات وتطبيقاً عليها . فقال : إن هذا القول الذي سمعته منك الآن غريب . وكيف يدخل ما يقوله سقراط ومن بعده في هذا المقام . وكيف ترجو أن تحل مشكلة عسر فهمها على فلاسفة اليونان والرومان والأمم بعدهم . فقلت : أنا قلت لك أرجو وستكون معي وقت المباحثة في هذا الموضوع والله يقول « وأمرهم شورى بينهم » ، أنا إذ ذاك سأعرض في المناقشة آيات السورة التي فيها الرحمة ومنعجول بطريق مبادلة الفهم والمناقشة معنى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً الرح » وقوله تعالى في سورة أخرى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وندرس هذا الموضوع ، وننظر هذا المقام في قول سقراط سيد فلاسفة أوروبا الحاليين والسابقين بأقراهم وماذا قال في هذا المعنى قبل نزول القرآن ثم نذكر الشبهات التي وردت عليه وهكذا ، ثم نبين ما عثر لنا في ذلك فان زالت الشبهة فقد نصرنا الله وفتح علينا وان لم تزل فقد قلنا نعمة الاجتهاد وقتنا بالواجب علينا . فقال والله لقد أفتعتني وشفيت صدري ، فأنا الآن أوافقك على البحث في هذا الموضوع ، ولقد انشرح صدري فيه لاسيما ان هذه الآيات لا تخطر في بال علماء الاسلام فضلا عن الجهال . إن الأمم السالفة خبط لهم الكلام في معانيها قبل نزولها ، فالكلام في ذلك يكون من أعجب الأعاجيب . فقلت الآن اتفقنا على أننا سنبحث في البسملة من هذه الوجهة . قال نعم . قلت إذ ذك لنبحث في المسألة التي كنا أخذنا نشرع فيها قبل البسملة بعد الكلام على عموم الجلال وهي مسألة الملائكة كل والمشارب من حيث ان الناس لما كانوا معتاديين لم يتفطنوا لها كما لم يتفطنوا أكثر المسلمين منهم للبسملة من أجل شيوع ذكرها في كل أمر ذي بال . قال : أنا موافق على ذلك . فقلت :

الماء كماله والمشرب

قدمت لك أيها الصديق في هذا المقام أن أكثر الناس يتوهمون أنهم يعرفون ما يأكلون وما يشربون وهم في ذلك مغرورون ، فإذا سألت عبدا أو رجلا جاهلا وقلت هل تعرف الماء ؟ استهزأ بهذا السؤال وظن السائل غيبا . وهذا معنى ما قلته . قال نعم . فقلت : أنت تظن أن هذا الوهم خطأ ، وكيف لا يكون خطأ ونحن نعلم أن هذا الماء الذي نشربه وهو من السواقل مركب من عنصرين كل منهما يشبه الهواء ، وبعبارة أخرى : أن هذا الماء الذي في النهر والبحر إذا وضعناه في زجاجة وسأطنا عليه السكر به وجدناه انحلّ حالا ولم يبق أمامنا ماء وإنما نرى عندنا جسمين يشبهان الهواء وكل منهما له صفة تخالف الآخر ، فأحدهما إذا أدخلنا فيه قطعة خشب طرفها فيه آثار النار فانها تشتعل حالا ، والآخر جسم خفيف جدا يصلح لارتفاع الطيارات في الجوّ ، وأولهما الأكسوجين ، والثاني الأديروجين ، والأكسوجين ٨ على ٩ من الماء . إذن معظم الماء أكسوجين والأكسوجين يكون غازا كالهواء ويكون مع الأديروجين ماء وهو داخل في البشر الذي نبني به مساكننا وفي الحجارة ، فلأنتا وزنا الحجارة بعد تحليلها لوجدنا أن في كل مائة أفة منها (٤٨) أوفة من الأكسوجين كما أننا إذا وزنا الماء بعد تحليله وجدنا في كل تسع أوقات منه ثمانية أوقات ، فهو مكون لأكثر الماء ولما يقرب من نصف الحجارة ، وهو داخل في الهواء مع الأوزون ، وهذا الأوزون لا يخلو منه جسم إنسان ولا حيوان بل هو ثلاثة أرباع وزن جسم الحيوان (اقرأ كتاب تنوير الأذهان في تغذية الأجسام) لأستاذنا علي باشا مبارك ، إذن الماء الذي نشربه (ويظن الصبيان والجهال منا أنهم يعرفونه كما يظن المسلم أنه يعرف معنى البسملة) يعوزه درس وتفصيل . إذن المعرفة يعوزها التفصيل والايضاح أما الاجال فالوقوف عنده ضرور

أوليس من العجب أن نرى أكثر من ٨ على ٩ من الماء مادة تكون في نحو نصف الأحجار وثلاثة أرباع الحيوان ، ونراها في الماء شربا ، وفي الأحجار بيوتا صلابا ، وقلاعا حصينة ، وفي الحيوان عظما ولحما ودما ، نشرب الماء ونغسل به البلاط وهو في الوقت نفسه نصف نفس البلاط المفسول ، إذن هو غامل وهو مفسول وهو شارب وهو مشروب ، فإذا كان ثلاثة أرباع الإنسان أكسوجينا فالأكسوجين المتجمد شرب الأكسوجين السائل ، ومعلوم أن الهواء فيه أكسوجين ، فإذن الإنسان أيضا يأخذ بالتنفس الأكسوجين الذي في الهواء اجلس في أي مكان شئت ، فالبلط تحت الجالس نصفه أكسوجين ، والهواء فيه أكسوجين ، ونفس الإنسان فيه أكسوجين ، والماء أكثره أكسوجين ، إذن هذه مسائل أعجب وأبدع من سحر السحرة ، هذا الإنسان يمتطي الغارب ويركب القارب والسفين في اليم والقطار في الأرض ويسير إلى القطبين ويرصد النجوم ليعرف الجهات

يا أيها الإنسان : أنت عجب ! وشرايك عجب ، وجسمك عجب ، وتنفسك عجب ، وجلساتك عجب ، أنت مغمور في بحر الجحيم من النور

سبعتان الله الجليل البديع ، عجب وألف عجب ! أكسوجين يصير حجرا وعظما ودما وهواء ، فهو جامد وغاز وسائل وهو نفس يطهر نفسه ، فهو من حيث أنه ماء يطهر نفسه من حيث أنه إنسان أو بلاط أو غيرها كما أنه هو يدخل في الرئة فتلقفه هي من الهواء فيطهر الدم في أجسامنا ، جلّ الله وجلّ العلم وجلّت الحكمة وجلّت نعمة العلم

ما الناس سوى قوم عرفوا به وسواهم همج الهمج

فلا كتف أيها الصديق من الكلام على الشرب بما ذكرناه في الأكسوجين ، ولندكر مقالا وجيزا في

الماء كل ، وانى ليسرني اذا كنت على ذكر مما تقدم في هذا التفسير ، فأجابت قائلاً : نعم لقد جاء في سورة فاطر عند آية « والله خالقكم من تراب » ما يخصه ان في الفم ستة شجار تفرز مواداً تهضم المواد النشوية ، فاذا وصل ما بقى منها وهو الذي لم يؤثر فيه تلك القنوات الست الى المعدة تلقاه العصير المعدي فأذابه ، وجملة ما يتغاطاه الانسان إما مواد عضوية واسكنها ليس فيها مواد زلالية وذلك كالنشاء والسكر والزييت والشمع والسمن فهذه يدخلها الفم ولا يدخلها الزلال كزلال البيض ، واما مواد عضوية وفيها المادة الزلالية كزلال البيض والمواد المستخرجة من العظام المفلية ومادة الجبن ومادة أخرى من نوع ذلك في اللحم وفي بذور البقول كالقول والمندس والبسلة وفي الحبوب كالقمح والذرة ، وبهذا عرفنا المواد العضوية بقسميها

وهناك مواد غير عضوية مثل كربونات الجير ، وذلك في العظام والأسنان ، وفوسفات الجير في النظام أيضا وهي نصف وزنها تقريباً ، وهذان يدخلان في الأغذية النباتية والحيوانية ، ومما يحطاه وأما الأخرى هذا هو ما يتغاطاه الانسان . فقلت : إذن طعامنا مفرق على البر والبحر وما فيهما ، فهذا الملح مستخرج من البحار ومن الجبال والمواد الدهنية تستخرج من الحيوان ومن الأشجار كالزيتون ، والمواد النشوية مستخرجات من النبات كمقصب السكر والحبوب أمثال القمح ونحوه ، والمواد الزلالية تستخرج من الحيوان ومن الحبوب أيضا ، ولعلك تذكر المواد الفحمية الطائفة في الهواء التي هي المخزن العظيم الذي اليه ترجع المواد الفحمية الخارجة من أجسامنا مع الزفير الناهبات الى النبات لتغذيته الراجعات اليها ثانيا بطريق تعاطيه من أوراق النبات وثماره ، فهناك تبادل بين الحيوان والنبات في ذلك ، فبينما النبات يتنفس مادة الاكسوجين في الهواء ويرسله الى المخزن العظيم في الهواء اذا الحيوان يقبل ذلك الاكسوجين ويهبط الجوابله مادة خفية تصل الى ذلك المخزن الطائر في الجو وهو يوصله الى النبات . فقال أئذ كره فيومذ كورني ﴿ سورة يس ﴾ كما ان القناة الهضمية وجميع رسومها وما يوضحها مذكورة في ﴿ سورة فاطر ﴾ وهناك أن الفهم الصافي في الجوانح نحو ١٣٨ ألف مليون ونصف مليون طن ، والطن معاوم أنه نحو ٢٢ قنطارا والقنطار ٣٦ أوقية . فقلت نعم إذن نحن بنى آدم في الأرض أكثرنا في غرور عظيم إذ نظن اننا نفهم الطعام والشراب ، فهنا نحن أولاء ذهبنا كل مذهب في طعامنا وشرابنا ، لقد فرقنا على الكرة الأرضية وطار في الجو وغاص في البحر ، وأدهشنا أن نرى أسناننا قد ركبنا من الجير الداخل في بناء منازلنا وهو الذي التقطه النبات من الأرض فأكلناه ومن (الفسفور) تلك المادة البيضاء ذات الرائحة المشبهة رائحة الثوم ، وهي تباع في مبيعات من البلور ملوثة بالماء للوقاية من إيداء تلك المادة لأنها تلتهم سريعا بمجرد ملامسة الهواء ، فإذا لامست الأصابع التهمت حالا ويعسر الطفاؤها وتحدث جروحاً خطيرة ، وهذه المادة اذا كتب بها على حائط في محل مظلم لا نور فيه ظهرت السكتة كأنها نار تفرع منها الأطفال والشموع والنساء ، فحجب أن يكون الجير في منازلنا وتلك المادة النارية التي نراها في أعواد السكبريت التي نوقد بها النار فاخلين في أسناننا بأنواعها الثلاثة لتزني أغذيتنا وقطعها وطعنها « إن ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم »

فهذه الأسنان تهرس الطعام ، والهيون الست الناهبات في الفم تتخاله لهضمه ، ثم يمر فيحصل الى الانثاعشري هل تذكره أيها الصديق . فقال أئذ كره مرسوما في ﴿ سورة فاطر ﴾ . فهناك تقابله عصاران احدهما آتية من الصفراء والأخرى من البنسكرياس الرسومين هناك ، وهاتان العصارتان يتقابلان فيغيران تلك المادة تغييرا عجيبا ليحصل لها اقتراب من أن تكون من جملة السم

وانرجع الى الفم الذي يخرج مع الزفير . قال أنا أئذ كره جيدا من هذا القول ومن سابق التفسير ، فقلت : أريدك فيه علما انه في السكر وفي الوريق وريش الطيور وفي العظم واللحم والجلد والشمع والدهن والزييت فان الفم يظهر في آثار ما يوقد منها وهو تلك المادة السوداء الظاهرة للعيان وكل شيء لا يخلو من

الفصح وهو في الحجر الذي في المباني وفي الرخام والمرص إذن هو في كل ما انضجته على المائدة إلا الملح فهو
لاخف فيه ، ولقد قالوا « إن الفصح أمير والاكسوجين المتقدم شرحه سلطان » ولا جرم أن الهواء مركب
من الاكسوجين والاوزوت ، وهذا الاوزوت هو نفسه المواد الزلالية المتقدم شرحها الداخلة في الجيوب واللبخيم
والبيض وقد تقدم شرح ذلك ، فأجسامنا هي كيات من أكسوجين في الهواء وفي الماء ومن فحم فيه وفي غيره
ومن مادة الزلال السابحة فيه ومن شعهم الحيوان ولحمه والزيت ونشاء الجيوب وغير ذلك ، وهذه كلها يحملها
الدم وهو يجري في الشرايين ، والشرايين تصل بدقتها المتناهية في كل جزء من أجزاء الجسم وتعطيه ما يستحقه
من تلك المواد بعدل وانصاف ، فإذا وصل الدم الى الإنسان مثلا أخذت حقا وهو المواد الجيرية والفسفور
كما تقدم ، وإذا وصل الى العين أخذت المواد التي تليق لها بحيث تصلح للابصار وهكذا الأذن والجمل والأعصاب
إذن هذه حكومة محيية مدهشة ، وإنى ليحزننى أن أرى أكثر هذا النوع الانساني يعيش جاهلا بهذه السكرة
الأرضية ، ويعيش جاهلا بنفسه وهو مغرور بهول « قتل الانسان ما أكفره »

فيا ليت شعري متى يرتقى هذا الانسان وينظم أمه على مقتضى نظام جسمه البديع الجليل المتقن ، يجري
الدم في الشرايين فتلقاه الأعضاء فيأخذ كل عضو حقه ولا يشهداه ، ويترك ما ليس له بحق ، كأن هذه
الأعضاء قرأت « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »
أو كأنها قرأت جمهورية أفلاطون ، أو كأنها قرأت « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »

الله أكبر . أجسامنا بديعة التركيب ، حسنة الوضع ، ونحن نعيش فيها ، ونحن بها جاهلون ، نتعاطى
الطعام ومثلنا معه كمثل ما قال الله تعالى فيهم « مثل الذين جالوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجار يحمل
أسفارا » ، وإذا جهلنا الطعام والشراب فأننا أعرق في الجهل بمعنى البسطة التي كلامنا فيها ، ومتى أخذ كل
عضو حظه من مواد الغذاء الدائبة في الدم بما وكبر على مقتضى قوانين مجهولة لنوع الانسان في الأرض ، ثم
يكون هناك عالم آخر وهو عالم الأعصاب المتصلات بالنخاع الشوكي المرسومات المشروحات في ﴿ سورة فاطر ﴾
والنخاع الشوكي يرسل الأسفار الى المخ وهناك عالم العقل والتفكير . إذن طعامنا في القناة الهضمية كيموس
وكيماوس ، وفي الدورة الدموية دم ، وفي أعضائنا المختلفة أعصاب وعظام وعضل ودهن الخ . وآثاره في
أعضائنا ونخاعنا الشوكي ونخاعناوم وسفارف وفكر وذكر وحكمة ، فكيف نقول أننا نأكل كل عارفون
أولما نشرب دارسون ، وهذا من أسرار قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وهذا الجهل كما تقدم
يضارعه جهلنا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » . إذن فلفظ الكلام على معنى الرحمة الذي هو المقصود
في هذا المقام فنقول :

الرحمة

لقد قدمت لك أيها الذكي في أول هذا المقام أن الرحمة في هذه السورة قد ذكرت (٨) مرات فوق
ما جاء في البسطة وفي البسطة (٢) فالجميع (١٠) وإطاء والميم تشيران الى الرحمة أيضا فلا بد لنا إذن من
فهم الآيات المذكور فيها الرحمة مثل « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ » ومثل « ومن يعيش
عن ذكر الرحمن الخ » ومثل آية « ولولا أن يكون للناس أمة واحدة الخ » ولكن لا بد لنا قبل فهم معاني
هذه الآيات من تحقيق معنى الرحمة فوق ما تقدم

فقل لي أيها الذكي : أيهما أحق باسم الرحمة ؟ أهذه النعم المتغيرة المتبدلة التي لا ثبات لها ، أم النعم
الثابتة ، قال بل الثابتة . قلت حسن . قلت : ثم إن النعم المتغيرة أيها أحق باسم الرحمة أم أعلها أم أدناها ؟
قال : كل ما كان أعلى كانت الرحمة فيه أوفر ، وكل ما كان أدنى كانت الرحمة فيه أقل . قلت إذن وجب

الآن أن نشرح أنواع النعم ونبتدى من أدناها الى أعلاها حتى نفهم الرحمة ونبين أنواع الرحمة المذكورة في هذه السورة إذ ذلك . فقال : يا للجب ! وهل النعم لها نهاية حتى تبين عددها ودرجاتها ، أنها يهوزها علوم الأسم وأعمال جميع العلماء في الأرض . فقلت : اننا لانعرف من جميع النعم إلا ما أدركته حواسنا وعقولنا ، إذن فلندرس درجاتها باعتبار ادراكنا لها ، وحواسنا معروفة محصورة عندنا والنعم مقسمة عليها ، فالبحت في النعم سيكون في تفصيل ما يدركها لافي تفصيل المحسوسات والمعلومات . قال : أما هذا فهو حسن فأريد أن تذكر لي أدنى درجات النعم . فقلت : هي كل ما كانت تستلذه حاسة اللمس كنعومة الحرير فان لابس الحرير والنائم على الفراش الوثير يحس كل منهما بلذة اللمس ، وهذه اللذة سببها النعومة الحاصلة في اللباس والفراش ، قال ولماذا كان هذا أدنى الدرجات ؟ قلت لأن حاسة اللمس عامة في كل حيوان حتى الدودة في الماء وفي الطين لها حاسة اللمس ، وهذه الحاسة لاتعرف إلا ما يلاصقها فهي كالأعمى لا يدرك إلا باللمس . قال ثم ماذا ؟ قلت : اللذة التي هي من هذه المحسوسات بحاسة الذوق كالأطعمة والأشربة ، فاذا رأينا أقواما يفخرون بالطعام ولذته ، والشراب وسورته ، عرفنا أن هؤلاء في درجة اللذة الثانية . فقال ولم جعلتها ثانية ؟ قلت لأن الذوق من المطعومات أشرف من بقية المعسوسات ، خاصة اللمس عامة ولكن الطعم خاص بمواد مخصوصة ، فنحس نحن بكل ما لمس جلدنا ، ولكن حاسة الذوق اصطفت خلاصات المادة كالقوام والكه والحبوب وليس لها علم بالحجر والمدر والطين والتراب وهكذا . قال : ما الذي فوق هذه ؟ قلت حاسة الشم ، ذلك لأنها لاتتقيد بشم ما لاصقها بل تشم المادة عن بعد وليست مضطرة الى ملاصقتها وملاقاتها وانما تلاق ذرات لطيفات لاتراها العيون يرسلها المشموم كالورد والمسك تسير في الهواء وتصل الى الخيشوم فتؤثر في الأعصاب فالشرف هنا من حيث أن الحاسة لم تلاق نفس المادة ، بل لاصقت ذراتها اللطيفات والواسطة في ذلك الهواء

وأرفع من هذه حاسة السمع لأنها ليست في حاجة الى ملاقة المسموع بل الهواء هو الواسطة بينها وبين الجسم الذي خرج منه الصوت وليست الأصوات كالمشمومات التي هي عبارة عن ذرات مادية . كلا . وانما هذه حركات في الهواء ، ولاجرم أن الحركات ألطف من الذرات في حاسة اللمس

وفوق ذلك يكون البصر وهو أرقى ، فهو كما لم يكن في حاجة الى ملاصقة الجسم المنظور ، ولا الى ذرات منه هكذا لم يكن في حاجة الى حركات في الهواء كالسمع بل يحتاج الى صور تسير في النور والنور حركات في الأثير وهذا عالم أعلى مما سبقه ، فهل فهمت في هذا الترتيب حكمة أيها الذكي ؟ قال نعم . قلت اذا تفضلت بذلك أكون شاكر لك . فقال : قد ظهر لي هنا قاعدتان : القاعدة الأولى ان الحاسة التي هي أشرف يكون تركيبها أتم ، القاعدة الثانية انه كلما كانت النعمة أتم كانت أبعد عن المادة وأقرب الى التجرد منها . فقلت ما برهان ذلك ؟ فقال : أما كون الحاسة تكون أتم كلما كانت أعلى فان ما تقدم في ﴿سورة آل عمران﴾ يتحدثنا عن ذلك فان تركيب الأذن هناك أتم من تركيب مادونها من الحواس ، فهناك في تركيبها ١٤ عجيبة من عجائب الاتقان ، وذلك مذكور في أول السورة عند قوله تعالى « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء فهناك الأذن الظاهرة والأذن المتوسطة والأذن الداخلة ، وهناك عجائب لا عد لها مثل السائل الذي في داخل الأذن وفيه خيوط دقيقة شعرية وهكذا ثلاثة آلاف جسم صغير ظنوها آلات البرق (التلغراف) بحيث يتلقى كل واحد منها نوعا من الأصوات يناسبه ويرسل ذلك الى المخ ، وبالجملة ففي الأذن : الصيوان والصماخ والظلمة والعظام الثلاث والدهليز والقنوات الهلالية والقوقعية والسائل المتقدم ذكره والرميل الحافظ للصوت وعصى كورتى والشعرات القوقعية والأعصاب السمعية ، فهذه هي الأربعة عشر جهازا في الأذن وتفصيلها هناك ، وهذا الاتقان لم يكن في صنع اللسان ولا الجلد ولا الخيشوم

واذا ترقينا الى تركيب العين وجسدنا وصفها هناك أتم من تركيب الأذن ، كيف لا وقد عدت الحكم

هناك موجودات ٢٩ حكمة ، فهناك :

- (١) القرنية
- (٢) والهيبة
- (٣) والعنكبوتية
- (٤) والشكية
- (٥) والشيجة
- (٦) والصلابة
- (٧) والملتصمة
- (٨) والجسم الزجاجي في وسط الشكية
- (٩) والرطوبة الجليدية وتسمى العنسية
- (١٠) والرطوبة البيضاء

فالسبع الاول طبقات والثلث الأخيرة رطوبات ، وهناك تفصيل لا محل لذكره ، والمقصود هنا أن الحاسة التي هي أشرف يكون تركيبها أتم ، وأما كون النعمة أتم كلما كانت أبعد عن المادة فبرهانه واضح ، ذلك أننا نرى نوع الانسان يفارق النوم على السمقس والحرير والفراس الأثير (وساوم أن هذه لذة الملاسة) ويركب القطار لرؤية الأقطار ، وجوب البحار ، وتجشم الأخطار ، ويركب متن الهواء ، ويخترق بقواماته لجح البحار لمشاهدة أنواع السمك والنبات وصنوف المخفوقات التي في قاع البحار ، ونرى الجهلاء والعلماء يفادرون محادثتهم وفيها الروائح اللطيفة وأنواع الفواكه ويتوجهون الى دور الصور المتحركة مع انهم في تلك الحقيقة قادرين أن يضربوا العود ويتمتعوا بأصناف الطرب وصنوف اللذات المختلفة ، فدل ذلك على أن المبصرات عند الانسان أرقى من جميع المحسوسات ، لذلك كان البصر أدق وهكذا ، ولم نر حاسة غير البصر لها قدرة على مشاهدة الشمس ، فأما البصر فهو الذي اختص بها . قلت والله لقد نطقت بفهم وأجبت . ثم قلت أيها الصديق انا نريد أن نتوغل في البحث . فقال حبا وكرامة . فقلت : اذا كانت الشمس أعظم ما يشاهد بحواسنا ، وأشرف حواسنا هي العين وتركيبها أتم ، والواسطة بينهما هو النور فهذا آخر لذة يعرفها الحيوان والانسان نوع منه ، وأريد أن أسألك أيها الصديق : ما أقصى سعادة عند الانسان من هذه المحسوسات . فقال : السرور واللذات . فقلت : اللذات أقصى ما يسعى اليه الناس . قال نعم . فقلت فذكر قليلا في عاشق مات مشوقه وفرح بماله ففقدته ، ومفرم بحصيل فذبل الجلال

لهلك نسيت أيها الصديق ما قررناه أولا في أول هذا المقام وهو أن الثابت أتم نعمة والمنتير نعمة أقل فالسعادة به تكون أقصى . قال حقا كان ذلك ولكن السرور الجزئية بالعوالم المتغيرة لا ينكرها العقلاء قلت : ولكننا الآن في مقام الفلسفة والحكمة وفي تفسير القرآن ، ونريد أن نصل للحكمة في ذكر الرجة في قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لجنوتهم سققا من فلاة الخ » فهذه نعم متغيرة والقرآن والحكمة يطلبان النعم الثابتة ولا نبات للمادة . فقال إذن كأنت تريد أن أسعد ما يبالي المرء في الحياة الدنيا هي البصائر . فقلت : حسن ولكن هذا المقام يعوزه إيضاح وإفصاح . فقال يسرني أن أسمعه منك فقلت : إن ههنا عينا وضوءا وشمسا فالعين أرقى حاسة والشمس أرقى محسوس والضوء أجل واسطة . قال : هذا صار مبرهنا عليه . قلت : ولما رأى حكماء الأمم قبل الاسلام أن هذه المرتبة يشاركنا فيها البهائم فكبروا فقالوا : إن الشمس بالنسبة لعوالم المواليدات الثلاث على الأرض أشبه بنار متقدة والناس في الأرض أشبه بقوم في مغارة ظهورهم نحو الشمس ووجوههم متجهة الى الضوء الذي على جدار المغارة أمامهم ، وهذه

الموايد الثلاثة أشبه بالصوم والموسومة على حائط المقبرة بواسطة ضوء النار ، وهذا المثل تقدم غير مرة ولستكن ذكرناه هنا لتوضح به المقام . إذن وراء هذه الشمس الله الذي برأها ، وهذه الموايد الثلاثة عوالم سماها أفلاطون عالم المثال وهو عالم ثابت ، وعالم الموايد عالم متغير كان الله ثابت دائماً والشمس متغيرة ، فالله بالنسبة لعقولنا كالشمس بالنسبة لعيوننا ، وكما أن الشمس ضوئاً يصل إلى العين هكذا عالم المثال ينير على بصارتنا ، فإذا لم تضيء الشمس فإن عيوننا لا ترى المبصر وإن كان أمامها هكذا عالم المثال انشأ يرسل أشعته إلى عقولنا ولولاه لم نعقل ولم نعلم ، وإلى هذا المقام انتهت عقول الحكماء في الأمم قبل الإسلام

ولما ترجمت الكتب إلى الأمم الإسلامية حصل عندهم القول بالاتحاد والحلول . هل تذكر في أي مقام أوضحنا هذا أيها الصديق ؟ فقال : قد تقدم في (سورة فاطر) نقلاً عن الإمام الفزاري إذ ذكرت هناك في تفسير البسملة البراهين التي ذكرها موصحة وبان بها وظهر أن ما يقوله متأخرو الصوفية من الاتحاد والحلول عار عن البرهان العقلي بل هو أشبه بكلام الصبيان . قلت : ولكن أريد هنا أن أبينه بطريق أوضح مما نقلته فيما تقدم لأن الأدلة هناك مطوّلة وفيها بعض الصعوبة . فقال : أجب أن أسمع ذلك . فقلت أي حاسة في الجسم أشرف . فقال : طبعا العين . قلت : هل يمكن أن يقول أحد أن العين هي الشمس . فقال وهل تخطر بخل عاقل . قلت : اسمع يا صاح ربك الله . إن العين في الحقيقة مضيئة لأجسامنا والشمس تضيء العالم . إذن العين شمس صفراء . ألم تر أن تركيبها كما قلنا سابقاً أتم ، ولماذا هذا ؟ لأجل أن تكون أقرب كلاً من الشمس ، ولولم تسكن على هذا الغلط تر النور ، فالعين مخلوق بديع عجيب والشمس كذلك والعين في أجسامنا أقرب شيء إلى الشمس فلذلك قبلت منها النور ، ثم إن العين والجسم والأجسام كلها في الأرض مخلوقات لم تسكن لولا الشمس ، فبالشمس ثار السحاب من البحار وهبت الرياح بالحرارة ، فإذا لم تكن شمس لم تسكن رياح ولا سحاب فلا إنسان ولا حيوان ، وبالتالي لا عيون ولا أبصار . قال نعم هو ذلك . فقلت : إذن الشمس سبب في العين ، والعين أقرب عضو في أجسامنا إلى الكمال والكمال هي الشمس . قل حسن ذلك . فقلت : إذن يتوجه السؤال : هل العين هي الشمس ؟ قال . كلا . لأن إحداها سبب والأخرى مسبب غاية الأمر أن العين أقرب إلى الشمس لأنها عنها أخذت تركيبها ساعدها على ذلك . قلت : حسن جداً . ثم قلت هكذا نقول لجميع علماء الصوفية السابقين واللاحقين ونعلم الحقيقة واضحة للعالم قاطبة . فنقول : « أيها الناس إن ما سمعتموه من أقارب الصوفية من وسوسة الوجود وما جاء في كتاب الاستاذ الكبير رضي الدين في الفترحات البكية ، كل ذلك عبارات موهمة يجب الإفلاع عنها حالاً لأنه ثبت بالبرهان اليقيني اليوم أن النفوس الإنسانية كالعيون والله « والله المثل الأعلى » كالشمس والعوالم الروحية كالضوء ، وعالم المثال كعوالم الموايد الثلاثة ، ولن تبصر العين ما لم يكن النور ، وكما أننا لا نقول إن العين هي الشمس وإن كانت أقرب إليها وهي تلقى عنها الصور والأشكال بواسطة « وشئها » هكذا لا يمكن أن يكون الأنبياء أو الحكماء أو الأولياء مهما علت درجاتهم وبلغوا أقصاها أن يكونوا هم نفس الله تعالى مع انهم بالنسبة للناس كالعين والناس من وراءهم كالخوارج الأخرى أدنى منزلة وهم يستضيئون بالنور الإلهي فيأهمهم الملائكة ويوحون إليهم المعلومات الثابتات في العالم الروحي . فقال : ما أجل هذا البرهان ، أنه أقرب سهل المنال ، يستقبله كل متوسط الذكاء ، فقلت : إذا عرفنا هذا وقد امتحنا آراء أسلافنا وقد رفعت الحقيقة فلنتجاوز ذلك إلى ما وراءه وهي آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، فنذكر أولاً ما قالوه ، وما آثار كلامهم في الأمم التي بعدهم ، ثم نتبع بما نراه مما فتح الله به ليلة الجمعة كما قدمته قريباً . فقال ما أشوقني إلى ذلك . فقلت : إن أفلاطون بعد أن ذكر مثال الشمس المتقدم . قال : « على الإنسان أن ينفق من الأخص إلى الأعم ، ثم يترقى من المحسوسات إلى المعقولات حتى يرجعها كلها إلى ذات الله وهو الكمال المطابق والخير المحض ، وجميع المعاني هي صفاته وهي حكمته »

وهناك أعلن للأول أن هناك عالم المثل وهو ثابت ، وعالمنا هو المتغير ، ولقد عارض هذا المذهب أرسطاطاليس تلميذ أفلاطون . فقال : أنا أسلم أن الكليات هي أصل العلم ، ولكن لا أسلم أنها مفارقة للمادة ، وهل هناك كليات إلا في أذهاننا ، فالذهن مخزن الكليات ، أما ان هناك عالماً نسميه عالم المثل وهو أصل لعالمنا فهذا لا أسلم به ، وكيف أسلم به وهو اذا كان ثابتاً لا يتحرك فكيف صدر عنه هذا العالم المتحرك ، ثم انه اذا كان مفارقاً فكيف يؤثر فيما فارقه ، وكيف يكون جوهرًا مفارقاً له وان كان متصلاً بالعالم فقد دخله التغير بتغير ما اتصل به ، وكيف ينطبق الجوهر الواحد على الأفراد المختلفة مع انه لا يقبل الانقسام « وأطال في ذلك ثم قال : « إن العالم مكون من مادة وصورة (وكيفية معينة من الوجود) والمادة لا تتفق لها إلا بهذه المعينات وهي في نفسها امكان محض أى قوة واستعداد لقبول الصورة ، والصورة كل ما به يتعين وجود المادة من شكل ووضع وبهد وكيفية كاللون والطعم والرائحة والثقل والخفة ، وهذان لا يكونان متميزين إلا بالعقل أما في الخارج فلا ، وما الحركات إلا شوق المادة الى الاستكمال ، فهي أبداً محدة للكمال وذلك بالحركات في المقادير (السكن) كالتمو والزيادة والنقصان والقبول والحركات في الكيف كالاستحالة من صفة الى أخرى وبالحركات في الاين وهي النقلة من مكان الى مكان

وقول أرسطاطاليس المذكور فيه لبس ، فقد ردّ عليه حكماء اليونان بهذه فقالوا : « أولاً » ان المادة عندك أمر سلبى وعدم محض ، واذا كانت عندما فكيف تشاق الى الاستكمال بالحركات ، واذا لم نقل ذلك بل قلنا انها (امكان محض) فهل يعقل أن للامكان وجوداً . إن وجود المادة يناقض ما يقوله هو انها مسلوبة الوجود ، واذا سلمنا بوجودها بعد هذا كله فقد أصبح للوجود أصلان معا وهو مناقض لأصل مذهبه ، ثم هو يقول : « ان الطبيعة ماهي إلا المادة والصورة والحركة ، والمجتمع من هذا كله يسمى طبيعة » ولم يبين هذه الطبيعة ، ماهي ؟ هل هي ذات موجودة ، أم هي معنى موجود باعتبار العقل »

فلما مات أرسطاطاليس ترك تلاميذه هذه المباحث وأخذوا يفسكرون في علم الطبيعة والأخلاق وجدوا في هذه العلوم ، وهناك نبغ (أبيقورس) المولود سنة ٣٤١ ق.م المتوفى سنة ٢٧٠ ق.م ورجع الى مذهب (ديموقريطس) القائل بالجزء الذى لا يتجزأ وهو يقول : « أجل المقصود من الحياة ادراك الحقائق وذلك بالفلسفة واللذة الناجمة عنها أهم مقاصد هذه الحياة » ثم نبغت فرقة الرواقيين ويسمون أصحاب الاسطوانة وأصحاب المظال (وهو اسم محل اجتماعهم بأثينا) وهم شيعة (زبنون) المتوفى سنة ٢٦٤ ق.م وهؤلاء يقولون : « ان العالم جوهر واحد ، فهو من جهة قوة عاقلة ، ومن جهة أخرى مادة » ومن أصحابه (كريزيون) المتوفى سنة ٢٠٩ ق.م وعلم الطبيعيات هو علم الالهيات عند هذه الطائفة

ملخص هذا المقام

هناك قال صاحبى : لقد طال المقال فأرجو تلخيصه ثم كيفية ارتباطه بالرجة أولاً ، ثم كيف تفسر الآيات التى فيها الرجة فى سورة الزخرف بهذه العاوم المذكورة هنا . فقلت : ألا تذكر أن أصل المقام :

- (١) انك قلت ان البسملة معروفة وتفسيرها هنا تكرر
- (٢) فأجبتك بأن الجلال المذكور الموضح فى سورة السجدة أكثر الناس يزعمون أنهم يعرفونه وماهم يعرفون ولا يعقله إلا الحكماء
- (٣) وأن الطعام والشراب يظن الصبيان والعامة أنهما معا ومان وهم جميعا لا يدركون بالتفصيل عجائب توزيع المواد النشوية والمواد الزلالية والمواد المعدنية والماء كالارز والبطاطس وكاللحم والبيض وكل الملح وكما الأنهار

فهذه موزعات على مناطق الأرض في أنواع النبات والحيوان والبحار ٦ وهكذا تنقسمها أجزاء القناة الهضمية فتضمها وتحافظ الدم فيأخذ كل عضو حفظه من الحياة وهكذا

ثم يكون الفكر والعقل ، فهذا اجمال الكلام على الطعام والشراب . وبقى الكلام على الرحمة المذكورة في البسملة التي كررت (٨) مرات في سورة الزخرف . فلما أخذنا فصلها وجدنا أمراً عجيباً اوجدنا أن حواسنا كلما كانت أقرب الى محسوسها كان ذلك المحسوس أخس وكانت نفس الحاسة أقل درجة وكنا نحن بذلك المحسوس أقل اهتماماً . ذلك ان المحسوس الناعم كالحرير لا نعرفه إلا اذا لاصق أجسامنا وذلك يعطينا لذة ضئيلة اذا قسناها بلذة المشوم والمشموم يبعد عن حاسة الشم ويرسل من لدنه ذرات لطيفة فهو ألطف من المطعوم كالخلو الذي يلامس حاسة الفوق التي هي أرقى من حاسة اللمس . فاذا ارتفعنا الى السمع وجدنا الحاسة أتم تركيباً والمحسوس ألطف يكاد يفارق المادة ولا يحتاج في تعرفه الى الملاصقة . أما المبصرات فانها أبعد وأعجب ورسولها الأمين أشرف من الهواه وهو الضوء والضوء في عالم الأثير فجلى الله ، جلى الله الذى أعطى الانسان درساً لن ينسى . فهاهوذا يقول له : « أيها الانسان : ألسنت تعقل . ألم يكن أشرف حاسة عندك هي البصر . أليس المبصر بها يبعد عنها ولا يلاقى حاستك إلا النور . إذن هذه الحياة الجسمية نفسها كشفت لك الغطاء عن السعادة . تقول لك بلسان طلق : أيها الانسان : أما تحجل وكيف تحجل نفسك تتلمس السعادة في جوانب المادة وأنا رسمت لك الخطة : إن المادة ماهي إلا مبدأ كالذى رأيت في عالم المعنويات ولكن لا بد من ارتقائك في المعاني كارتقاء العين في محسوسها عن حاسة اللمس في ماموساتها . ألا ان الفرق ما بين الخشن والناعم من حيث ملاصقة الجسم وبين الشمس والعين من حيث شدة البعد التي تصل الى مسافة (٣٥٠) سنة بجري القطار السريع ليلاً ونهاراً . يجري فيها النور بين عينك والشمس وكأن الله يخاطب المسلمين في الأرض قائلاً : « المادة مبدؤكم فلا بد من دراستها واتقانها كما درست حاسة لمسكم ماحولكم واياكم أن تقفوا عندها ثلاثدوا بل ارتقوا في دراستها طبقاً عن طبق لتحكموها وأتم فيها كما ارتقت حواسكم طبقاً عن طبق فحكمت الأذن على الأشياء البعيدة فأخذت علمها بطريق الحركات في الأصوات . وكما حكمت عيونكم على السكوا كب البعيدة فاقنصت صورها من الجو وهي جارية في الضوء السارى في ألطف موجود وهو الأثير ثم كأنه عز وجل يقول : « أيها المسلمون : هاهم أولاء الأثم قبلكم وان لم أرسل لهم رسولا فكروا في هذه العوالم وارتقوا في الأسباب وقالوا : اذا كانت السعادة تنبع الارتقاء عن المادة وكل من ارتقى عنها خضعت له وكل من خضع لها أذلته . فهاهم أولاء من قبلكم بحثوا بأرائهم وعقولهم وقالوا ان هناك صوراً معنوية هي أصل لهذه المواليد على الأرض وربكم مشرق نوره على تلك العوالم المثالية التي على مثالها خلقت عوالمكم وهناك تجلى الله على عقولكم بالاهام كما تجلى الشمس على عوالمكم بالضوء . وكما أن الضوء يأتى لأعينكم بصور المخاوفات الأرضية . هكذا أتجلى أنا على عالم المثال فيشرق على عقولكم بسبب امدادى لكم »

هذا ثم جاء آخرون بعد هؤلاء فأنكروا عالم المثال وقالوا : « إن السكليات العلمية لهذه المحسوسات كالانسان والحيوان لن تكون الا في الذهن » . إذن ليس هناك عالم مثال . وهناك يقول أرسطاطاليس : « إن العلم إنما يتعلق بمحقق ، والمحقق هي المادة وصورتها المعينة المعروفة » وجاء بعده الأبيقوريون والرواقيون وهم أصحاب المظال . فقالوا : « إن كلامه في المادة غير منتظم » وأدركوا أن هذه الأقوال غير مجدية ، فتركوا هذه الارتباكات ورجعوا الى دراسة علم الطبيعة وعلم الأخلاق

هذا أيها الصديق ملخص ماتقدم ، وأنا أجد الله جدداً كثيراً على التبيان وتسلم البيان ، ولم يبق إلا أن أخلص المقام كله في كلمتين اثنتين : وهما ان دراسة هذه المخاوفات التي هي آثار الرجات عرفتنا أمرين : أحدهما محقق . والثاني بعوزه التفكير . أما المحقق فهو أن سعادة أهل هذه الأرض لا تكون بالانغماس في

المادة بل في التجافى عنها والترقى في إخضاعها لآثارها فيكون الناس في هذه الأرض بالنسبة للمادة كالسجين بالنسبة للشمس

فهذه قضية محققة أظهرتها دراسة رجة الله المذكورة في البسملة في حراسنا وفي الخلوقات حولنا ، فكأما كان الناس مغمورين فيها ذلوا ، وكلما ارتقوا فأخضعوها إخضاعاً معنوياً سهواً ، والدليل على ذلك أن استعمال الكهر باء التي هي أطف من الأجسام الأرضية أسعد الناس سعادة ما ، وذلك أقرب إلى استعمال العين للشعاع الواصل من الشمس فإن بين الكهر باء والنور مشاكلة ، ففرق ما بين استعمال غارب البفل والحمار والفرس التي هي أجسام كثيفة وبين استعمال الكهر باء التي هي عوالم لطيفة شريفة فالتمرات على مقتضى المقدمات كثافة وإطافة ، وهذه بعينها دروس يعطيها لنا ترتيب أجسامنا . هذه هي الكلمة الأولى المحققة . أما الكلمة الثانية التي يهوزها التفكير فهو ما يقوله أرطاطيس وأبيقور وزيون مما تقدم فهذا راجع لأصل العالم ومنشئه

وسترى إن شاء الله في ﴿سورة محمد﴾ ﷺ تحقيق المقام في رسالة سميتها ﴿مراة الفلسفة﴾ التي وعدت بذكرها سابقاً صرارا في هذا التفسير ، ولكنني أقول قولاً اجاليا الآن تذكرة لك أيها الصديق وللاذكياء من قراء هذا الكتاب

اعلم أننا نحن على هذه الأرض لن نصلى إلى غاية العلم ، رغبة الأصر أننا نتلمس الممكن منه ، فهاهوذا البرهان اليقيني الذي عرفناه من دراسة جسمنا أثبت لنا أن سعادتنا في اللطائف لا السكائب ، وأن هذا الانسان عليه أن يجد في المعنويات في هذه الحياة حتى يترن عليها ويرتقى فيها كما ارتقت عينه عن لسانه ، فهذه ترى الشمس في الأفطار البعيدة ، وهذا يلامس القمرة فتكون قيدا له وسجنا ، فإذا تلمسنا علم ما وراء ذلك ونظرنا نظر سقراط الذي اعترض على العالم المثالي الذي قرره فانا نقول اذا كان علماء الطبيعة لما عجزوا عن اثبات مادة تحمل الضيق السارى في الجو من الكواكب وتحمل قوة الجاذبية التي بين الكواكب وبين الشمس والأرض والقمر

أقول لما عجزوا عن ذلك قالوا نفرض أن هنا علما خفيا نسميه (أثيرا) ولقد تقدم شرح عالم الأثير في أول سورة ﴿الصفات﴾ وتحقق الكلام فيه ، فهذا الفرض قد اضطرروا اليه اضطرارا ليمكنهم به حل النظريات الطبيعية ونهم القوانين ، فإذا جاز هذا في علم الطبيعة التي هي أقرب إلى عقولنا ، أفلا يجوز نظيره في علم ما وراء الطبيعة ونقول : اذا كان الضوء لا يصل إلى عيوننا إلا بهام سميناه أثيرا ونحن لم نتحققه ، أفليس من حقنا أن نقول ان العلم لا يكون له ثبات الا بامور ثابتة ، والامور الثابتة هنا نسميها عالم المثال وهو ذبح لاهلنا هذا وعلى مقتضى عالم المثال الذي صوّرت فيه جميع القضايا السككية التي نحس بها في أذهاننا خلقت انموال المشاهدة فأما كل ماورد من كلام علماء اليونان على عالم المثال فانه يريد نظيره على عالم الأثير فإذا كان معدوما فكيف يحمل المعلوم الموجود ؟ فالقول هناك كالقول هنا

امتحان آراء علماء الاسلام

وآراء علماء اليونان

إذن نحن الآن امتحنا آراء علماء الصوفية من حيث وحدة الوجود فتأهرا لنا أن دراسة أجسامنا تحمل المشكلة كما تقدم في العين والشمس ، وامتحننا آراء فلاسفة اليونان فرأينا أن عالم الأثير المقبول عند علماء الطبيعة يرد عليه ماورد على عالم المثال ومع ذلك اضطره العلماء في زماننا اضطرارا وقدسوا بأبائنا لحل النظريات لتسهيل حل النظريات العامة . وهذا الذي قلته الآن برهان اقنعى ، ولكن البرهان البقيني ستراه في سورة محمد ﷺ كما أنبأتك

تفسير الآيات

لا جرم انك بعد هذا أيها الصديق تفهم حتى تفهم قوله تعالى « واذا بشر أحدكم بما ضرب للرجن مثالا » الى آخره إذ يرى الانسان انه محصور الفكر في أن الولد ذكر أو أنثى وهذا انغماس في المادة ، والانغماس فيها عذاب أليم في الحياة الدنيا والله منزّه عن المادة فكيف يجعله متصفا بما كان عذابا له ! وهناك يظهر سرّ « ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » ودراسة علم الخواص المتقدم يظهر لنا أن الخضوع للمادة مسافر ، وهذا قوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » فالذكورة والانثوية صفات أهل المادة الذين هم أقرب الى العذاب في الحياة ببرهان دراسة الخواص المتقدم والملائكة مبعثون من المادة وهم مختصون بالعلم ، وقوله « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » فهوؤلاء جهلاء ولكن الله لسعة رحمته لهم لم يهلكهم ، فهو وسعهم كما وسع البهائم في الأرض وكما عاش الانسان بين عين تنظر الشمس وليس يلمس الحجر فأنه يرحم الأدنى والأعلى كل في مركزه الخاص . هـ . وأما قوله « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » فهو المقصود من هذا المبحث كله . ذلك ان السعادة كما قدمنا ترجع الى ادراك ماهويات ولائيات للمادة . والثابت الحق هو الله عز وجل . وكل مال وولد وسلطان وجمال وأرض وسما لا ئيات لها . فانفرج بالمفسر غرور . ولا فرج ولا سرور إلا بما هو ثابت . ويظهر هذا في قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن ينكر بالرجن الخ » فالقصور المزخرفات والذهب والفضة والسرور راجعات كلها الى المادة الفايضة وقد برهننا هنا قدينا أن السعادة في الابتعاد عنها والرجة الحقيقية في ادراك ماهويات ولائيات لإلصاق العالم ، فهل لك أن أسمعتك ماقاله نفس أفلاطون عن (سقراط) لتعجب من أن القرآن قد جاء تفسيره على السنة الفلاسفة ، بل على لسان أكبر فيلسوف تفوّق له فلاسفة أوروبا الحاليين باعترافهم سجدا ، فانظر ماذا يقول ؟ يقول معنى نفس هذه الآيات ، فهو يقول في الكتاب السادس مخاطبا (ادينتنس) « أو است من رأيي أيضا أن سبب اسقياء الجمهور من الفلسفة راجع الى تصرف الذين كالسكارى يقهّمون مالا ينيهم ويسمي بعضهم بعضا ، ويسرون بيت الفتن والاعتياب ، وبالأجبال الأشخاص الذين لا تفق تصرفاتهم مع الفلسفة » ثم قال : « وحقا يا ادينتنس ان من وجهه أفكاره نحو الأشياء الموجودة حقيقة ليس له متسع من الوقت للاشتباك بمصالح الآخرين ومنازعتهم فتتسرب اليه عدوى أذاهم بل على الضد من ذلك يقف أوقته على التفكير بأشياء صحيحة ثابتة واذ يرى انها لا تنضّر إحداها الأخرى ولا تني خاضعة للنظام وهي على أتم وفاق مع العقل يجتهد في درسها والنشبه بها ، أو تظن أن الانسان يستطيع ألا يتمثل بما يلازمه ويحترمه . فأجابه : غير ممكن . فقال سقراط : فالفيلسوف الذي يلازم ماهو إلهي متزن يصير إلهيا متزنا مع انه هنا كما في كل موقف آخر مجال واسع للتزييف »

وقال في صحيفة ١٨٨ مائنه : « إن بحثنا أربانا أن في كل منا آلة تساعد في تحصيل العلم كما انه لا يمكن تحويل العين من النور الى الظلام بدون أن يتحوّل الجسم كله ، هكذا أمر هذه القوة مع النفس فيلزم تنوّل النفس كلها عن السالم الفاني ليمكنها التفكير في عالم الحقيقة وفي أبهى قسم منه وهو ما ندعوه صورة الخير » انتهى

يقول طنطاوي : أفليس مما يدهش المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن آيات هذه السورة التي ذكرت فيها الرجّة كالتي تصف الكافرين بأنهم لو كانت لهم قصور من خرفة وسرر الخ لم يكن ذلك نافعا لهم وكالتي تبين أن من أعرض عن ذكر الله تسلمه الشيطان وأضله وهكذا أقول : إن هذه الآيات قد جاء تفسيرها قبل أزمان النبوة بنحو ثمان قرون على السنة الفلاسفة . إذن

هذا القرآن كما وصفه الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إذن المفكرون في جلال الله المتعالمون بالحكمة هم أرقى الناس وهم أولى بإدارة الأمم لأنهم يزهدون في المال وفي أعراض الدنيا وليسوا كبعض الزهاد يعتبرون الناس ويكونون عالة عليهم . وبهذا يعرف المسلمون أن الزهد في الدنيا ليس معناه تركها ، بل أن يكون الانسان عالما بالجلال الأقدس موقنا أن السعادة في المعرفة والعلم أي العلم بالله والملا الأعلى وهذا لن يمكن بمجرد قراءة القرآن ولا تفسيره ولكن بدراسة علوم هذه الدنيا وينقل من الخلق الى الخلق ثم يكون خليفة له على عباده ، ولم أجد من سار على منواله سوى رسول الله ﷺ ومن جرى على طريقه فهو الذي ينطبق عليه الآيات المذكورة من احتقار المادة والقيام بخدمة الأمة وتنظيم الدولة ، ذلك هو الحق الصراح ، فأجل أنواع الرحمة في الحقيقة يرجع الى ادراك جهل الله عز وجل وصفاته وفهم الوجود تبعاً لذلك ، ثم أن يكون الانسان زاهدا في المادة متخلقا بالأخلاق الجليلة ، خليفة على عباده ، منظماً لأمتهم ، نافعا لدولهم ، فهو في العالم ولكنه غير مغرم به بل بالعلم وبالله وهو مساعد للجمرع منظم للحكومات وللأمة بقدر طاقته . هذا هو الحق الصراح والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠

مقاصد السورة

- (١) تأييد النبوة الى قوله - ومضى مثل الأولين -
- (٢) وثبات الالوهية بالأدلة الطبيعية الى - وانا الى ربنا لنقلبون -
- (٣) بعض سيئات كفر القوم الى قوله - فهم به مستمسكون -
- (٤) سبب كفرهم الى قوله - وانا على آثارهم مقتدون -
- (٥) شدة جهلهم وجور عقولهم الى قوله - بما أرسلتم به كافرون -
- (٦) الانتقام منهم الى - عاقبة المكذبين -
- (٧) تسلية النبي ﷺ بذكر قصة ابراهيم الى قوله - وانا به كافرون -
- (٨) ليست المظاهر المادية من أسباب الدرجات العلمية والدينية الى قوله - عند ربك للمتقين -
- (٩) من ترك عقله فلم يشغله بالحكمة تولاه الشيطان أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته . كذلك من لا يسوس الملك يخله الى قوله - مهتدون -
- (١٠) « من تصادقا على المعصية تعاديا عند القضاء » الى قوله - انكم في العذاب مشتركون -
- (١١) انما تنفع الذكرى من استهت للفهم الى قوله - ومن كان في ضلال مبين -
- (١٢) عدة الله نبيه بالنصر وعلو أمره وانه مسئول عن الدين والقرآن هو وقومه الى قوله - وسوف تسألون -
- (١٣) قصص موسى لتأييد أن المظاهر المادية ليست سببا للمعارف العقلية الى قوله - ومثلا للآخرين -
- (١٤) شؤم الحرص على الجدال وعدم جدواه في ابطال الحقائق الى قوله - إنه لكم عدو مبين -
- (١٥) ذكر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ووعدهم الى قوله - وهم لا يشعرون -
- (١٦) معاداة قرنائه السوء يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين الى قوله - فأنا أول العابدين -
- (١٧) تنزيه الله تعالى ووصفه بسعة الملك والقدرة والحكمة وشهادة الفطرة بذلك ، وبالاختصار وصفه بصفات الجلال والاكرام وهو المقصود الى قوله - لا يؤمنون -
- (١٨) سعة الصدر والصفح والمسائلة خير الأخلاق اه

بجمل تفسير الألفاظ
في المقاصد الأربعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم) تقدم الكلام عليها في السورة السابقة (والكتاب المبين) القرآن ، أقسم به من حيث نظمه وأعجازه ، ان الله صيره كذلك ، فالقسم كالاستشهاد على المقسم به (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه (وانه) عطف على - إنا - (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ (لدينا) عندنا (إلهي) رفيع الشأن في الكتب لكونه مجزأ (حكيم) ذو حكمة بالغة ، أو محكم لا يفسد غيره (أفغضب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) أفندود الذكر ونبعده عنكم صافين فلأننا صرناكم من أجل انكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) الى قوله (يستعزؤون) أى كاستهزاء قومك بك (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقه الله العزيز العليم) أى انهم أقرتوا بأن الله خلقهما ، وانه ذو عزة وعلم ، ومع ذلك جمعوا بين النقيضين إذ عبدوا غيره وأسكروا قدرته على البعث (الذي جعل لكم الأرض مهدا) قارة يمكن الانتفاع بها ، والمهد موضع راحة الصبي ، والخلق كلهم يتربون على الأرض وهي موضع راحتهم فلذلك جعلت مهدا لهدد العباد (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم في أسفاركم ، فلم تكن تلك المهاد رمية من غير رام (والذي أنزل من السماء ماء بقدر) بقدر حاجاتكم اليه ، فلم يكن كثيرا حتى يهلككم (فأنشأنا به) بالمطر (بلدة ميثا كذلك) كما أحيينا بلدة ميثا (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أى الأصناف والأنواع أو الذكور والاناث ، أما هو فهو فرد لاثنائي له (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) في البحر والبر (لتستروا على ظهوره) على ظهور الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) أى بتسيير ما ركبتموه في البحر والبر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلله (وما كنا له مقرنين) مطيقين أو حافظين (وانا الى ربنا لمنقلبون) المنصرفون في المعاد (وجعلوا له من عباده جزءا) أى بعد الاعتراف بأن الله هو الذي اتصف بالخلق والعزة والعلم الخ جعلوا له من عباده ولدا وهم الملائكة ، والولد جزء الوالد وبعضه لأنه بضعة من الوالد (إن الانسان لكَفُورٌ مبين) ظاهر الكفران ومنه ، نسبة الولد اليه تعالى (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ وتجبب ! يقول : اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين) فاختار لنفسه المنزلة الدنيا ولستم بالمنزلة العليا (واذا بشر أحدكم بما ضرب للرجن مثلا) أى بالجفيس الذي جعل له مثلا إذ الولد لابد أن يعائل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من السكابة (وهو كظيم) ملأه قلبه من الكرب (أو من ينشأ في الخلية) أو جعلوا له من يترقى في الزينة يعنى البنات (وهو في الخصام) في المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا بهن وأثبتوهن اناثا ، وقد جمعوا بهذه القرية بين الضدين : العباد والولادة (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله إليهم فشاهدوهم اناثا (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) عنها يوم القيامة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا بخرصون) أى وقال بنو ما يخ بوجه غير ما تقدم : لو نهاها الرحمن وصرفنا ما عبدناهم استهزاء ولكن أمرنا بعبادتهم ولم ينهنا عنها ، ما لهم بما يقولون من حجة ، ما لهم إلا يكذبون على الله (أم

آتيناهم كتاباً من قبله) من قبل القرآن (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب .

ذكر سبب كفرهم

ولما بطلت جميع الحجج رجعوا الى التقليد (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي دين ، وهي من الأم وهو القصد ، فالأمة الطريقة التي تؤم أي تعبد (وانا على آثارهم مهتدون) أي أنهم مهتدون باتباع آباءهم وتقليدهم من غير حجة ، وهذه في الحقيقة حجة الغافلين من الأمم الخاضرة والفائنة . ومن ذلك قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قل متروها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وهذا تسلية لرسول الله ﷺ ودلالة على أن التقليد في ذلك ضلال قديم والأهم في ذلك متشابهة والعلة في ذلك التعم والسكسل والبطالة ، ولذلك أكثر الله في نوع الانسان من الحروب والأمراض والعداوات ليستعملهم على العمل وتنشيط العقول وليفكروا حتى يقل الترف الجالب للتقليد والنوم في ظل الجهالة العمياء

(٥) — شدة جهلهم وجمود عقولهم

قال تعالى (قل) أتتبعون آباءكم (أولوجهكم بأهلي مما وجدتم عليه آباءكم) أي بدين أهلي من دين آباءكم ، وقرأ ابن عامر وحفص — قال — أي النذير ، فقل حكاية أمر ماض أوحى الى النذير . وحينئذ يقال فإذا أجاب أهل القرية ؟ فأجاب (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) وان كان أهلي ، وذلك ليقنطوا نذيرهم من انهم يفكرون

من المقصد السادس الى المقصد التاسع الى قوله — مهتدون —

قال تعالى (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظركيف كان عاقبة المكذبين) ولانكثرت بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء) أي براء (ما تعبدون به إلا الذي فطرنى) أي إني أتبرأ مما تعبدون إلا من الله الذي خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تسلك بها وهي لا اله إلا الله (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحى الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) أي يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم ، فددت أعمارهم ، وأكثرت نعمهم ، فشغلهم النعم والترف والشهوات وأطاعوا الشيطان ونسوا كلمة التوحيد ، وجريت على عادتي أن أجعل في بني ابراهيم من يوحد الله ويدعو من كفر منهم لعله يرجع ، فاخترت محمدا ليدعو هؤلاء فقالوا هذا سحراخ وهذا قوله تعالى (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول مبين) الرسول محمد ﷺ وقوله — مبين — أي واضح الرسالة بما معه من الآيات (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) وفيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) العبارة تفيد الاستهانة (على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » وانما يخرجان من الملح وحده على قول بعض القدماء ، ولكن ظهر في العلم الحديث أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب كما ستره في (سورة الرحمن) وهذا من معجزات القرآن ، والقريتان مكة والطائف ، والرجلان الوليد بن المغيرة عظيم مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف ، وكان كل منهما ذا مال وذا جاه مع أن اعظم في العقل والعلم والدين غير العظم في اصطلاحهم (أهم يقسمون رحمة ربك) أي النبوة والاستفهام للانكار والتجهيل والتعجب كأنه يقول : أيها القوم : عجباً لكم ! كيف جهلتم قدر أنفسكم ، أربغ من شأنكم أن تصطفوا من تشاءون للنبوة التي لا يصلح لها إلا من له رتبة عظيمة روحانية تستدعي عظم النفس ، فتكون ذات فضائل قدسية ، وكالات خلقية ، وتكون مستهينة بالزخارف الدنيوية

التي انقسمت فيها ، فليست أهل لأن تفاض عليكم فضلا عن أن تهبوا لمن تشاءون » (نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا) يقول تعالى : نحن فاولئنا بينهم في الرزق ، فهم الغنى ، ومنهم الفقير ، ومنهم السيد
ومنهم العبد ، ومنهم الملوك ، ومنهم السوقة ، ومنهم الأتقياء ، ومنهم الضعفاء ، ومنهم ذوالجلال ، ومنهم ذوو
السمامة ، ولم يقلوا أحد من عبادنا أن يغير ما حكمنا به في أحوال دنياهم مع قلتها وذلها ، فكيف يقدرون
على الاعتراض على حكمنا فيما هو أرفع درجة ، وأعظم منصبا ، وأشرف غاية ، وهو النبوة ، فنعن رفعا
بعضهم على بعض بمشيتنا وخصصنا من نساء للنبوة كما أردنا ، فكما لم يغيروا ما هو أدنى هكذا هم أعجز عن
التغيير فيما هو أعلى . ثم أتم وصف حال تفاوتهم في الدنيا فقال (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أى
أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق (ليستخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم
في مهنتهم ، ويسخروهم في أشغالهم ، حتى يعيش بعضهم مع بعض ، وينفع بعضهم بعضا ، فهذا بماله وهذا
بأعماله ، لأننا حكمنا أن هذه النفوس تعيش في الأرض لتتعاون ونحن قادرون أن نطعمهم وهم قاعدون كما
أطعمنا النبات والبدود ، ولكن هي الحكمة أن الأعمال التكيفية التي يتعاطاها الناس سواء أكانت طبيعية
أم شرعية تصير فيما بعد الموت معينة للنفوس فيسهل عليها التعارف والتعاون في عالم الأرواح ، وعلى قدر
تمهينها ومحبتها لبعضها يكون ارتقاؤها ، وكيف تتعارف في الدنيا إلا باللقاء والاختلاط ، فأحوجناهم إلى القوت
وأغنيانا وأفقرنا ، وجعلنا ذكرا وأنثى . كل ذلك ليتعارفوا ويتعاونوا ، وأنزلنا العبادات وفرضنا ليتحدوا
في الصلوات ، ويتعاونوا في الصدقات ، وأنزلنا القرآن والعلم لتجمعهم جامعة الحكمة والأخلاق وهي أقوى
الجامعات وأتمن الروابط وهذا قوله تعالى (ورجعة ربك) بالنبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) أى مما يجمع
الكثائر من الأموال ، فالدنيا على شفا جرف هار ، إن المادة والمظاهر الفانية لا قيمة لها في حضرتنا ، فكن
أعقدنا النعم على الدواب والأنعام وكثير من جهلة بنى الإنسان ، ولولا أن نتطلع أعين المؤمنين إلى زهرة
الدنيا وزينتها إذا غمرنا الكافرين بها وأوسعناها عليهم سعة مطلقة وأن تهلع قلوبهم وتنخلع حين يرون
الكافرين في أنهم حال وهم في شظف العيش لجعلنا كل كافر في أرغد عيش وأنعم حال ، ولكننا لم نفعل ذلك
رجة بالمؤمنين وهذا قوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى ولولا أن يصيروا كلهم كفارا
فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا سعة الرزق عند الكفار (لجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج) ومصاعده إلى العلالى جمع معرج (عليها يظهرون) يعلن السطوح لحقارة الدنيا
وقوله - لبيوتهم - بدل اشتال (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أى أبوابا وسررا من فضة . يقول
لجعلنا للكفار سقفا من فضة ومصاعدا وأبوابا وسررا من فضة (و) جعلنا لهم (زخرفا) أى زينة من كل شيء
ويقال الذهب أيضا فيكون عطفنا على محل من فضة أى سقفا من فضة وذهب أى بعضها من فضة وبعضها
من ذهب . وإذا كانت المعارج والأبواب والسرر كالسقف كما تقدم يكون بعضها من فضة وبعضها من ذهب
على هذا التقدير أيضا (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى ما كل ذلك إلا متاعها القصير الفانى وليس
مما تقدر به قيم النفوس الانسانية فكيف يقولون لولا أنزل هذا القرآن على رجل الخ والعظمة المادية
لا علاقة لها بالمناصب النبوية (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصى . ولا جرم أن هذه النعم والسرر
والأبواب المصنوعة من الذهب والفضة لو أعطيت للمؤمنين حتى يصبح الناس كلهم مؤمنين لأخلت بالمقصود
من الايمان لأن الترف والنعم يحجب أكثر العقول عن عالم الروحانيات والرقى العقلى . وقل من يتخلص
من شرك هذه الآفات ، فالشهوات والزينة والزخارف للعقول أشبه بالقاذورات بالنسبة للأجسام . وكما أن
الأجسام القذرة يحوم حولها الذباب فيلقى فيها بيوضه لتفرخ في القروح والعيون ويخرج ذباب يعيش من
تلك القاذورات فتكون آلام وآلام هكذا تلك النفوس الضعيفة تعيش فيها النفوس الممالة لها من عالم

الشياطين وتلقى إليها بقور الفساد فتزرع في تلك العقول وتحبسها النفوس خزيا وعارا في الدنيا والآخرة ، ولذلك أعقبه بقوله (ومن يمش عن ذكر الرحمن) يتعام ويمرض عنسه بانهما كه في المحسوسات واشتغاله بالذات (نقيض له شيطانا فهو له قرين) أى نسب ونضم له شيطانا ونسلطه عليه . وذلك على مقتضى سفننا السكونية كما سلطنا الباب على الأجسام القذرة وخلقنا الحيات والعقارب والحشرات في المحال العفنة لتطيقا للهواء ورجة بالناس والحيوان هكذا النفوس . فاذا قتلت الحيات أحدا ، أو أصاب الحيوان النمرى الذى لا يرى المسمى بالمكروبات أحدا ، أو عمم الوباء من ذلك ، فمن مات فقد كان هكذا استعدادا ، ومن عاش فانه يكون أقدر على الحياة لقوة تحمله فلم يؤثر فيه الوباء ، هكذا هذه النفوس الموسوسة للضعفاء توقههم في الذنوب لاستعدادهم فينالون جزاءهم من عقاب الحكومات ، أو اختار الناس ، أو الأمراض في الدنيا فيكون ذلك عبرة لهم وزجرا لغيرهم ، وتكون نتيجة ذلك الرجة ، وبشير لذلك قوله تعالى « يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » . فالعذاب بالأمراض الفتاكة والموت والشياطين المضلة . كل ذلك إيقاظ من الله للإنسان ، وإياك أن تدخل في هذا عذاب السكافر ، فوالله إن فيه سرا يحرم افشاؤه تحريما قاطعا ، فاذا عرفته فلا تتركه بل ليدفن معك لأن الأمم اليوم لا تستعد لفهمه ، واعلم أن هذا المقام هو نتيجة العلوم كلها دينا وحكمة وتصوفا فمن عرف الحقيقة في هذا المقام فقد وصل لله ونال غاية الحكمة ، فاذا عرفت فالزم قال تعالى (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) لينهون العاشقين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشقون (انهم مهتدون) لأنهم تلقوا من الشياطين ما يلائم أمرجتهم ويوافق أخلاقهم وألفوه فلم ينكروه اه

الكلام على المقاصد من العاشر الى الثالث عشر

الى قوله : ومثلا للآخرين

يحسب كفار بنى آدم أنهم على هدى وقد أغواهم الشيطان (حتى اذا جاءنا) السكافر منهم (قال) لقريته الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب ففيه تغليب أحدهما ثم التثنية (فبئس القرين) أنت (وان ينفعكم اليوم إذ ظلمتم) أشركتم (أنكم في العذاب مشتركون) أى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا ، إن السكافر يمتنى هنا شدة البعد بينهما ، وجاء في آية أخرى « ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا لح » فأجيبوا بأن الاشتراك في العذاب لا يخفف عنكم شيئا (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) فقومك كالصم البكم فلا يقبلون الهداية ، فمن عجب أنك تقدر على هدايتهم ، وعطف على العمى قوله (ومن كان في ضلال مبين) في ضلال لا يخفى ، فهو لاء لا يقبلون الهداية (فالما نذهب بك) بأن نيمتك قبيل أن نهذبهم (فانا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أو نرينك) في حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) قادرين على ذلك متى شئنا عذبناهم وقد انتقم منهم يوم بدر ، وهذا فيه تسلية له ^{صلى الله عليه وسلم} لأنه وعده الانتقام منهم على كل حال (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع (انك على صراط مستقيم) لا عوج فيه (وانه) أى القرآن (لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسألون) عن حقه وأداء شكره ومعنى هذا أن القرآن نزل بلغة العرب ودين الاسلام وعد الله بنشره في الأرض وأبناء العرب هم المعارفون باللغة ، فعلى هذا هم المزمون بالقيام بنشر اللغة العربية ودراسة هذا الدين للأمم الأخرى ، فالأمة العربية متى قصرت فيما ألزمها الله به أذلها الله في الدنيا وأدخل المقصرين منها الناريوم القيامة ، ولذلك لما قصرت في واجبتها انطمست معالمها ودخلت في حوزة الأمم الأوروبية ، وعسى أن يقرأ هذا أبناء العرب

من اخواننا وبنوهموا من كرمهم في الأرض أنهم هم العاملون للآدم ، فليشروا هذا القرآن وليتبعوا هم لغات الأمم وليكتبوا المصاحف بالعربية ويحكون على الماشق تفسير بلغات مختلفة كالانجليزية والروسية والالمانية وهكذا حتى تعرف الأمم هذا الدين . هذه الآية توجب على أبناء مصر والشام واليمن والهند والعراق أن يكونوا ناشري هذا الدين ، ولكن هم اليوم في الجهالة تأثرون ، وسيقوم بعدهم كفرة أخرى وترجع أيام عزهم ، وإذا ورد في حديث البخاري ومسلم أن الخلافة في قریش ، وفي البخاري أيضا حديث « ان هذا الأمر في قریش لا يعاديه أحد إلا أكرهه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » وأيضا يقول بعض المفسرين « القوم هم العرب ، والقرآن لهم شرف »

إذا عرفت هذا فتأمل قوله ﷺ « ما أقاموا الدين » فكأن الخلافة جعلت لهم ليحافظوا على الدين فكأن المحافظة على الدين هي المقصودة من خلافتهم ، فالمحافظة أصل والخلافة فرع ، وهذا يشير لمعنى الآية (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أمهم وعلماء دينهم (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الأوثان ، والمراد تقرير أن جميع الأنبياء على التوحيد فليس ببدع ما جاء به محمد ﷺ حتى يعارض (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) أتى بهذا القصص ذا كرا فيه ما يناسب القام من تفاخر فرعون بعظمته ملكه ، ومن اتهامه لموسى عليه السلام بالسحر كما فعل القوم مما هو مذكور في هذه السورة إذ تمنوا أن تكون النبوة لرجل من القرنيين عظيم وجعلوا النبوة سحرا (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) يستخرون (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) من قريفتها (وأخذناهم بالعذاب) كسحق النمرات وارسال الطوفان الخ (لهم يرجعون) عن الكفر (وقالوا يا أيها الساحر سموه ساحرا أى عالماها باهرا انكارا للنبوة (ادع لنا ربك) فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك ، انا ان آمننا كشف عنا العذاب فأسأله أن يكشفه عنا (اننا لمهتدون) لمؤمنون ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) أنهار النيل تجري من تحت قصرى وبين يدي فى جناتى (أم أنا) بل أنا (خبر من هذا الذى هو مهين) ضئيف حقير فكيف تكون له رئاسة مع المهانة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للرئاسة (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) جمع أسوار ، وقرئ أسورة جمع أسورة ، وقرئ أساور جمع أسوار ، أى هلا ألقى مقاليد الملك اليه . ذلك أنهم كانوا إذا أرادوا تسويد رجل سوره بسوار وطوقه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يمينونه أو يصدقونه (فاستخف قومه) أى فاستخف أحلامهم بما يديه من عظمة الملك والرئاسة وجعلها مناط العلم . ولو كان هناك نبوة لسكان هو أولى بها كما قال أهل مكة فى رجل من القرنيين (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) إذ أطاعوا الفاسق . هكذا أنتم يا أهل مكة إذا أنبئتم من يجعل النبوة موقوفة على العظمة والجاه وتصيحون كقوم فرعون إذ انتقمنا منهم لما أغضبونا (فلما آسفونا) أغضبونا بالعدا (انتقمنا منهم) فأغرقناهم أجمعين) فى اليم (جعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من السكتاريقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم (ومثلا للآخرين) حديثا عجيب الشأن سائرا سير المثل يضرب بهم الأمثال فيقول الناس مثلكم مثل قوم فرعون



ذكر المقاصد من ١٤ الى ١٨ وهى الأخيرة

وهى شؤم الحرص على الجدل وعدم جدواه فى إبطال الحقائق . وذكر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ، وذكر معاداة قرناء السوء يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين . وذكر تنزيه الله تعالى . ووصفه بسعة الملك والقُدرة والحكمة وشهادة الفطرة بذلك . وبالاختصار وصفه تعالى بصفات الجلال والاكرام . وذكر سعة الصدر والصفح والمسالمة وانها خير الأخلاق

اعلم أن رسول الله ﷺ لما قرأ على قریش « انتم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » غضبوا فقال ابن الزهري : يا محمد أخاصت لنا وآلأهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه السلام : هو لكم ولأهنتكم وجميع الأمم . فقال : ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبى وتبنى عليه وعلى أمه خيرا . وقد علمت أن النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلأهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى « إن الذين سبقتم من الحسنى أولئك عنها مبعدون » ونزلت هذه الآية (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أى ولما ضرب ابن الزهري عيسى ابن مريم مثلاً لأهنتهم وجادل رسول الله ﷺ عبادة النصارى إياه (إذا قومك) قریش (منه) من هذا المثل (يصعدون) ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من أسكات النبي ﷺ بحمله (وقالوا) آلهتنا خير أم هو) آلهتنا خير عندك أم عيسى فإن كان فى النار فلتكن آلهتنا معه ومع عزير والملائكة (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أى ماذا كروا لك عيسى ابن مريم إلا للجدل والخصومة (بل هم قوم خصمون) جدلون بالباطل ، ولما ذكر عيسى وأنه معبود عند النصارى أخذ يمين حاله فقال (إن هو) أى إن عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلاً) وصيرناه عبرة عجيبة كالأثل السائر (ابنى اسرائيل) فليس معبودا كما يزعم قوم من النصارى ، وإنما العبرة فيه انه ولد من غير أب فيفتح للناس باب التفكير والتذكر والفهم والعلم وليست مخالفة العادة فى شىء موجبة لعبادته بل هى مذكرة بعبادة الخالق الحكيم (ولونشاء جعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) على أننا لو نشاء جعلنا ناذريكم ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما خلقنا عيسى من أنثى بلا ذكر وجعلناه رجلاً أى لو نشاء جعلنا فى الأرض عبداً كأمير عيسى بحيث يلد الرجل ملكاً فيخلفه ، فباب الجحائب والنظم المدهشة لا حد له عندنا ، فكم من نواميس خافية عليكم بيدنا نصريفها (وانه) أى القرآن (لعلم الساعة) لأن فيه إعلاما بها ودلالة عليها (فلا تترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) هذا قول الرسول ﷺ أمر أن يقوله (هذا) الذى أدعوك اليه (صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان) عن المتابعة (إنه لكم عدو مبين) ثابت عداوته لأنه وسوس لأبيكم ولكم (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل والشريعة لتستبين السبيل لكم (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أمور الدين وحدها (فاتقوا الله وأطيعوه) فيما أبلغه عنه (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه) وهذا ملخص جميع الديانات اعتقاد الوحداية والتعبد بالشماع أى العلم والعمل ، انظره فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ فهناك ملخص الديانات فى الأرض مصداقاً لهذه الآية (هذا صراط مستقيم) هو من كلام عيسى عليه السلام ، فالصراط المستقيم علم بحقائق ، وعمل بشرائع (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحيزة (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) من المتحيزين (من عذاب يوم أليم) يوم القيامة (هل ينظرون إلا الساعة) والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة (أن تأتيهم بغتة) فجأة والمقصود انها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون) أى غافلون عنها لا اشتغالهم بأمور الدنيا وانكارهم لها (الأخلاء) الأصدقاء (يومئذ بعضهم

لبعض عدو) فاخلطه الى مبناها الباطل تبطل متى ظهرت حقيقتها ، وهؤلاء يظهر باطلهم يوم القيامة (إلا
المتقين) لأن المودة أسست على حقيقة لا تنفي ، واذن ينادى الله المؤمنين المتحابين في جلالة فيقول (بعباد
لاخوف عليكم اليوم) مما تلاقونه بعد الموت كما يخاف غيركم (ولأنتم تعزنون) على ما خلقتكم لاعتقادكم اني
وكيل حكيم أنصرف في ملكي بالحكمة والعدل ، ولكن الحزن لغيركم ، ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا
بآياتنا وكانوا مسلمين) أي مخلصين (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحببون) تسرون وتعممون (يطاف
عليهم بصيحات من ذهب) جمع صيحة وهي القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها)
في الجنة (ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) بخلاف النعيم الذي هو زائل وهو نعيم الدنيا
(وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) شبهت الجنة في بقائها على أهلها بالبركات الباقي على الورثة ،
وتلك إشارة الى الجنة المذكورة والجنة خبر وقوله (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فيه إيماء الى
انهم يأكلون بعض الثمار والباقي حزين لشجره . وفي الحديث «لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثله»
(إن الجرمين في عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفرعنهم) لا ينقص ولا ينقص (وهم فيه) في العذاب
(مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب لأننا نضع كل مخلوق في مرتبته (ولكن
كانوا هم الظالمين) هم ضمير فصل . يقول : إن العذاب راجع الى الاستعداد الفطري لنقص في قابليتهم ولم
يخرج ذلك عن ترتيب الدرجات على مقتضى الاستعداد ، وهذا ليس من الظلم في شيء . فالفاعل يعطى
والقابل ليس بأهل لما يفاض عليه (ونادوا) لما يشعرون من فتور العذاب (يا مالك) وهو خازن النار . قيل
لابن عباس : ان ابن مسعود قرأ «يا مال» فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقص علينا ربك)
لئمتنا . يقال قضى عليه أمانه أي سل ربك أن يقضى علينا (قال إنكم ما كنتم) لا بشون في العذاب
لا تملخصون منه موت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) أي لقد جئناكم معاشر الملائكة بالحق حينما أوحى الله
الى الأنبياء بواسطتنا (ولكنكم أكرهتم الحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه ، لأن الحق يوجب التعب
والباطل يوجب السكسل (أم أبرموا أمرا) أي بل أأحكم مشركو مكة أصرا من كيدهم ومكرهم بمحمد
ﷺ (فأنا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم ، وكانوا يتنادون ويتناجون في أمر رسول الله ﷺ في
دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه
عن غيرهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لهم) ملازمة لهم (يكسبون) ذلك (قل إن
كان للرحن ولد فأنا أول العابدين) منكم أي لو صح وثبت برهان صحيح تورودونه وحجة واضحة تدلون بها
أن للرحن ولدا لكنت أسبقكم الى طاعته كما تعظمون أنتم أبناء ملوككم فأنى أول العابدين وهذا وارد
على سبيل المبالغة في نفى الولد ، يقول : وإذا كنت أنا لم أعترف بولد بدليل اني لم أعبد مع إني أقرب
الناس الى الله ، فالولد مني متى أي فانتفاء الولد مرتب على انتفاء عبادته ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء لازمه
ثم نزه نفسه فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أي عما يقولون من كونه
ذا ولد . ألا ترى أن الكواكب والشموس والأحجار والمعادن كلها لا تلد المثل كما يلد الانسان والحيوان .
وذلك لأن هذه العناصر المركبة منها تلك العوالم موضوعة للتجليل والتركيب فهي جعلت أصولا للأحياء
تبرأت عما يتصف به الحيوان من توليد المثل ، فالحجر لا يلد حجرا ، والأرض لا تلد أرضا مثله ، وكذا
السما والهواء والماء ، فإذا كانت هذه التي جعلت أصول الأشياء تبرأت عن الولد فكيف يلد مبدعها !
(فذرهم يخوضوا) في باطلهم (وبلغوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو القيامة (وهو
الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي وهو الذي هو في السماء معبود وفي الأرض معبود لإله إلا هو وإنما
قلنا هو في السماء لأجل صناعة الأعراب ، وقلنا معبود بدل إله ليكون مشتقا يتعلق الظرف به (وهو الحكيم)

في إبداعه وصنعه في السموات والأرض (العليم) بجميع النتائج والمقتضات ، والأسباب والمسببات ، بحيث تخللت الحكمة التي قوت بالعلم كل رطب ويابس ، وجليل وحقيق ، وهذا هو الذي يبرهن أنه المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض لأن من يشاهد اتقان الحكمة فيهما يجد نظاما واحدا وحكمة متسقة . هذا معنى الآية . ولما كان الناظر في علم الطبيعة والفاك وقد درس علوم الرياضيات ونظر في هذا النظام يدهش لما يجد من العجائب والاتقان والصنع البديع ، ويحار له من تلك الحكيم التي لا نهاية لها في أصغره كما يراه في جلائل المخلوقات أردفه بقوله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) والتعبير بتبارك لا يقوم مقامه تعبير في اللغة حتى يؤدي ما شور في نفوس الحكماء والعلماء من مدهشات هذه الدنيا وغرائبها بحيث يرى العاقل في أدق الأشياء بدائع تحير العقول ، مثلا ترى الملح الذي نأكله ممزجاً بركب من عنصرين أحدهما عبارة عن مادة إذا وضعت في الماء انقلب إلى ماء فصار نارا ، والعنصر الآخر سيمم ذلك بركب من عنصرين أحدهما نار والآخر سم ، لا نعيش في الدنيا إلا بتعاطي المركب منهما صباحا ومساء ، ولو نظر الحكيم الدارس علم الحيوان في قطعة صغيرة من جناح الناموسة لاطاع على تفاصيل ودقائق وأوردة وشرابين ولرأى في إطارها ما يشبه الريش محيطا به ، وهكذا قد كشف العلماء بما نظروا بالمناظير المعظمة غرائب ينطق عندها العاقل قائلا « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما »

حيوان ذري يدور دولابا

قد اطلعت بواسطة المنظار المعظم عند الاستاذ شوقي بك بكير المدرس بمدرسة الزراعة بحوان على بركة ماء يبلغ عمقها في النظر عشرة أمتار وفيها حيوانات كثيرة أصناف واحد منها بأنه يحمل عجلة وهو يدورها في لجج الماء الفزير لتحصيل رزقه ، ولعلك تقول : وما هذه البركة ؟ أقول لك انه قد بل الزجاجة برطوبة من بركة هناك عنده ، فهذه الرطوبة لما وضعت تحت المنظار ظهرت هكذا وفيها تلك الحيوانات والنباتات والآلة الدائرة لتحصيل الرزق مع ان هذا الحيوان ودولابه الدائر لواجتمع هو وآلاف مثله لم تره أعيننا فضلا عن عجائبه وأدولابه . هذه المعاني وأمثالها هي التي يحتملها قوله تعالى « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما » فهذا مما بينهما ، وأعلم أن العقول الانسانية تبقى راكدة حتى تحركها أمثال تلك العلوم وانهاض القلوب على قسمين : قسم بما قلناه من أمثال تلك العلوم اذا قرئ على الوجدان الذي قررناه . وقسم بظهور أصحاب العقول البيرة الذين يحملون الشعوب على انتهاج خطة الكمال ، وقد آن أوان ظهور الأمسين مما في أمة الاسلام فيظهر أهل العقول الكبيرة ومعهم تلك الحكيم العالية ، وهذا هو الذي يدعى الأمم وريقها ، ولما كانت هذه العجائب لا يعلمها إلا الله وحده ، والناس لا يعلمون إلا قليلا مع انها بين أيديهم كانت الساعة أولى أن يجعلوها فأعقبه بما يدل على ذلك فقال (وعنده علم الساعة) التي تقوم القيامة فيها (واليه ترجعون) للجزاء ، ولما كان ذلك اليوم يكون فيه الحساب والشفاعة قال (ولا يعلم الذين يدعون من دونه الشفاعة) من معبوداتهم كالأصنام والملائكة والمسيح (إلا من شهد بالحق) بكلمة التوحيد (وهو يعلمون) أن الله ربهم حقا ويمتقدون ذلك ، فهؤلاء هم الذين يملكون الشفاعة كالملائكة والمسيح لأن الشفاعة على مقدار وصول الآثار العلية والدينية وكل من وصله علم المسيح قبل النسخ وهكذا المؤمنون من جميع الأمم الذين لم تنسخ دياناتهم يشفع لهم أنبيائهم وعلمائهم وشهدائهم كما في الحديث والملائكة من باب أولى لأنهم الواسطة (وإن سألتم) أي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الأصنام (فأني يؤفكون) فكيف أومن أين يصرفون عن التوحيد وهذا اقرارهم ، ثم عطف لفظ قوله من (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) على الساعة أي وعند الله علم الساعة وعلم قول الرسول محمد ﷺ « يارب الخ » وقرئ مجرورا ومنعوبا وهو

في الثاني عطف على محل الساعة لأن إضافة العلم للساعة من إضافة المصدر لمفعوله فيجعلها نصب ، فلما شكنا
 ﷺ إلى ربه عدم إيمانهم أجابه الله قائلا (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم وأنت آتس من إيمانهم
 (وقل) لهم (سلام) أي متاركة فلا تدع عليهم بالعذاب ولا تدعهم للدين (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم
 وتقصير عليهم . انتهى التفسير اللفظي

في هذه السورة سبع لطائف

- (١) في قوله تعالى - إنا جعلناه قرآنا عربيا - مع قوله - وانه لذكري لك ولقومك وسوف تسألون -
 وقوله - وانه في أم الكتاب لدينا - الخ
- (٢) وفي قوله تعالى - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقه الله العزيز العليم - إلى
 قوله - وانا إلى ربنا لنقلبون - مع قوله - سبعسمان رب السموات والأرض رب العرش عما
 يصفون - إلى قوله - فأني يؤفكون -
- (٣) وفي قوله - بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة - الخ
- (٤) وفي قوله - قالوا هذا سحر وإنا به كافرون - مع قوله - وقالوا يأيها الساحر ادع لنا ربك - الخ
 وفي قوله - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - مع قوله - فلو لا ألقى عليه
 أسورة من ذهب - وقوله - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون -
- (٥) وفي قوله - حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين - مع قوله - الأخلاء يومئذ
 بعضهم لبعض عدو إلا المتقين -
- (٦) وفي قوله - وانه اعلم للساعة فلا تمترن بها -
- (٧) وفي قوله - فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا -

الطيفة الأولى والثانية

قد علمت فيما مضى من السور أن « حم » تشير في هذه السور إلى الحمد ، وأن الحمد هو مناط العلوم
 كلها والحكمة ، فأول هذه الأمة الإسلامية حمد ، وآخرها حمد ، وفي صلاتها حمد ، وفي أكلها حمد ، وفي
 لبسها حمد ، وفي سفرها حمد ، وفي جنتها حمد ، يقولون : « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » وأيضا على
 لسان الملائكة حمد لأنهم يسبحون بحمد ربهم والحمد يكون على النعم ، والنعم لا يعتمد عليها إلا اذا عرفت ،
 فرجع الأسى إلى العلوم ومعجائب الصنع والحكمة في السموات والأرض . أما علوم الألفه من النجوم والصرف
 والمعادن وأمثالها فما هي إلا آلات . وأما علوم الفقه ومقدماتها كالأصول وما يلحقها من علوم الجدل فانما
 هي للقضاء وحفظ نظام الدولة الظاهري . أما امتلاء العقول بالحكمة وإظهار رجال عظماء في أمة الاسلام
 وحفظ البلاد من تألب الأمم عليها ورفدها بالخيرات والثمار والنعم ، فذلك لن يكون إلا بعلم السموات والأرض
 وبعلم الكيمياء والنبات والحيوان والتشريح وطبقات الأرض والهواء والبحار . ألا تراه ابتداء السورة قائلا
 « حم » مشيرا للحمد ، ثم أعقبه بذكر القرآن العربي لأنه الدليل على ما يجب على الناس ، ثم أبان منزلته
 في علوه عنده تعالى وحكمته فهي أعلى المنزلته وهو موسوم بالحكمة ، ومن الحكمة ما ذكره في الانطيفة
 الثانية من شهادة الفطر بأن الله خالق السموات والأرض صاحب العزة والعلم الذي مهد الأرض وجعل فيها
 السبل وأنزل الماء من السماء فأخرج به النبات والأنعام وجعل السفن وأيضا ذكر انه مهيود في السموات
 والأرض ورب السموات والأرض ورب العرش . كل ذلك مناط الحمد المرموز له بلفظ « حم » فالحمد لله
 رب العالمين

والترية هنا أضيفت الى السموات والأرض وأضيفت الى العرش ، فيرجع مداراسعاد أمة الاسلام الى معرفة العالم كلها ونزيرة الله لها ، وهذا هو الذي بيده في ﴿سورة الفاتحة﴾ فارجع اليه فاما أشارت لجامع العلوم ، وكأن سرور آل حم جاءت منصالات للحمد المذكور في الفاتحة ، وقد جعلت آل حم رياض القرآن ومعلوم عند كبار الحكماء من أمتنا الاسلامية أن رياض الجنة العلوم ، فالفاتحة بها تفتح أبواب الجنات وهي العلوم عند الحكماء في الاسلام وتفتح أبواب الجنات الحسية عند العامة ، فليس يعقل جنات العلوم إلا الذين أدركوها في هذه الدنيا ، فهؤلاء يمتنون جنات العلوم ولا نهيمهم الجنات المحسوسة ، والعامة وصغار العلماء لا ينظرون إلا الى الجنة المحسوسة ، ففي هذه السورة أشير الى مجامع الجسد والآيات التي ذكر فيها السموات والأرض وأضيف الرب الى العرش تارة واليهما تارة أخرى ، وكذلك شهدت الاطراف بأن الله خالق ذلك كله ، وهذا القول منزل للأمة الاملاية كلها عريها وعجبها ، انما الذي يدهش القول ويحير لأبواب أن أبناء العرب اليوم مسئولون أمام الله وهم نائمون

يا أبناء العرب : يا من أتم اليوم في شمال افريقيا في تونس والجزائر ومصر والشام والعراق واليمن والحجاز وغيرها ، أأنتم نيام ، ألا تنظرون ، ألا تفكرون ، اسمعوا كلام ربكم ، يقول : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ووصف هذا القرآن بأنه على المنزلة ، حكيم النظم والمعنى ، ثم في نفس هذه السورة قال : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وهذا أمر عظيم ، فأبناء العرب اليوم مسئولون عن هذا القرآن وحقه ونشره بين الأمم ، انكم يا أبناء العرب لا تقدرون أن تنشروا هذا القرآن إلا اذا كنتم أنتم للعلوم دارسين ، وللحكمة عاقلين ، حتى اذا نشرتموها نشرتم ما يشير اليه من العلوم ، وليس معنى هذا أنكم تدرسون كل علم وكل فن . كلا . بل أقول ان من اطلع على ما كتبت في هذا التفسير وقرأ بعضه بنظام في جميع القرآن فقد أدرك كيف يدعو الى القرآن ، إن الله يا أبناء العرب سائلكم فשמروا عن ساعد الجدة ، يا أبناء العرب نتم عن هذا القرآن بما كان اسكم من الصولة والدولة وقام بنصره فريق من أمة الهجم جزاهم الله خيرا ، ولكن أنتم أصل الافة ، فاذا نشرتم القرآن وكنتم عاقلين بالحكمة انتقادات لكم الأمم انتقادا أدبيا والأهم اليوم لانعرف إلا الحاجة ، فلنكن اسكم جميعات منظمة تدرس نظام هذه الدنيا ومقاصد القرآن مع الامام ببعض اللغات

يا أبناء العرب : إن أهل أوروبا يريدون منكم نشر دينكم . يا أبناء العرب : أقول لكم ذلك عن علم فاني سمعت (اللورد هديلي) الانجليزى لما حضر الى الجامع الأزهر وهو يخطب يقول : « إن ثلاثة أرباع الامة الانجليزية اليوم يريدون أن يساموا ، وامانهم إلا أنهم لا يجدون قوة علمية مع هذا اللورد ومن معه تقوم بنشر حقائق دين الاسلام ويكونون قوة محتج بها من أراد اعتناق الدين أمام آباءه واخوته وأصحابه » فأيتها ولى الاوروى وجهه لا يجد عربيا واحدا ينصر هذا الدين ويقيم الحاجة ويعلم الدين هناك يا أبناء العرب : هذا زمان مجركم . يا أبناء العرب : ان ربكم يقول « وسوف تسألون » . أما نبينا ﷺ الآن فليس بمسؤول لأنه بلغ ونحن الآن المسئولون ، نسأل بين يدي الله تعالى ، ان الأمم شئت تلك الديانات الباردة التي فترت ، ودينكم هو الذي يليق بالعصر الحاضر

فاذا أعرضتم عن نشره فاعلموا أن الله لكم بالمرصاد ، فلنارتحت الأرجل في باطن الأرض ، والنار قد ظهرت في الأعمال الحربية في أوروبا ، وأصبحت الأمم المقصورة في العلوم الواجبات تحت رجة أصحاب النار الذين يرسلونها من طياراتهم ، فهبوا من رقدتكم واقروا العلوم كما أوضعته في هذا التفسير . ثم لتكونوا شهداء على الناس ، ولتكونوا حزب الله لتكونوا ناصري العلم والحكمة ، لتقوموا بدين النوع الانساني بعد أن ترقوا ، ليس في الأرض اليوم شعب يتقار أن يقوم بهذا غير العرب ، العرب قاموا بدورهم أيام

القرون الأولى ولكن دورهم الحالي أهم وأعظم ، دورهم الحالي قراءة العلوم كلها ونشر القرآن بتكمته هو الذي يقيم الأمم أن العلوم المنتشرة في الدنيا يطلبها القرآن

قولوا يا أبناء العرب للأمم : هذا القرآن نزل بلفظنا ونحن نحفظه وتركنا العلوم وربنا الذي هو ربكم ورب كل شيء أطعمكم أن تستخرجوا العلوم من كنوزها في الأرض وفي السموات ، فذن هو أنزل إلينا لفظه وأطعمكم ما يتضمنه من المعاني ، إن ربنا عدل حتى لا نقول نحن سادات العالم بالعلم والدين ، وحتى لا نقولوا أنتم نحن سادات العالم بالأمرين ، فأعطانا ديننا حقاً ، وأعطاكم سره ، فمنسدا لفظه وعندكم معناه ، ونحن اليوم نقرؤه عليكم ونبين مواضع علومكم منه وهي تتخلل كل سورة وكل آية ، بل الحروف الهجائية في أوائله تشير إلى مجامع علومكم ، فلسنا نفتخر عليكم ولستم تفتخرون علينا ، فإذا قلنا هو ديننا نزل بإسناننا تقولون أنتم ولكن الله أظهر أسرارته على أيدينا وقوله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » يشير إلى الآيات التي ظهرت على أيدينا . وقوله « سيريكم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » كذلك ، فاذن أنتم حملتم لفظه وبعض معانيه ، ونحن قرأنا ما هو مقصوده ومعناه ، والله هو الذي أحوج أهل الشرق لأهل الغرب كما أحوج أهل الغرب لأهل الشرق ، فهؤلاء بدينهم وهؤلاء بدينهم ، وهذا مما يشير له الحديث « ليلعب الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع » فنحن المباهون وأنتم المبلغون ، والله أراد أن نتعارف وبمثل هذا يتم التعارف ، فنحن معاشر الأوربا وبين أخذنا العلم عن آبائكم بأنكم أخذوا العلم عن أمم أخرى ونحن دخلنا العلوم من أبوابها وأظهرناها فقرأتموها ، فلنا الفضل في حفظها وارتقاها ولستم الفضل في حفظها سابقا وفي حفظ الدين الإلهي سابقا ولا حقاً . هذا هو الزمان الذي يقال فيه هذه المحاورات والله هو الولي الجيد

واعلم أن هذا الأسلوب من الدعوة هو الذي سينشر في مستقبل الزمان وهو بعض الذي يقصد من قوله تعالى « لينظروا على الدين كله » وهذا ظهور حجة وبيان ، وقد ظهر كثير من ذلك أيام الحروب الصليبية ، فإن أهل أوربا كانوا كالوحوش جهلة قبيل التاريخ ، ثم أخذوا في الرقي شيئاً فشيئاً ، ولما جاءت الحروب الصليبية خلعت لباس الجهالة ولبسوا لباس الحكمة ، وأذكر لك من ذلك :

(١) إن البابا كان معتبراً عندهم كالقبط عند المسلمين ، وكان له الملك السياسي في الأرض التي تحت سلطته ، وقد ملك أهل إيطاليا سنة ٧٢٦ ميلادية الموافقة سنة ١٠٨ هجرية البابا عليهم فجعلوه رئيس الجمهورية ، ثم توسع ألبان في ذلك قرناً بعد قرن حتى صاروا يولون من يشاءون ويمزلون من يشاءون من ملوك أوربا

(٢) وكان لكل ملك تاج ولهم ثلاثة تيجان

(٣) وكانوا إذا ركبوا يمسك لهم الركاب ملوكهم

(٤) وإذا أمروا بحجربة أمة لا يخالفهم أحد

(٥) ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي

(٦) وكان البابا صرة ألزم أباطور ألمانيا أن يقف حافياً ثلاثة أيام في فصل الشتاء أمام باب قصره ليطلب منه الغفران

(٧) ورفس البابا صرة برجله تاج ملك جرمانيا حيث كان جاثياً أمامه يطلب الغفران

وبهذه الأفعال أخذت سطوة البابا تنحط شيئاً فشيئاً إلى سنة ١٢٨٨ هجرية فدخل الإيطاليون عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه رئيساً على الكاثوليك ومقره في الكنيسة الرومية . وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الأولى والثانية والحمد لله رب العالمين .

اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون** هذه الآية وأمثالها كثير في القرآن قد تقدم القول عليها في غير ما موضع فإن النوع الانساني لكونه في هذه الأرض التي تعتبر أنها في الطبقة المتأخرة من العوالم ليس كاملا كل الكمال فهو في عالم متأخر يباشر الحيوان الذي لا رأى له بل يسير بما فطره الله عليه ، فأدنى الانسان قريب من الحيوان ، قل في المفسكرون الذين يجتازون تلك الأسوار المنيعه ، والحصون المشاهقة ، والأشواك الشائكة ، والطرق الوعرة ، والبحار الواسعة ، والجبال المشاهقة الفاصلة بينه وبين التفكير ، إن الناس خلقوا بين أوهام وآراء تنقف أمامهم سدا وحائلا أشد مما ذكرناه ، فإذا ما أثار الله بسائر الناس هدموا تلك الحصون ، وأزالوا تلك الجبال ، وكسروا تلك الحوائل ، وعبروا الأنهار ، ووصلوا الى الحقائق سالمين ، وكثير منهم يهلكون في أثناء الطريق لعدم قدرتهم على تلك المشاق العظيمة

هذا كله من التقليد الذي ملأه مشاعر هذا الانسان الذي يعيش بالتقليد ويموت على التقليد بل جميع الديانات تقليد ، فالسلم والوثني والنصراني كلهم مقلدون ، متبعون لامبتنعون ، والله أظهر قهره للانسان بهذه الأحوال ليفكر المفسكرون ، ويعتبر المستبشرون ، ويخرج في كل أمة مجتهدون عاقلون ، وقوله تعالى في هذا المقام « قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » فتح باب للنظر والعلم ، ان الأمة الاسلامية في الأعصر الأخيرة غفلت عن هذا النور ، فهم أسروا بهذه الآية أن يتبعوا ما هو أشدى وما هو أحسن كما في آية أخرى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فنحن مأمورون باتباع الأحسن وباتباع الأهلى في كل زمان ، هذه فتح باب للنظر في كل صناعة وكل علم ، فلندرس طرق البعها والهاو والحرب والسلم والسياسة ونتبع ما هو أسلم لنا . هذا هو الدين . وهذا هو القرآن . وما سواه ضلال . تم الكلام على اللطيفة الثالثة

اللطيفة الرابعة

في قوله تعالى « **قالوا هذا سحر وإننا به كافرون** » مع قوله « **وقلوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك** » وقوله « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » مع قوله « **فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ** »

الناظر في هذه السورة يرى أسرى القصص واختلاف نبا موسى عليه السلام فيه مسائل كثيرة نذكر هنا ما يناسب المقام . انه تعالى ذكر قول مشركى مكة هذا سحر ، وأتى من قصص موسى عليه السلام بما يناسبه فقال « **وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك** » . وأيضا هزم الله فرعون ونصر موسى ، فهكذا محمد ﷺ يكون مثله وقد تم ذلك فانهم قالوا ساحر كما قال قوم فرعون لموسى ، ثم نصر النبي ﷺ كما نصر موسى . وأيضا قال مشركو مكة : إن الأولى بالنبوة الرجل العظيم في المال والجاه ، فهكذا قل فرعون « **أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى** » وقال أيضا « **فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ أى ان النبوة إنما تكون لمن أعطى الملك وعزة الحياة الدنيا ، وكانت نتيجة ذلك أن نصر موسى هكذا يا محمد سيكون شأنك وقد تم ذلك ، واعلم أن هذا المقام يفتح لك باب التفكير في قصص القرآن . وبدلنا أن هذا القصص غير مقصود لذاته فيؤتى منه بالشواهد التي تكون تسليية للنبي وللمؤمنين وحكمة ، وهذا يدلنا أن التواريخ ليست مقصودة لذاتها بل يراد بها الحكمة والعلم وانهاج النحلة المثل . فالنرجع الى قصص القرآن ولنفكر في المقصود منه لاني أصل القصة وحناتها فان ذلك ليس مقامه بل مقامه الاعتبار والحكمة والنتائج وهذا من غرائب الحكمة والعلم**

فالحكمة في ذلك أن لا يدرس التاريخ إلا للنتائج ولا يترك سهلاً ، بل تنظم دروسه ، وتتخذ نتائجها مناراتهتدي به الأمم لاسلامية ، فليقرأ المسلمون تاريخهم ، وليأثروا بمقامه الحكيمية ، والله حكيم عليم . انتهى
اللطيفة الرابعة

اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى « حتى اذا جاءنا قل يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » وقوله « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »

في هذه الآيات أصول المحبات والعداوات ، إن المحبة لا تكون إلا بأسباب ، ولا محبة بلا سبب ، فمن قال « أنا أحب فلانا لله » ظاناً انه لا سبب له فهو جاهل ، بل الحب حنان : حب في الله ، وحب في غيره الله . فأما الحب الذي هو لله فهو المبني على العلم والطاعات والحكمة ، ولذلك ترى الذين استوتوا في أخلاق واحدة وعاموم متعحدة وعقائد صادقة تكون بينهم المودة والمحبة على مقدار تكامل هذه الصفات فيهم ، وكلما تباعدت الصفات تقاصرت المحبة حتى اذا ما تنافرت أغلبها حصل التنافر العظيم ، فمن كانت موداتهم ترجع الى الطاعات فخيرهم في الله ، ومن كانت موداتهم على الشرور كالقتلة والفسقة فهي لغير الله ، ومستحيل أن تكون محبة بلا سبب . فاذا قال امرؤ أنا أحبك لله وظن أنه لا سبب له فهو مخطئ ، وعلى ذلك اذا أحب الانسان أباه وأستاذة وتلميذه والصانع الذي صنع له حذاءه فكل هذا الحب في الله لأن الأسباب التي أوجبت الحب لامعية فيها لأنها إما مباحة ، وإما واجبة ، أو مندوبة

نتائج تلك المحبات

وتكون نتائج تلك المحبات بقاء ما كان أصله الطاعة والاحلال ما كان أصله الممعية ، وبيانه أنك ترى القتل والفسقة والذين يشربون الخمر وأمثالهم يمتنعون ويتحاربون ، فاذا وقفوا أمام القضاء أقر كل منهم على صاحبه بقتل أو بسرقة ، فذهبت تلك المودات ، وضاعت تلك الصداقات ، فهذا الذي نراه في الدنيا هو بعينه ما يرى يوم القيامة وبعد الموت ، فإن من أضل جاهل يعرف بعد الموت أن ضلاله من اضلال قريته فيكرهه يوم لا ينفع ذلك ولا الندم على ما حصل . فأما المتقون الذين كانوا على الصلاح وعلم الحقائق فانهم بعد الموت لم يروا ما يناقض أسباب مودتهم ومحبتهم ، فزيد الألفة الجامعة كما تهدمت الألفة الفاسدة . هذا معنى قوله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » انتهى اللطيفة الخامسة

اللطيفة السادسة

في قوله تعالى : والله لعلم للساعة

تقدم أنك قرأت أن الضمير يرجع للقرآن لأنه مشتمل على بيانها فهو مبين لأمر الساعة ، وهذا الرأي على غير ما قال به جمهور المفسرين فانهم قالوا إن الضمير يرجع لعيسى عليه السلام ، وفي هذا الاحتمال وجهان : الأول أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ونزوله يعلم به قرب الساعة ، وقرئ علم كقمر أى علامة على قرب الساعة . الثاني : ان إحياء الموتى باذن الله دليل على أن الله قادر أن يحيى الموتى يوم القيامة . فهنا يكون الوجه الأول والوجه الأخير لادليل فيهما على نزول عيسى آخر الزمان . والوجه الثاني هو الذي يدل . ولذلك ترى التفتازاني وبعض العلماء لم يجعلوا في الآية دليلاً على نزول عيسى عليه السلام .

اذا عرفت ما ذكره العلماء في القرآن فهل لك أن تسمع الأحاديث الواردة في الصعيجين في أمر عيسى

عليه السلام

(١) في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد »

وفي رواية أبي داود . قال : « ليس بيني وبين عيسى نبيّ وأنه نازل فيكم الخ » . وفي حديث الشيخين قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم »
وهناك روايات أخرى ليست في الصحيحين مثل أنه يقتل الرجال ، وأنه يأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتمأسر الإمام فيقتله عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ويحرب البيع والسكناس ويقتل النصارى إلا من آمن

هذا ما جاء في الروايات ، وقد عانت ما صح منها ، فأما أعداها فليست عن الشيخين . ومحصل الكلام في أمر عيسى عليه السلام أن القرآن لم ينص عليه فإن في الدليل احتمالا ، وأتى في الصحيحين ما سمعته وما زاد فليس فيهما

الكلام على المهدي

واعلم أن الكلام على المسيح يستدعي الكلام على المهدي ، وخير من كتب في أمره هو العلامة ابن خلدون ، لقد عقد فصلا لهذا الموضوع . هكذا « فصل في أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك » وقد ذكر في هذا الفصل الأحاديث الواردة في المهدي ونزوله في آخر الزمان وآراء الأئمة وفاة وكبار الشيوخ ومحسن الموضوع تمحيضا

الأحاديث المروية

ذكر الأحاديث التي رواها الترمذي وأبو داود والبزار وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الوصلي ، وذكر أنهم أسندوا تلك الأحاديث إلى الصحابة رضي الله عنهم مثل عليّ وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم لمة وقرّة بن إياس وعليّ الهلالي وعبدالله ابن الحرث . وقال إن تلك الأسانيد عارضها قوم بالانكار . والمعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل . ومن جملة الأحاديث ما رواه أبو بكر الاسكاف : « من كذب بالمهدي فقد كفر ، ومن كذب بالرجال فقد كفر » . وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك . ويقولون إن أبا بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع للأحاديث . وهناك ذكر الأحاديث الكثيرة مثل أن المهدي يكون اسمه على اسم النبي ﷺ واسم أبيه على اسم أبيه ﷺ وقد أطال في ذلك واستوفى المقام ، وكنت أردّ الاطالة بذكره ولكن المقام لا يحتمل ذلك في مثل هذا التفسير . ثم قال : فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان ، وهي كبريات لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه . ولقد تقدم الكلام في هذا الموضوع مطولا في أول سورة الحج فارجع اليه إن شئت

آراء الصوفية وكلامهم في أمر المهدي

ذكر العلامة ابن خلدون في هذا المقام أن الدلف الصالح من الصوفية ما كانوا يتعوضون لمثل هذه الأمور ، فلا يذكرون المهدي ولا خروجه وكانوا يحرصون على المجاهدة ونتائجها ، وكان الامامية والرافضة من الشيعة يرجع كلامهم إلى التبرّي من الشيخين أولا ثم حدث فيهم القول بالامام المعصوم وألقوا كثيرا في ذلك . وجاء الاسماعيلية منهم فادّعوا الوهية الامام بنوع من الحلول . وآخرون يدّعون رجعة من مات من الأئمة على طريق التناسخ . وآخرون ينتظرون مجيء من يقطع بموته منهم . وآخرون ينتظرون عود الأمر في أهل البيت مستبدلين بتلك الأحاديث المطعون في أسانيدها . ثم ظهر عند المتأخرين منهم الكلام في الكشف

ومعرفة ما وراء الحس والقول بالخلول والوحدة فشاركوا الاسامية والرافضة القائلين بالوهمية الأئمة وحاول الإله فيهم ، وهكذا القول بالتطال والابدال وهو يحاكى مذهب الرافضة في الامام والنقباء ، وأشربوا أقوال الشيعة وظهر في كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة مثل ذلك في الفاطمي المنتظر . كل ذلك مبني على أصول واهية ، ومن هؤلاء ابن سبئين

وقال ابن عربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه : « وهذا الامام المنتظر من أهل البيت من ولد فاطمة ، وظهوره سيكون بعد مضي ستمائة وثلاث وثمانين سنة ، ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر أخذوا يؤولون ولم يتم شيء . قال : وزعموا أن خروج السجالي يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة من اليوم الحمدي الذي ابتدأه وفاته ﷺ ونهايته ألف سنة »

وذكر السكدي أن هذا الولي يجتد الاسلام ، ويظهر العدل ، وينتجح الأنفاس ، ويصل الى رومية فيفتحها ، ويسير الى المشرق فيفتحه ، ويفتح القسطنطينية ، ويصير له ملك الأرض ، فيقوى المسلمون ، ويملوا الاسلام ، وحدد لذلك سنة سبعمائة وثلاث وأربعين ، ثم يعقب ذلك سبع سنين للديجال ، ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر ، فيصلح الدنيا ، وتمشي الشاة مع الثوب ، وأطال في ذلك رجه الله وأثار قبره وأنعم عليه بالنظر الى وجهه الكريم

إني حينما أقرأ أمثال هذا في كتب أسلافنا يأخذني الأسف على هذه الأمة المسكينة التي كثرت فيها الخلط والخطب والتحريف ، حتى أن أكبر العلماء يضل في مثل هذه الامور . ومن الجيب أنه ينقل عن متصوفة عصره ما سمعه من متصوفة عصرنا ، وكل له خبط وخطأ وأمانى وأضاليل . وقال انه سمع في عصره عن المسمى أبا يعقوب البادسي كبير الأولياء بالمغرب في أول المائة الثامنة ان ظهور المهدي قريب ، فالأولون والآخرون يقولون وينتظرون وتذهب الأعمار ولا يحصلون على طائل

رأى العلامة ابن خلدون

يقول : ان الملك لا يقرم إلا بشوكة وعصبية . يقول : وعصبية الفاطميين في زمانه قد تلاشت وهكذا قرش أجمع . وظهرت أم غلبت عصبيتها عصبية قرش . ثم قال : إن بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة بنى حسن وبني حسين ، وبني جعفر . قال : فانما صحّ ظهور مهدي فليكن منهم . ومخلص كلامه أنه لا يظهر إلا في عصبية . وأما مجرد النسبة الى آل البيت فلا يكفي

وقد ذكر جماعة ممن قاموا بدعوة المهدوية ولا عصبية لهم فقتلوا (مثال ذلك) انه قام رجل ينتحل التصوف وادعى المهدوية برباط ماسة لأول المائة الثامنة فاتبعه خلق كثير من السوس ، فُدس عليه رؤساء المصامدة من قتله بيانا وانحل أمره ، وكذلك ظهر قبله بسنين قليلة رجل يسمى العباس وادعى انه الفاطمي واتبعه قوم ، ودخل مدينة فاس عنوة وأحرق أسواقها ، ودخل غيرها فقتل في المزمة غيلة وانحل أمره

فكرة عامة في مسألة عيسى عليه السلام والمهدي

قد رأيت أن المهدي أحاديثه مطعون فيها وليس له في القرآن ذكر ، وقد ظهر بعد أيام العلامة ابن خلدون الشيخ السنوسي ، ويقول أتباعه انه المهدي المنتظر ، وهكذا ظهر في السودان المهدي السوداني وهو الذي تركته دولة انكشاري حتى استفحل أمر النعائش بعده ، وانفتت عليه بعساكر بلادنا وعساكرها وهي تحكم بلادنا المصرية ، فأزالت الملك وانتهى أمر المهدي أحمد . وقد ظهر في الاسلام بهد ابن خلدون أيضا من قال انه هو عيسى وهو بهاء الله في بلاد الفرس وأتباعه يسمون البهائية وهم انتشروا في أوروبا وأمريكا وظهر في زماننا رجل في الهند جعل نفسه عيسى المنتظر . ويقال انه نسخ الجهاد وأقر لانكشاري بأن

تتكمّل المسامحة وهو بذلك مستبشر فرح وهو الملقب بالقباداني
 فيايت شعري ماذا ينقذ الاسلام من هذه المصائب التي حلت به . خرج المهديون وقد كثروا فمنهم من
 قتل ومنهم من بقي مأسكة سنين ومئات السنين ثم ذهبت دولهم وخرج الذين يقولون انهم هم نفس عيسى
 الموعود به في القرآن احتمالا وفي الحديث صريحا والأمة في ذلك لا تعرف كيف يكون المخرج ، وإذا كان في
 الاسلام الآن « عيسىان » ولكل عيسى منهم أتباع ربما جاء بعدهم غيرهم وهكذا ، إن هذا الطريق
 لدين الاسلام واضعاف له ، فالعامة يخترقون بالمهدي قديما وحديثا ، ويرون من يقول أنا عيسى فيجدار أمم
 الناس في ذلك « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

رأى المؤلف

اعلم أن الأمة الاسلامية لا يخرج لها من الجهالة العمياء والنزلة إلا بدراسة العلوم والوقوف على الحقائق
 ليكن فيها اختصاصيون في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ والحديث والتصوف وهكذا حتى يتفحص الخواص
 على حقائق هذه الدنيا ، واذن يسهل عليهم معرفة الحقائق ، أما رأيي في المهدي فواضح ، فقد قام بالأمر
 العلامة ابن خلدون وأظهر الحقيقة ناصحة ، وأما الكلام في عيسى عليه السلام فاعلم انه أقوى من المهدي لأنه
 جاء في المسيحية ، وجاء انه يتجهل الدنيا دار سلام ويكون على دين الاسلام الخ وملتخص ذلك أن هذه
 الأرض التي نسينها تتبدل حالها وتكون حالها أجل مما نحن فيه ، وإذا نظرنا نظرة صادقة لهذا الموضوع
 أيقنا أن ذلك لا يتم في يوم أو سنة أو قرن لأن انقلاب الانسانية من هذه الحال الى تلك الحال يحتاج لقرون
 فإذا عاش عليه السلام في الأرض سبع سنين أو أكثر أو أقل كما في الروايات الواردة فهذه المدة لا تقاب الأمم
 لأن هذه ليست سنة الله وهو عليه السلام نزل الى الأرض قديما فرجع الناس لحالهم بل أرادوا صلبه فشبه
 لهم ، وجاء النبي ﷺ الى الأرض وأمر الدنيا بعنده معلوم ، فاذن نزول المسيح مرة أخرى لا يكون إلا
 بعد انتقال الأمم من هذه الحال تدريجا الى حال تصبح الأرض فيها أشبه بالفردوس وأهل العقول إذ ذلك
 يكون لها شبه علم بنزوله عليه السلام ، فإذا نزل تقبلته بالقبول ، هذا ما يمكن أن يقال والله أعلم

فائدة هذا الموضوع كله

هأنت ذا قرأت الأحاديث الواردة في المسيح عليه السلام وقد دخل في جملة الامور الاعتقادية في الأمة
 وإن لم يكن صريحا نفسه في القرآن ولكن أحاديث الشيخين هما منزلة القبول في الأمة . واذن نريد أن
 نعرف فائدة هذا الاعتقاد فنقول :
 لقد علمت مما أسلفنا في هذا التفسير أن الأمة الاسلامية عليها أن تقوم بما عليها للانسانية فهم خير
 أمة أخرجت للناس ، وهم شهداء الله على الناس كما ان الرسول شهيد علينا ، وهذا الدين وعد الله بظهوره
 على جميع الأديان ، فهذه وأمثالها ترجع اليها لأنها ظاهرة واضحة ، وإذا ضمنا اليها أن النبي ﷺ رحمة
 للعالمين ونحن معاشر أمة الاسلام اليوم في الأرض قائمون بشريعته فنحن إذن يجب أن نكون رحمة للعالمين
 وعلى هذا يكون المسلمون يوما ما يقودون الانسانية الى السلام العام والانسانية الخاصة ، وتكون الأمم
 بسبب نشر المعارف والعلوم قد اقتربت من السلام العام ، وتكون أمة الاسلام قد أصبحت صاحبة الفضل
 الأكبر في ذلك ، إذن تسرى الروح العيسوية في العالم بسبب الاسلام وظهور حقائقه الموعود بها بمثل قوله
 تعالى « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ومثل « سيرىكم آياته فتعرفونها » وحتى سرت الروح العيسوية في
 الأرض بسبب دين الاسلام فهناك سين يظهر المسيح يجد الأمة مستعدة للسلام العام ، وسواء أنزل هو بنفسه أم
 كانت النفوس قد أشربت السلام فيكون ذلك رمزا ، فكل هذا لا تهترئ له ، فهو خاص بعلم الله تعالى

والذي في قدرتنا أن نقوله : على المسلمين اليوم أن يأخذوا دورهم في الرقي ، وأن يكونوا دعاة الانسانية والسلام والمودة وأن ينشروا المأزم ، ويكون الاسلام مزججا بما كشفه الناس في العصر الحاضر ، وتكون دعوته قائمة بنفس العلوم كما سطرناه في هذا التفسير ، أما أن يقوم في كل قرية رجل ويجعل له أتباعا ويقول أنا المسيح ، فهذا مالا يطقه الاسلام ، وإذا كان هؤلاء الذين ظهروا كل واحد منهم هو المسيح فأين السلام في الأرض ، وما هذا التعدد ؟ مع ان عيسى واحد لا اثنان ، وكيف نرجع أحدهما على الآخر ، وأين السلام في الأرض

فالقول العدل أن الأمة الاسلامية التابعة للذاهب المختلفة يجب على رؤسائها أن يوجهوا همهم الى تعمير التعليم واكثار المدارس ونشر فكرة انما هو مزوجة بالدين كما أوفحناه ، ومتى تنورت الأذهان ووضحت الطرق طاحت تلك الدعاوى من النفوس أي اننا لا نشغل أنفسنا بتكذيب أحد من مشايخ الطرق ولا البسويين ولا المهديين ، ولكن نقول : ليقرا أتباع هؤلاء الشيوخ العلوم فيعلمون الحقائق ، وربما كان أساتذتهم هم الذين يمنعونهم العلم خيفة اطلاعهم على الحقائق فيستصغرون شأنهم ، فأنا أوصي قراء هذا التفسير أن يذيعوا بين الأمة العلم والحكمة ، وبذلك وحده يظهر المسلمون ويكونون خير أمة أخرجت للناس ويستمدون للروح البسوية حتى اذا جاء أوانه فهموه فنزل فيهم ، وأما مادام المسلمون على هذا المنوال فكيف ينزل المسيح في قوم جاهلين ربهم ونظامه وجماله وحكمته

ولننصح أيها الذكي الأمة أن تنقل عن انتظار من يأتي اليهم من المهديين ، فوالله لا سعادة لأمة إلا بتجديدها واجتهادها ، ان نفس الأنبياء لم يرسلوا إلا في أوساط تناسيهم ، فليرق الشعب نفسه بالعلم والعمل والحب العام وينتظر بعد ذلك نعم الله عليه ، فليس يقلب المسيح طبائعهم بل يأتي اليهم وهم مستعدون للسلام العام . ثم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين

اللطيفة السابعة

في قوله تعالى : فاختلف الأحزاب من بينهم

اعلم أن النصراني بعد رفع المسيح عليه السلام كانوا مقررين بالوحدانية ويعيسى بالرسالة ، ثم بعد رفعه دخلت شبه فاقسموا ثلاث طوائف : ملكانية ، ونسطورية ، ويعقوبية . فالملكانية مصرحة بالتثليث فهم يقولون : « الآلهة ثلاثة : المسيح ، وأمه ، والله » . ويقولون : « إن المسيح ناسوت كلي قديم ، وصميم ولدت ولدا أزليا ، والله هو الأب ، وعيسى هو الابن » اطلاقا حقيقيا عندهم . وأما النسطورية فانهم يقولون « إن الكلمة أشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة أوربلور » . وأما يعقوبية فيقولون : « انقلب الحكمة لحما ودم فصار الإله هو نفس المسيح » والى الملكانية الإشارة بقوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » . ثم ان الملكانية هم المسمون الآن (كاتوليكية) . فأما يعقوبية والنسطورية فهؤلاء ليسوا في أوروبا ، وربما يكونون في الشام ومصر والعراق والحبشة . وإنما الذي حدث في أوروبا هو مذهب البروتستانت والكاتوليكية ، والبروتستانت يقرّون بالبعث ، والبعث إما بالأرواح والأجساد وأما بالأرواح فقط خلاف بينهم . ثم ان لفظ كاتوليكية كلمة مدح لأنها كأهل السنة عندما ، ورئيس المذهب الكاتوليكي هو البابا برومه في دولة إيطاليا ، فله اليوم الرئاسة الباطنية كالقبط عند المسلمين وكشايخ الطرق ، وتقدم قريبا ظلم البابا لأهل أوروبا وماوكها فأنحطوا وذهبت رئاستهم . ثم ان الكاتوليكية بقوا على مذيعهم الى القرن التاسع الهجري ، فظهر منكرين للبابا برومه نصاروا يسمون المنكرين (بروتستانت) وهي كلمة أشبه بكلمة

الخوارج أو المعتزلة عند المسلمين

وملخص ذلك أن الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت هو البابا ، فن اعترف بابا رومه فهو كاثوليكي ومن لم يعترف به سموه بروتستانتي فيألف ويقول أنا كاثوليكي وان كان لا يعترف برئاسة البابا ، والبابا من جلة الأساقفة ، ورتبة الأساقفة ليست خاصة به ، بل هي له ولأسقف الاسكندرية وأسقف القسطنطينية فأما الكاثوليك فلا يعترفون إلا بابا رومه ، وبعض البروتستانت أيضا لا يقرّ بالتثليث ، لأنهم نظروا في كتب الاسلام فاعترفوا بالوحدانية ، ويجهلون عيسى عبد الله ورسوله ، وهم مع الكاثوليك فيما بقي من العقائد وهناك فريق من البروتستانت باق على التثليث ، ويكون الفرق بينهم وبين الكاثوليك عدم الاعتراف بالبابا وحده ، ثم ان الصوم يقول البروتستانت انه ستة ، ويقول الكاثوليك انه فرض وهو مدة (٤٠) يوما يتركون الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها

وأما البروتستانت وبعض الكاثوليك الذين ضعفت عقيدتهم ، فهم يجوزون تناول الطعام والشراب ، لكن يمنعون اللحم كله وما تولد منه كاللبن والسمن إلا الحوت فانهم يأكلونه في حال الصيام ويأكلون الخبز والحلوى ، وعندهم فرقة يسمونها اللاتينية ، وفرقة يسمونها أهل الديانة الروسية (أرثودكس) وذلك لأنهم لا يعترفون بالبابا رئيسا ، وهم موافقون للكاثوليك في كل شيء ، وهؤلاء جميعا ينتخرون بأنهم كاثوليك فيكذبهم أخصاصهم قائلين لهم : أنتم فرقة لاتينية أو أرثودكس

واعلم أن الفرنسيين دخلوا دين النصارى سنة ٤٩٦ ميلادية وهم كاثوليك وبروتستانت ، ومنهم من لا يقرّ به في باطنه ، وكان ابتداء ملكهم سنة ٤٣٠ ميلادية وأصل ملكهم قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة ولم يتم الاستقلال فيما بين التاريخين ، حكمهم اليونان فالرومان فاستقلوا ، وكانوا يعبدون الأصنام التي على صور الكواكب كالهنود

ودولة الانجليز التي ابتداء ملكها قبل الميلاد بنحو خمس وخمسين سنة لم يستقلوا إلا سنة ٣٤٣ هجرية وهي سنة ٨٢٧ ميلادية ، ودخلوا النصرانية سنة ٥٩٦ مسيحية ، وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وفيهم الكاثوليك والبروتستانت والديورية وحصل بينهم وبين الفرنسيين حرب من سنة ١٣٣٧ م الموافق سنة ٧٣٨ هجرية الى سنة ١٤٥٣ م الموافق سنة ٨٥٧ هجرية ويسمى حرب المائة سنة

﴿ دولة النمسا أوستوريا ﴾ أكثرهم من التتار ، ابتداء الملك سنة ٣٣٣ ميلادية ، والاستقلال سنة ٩٨٣ ميلادية الموافق سنة ٣٤٨ هجرية ، ودخلهم النصرانية كالذين تقدموهم

﴿ الدولة الجرمانية ﴾ ابتداء الملك سنة ٥٤ ميلادية ، والاستقلال سنة ١٣١٥ ميلادية الموافق سنة ٨١٨ هجرية

﴿ دولة المسكوف ﴾ استقلالهم التام سنة ٨٦٢ ميلادية الموافق سنة ٣٤٨ هجرية ، وكانوا يعبدون الأوثان ، ودخلوا النصرانية سنة ثمانمائة وخمس وسبعين هجرية ، فهم الأمة الوحيدة التي تأخرت في دخول النصرانية الى ذلك الزمن ، وأما بقية دول أوروبا فإن دخولها في النصرانية في أواخر القرن الخامس الميلادي فتكون النصرانية في أوروبا الآن نحو ألف وأربعمائة سنة ، ومذاهبهم الكاثوليك والبروتستانت واللاتين والاورثودكس ، ثم الكاثوليك هي عين الملكية ، وأما الانسطورية والعقوبية فقد حذفنا من الغرب وربما كانت في الشرق والله أعلم ، وقد تقدم ملخص هذا في ﴿ سورة آل عمران ﴾ والى هنا تم الكلام على اللطيفة السابعة من اللطائف الخاصة والحمد لله رب العالمين

اللطائف العامة للسورة كلها (١)

اللطيفة الأولى

في قوله تعالى « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » مع قوله « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »

لأجعل الكلام على الآيتين في مقامين : المقام الأول في غريب اللغة العربية في القرآن . المقام الثاني في نفس الأمة العربية ، وهالك بيانها

الكلام على المقام الأول في غريب اللغة العربية في القرآن

تقدم في أول سورة « حم فصلت » الكلام على الألفاظ التي دخلت في القرآن من القبائل المختلفة ومن اللغات التي ليست عربية كالفارسية والهندية الخ . وأريد هنا أن أذكر نبذة يسيرة في الكلام على معرفة غريبه ، فقد جاء في كتاب « الاتقان في علوم القرآن » تحت العنوان التالي مانسه :

النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد ، ومن أشهرها كتاب العز بنى فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرقه هو وشيخه أبو بكر بن الانباري ومن أحسنها المفردات للراغب ، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كرامين . قال ابن الصلاح وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفوا الكتب في « هني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الانباري انتهى ويتبعني الاعتناء به فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة صرفوا « أعربوا القرآن والتمسوا غرائب » وأخرج مثله عن عمرو بن عمرو بن مسعود موقوفا ، وأخرج من حديث ابن عمر صرفوا : « من قرأ القرآن فأعرب به كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير أعرب كان له بكل حرف عشر حسنة » المراد بأعربه معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الأعرب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقدته ليست قراءة ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع الى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن ، فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا ، فأخرج أبو عبيدة في الفضائل عن ابراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله « وفاكهة وأبا » فقال أي سماء تظلي ، أو أي أرض تغلني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم ، وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر « وفاكهة وأبا » فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال : إن هذا هو الكلف يا عمر ، وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس . قال : كنت لأدري ما فطر السموات حتى أتاني اعرابياني يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرناها يقول أنا ابتدأها ، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة أنه سئل عن قوله « وحنا من لدنا » فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس . قال : لا والله لا أدري ما حنا . وأخرج الفريابي : حدثنا اسراييل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعا : غسيلين ، وحنا ، وأواه ، والرقم . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة . قال قال ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله « ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق »

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

حتى سمعت قول بنت ذى وزن ﴿ تعال أفاثحك ﴾ تقول أنا صمك . وأخرج من طريق شيخنا عن ابن عباس . قال : ما أدرى ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم

فصل : معرفة هذا الفن للمفسر ضرورة كما سيأتي في شروط المفسر

قال في البرهان : ويحتاج الكاشف عن ذلك الى معرفة علم اللفظة أسماء وأفعالا وحروفا ، فالحروف لقلتها تكلم الشجاعة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة ، وأكبرها كتاب ابن السيد ، ومنها التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والجامع للقرطبي ، والصاحح للجوهري ، والبارع للفارابي ، وجمع البعدين للصاغاني . ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية ، وابن الظريف والسرقي ، ومن أجمعها كتاب ابن القطائع . قلت : وأولى ما يرجع اليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الأخضريين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وهما أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة فإنها من أصح الطرق عنه وعليها اعتماد البخاري في صحيحه مرتبا على السور . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي (ح) وقال ابن جرير حدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يؤمنون) قال يصيبون (بهمهون) يتبادون (مطهرة) من القدر والأذى (الخاشعين) الصائغين بما أنزل الله (وفي ذلكم بلاء) نهمة (وفومها) الخنطة (إلا أمانى) أحاديث (قلوبنا غلف) في غطاء (مانسج) نبدل (أونفسها) نتركها فلا نبدلها (مثابة) يشربون اليه ويرجعون (حنيفا) حاجا (شطره) نحوه (فلا جناح) فلا جناح (خطوات الشيطان) عمله (أهل به لغير الله) ذبح للطواغيت (ابن السبيل) الضيف الذي ينزل بالمساكين (إن ترك خيرا) مالا (جنفا) إنما (حدود الله) طاعة الله (لأنكون فتنه) شرك (فرض) أحرم (قيل العفو) مالا يمين في أموالكم (لأعنتكم) لأخرجكم وضيق عليكم (مالم تسوهن أو تفرضوا) المس الجامع والفريضة الصداق (فيه سكينه) رجة (سنة) نعاس (ولا يؤده) يثقل عليه (صفوان) حجر صلد ليس عليه شيء (متوفيك) يميتك (ريون) جوع (حوبا كبيرا) إثما عظيما (نحلة) مهرا (وابتلوا) اختبروا (آنتم) عرفتم (رشدا) صلاحا (كلالة) من لم يترك والدا ولا ولدا (ولا تفضلوهم) تفرهونهم (والحصنات) كل ذات زوج (طولا) سعة (حصنات غير مسالجات) عفاف غير زوان في السر والعلانية (ولا متخذات أخدان) أخلاء (فاذا أحصن) تزوجن (العنت) الزنى (موالى) عصبة (قوامون) أصراء (قانتات) مطيعات (والجار ذى القربى) الذى بينك وبينه قرابة (والجار الجنب) الذى ليس بينك وبينه قرابة (والصاحب بالجنب) الرفيق (فتيلا) الذى فى الشق الذى فى بطن النواة (الجبث) الشرك (نقيرا) النقطة التى فى ظهر النواة (وأولى الأسر) أهل الفقه والدين (ثبات) عصبا (سرايا) متفرقين (مقيتا) حفيظا (أركسهم) أوقعهم (حصرت) ضاقت (أولى الضرر) العذر مراغما التحول من الأرض الى الأرض وسعة الرزق (موقوتا) مفروضا (تألمون) توجهون (خلق الله) دين الله (نشوزا) بغضا (كالعلقة) لاهى أيم ولاهى ذات زوج (وان تلوا) ألسنتكم بالشهادة (أو تعرضوا) عنها (وقولهم على صميم بهتان) يفتى رموها بالزنا (أوفوا بالعقود) ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حسنت فى القرآن كله (بحرمنكم) بحملنكم (شنان) عداوة (البر) ما أمرت به (والتقوى) ما نهيت عنه (المنخقة) التى تخفى قتموت (والموقودة) التى تضرب بالخشب فتتموت (والمرتدة) التى تتردى من الجبل (والنطيحة) الشاة التى تنطعها الشاة (وما كل السبع) ما أخذ (إلا ما ذكيتم) ذبحتم وبه روح (الأزلام) القداح (غير متجانف) متعد (لاثم . الجوارح) السكالب والفهود والصقور وأشباهاها (مكابين) ضواري (وطعام الذين

أوتوا الكتاب ذابحهم (فأفرق) أفضل (ومن برد الله فكتة) ضلالتة (ومهيضاً) أميناً القرآن أمين
على كل كتاب قبله (شرعة ومنهاجا) سبيلاً وسنة (أذلة على المؤمنين) رجاء (مفلولة) يهنون بخبل
أمنك ما عنده تعالى الله عن ذلك (بكبيرة) هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان
ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى جسدوا أذنيها (وأما السائبة) فكانوا يسميرون
أنعامهم لأطعمهم لا يركبون لها ظهراً ، ولا يحملون لها لبناً ، ولا يجزّون لها وبرا ، ولا يحملون عليها شيئاً .
(وأما الوصيلة) فالشاة إذا أنتجت سبعة أبطن نظروا السابع فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشتترك فيه
الرجال والنساء ، وإن كان أنثى وذكراً في بطن استحيوها ، قالوا وصلته أسغته فمرسته علينا . وأما الحام
فالفحل من الأبل إذا ولد لولده قالوا حي هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ، ولا يجزّون له وبرا ، ولا يمنعونه
من حي رعى ، ولا من حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه (مدراراً) بعضها يتبع بعضها
(وينأون عنه) يباعدون (فلما نسوا) تركوا (مبلسون) آيسون (يصدفون) يعدلون (يدعون)
يهدون (جرحتم) كسبتم من الأثم (يفرطون) يضربون (شيحاً) أهواء مختلفة (الكل نبأ مستقر)
حقيقة (تبسل) تفضح (بأسطوا أيديهم) البسط الضرب (فألقى الاصباح) ضوء الشمس بالنهار وضوء
القمر بالليل (حسباناً) عدد الأيام والشهور والسنين (قنوان دانية) قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض
(وخرقوا) تخرصوا (قبلاً) معينة (ميتاً فأحييناه) ضالاً فهديناه (مكائسكم) ناحيتكم (سحجر) حرام
(حولة) الأبل والغنم والبغال والخيول وكل شيء يحمل عليه (وفرشا) الغنم (مسفوحاً) مهراقاً (ماخذت
ظهورهما) ماعاقى بها من الشعير (الحوايا) المبر (الماق) الفقر (دراسهم) تلاوتهم (صدف) أعرض
(مذؤماً) ماوما (ريشاً) مالا (حشيشاً) سريماً (رجس) سخط (صراط) الطريق (افتتح) اقض (آسى)
أخزن (عفوا) كفروا (ويذكرك وآلئك) يترك عبادتك (الطوفان) المطر (متبر) خسران (أسفا)
هو الحزين (إن هي إلا فتنتك) إن هو إلا عذابك (عزروه) جوه ووقروه (ذرأنا) خلقنا (فانبجست)
انفجرت (نتقنا الجبل) رفعتاه (كأنك حفيّ شنها) لطيف بها (الطائف) الله (لولا اجتبيتها) لولا
تلقنتها (بنان) الأطراف (جاءكم الفتح) المدد (فرقانا) المخرج (ليوثوك) ليوثوك (يوم الفرقان) يوم
بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل (فشردهم من خلأهم) نسكل بهم من بعدهم (من ولايتهم) ميراثهم
(يضاعفون) يشبهون (كافة) جميعاً (ليواطوا) يشبهوا (إحسانى الحسينين) فتح أو شهادة (مغارات)
الغيران في الجبل (مدخل) السرب (اذن) يسمح من كل أحد (وأغلظ عليهم) اذهب الرفق عنهم
(وصاوات الرسول) استغفاره (سكن لهم) راحة (ريية) الشك (إلا أن تقطع قلوبهم) يعنى الموت
(الأواء) المؤمن التواب (طائفة) عصبة (قدم صدق) لهم السعادة في الذكر الأول (ولا أدراككم) أعلمكم
(ترهقهم) تغشاهم (عاصم) مانع (تفيضون) تفسلون (يعزب) يغيب (يثنون) يكونون (يستغشون)
ثيابهم (يفطون رؤسهم) لاجرم (بلى) أختبوا (فاراقتور) نبع (أقلعى) أسكنى (كأن لم
يفنوا) يعيشوا (حنيد) نضيج (سى) هم (ساء ظنا بقومه) وضايق ذرعاً (بأضيافه) عصب (شديد
مهرمون) يسرعون (يقطع) سواد (مسومة) سماعة (أليم) مومع (زفير) صوت شديد (وشقى)
صوت ضعيف (غير مجنود) غير منقطع (ولا تركنوا) تذهبوا (شففها) غلبها (متسكاً) مجلساً (أكبرته)
أعظمته (ناستعصم) امتنع (بسدأمة) حسين (تحصنون) تخزنون (بمصرفون) الأعصاب والدهن
(حصص) تبين (زعيم) كفيل (ضلالك القديم) خطئك (صنوان) مجتمع (هاد) داع (معقات)
الملائكة (يحفظونه من أمر الله) بأذنه (بقدرها) على قدر طاقتها (سوء الدار) العاقبة (طوبى) فرح
وقرة عين (بيأس) يعلم (مهطمين) ناظرين (في الأصفاذ) في وثاق (فطران) النحاس المذاب (يود)
يتنى (مسامين) موحدين (شيع) أم (موزون) معلوم (جأ مسنون) طين رطب (أغويني) أضللتني

هذا وإذا أردت بقية هذا الموضوع فراجع في كتاب الاتقان المذكور تجد جميع القريب فيه إلى آخره
وهو نحو ٧ صفحات فافقاه هناك إن شئت

ويقع ذلك ماورد عن ابن عباس أيضا إذ اكتشفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن . فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه ، فقالا إما تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقته من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ؟ فقال ابن عباس : سألني عما بدا لكما . فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى « عن اليمين وعن الشمال عزين » . قال العزون حلق الرفاق . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

جاءوا بهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله تعالى « وابتهغوا إليه الوسيلة » قال الوسيلة الحاجة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عنبرة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة * إن يأخذوك تسكحلي وتغضبي

وهكذا استمر يسأله وهو يجيب على هذا النمط ، ونحن الآن نجترى هنا ببعض الكلمات وشواهدا

اختصارا واستبصارا :

الشاهد	الكلمة
(١) لقد نطق المؤمن بالصدق وأهدى * وبين للإسلام ديننا ومنهجنا	(١) (منهاجا) طريقنا
...	...
(٢) إذا ما مشيت وسط الذماء تأودت * كما اهتز غصن ناعم التبت يانع	(٢) (ينعه) نفججه
...	...
(٣) فرشني بخير طال ما قد برقني * وخير الموالى من يريش ولا يبري	(٣) (ريشا) سالا
...	...
(٤) يا عين هلا بكيت أربدا إذ * قفا وقام الخصوم في كبد	(٤) (كبد) اهتمام
...	...
(٥) يدعوالى الحق لا يبغي به بدلا * يجلو بضوء سسناه داجي الظلم	(٥) (السناء) الضوء
...	...
(٦) أبا منذر أفيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض	(٦) (حنانا من لنا) رحمة
...	...
(٧) لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنه * وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا	(٧) (أفلم يئس الذين آمنوا) أفلم يعلم بلغة بنى مالك
...	...
(٨) إذ شددنا شدة صادقة * فأجأناكم إلى سفتح الجبل	(٨) (فأجأها المخاض) أجاها
...	...
(٩) إني وجدك ماونيت ولم أزل * أبغى الفسك لك بكل سبيل	(٩) (لاتنيا في ذكرى) لا تفضها عن أسرى
...	...
(١٠) على مكثريهم حق معترباهم * وعند المقلين الساحة والبذل	(١٠) (القانع والمعتز) فالقانع الذى يفتح بما أعطى والمعتز الذى يعترض الأبواب

ولاً كتب بهذا في النظم ومن أراد اسقيفاه فليقرأه في كتاب الاتقان . والشواهد تبلغ نحو (١٥٠) شاهداً فلا تطيل بذكرها . والى هنا تم الكلام على المقام الأول

المقام الثاني

في الكلام على نفس الأمة العربية

اعلم أيها الدكي أن الأمة العربية بقدر ما ذاق من العز والافتقار والسعادة وما ألمت من الارتقاء أصابها النذل والانحلال والشقاء والانحدار ، أمة بلغت بهاها المشرقين والمغربين ، ثم رجعت بعد ذلك بخفي حنين رفها العلم وخفضها الجهل ، أمة عريقة في الجدد ، رفيعة القدر ، قوية الشكيمة ، هي وحدها التي اختارها الله لارتقاء النوع البشري ، لذلك خلقها وتمت كلمة ربك ، خلقها في البادية وأنشج عقولها ، وهذب نفوسها تهذيباً نسبياً ، وصرتها على شظف العيش ، والبأس وعزّة النفس واقتناعه ، أعطاهام مثالب مع هذه الفضائل فصار كل أهل بيت وقبيلة يرون أنهم سادات الأمم وعظماء أهل الأرض ، فأورثهم ذلك التخاذل والانتطاحن والأضعفان والأحقاد ، وما ذلك كله إلا من ازدياد سوء النفس والشهامة وحب العزة وازدياد تلك القوة عن المقدار الوسط والنهج التويم ، فأصبح ما كان ممدوحاً تاحقه المذمة ، وبينما هي على هذه الحال إذ جاءهم الرسول ﷺ ونزل القرآن ففهمهم بهذا الفرقة ، ولم شملهم ، فنالوا ما كالم تحلم به الأكاسرة ولا القياصرة ، وتضامت تلك القوى المتفرقة المنتشرة في الصحاري والقفار فصارت قوة واحدة فهزّت أمم الأرض هذا ، وما ذلك إلا لما فهموا « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم . ثم استبدلوا الكسل بالعمل ، والترف والتنعم بشظف العيش ، والافتقار والنذل بالجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه مع حفظ الدولة واسعاد الانسانية كلها بلافارقة بين الأمم والشعوب بالمحافظة عليها مع تأدية تلك الأمم ما يجب عليها لهم ، فحق عليهم ما ورد في الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وهذا الحديث بنصه في أول ﴿ سورة الأنفال ﴾ وهو من صحاح الأحاديث

ثم إن هذه الأمة بعد أن أدّت وظيفتها في الأرض ونشرت الدين وتفرقت في أقطارها خلدت ريحها وأصبح الأبناء على تقيض الآباء ونسوا مجدهم القديم وعزّهم الشاخي وفضلهم العظيم ، فأبناء العرب اليوم في شمال إفريقيا مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والسودان واليمن ونجد والحجاز والعسير والعراق والموصل ودير الزور . فكل هؤلاء بلادهم متلاصقة ودينهم واحد وعقولهم متقاربة ولفهم واحدة فياسبحان الله ، أن لم أر أمة بلغت ما بلغت هذه الأمة في مجدها أيام رفعتها ، ولم أر أمة سقطت سقوطها أيام ذلها كأن الفهم بالغرم ، وبرد الشتاء على مقدار حرارة الصيف ، وطول الليل في الشتاء بمقدار قصره في الصيف . ها أنذا من أبناء العرب وليت بالبلاد المصرية في قرية من قرى الشرقية ، حفظت القرآن صغيراً ودخلت الأزهر بالغا ، ثم اعترتني فكرة هيجت بالبالى زمن الشباب ، فأخذت استقيث وبمن أستقيث ؟ لا استقانة إلا بمن خالقني ، فكنت أدعوه وهو سميع الدعاء ، ولكم سألته أن يوقفني على حقائق هذه الدنيا ونظام الكون وبؤس المسامين وذلهم وعزّ غيرهم ، ولماذا أرى الجهالة والنقص فاشيين حتى في التعاليم الدينية . وأنت أيها الدكي تعرف مما ذكرته كشيراً في التفسير أن اتصالي بمدرسة دار العلوم ونظري في كتب الأمم المحيطة بنا به وقفت على كثير من أحوال هذا العالم وهذه الأمم . ومما اتفق لي حادثة لا بد من ذكرها ذلك أنها أشبه بتعريف لمفتاح به تفتح أبواب الخيرات لسائر الأمم العربية

محادثة بيني وبين المرحوم لطيف باشا سليم

في أصهار لقاء العرب في المستقبل القريب

قد كنت في أطوار حياتي إلى السكون والجلول والآنزواء أقرب لما قرأت ما يأتي :

لقاء الناس ليس بفيد شيئا * سوى المذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس إلا * لأخذ العلم أو إصلاح حال

ولكن كنت أقول في نفسي : « لو أنني عرفت الحقائق وكنت مجهولا في الناس لا يفسكر في أحد لكان ذلك أقصى أملي » ولكن سبب البحث والعلم كانا سببا في علاقتي بجميع أمم الاسلام ومنهم العليقة الراقية في مصر ، ولما أخذت أثواب الكتب عرضتها على أهل العلم وذوى العقول الراجحة لأستوثق مما أنشر برأيهم ، وكان منهم المرحوم الشيخ محمد عسكر والمرحوم لطيف باشا سليم ، فأنا الأول فاني قابلته في منزل المرحوم ابراهيم بك أباطه بجوار قريتنا ولم يكن رأي ولا رأيته من قبل ولكن عرف كل منا الآخر وأنا شاب وهو قد بلغ نحو مائة سنة ، وله قدم صدق في المحادثة العرابية ، وأخذ يسألني عن تاريخ حياتي العلمية التي عرف مجملها من قبل أن ألقاه فأجبته ، هنالك قال لي : أنتم أحسن منا ، نحن أيام عرابي باشا لم نبن ثورتنا على أساس ، أما أنتم فبنواكم على أساس ، لأنكم تريدون أن تجعلوا العالم التي بها ارتقت أمم الأرض متصلة بالدين وأنتم ناجحون ، وأن ماسمعتك منك من حيث أن بعض رجال المعارف يضطهد ذلك ، فهذا زادني يقينا لأن الرجل لا يكون عظيم الشأن حتى يحقد عليه نظراؤه . وسيكون نشر آرائك على أيدي تلاميذك ، والمستقبل لهذه الأمة عظيم . وأما المرحوم لطيف باشا . فهناك ما دار بيني وبينه ، وهو الذي سقت الكلام لأجله ، لم تكن لي سابقة معرفة بالمرحوم لطيف باشا سليم ، وهو كان من أكابر الأمة ومن أكابر الوطنيين ، والذي عرفني به اني نشرت بعض كتبي وأردت أن أعرف آراء أكابر العلماء في مصر ، فأعطيته كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فأثنى عليه ، وصارت لي به صلة وثيقة ، وهذه صورة المحادثة التي سقت الكلام هنا لأجلها :

قال رحمه الله : إن جلد الحمار الميت أرفع شأننا من الأمة المصرية (أقول : وذلك من شدة غيبرته على البلاد) . فقلت : ما برهانك يا باشا . فقال : إن جلد الحمار يمكن العلماء بالصناعة والكيمياء يلونونه بالحرة أو بالصفرة الخ وهذه الأمة حل بساحتها الآشوريون والفرس والرومان والفرنسيون والانجليز ، ومع ذلك لا تزال نائمة خامدة جامدة ، إذن جلد الحمار أمكن تلوينه والأمة المصرية لم تلون . هذه الأمة جامدة . فقلت : إن لي ردا على ما ذكرتموه . فقال : فإذا تقول ؟ فقلت : إن الأمة المصرية أمة عربية لأن الأصل القبطي فيها قليل ، وهن نحن أولاء نجد عاداتنا وأخلاقنا وآدابنا كلها عربية ، والأمة العربية بعد ما بلغت الصين شرقا وجنوب فرنسا غربا وأزالت ملك فارس والروم أصابها داء الترف ، وأرداها الكسل ، وأنهبها الطمع ، وجندلها الجهل ، وأصابها التخاذل والتنازع والتكبرياء والادخار والاتكال على الأمم المحكومة بهم فسلط الله عليهم من كانوا لهم مستعززين ومستعبدون من الفرس والترك والممالك البرية والبحرية ، وآذاهم الاسبانيون في الجزيرة ، وحل الترك بساحة مصر فأزالوا نخوتها ومظاهر جمالها وكبرها ، وألقوا مدارسها وتركوها قاعا صفصفا ، ونحوها منها الصناعات والحلوم ، وبقيت البلاد ترتفع في معامد الجهل ، وصارت الفل ، حتى اذا قبض الله لها المغفور له محمد علي باشا فقد أخذ يعلمها ، ولكن تسليمه لم يكن مصحوبا بحرية ، فبقيت الأمة مقيدة وعمومها جاهل بحقوقه ، حتى اذا جاء المرحوم مصطفى كامل باشا في هذه السنين ونشر في جريدة اللواء مقالات وقرأها الشبان وأنا ملاحظ ذلك انفتحت بصائرهم وعرفوا الحرية في هذه السنوات

القتال . ولقد كنت قبل ظهور جريدة اللواء أشاهد من تلاميذ المدارس احتقارا لشكل ماهر وطني حتى إذا ظهرت جريدة اللواء أحبوا الوطن واستبدلوا جميع بحب الأماندة الانجليز ، وكان مدرّس اللغة العربية كأنه أمر ثانوي عندهم ، فاقبلت الحال وعدوه طمس أبا . كل ذلك بتأثير جريدة اللواء التي طابت بهيئة عرفت الشبان ما سنى المحافظة على الوطن وعلى الحرية . إن أهل مصر أكثرهم من أصل عربي ، والذي أخزهم وأضاههم هو الجهل الذي غمرهم به الترك مدة مئات السنين ، وما مثلهم في مصر إلا كمثل آبائهم قبل النبوة فانهم كانوا قوما جاهلين ، فما كاد ﷺ يدعوهم الى الدين وضحت ٢٣ سنة حتى كانوا أهل ملك عظيم ودين كبير هكذا (وإن كان الفرق كبيرا) أبائهم وهم أهل مصر ومن حوّلهم من أهل الشام وفلسطين والمغرب والعراق والمصر فسكنى هذه الأمم أن يظهر فيهم نافذة كظهورهم ، فاني باشا كامل حتى يعلموا سقوتهم وينفضوا عن رءسهم غبار الجهل وينهضوا ببلادهم ، ودليلي على ذلك حال التلاميذ بمدارسنا ونقلها في زمن قديم جدا ، فهذا دلي على أن هذا الشبل من ذلك الأسد . فقال رحمه الله : أنا قلت لك لا مانع أن يحصل أصغر غير عادي . فقلت : لكن أنا لا أقول ذلك ، بل أقول هو أصغر عادي ، فإن المسألة علم وجهل فالعرب متى عرفوا نهضوا ورجع لهم بمحمد . انتهى الحديث

مصدق هذا الحديث

حديثي مع نجله فؤاد باشا سليم

وبعد سنين قليلة توفي المرحوم لطيف باشا فذهبت الى منزله بالعباسية لأعزي نجله فؤاد باشا سليم ، فلما رآني بكى لعلمه بمودة أبيه لي ، وسكن لي ما يأتي . قال :

« إن مصطفى باشا كامل لما أسس الحزب الوطني وأصبح هورئيسه وأنا نأموسه (سكرتيره) ، كان والذي إذ ذاك في مرض موته ، فدخات عليه ، وسألني ماذا فعلتم ؟ فقلت : هاتمخ أولاء أسسنا الحزب الوطني فقال : يافؤاد اجتمع المصريون ؟ فقلت نعم يا والذي وأنا سكرتير الحزب الوطني . فقال : لوقالها غيبرك لم أصدق ، أنا أموت وأنا مستريح الضمير إذ رأيت المصريين اجتمعوا في حياتي » اهـ

فقلت له الحمد لله إذ صبح ما استنتجته قبلا في حديثي معه وظهر له صدق فراستى في أمة العرب والأمة المصرية . أكتب هذا الآن وفي بلادنا الأحزاب الآتية : الوفد . الحزب الوطني . حزب الاتحاد . حزب الشعب حزب الأحرار الدستوريين . إذن أصبح ما كان فراسة أولا يقينا الآن ، وعليه أقول حقا وصدقا إن الأمة انهرية على بكرة أبيها لا ينقضيها إلا التعليم ، والذي قتلها هو الجهل ، فهي أمة متروكة مهملة وقد أقبلت أيام مساعدها وهما هي ذه أخذت تقوم من رقدتها . وههنا أذكر بعض ما كان لها من الجهد في النام الطيبة في الشرق والغرب والآثار العمرانية ، وأخص بالذكر بلاد الأندلس ، وأقفي بذكر ما حاق بها من الذل والهوان في القرون الأولى بسبب نفرت وحداثتها ، ثم أتبعه بنتائج ذلك اليوم في البلاد الإسلامية ، وأخص بالذكر تونس وصرا كمش ، ثم أقفي بما ساقه الله من اللانل على مستقبل باهر للأمة العربية والأمم الإسلامية ، وذلك بذكر مسألة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وكيف كانت هذه أول أساس أخذ المسلمون يبنون عليه اتحادهم ، فالعرب جميعا اتحدوا مع أهل فلسطين في ذلك ، ثم إن دفن المجاهد الكبير المولى محمد علي الهندي في فلسطين وتوطيد المودة بين العرب واليهود المسلمين أمر لم يسبق له في التاريخ نظير ، ثم أبين أن هذه الحوادث ترجع لآيتين إحداهما آية « خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » في سورة حم غافر ، والثانية هنا وهي « رانه لذكرك ولقومك » وايضاح المسيح السجال هنا والعلم اليسوى ، فهذه سأوضحها في « سبعة فصول في الفصل الأول » في أثر الطب العربي في تطور الطب الفرنسي (الفصل الثاني)

فيما قاله الأمير شكيب أرسلان في رحلته الى بلاد الأندلس للدلالة على عظمة آثار العرب ﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما جاء له أيضا في كوكب الشرق من تحالف الأمم العربية قديما وتضافر الأمم عليهم فذهبت دولهم ﴿ الفصل الرابع ﴾ في نتائج ذلك التفرق القديم الذي حلّ بالمسلمين اليوم في تونس وصراكش ﴿ الفصل الخامس ﴾ في حادث الوطن القومي لليهود ، وكيف كان سببا لوضع أساس للاجتماع بعد التفرق ﴿ الفصل السادس ﴾ في حادث لم يسبق له نظير من اتحاد العرب والهند بعد ذلك ، ومن دفن المجاهد الكبير (محمد علي) بالقدس وتصريحات أخيه المولى شوكت ﴿ الفصل السابع ﴾ في أن هذه الحوادث ترجح لآيتين من كتاب الله تعالى الأولى « خلّق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » وقد تقدم بيانها في سورة حم غافر ، وفيها شرح أمي السجّال ، والثانية هنا وهي « وانه لذكر لك ولقومك »

الفصل الأول

فيما ذكرته به أمة الاسلام عموما والعرب خصوصا في علم الطب وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ما جاء في مجلة « الجامعة الاسلامية » المقال الثاني وهو ما جاء في جريدة الاهرام تحت عنوان « أثر الطب العربي في تطوّر الطب الفرنسي » وذلك كله بإيضاح لقوله تعالى هنا « وانه لذكر لك ولقومك » وما لك نصيبا :

البحث عن تاريخ العلوم أو

تأثير المدنية العربية الاسلامية في نهضة الغرب

في أوروبا اليوم حركة عظيمة للبحث عن منشأ العلوم الحاضرة وعن كيفية تطورها ، ولقد كان من أكبر العوامل على هذه الفكرة أحد العلماء الطبيعيين الفرنسيين السكياوى (مارسلين برتسو) ولهذا العلامة فضل كبير في جلب أفكار الأوروبيين الى مسألة هامة وهي تاريخ العلوم ، لقد أدرك (برتسو) انه لابد من دراسة تطوّر الفكر البشري فقال لابد أن ندرس كيفية تطوّر العلوم في الأزمان المختلفة ، فأفاد لذلك كتاباسماه تاريخ العلوم ومنذ ذلك الحين عمت في أوروبا فكرة جديدة وهي أنه لا يجوز أن ينظر الى ما فكريه السالفون كأنه أساطير الأولين لأن الرقي لا يكون إلا بالتدرج أى كل عصر من العصور ومدى العصر الذى قبله ، ولا يمكن أن نتصور أمة نشأت فجأة كما نرى ذلك في كثير من كلامهم ، وترى الأوروبيون يهتمون الاهتمام العظيم في هذا الشأن وينفقون له كثيرا من القوى المادية والمعنوية ، ففي كل قطر من الأقطار عدة معاهد لهذا الشأن بعضها للبحث عن تاريخ الطب ، وبعضها للبحث عن تاريخ العلوم الطبيعية ، أما تاريخ الفلسفة فقد اشتغل فيه كما لا يخفى أناس كثيرون منذ أجيال عديدة ، ولا يمكن أن نتصور أن شخصا درس الفلسفة إلا واهتم بتاريخها قبل كل شيء ، ففي ألمانيا اليوم عدّة أساتذة وقفوا كل حياتهم لهذا الغرض ، وقد عثروا في طريقهم على نقط هامة ، وليس غرضهم هنا معرفة المنشأ ولما الفصل في نشر العلوم فحسب ، بل يودّون أن يعلموا الى أى جهة توجه معارفنا (أى معرفة الماضى والحاضر للتفكير في المستقبل) كما اتضح لبعضهم ان العلوم المادية برقى عظيم والمعنوية بانحطاط مستمر فتأثروا على إحيائها ، وبذلك قطعوا خطوات واسعة ، وتهيأت الحكومات الأوروبية لهذا الشأن اهتماما كبيرا فساعدت علماءها على نشر ما كشفوه من الامور وعلى عقد مؤتمرات يحضرها العلماء من أقطار مختلفة لينبادلوا الآراء ويعرفوا صوابهم وخطأهم بالبحث مجتمعين ، وقد عقد في منتصف شهر ايار الماضى من السنة الحالية مؤتمر بين المللى (كندا) في باريس حضره علماء من أصقاع مختلفة ، هل تعلم

ماذا كان أهم شيء تداوله المؤرخ؟ وجوب تعلم تاريخ الأمة العربية، وأن أكبر عشرة واقعة أمام طريقهم هي معرفتهم تاريخ الأمة العربية حق المعرفة، وما دامت الحالة على هذه لا يمكنهم أن يداوموا البحث بصورة جدية، ولقد سمعت هذا من أستاذين كبيرين: الاستاذ سيفريست المتخصص بالطب عند العرب في لينينغ، والاستاذ روسكار رئيس معهد البحث عن تاريخ العلوم الطبيعية في برلين. وهناك كتب خطية عديدة ولا أظنها إلا بيضت بطن شخص هي اليوم في مكتبات أمهات مدن أوروبا محفوظة في أعزّ موقع لا يسمح لنا برؤيتها إلا بكل صعوبة، تفتخر كل أمة من الأمم بأنها بين خزائن كتبها. ولا يمكننا أن نألفها ولو أنفقنا في سبيل ذلك ما أنفقنا من الأموال الطائلة، هكذا كانت تلك الكتب القيمة ذليلة بيننا، عزيزة عند من يعرف قيمتها ولقد أحرز اثنان من بني وطننا وهما السيدان: كامل عياد ومحمد أبو غنيمه، لقب دكتوراه في جامعة برلين، الأول في الفلسفة، والثاني في الطب، لاشتغال الأول في ابن خلدون، والثاني بالطبيب العربي الجراح أبي القاسم الزهراوى، فأهمية ابن خلدون كما قال عنه كبار العرب انه هو أول من وضع التاريخ ضمن علم، وجاء بنقد التاريخ، وتبع الحوادث التاريخية ليحصل الانسان على نتائج لا بد منها لمعرفة الشعوب وعماياها وتطورها وحسناتها وسيئاتها، أما أبو القاسم فقد ذكر عنه الدكتور أبو غنيمه بأنه سلك طريقا في التداوى بالكى يشبه تمام الشبه الجراح الشهير الاستاذ المستشار (بير) وقد ذكر قاموس المحيط الألمانى عن أبي القاسم هذه الكلمات:

« ولد أبو القاسم في الزهراء من مدينة قرطبة وتوفي سنة ١١٠٦-١١٠٧ ج وقد كان شهيرا في الجراحة، وأهميته لاتزال حتى هذا اليوم في التاريخ، وله كتاب في الطب الذى ألفه وترجم الى اللاتينية للمرة الأولى من غريم سنة ١٥٣٢ م »

أما القسم التشريحي وهو خريماورث من الطب العربى، فقد ترجمه الى اللاتينية في أوكسفورد سنة ١٧٧٨ العالم الانكليزى شالينغ. فنجد أهمية البحث عن تاريخ العلوم هنا وكيف كانت تدرس العلوم من منابع عربية، وقال السيد الدكتور محمد شرف في المقدمة من محجمه الانكليزى العربى مانصه: « بقيت جامعات أوروبا أكثر من خمسة قرون تعتمد في مادتها العلمية على الكتب العربية، وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الكتب العربية المستعملة في جامعة توبنجن أضعاف الكتب اليونانية، وكانت مؤلفات الرازى وابن سينا أساس التعليم الطبي في (جامعة لوقان) في القرن السابع عشر، واستمرت مؤلفات ابن سينا تدرس في جامعة الطب الكبرى في (مونبيليه) حتى القرن الثامن عشر »

ولقد ألقى الاستاذ المتخصص في تاريخ الطب (سيفريست) محاضرة في الحفلة التى اقيمت على مضى ألف سنة على الطب العربى في المعهد الطبى الألمانى التابع لجامعة برلين هذه خلاصتها: « نحن مدينون للعرب بجزيل الشكر لهذه المدنية الزاهرة التى ننعم بها. أهمية المدنية العربية كبيرة لأننا اذا وصلنا الى آخر حلقة من حلقاتها نجدها متصلة بنا، فاذا أخذنا مثلاً اكتشاف ميزان الحرارة من قبل (غاليليه) نجد كتب طب ابن سينا الأساس الذى نمشى عليه في ذلك العهد، عندنا اليوم كثير من التعابير اليونانية لا يمكننا فهمها إلا اذا ترجمناها للعربى، تاريخ الأمة العربية قبل الاسلام لا يهمل كثيرا حيث لاصلة له بنا، ولكن الذى يهملنا منذ نشأة محمد ﷺ ذلك الرجل الذى عرف توحيد القبائل وغرس الفضيلة في قلوب الناس. وما مضى على ظهور هذا الرجل قرن واحد إلا رأينا مدنية زاهرة وحكومة عظيمة عادلة، فنجد أولاد الصحراء القاحلة يفتحون العالم وينشرون العلوم والفنون في أرجائه المختلفة

وقد ازدهرت العلوم في عهد العباسيين وترجموا كثيرا من آثار اليونان وقد كانوا مترجمين فأصبهوا بحائى وانا نجب حتى يومنا هذا كل الحجب بتلك القابلية العظيمة التى كانت عندهم، فنجد شخصا واحدا تجتمع

فيه ميول عديدة مثل الفخر الرازي الذي ألف ألف مجلد ، وكان رئيس مستشفى وفيلسوفا وموسيقيا ومن محبي الفنون الجميلة ، ولا يزال الحجب يأخذ منا من ابن سينا الذي أراد أن يستخرج قانون الطب على حسب المنطق فنجده سياسيا دينيا حقوقيا طبييا منطقيا ، ومن يذهب اليوم الى قرطبة يرى غلبة من الرمس الجليل ويرى الآثار التي تنبئ عن وجود (٥٠) مستشفى ، ويرى المكتبة التي تحتوي على (٤٠٠) ألف مجلد ، ويرى الجامع القديم هناك يبرك ولا شك أهمية تلك المدينة ، ثم اذا مررت بعد ذلك على قصر الزهراء يكون في القصر الذي ولد فيه الطبيب العربي الجراح (أبو القاسم)

ولقد كان لظهور هذا العالم أهمية عظيمة في الجراحة حيث كانت العرب قبله تخاف من موسى ، وأهميته على قسمين : نظرية وعملية . أما الأولى ففي تغيير أفكار الناس من وجهة الجراحة والنظر للرئيس بعين الشفقة أما العملية فهي ترقى أسباب الطب الجراحي الى أن صار بالصورة التي نراها اليوم

الآن لقد انعكس الأمر (مخاطبا طلبة العرب) فنحن يجب أن نؤدّي ما علينا نحوكم من الواجب ، وهذه العاوم التي ترونها اليوم عندنا قدورناها عن أجدادكم ، عندكم واجب كبير واسمكم مجد عريق وسلف صالح ، يجب عليكم أن تفهموا تاريخكم ومدنيتكم ، وكمن الكنوز العربية الثمينة أصبحت اليوم مدفونة للأهمال ، ومؤتمر العاوم في باريس أفهمنا جهلنا بتاريخ العرب ، وقد ساعدونا على درس تاريخكم وحضارتكم وعليكم واجب ثان يطلاب العرب ، الشرق اليوم يتحين للنهضة وأنتم ستقانون المدنية وتعلمون الناس كما فعل ذلك حنين بن اسحق وستكونون بادي ذي بدء مترجمين فتصبرون بحاجة . ولا يبعد أن يكون بيننا رجل يحتفل فيه أيضا بعد ألف سنة كما تحتفل اليوم في هذا المكان بأبي القاسم ، ولقد قال المستشار الاستاذ (هيس) مدير جامعة برلين هذه الكلمات : « نحن نهتم بتاريخ الطب العربي لأمور ثلاثة :

﴿ أولا ﴾ الجّد والاجتهاد الذي لا يعرف الملل الذي كان عندهم

﴿ ثانيا ﴾ حب الاطلاع وأداء الواجب المجرد عن أي شخصية

﴿ ثالثا ﴾ تحمسهم للمعرفة وشرف الصنعة عندهم

فلذلك لا عجب أن نرى من اجتمعت فيهم هذه الصفات أن يكونوا من أحسن البعثة

لينا فقلنا هذه الحقيقة كما يقدّرها الأوروبي الذي لا يريد من ذلك إلا أن يزيد مداركه ومعارفه ليتقدم الى الأمام ، وقد بحثوا أيضا في العاوم الطبيعية التي كانت عند العرب مباحث كافية ، ونشروا كذلك كتباً عديدة كمصنفات في الكيمياء لجابر بن حيان نشره هولبارد الانكليزي وطبع في باريس ولقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدت نظريات جمة في العاوم الطبيعية الموجودة في ذلك الزمن وبين الآراء الطبيعية اليوم . وأكبر فضل وجدته في جابر هو تقديره للعمل والتجربة إذ يقول : « ومالك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة ، فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدا »

ثم قوله أيضا : « كل شيء طبيعي فاعتمد عليه » ويوجد أيضا كثير من التعقيدات التي وضعها قصدا لكي لا يوضح بسر الصنعة

ونشر أيضا في فن المستعدانات تأليف (التيافاش) طبع في روما . وكتاب الأسعبار لأرسطاطاليس ترجمه (لوقا بن اسرافيون جهه) وترجمه الى الألمانية الاستاذ (روسكا) . وقد قال في مقدمة الكتاب الكلمات الآتية : « ليست الأسفار اليدوية ولا الأدب الذي جاء بعد الاسلام هو الذي رفع اسم العرب في الغرب فقط اذا أردنا أن نعرف تأثير المدنية الاسلامية في المسيحية الغربية فلنتفكر في الرياضيات والفلك والكيمياء والطب كيف كان علماء الاسلام يشتغلون بها بعد أن فقدت علوم اليونان الى يومنا هذا ففيها نرى الأسماء الفنية المشتقة من العربي وكيف كانت العاوم زاهرة تحت راية الاسلام وكيف تعلق الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي »

هكذا يستغل الأوروبيون في البحث والتقصي عن تاريخنا ومدينتنا ويذهبون بذلك كتباً قيمة ويقيمون حفلات عظيمة لسكل عالم خدام البشريّة خدمة صادقة ، ونحن ننظر اليهم كأساطير الأولين ، أيطر بنا هذا الاهتمام ؟ أيطر بنا فترقنا شيئا وأخرابا بين قديم وحديث ، ونحن اليوم بأشد الحاجة أن نمد يد الاخاء الى بعضنا للجد والاجتهاد ؟

وقد قال لي أحد الاخوان أثناء احتفال ألف سنة على الطب العربي ، وفي نفس الوقت تقيم مأتما على خروج المدينة من أيدينا ، ولا ينقنا الحزن واليأس بل السعي والجد ، النوم كان طويلا فكل شيء أماننا صعب جدا ، وكلنا تقاعسنا عن العمل ازدادت الصعوبة ، هكذا كان أجدادنا في غابر الأزمان واليوم فقدنا كل شيء من أثر الأجداد ، ولم يبق لنا غير ذكريات الماضي نسميها من العلماء الغربيين إن كنا حقاً نحب ذلك السلف الصالح رحمهم الله فلمسترجع هم الخلف لنعيد لنا ذلك الشرف فانا بهم مقتدون ، وانا على آثارهم المهتدون

محمد يحيى الهاشمي

برلين

ومما يناسب ذلك أيضا ماجاء في جريدة الاهرام يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٠ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

أثر الطب العربي

ألقى الدكتور البارغ يوسف أفندي حريز الحائز لشهادة الامتياز من كلية باربر محاضرة في نادي مدرسة الطب عن أثر الطب العربي في تطور علم الطب في فرنسا ، ولأهمية هذا الموضوع رأينا نشر خلاصة تلك المحاضرة القيمة . قال المحاضر :

« من المتعارف أن الاغريق كانوا منذ ألفي عام حملة الطب القديم ، أ كان ذلك بعض ما خلفه الاسكندر الأكبر عقيب غارته المشهورة على الشرق ، أم ان هنالك بقايا معاومات طبية يونانية ينبوع ، قد يكون الصواب بين هذين . على أن العرب لم يتصل بهم فن الشفاء إلا بعد قيام الدولة الأموية ، ولئن كان العهد الجاهلي فيه بعض من مارس الطبابة إلا ان خالد بن يزيد بن معاوية كان أول من نقل العلوم الطبية والنجوم والكيمياء الى العربية ، وكذلك فعل جابر بن حيان . على أن الحركة العلمية التي بدى بها في صدر الدولة الأموية لم يتح لها أن تبلغ شأوا بعيدا إلا في صدر الدولة العباسية ، وعلى الأخص في عهد المأمون سابع الخلفاء العباسيين الذي جعل رأسه أرفع عمامة في الشرق والاسلام . ولما انتهت هذه البذور الجديدة الى ذلك المستنبت العربي المجيب ظهرت قرائح طبية من الطراز الأول في القرن العاشر للميلاد أعدتها الرازي نأب بكر محمد بن زكريا في آسيا وابن الجزاري في أفريقيا بالقيروان وأبا القاسم عباس بن خلف الزهراوي في الأندلس . أما الرازي فقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية في الجيل الثاني عشر للميلاد وكانت عمدة التدريس في أوروبا جميعها وعلى الخصوص في مدرستي مونبيه وباريس بفرنسا كما تشير اليه بكل تفصيل أطروحتي في جامعة باريس الموسومة « حظ الطب العربي في تطور الطب الافرنسي »

والرازي مؤلفات عديدة أوصلها كتاب « عيون الأنباء » الى المثة ، ومما يدهش فيها تعدد مواضيعها وبحوثها ، فقد كتب الرجل في الفلك ، وقال بدورة الأرض ، وكتب في الطب والتفسير والكيمياء والاهليات الى آخر ما هنالك من شتى المذاهب والأبحاث . وبمناسبة عيد الألفي أنشأت عنه محاضرة في المجمع العلمي في دمشق الشام في شهر اكتوبر المنصرم ، وله بيتان مشهوران من الشعر لأبأس من ارادها قاهما حين حضرته الوفاة بعد أن عمر مئة من الأعوام وتزيد :

لعمري لا أدري وقد آذن البلي * بمأجل نرحال الى أين ترحالى
وأين مقر الروح بعد خروجه * من الهيكل المنحل والجسد البالي
ومنه يستدل على شكه العلمى . وأما ابن الجزار فهو تلميذ سلمان الاسرائيلى ومن أكبر مؤلفي العرب في الجبل
العاشر للميلاد . وضع في القبروان كتابه الموسوم بزاد المسافر ونقله الى اللاتينية في الجبل الحادى عشر (لاون)
الافريقى كبير النقلة من العربية الى اللاتينية في الجبل الحادى عشر كما كان جزار الكرماني كبيرهم في الجبل
الذى يليه ، وفي ابن الجزار وكتابه زاد المسافر يقول كشابتم :

أبا خالد أبقيت حيا وميتا * مكارم ذاعت في البلاد عظاما
رأيت على زاد المسافر عندنا * من الناظرين العارفين زحاما
سأذكر أفعالا لأحمد لم تزل * مواقعها عند الكرام كراما

وأما أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى فقد كان بلا شك جراح عصره وأستاذ القرون الوسطى في ذلك
الفن ، ولقد نشرت له مجلة (المهجد العلمى) بدمشق الشام منذ عامين رسوم أدوات جراحية وجدت في
إحدى منسوخات كتبه وكلها تشير اشارة لا تقبل الاعتراض الى معرفه النشر بحية وطول باعه في هذه الصناعة

الجبل الحادى عشر

كان من أكبر كواكبه الشيخ الرئيس ابن سينا ، وقد كان اهتمام أوروبا به بالغا حتى لا يعجز فقد نقلت
الى اللاتينية وشرحت كتبه وذلت ما يقارب الأربعين من المرات . على أن أكبر مؤلفاته الطبية وهو القانون
موجود اليوم بالعربية في قاعة المطبوعات في المكتبة الأهلية بباريس وهو طبع روما ، ويرجع تاريخ طبعه
الى الجبل السادس عشر أى في أوائل عهد الطباعة كما هو معلوم ، ولابن سينا في قاعة المطبوعات بباريس
كثير من كتبه أذكر منها كتابا بقراط في الطب العام ، وقد كتب على الصفحة الأولى منه : « هذا
الكتاب ملك أبى الحسين على بن سينا المتطبب »

وعلى الجدار الامامى للبهو الكبير في كلية الطب بباريس رسم أطباء الانسانية من عهد أبى الطب بقراط
الى يومنا ومن جملتهم الرازى وابن سينا والزهرائى

الجبل الثانى عشر

وانتقل مصباح العلم من الشرق الى الغرب وكان بنو زهر على رأس الحركة العلمية لذلك العهد وحفيدهم
أبو العلاء وهو أشدهم صداقة متينة وصلة بابن رشد فيلصوف الأندلس وطبيها ، وبينما كان ابن زهر يظهر
عدم اكتراث مؤلفات الرئيس ابن سينا كان ابن رشد يشرح أرجوزة الرئيس ، وكتب هؤلاء المؤلفين السكبار
نقلت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر والرابع عشر وكانت موضوع التدريس في أوروبا جميعها مشتتة
من الأعوام . أما ابن رشد فقد ظلّ لمذهبه الفلسفى أثر جديد ، وآخر من اهتم به الفيلسوف السكاتب (أرست
رينان) فقيده فرنسا ، ولما كان الرازى أول من وصف الجدرى وكتب في أمراض الأطفال وفي واجبات
الطبيب ، كان ابن زهر أول من تكلم عن الشعور في العظام ، ووصف عالم الجرب ودعاه بالصواب ،
وأسهب في وصف الكسر والوشاء ، وكذلك كان الزهرائى أول من أشار بالسكى واستعمل حجر جهنم الى
آخر ما هناك من ضروب العلاج

وأختم كلمتى هذه بأن أرى من طلاب المدارس الطبية في الشرق أمثال الأعلام من سبق ذكرهم فنعيد

لشرق روثقه الغابر ونسير مع أبناء المعمور في سبيل رفاهية الانسانية ، وما على المجتهد أسير . وإلى هنا
تم الكلام على الفصل الأول والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

في بعض أسرار قوله تعالى « وسوف تسألون » وأن هذه الأمة عوقبت في الحياة الدنيا
فنعلا عما تناقّب به في الآخرة وذلك في ثلاث مقالات ، وهما :
المقالة الأولى

جاء في جريدة « المؤيد » بتاريخ يوم الأربعاء ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هجرية تحت عنوان
« الرحلة الى الأندلس » وفي مدريد وطليلة للأمر شكيب أرسلان مانصه :

وصلت أمس الى مدريد آتيا من سرقسطه التي كان العرب يسمونها بالثغر الأعلى كما يسمون طليطله
بالثغر الأدنى ، وقد استغرقت معنا الطريق من سرقسطه الى مدريد نحو من ست ساعات بالسكة بالسير السريع
صهرنا فيها على قرى ومدن مرفوعة من زمان العرب مثل قلعة أيوب والجة وغيرها ، والجة حمام سخن كما
يفهم من اسمها ، وجميع هذه القرى والمدن الصغار التي شاهدها في أثناء اجتيازنا الى مدريد مبنية على
أنهر وجدول ومحطة بالجنان والبساتين وهيئتها شامية في تربتها وأشجارها وزروعها حتى في جبالها ووهادها
فلا عجب ان رغب أهل الشام أكثر من كل العرب في سكنى الأندلس ، فانهم ما انتقلوا من شام إلا الى شام
ومن لم يشاهد اسبانيا لم يعلم سبب الجاذبية التي بينها وبين سورية ، ولسكن متى شاهد هذه السيارات السبب
فالأندلس في الحقيقة قطعة شرقية في الغرب ، أو قطعة غربية من الشرق ، ولقد ذكرت لقراء رسائي اني
سأخرج إن شاء الله كتابا مستقلا عن رحلتي الى الأندلس ، فلا ينتظر القراء مني هنا إلا اشارات بسيطة
ولحات دالة ، وقد كان يخفق فؤادي طول هذه الطريق من مشاهدة المآذن التي كنا نراها في كل قرية
من القرى التي كانت السكة تشقها أو تمرّ حذاءها ، فهي باقية على حالها بطرزها المعماري العربي وشرايفها
وطاقتها ونحار بمها وكلها صريعة الشكل على نمط مآذن المغرب وما تغير فيها إلا وضع الأجراس في أعلاها
وتحويل المساجد الى كنائس في أديانها ، وجميع البشري يدون الله ، وكثيرا ما كنا نرى منارتين أو أكثر
حول مسجد واحد مما يدل على أن المساجد كانت لعهد العرب أوسع مما هي الآن وهي كنائس وأن القرى
التي هي اليوم قرى متوسطة الحال كانت في دور الاسلام قصبات كبارا وأن القصاب التي لا ترتفع اليوم الى درجات
مدن كانت مدائن حافلة فإن المساجد التي تبنى من فوقها منارتان وثلاث وأربع لا تكون إلا في المدن الزاخرة
العمران ، وقد صادف وجودي في القطار بعض نهاء من الفرنسيين لخطوا هم أيضا ملاحظته أنا

أما مدريد فهي عاصمة من أجل العواصم الغربية لا ينقصها شيء عن عواصم الممالك الأخرى من
سعة شوارع ، ونظافة أزقة ، وضخامة شأن ، وغمامة بنيان ، وعظمة ساحات ، وتراخي مساحات ، واشتباك
أدواح جنائن ، ونضارة أزهار وحدائق ، وانتظام شامل كل معاني المدينة مع مزينة فيها هي ارتفاع الصقع
واشراف يشعره الغريب بالشراح الصدر

ليس لمدير ما ينقصها إلا أحداث تاريخها إن كان هذا بعد نقصا ، فانها ليست كبرشلونه التي يرجع تاريخها
الى دور الفينيقيين الذين لم يحبوها إلا شبه سواحل هذه البلاد بسواحل سورية ، ولا كسرقسطه التي كانت
كرسيًا لمملكة أرغون بعد أن أخذها الاسبانيون من بني هود الجناميين ، وقد كان لها دور مجيد في زمن
الرومان واشتق اسمها سرقسطه من (سيزر أوغسطا) أي القيصر أوغسطس الذي كان له مزيد العناية بها ،

ولم تسكن مدريد كطليطلة عاصمة القوط يوم دخل العرب الأندلس ، ولا كقرطبة كرسى الخلافة الأموية لعهد اكتمال عظمتها في الغرب واشتمالها على الممالك من - نوبى فرنسا الى السودان ، ومن البحر المحيط الى طرابلس الغرب . كذا . فمدريد كانت في أيام العرب قرية صغيرة ذات شأن بنى العرب فيها مسجدا في وجه بوارقشتالة اسمه مجريط وذلك في القرن العاشر

ثم لما أخذ الاسبانيون يسترجعون البلاد مستفيدين من قتال العرب بعضهم لبعض (هذا المرض العربي الذي كان ولا يبرح رأس كل بلاد هذه الأمة) استرجع الازدقون السادس ملك قشتالة حصن مجريط بعد نحو ١٥٠ سنة من بناء العرب إياه ، والقصر المملوكى المسمى فى محل جامع كان مسجدا لقرية مجريط التى تحول اسمها الى مدريد لقرب مخرج الحليم من الدال وقرب مخرج الدال من التاء أو الطاء ، ولكن الذى جعل مدريد مدريد هو فيليب الثانى ابن شارلكان ، وأما اختارها برغم حقولها باديتها وجذب ضائيتها لأجل توسطها من بلاد اسبانيا ، فمقسطة ضاربة الى الشمال الشرقى و برشلونة صبرى واقع فى طرف قرطبة مائلة الى الجنوب واشبيلية مهيمنة فى الغرب وهلم جرا ، فهذا عهدة مدريد وهى أحدث اسبانية تاريخا وأرقعت وانخفض ما كان مرتفعا قبلها والله يرث الأرض ومن عليها

ثالث يوم وصولى الى مجريط أو مدريد قصدت الى طليطلة التى لا تبعد عنها بسكة الحديد أكثر من ساعة ونصف فزرت تلك المدينة الشهيرة عاصمة الأندلس يوم قطعها العرب ، وشاهدت كل ما يشاهده السائح فيها وبقيت بطليطلة نحو ثمانى ساعات أبحث على آثار العرب وأدقق فى هذا القصر وهذا الجسر وتلك المنارة وهاتيك المأذنة وأقبل ذا الجدار وأمسح بذلك الركن حتى شفيت غلبي من طليطلة ، فقد كان فى نفسى منها ما كان فى نفس اقراء حتى كنت منذ عهد الحداثة أحفظ قول القائل :

زادت طليطلة على ما حدثوا به بلد عليه نضرة ونعيم

الله زينه فوشح خصمه به نهر المجرة والفصول نجوم

فرايتها كما قيل بلدة عالية مشرفة على نهر كبير هو نهر (تاجه) الذى يقضى الى البحر المحيط عند أشبونة (ليزبون) وقد انخفض النهر المذكور عن طليطلة وأحاط بها من الجهات الثلاث فهى لا تساوى البر إلا من جهتها الشمالية ، وعلى النهر بساتين وأشجار ، وفى ضفافه غياض وجنان ، ومنظر هذا النهر وما يليه من بساتين طليطلة من أبدع المناظر التى سرحت فيها طرف طرفى على رأى الكتاب ، وكذلك حصانها ظاهرة للعيان وقد قلت لما دخلتها : انه لا يمكن أن تؤخذ إلا بجوع أو بخيانة ، ولا سيما فى العصر الذى أخذت فيها ، وكنت أعلم من تاريخ الأندلس أن بنى ذى النون أساءوا التصرف فيها حتى آل الأمر الى استرداد الاسبانيول إياها قبل جمع حواضر الأندلس حاشا برشلونة ، فلما رجعت الى مدريد راجعت التواريخ بالتدقيق ، فأيدت المراجعة حدسى ، وقررت ما جال فى نفسى ، وتحريرا الخبر أن القادر بن ذى النون كان ضعيف التسدير فأنزل رأى فطمع فيه جيرانه من أمراء المسلمين وطفقوا يهتدون عليه ويتجاوزون ، فذهب الى الفونس السادس ملك قسطنطينية أوعلى حسب قول العرب الازدقون طاغية قشتالة وطلب حمايته ، وجاء الازدقون بجيش ومعه القادر بن ذى النون ليفتح له بلدته التى كانت هى أيضا تمردت عليه ووعدوه الازدقون بأنه يفتحونها ويقره فيها ، فلما دخلها بسبب تفرق كلمة أهلها قلب له ظهر الحين وأقطعته بلادا أخرى ، واستولى الازدقون على طليطلة وأعادها لحاضرة الملك كما كانت يوم دخل العرب الأندلس

وكم فى العالم الاسلامى من أمثال القادر بن ذى النون قديما وحديثا يستخدعون بأقارب الأعداء ويستسلمون اليهم ويثقون بهودهم حتى اذا ما تمكن هؤلاء بواسطتهم من مرادهم قلبوا طمس ظهر الحين وأرسلوهم يقرعون من الندم على تقصيرهم ولسكن حين لا ينفع قوع النون على حسون الظن ، فكان استرداد

الاسباب لطلب طائفة مبدأ مصيبة الأندلس لأنه بأخذها أخذ الأذفنى اقلها طويلا عريضا فيه ثمانون منبرا ،
ودخل في وسط بلاد الاسلام منها ، فخال بين قرطبة وغرناطة من الغرب ، وسرقطة ولاوية وقلمة أيوب
من الشرق حتى قال الشاعر :

الثوب يفسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة مفسولا من الوسط

والى هنا تمت المقالة الأولى

المقالة الثانية

ثم انه لما استوثق اصحاب قشتالة اصر طائفة وتمكن بها طمع في قرطبة ومازال حتى أخذها ، ثم في
أشبيلية ومازال حتى أخذها ، وانهار بعد ذلك ذلك الاسلام بالأندلس ، ولولا نجدة المرابطين ثم الموحدين
من أفر يقية اسقطت الأندلس قبل أن سقطت بنحو (٣٥٠ سنة) فأبناء ناشفين ثم من بعدهم أبناء
عبد المؤمن هم الذين شاء الله أن ينسأوا أجل الاسلام في اسبانيا تلك المدة ، وأما السبب في ملك ابن ذى النون
لطائفة وجلبه الأذفنى إليها فهو انصداع الخلافة في قرطبة وتشظى عصاها بتوالى الفتن ، حتى لما رأى
أصراء الأطراف أن أمر الخلافة لم يعد جميعا استقل كل أمير منهم بما بيده ، فابن ذى النون بطليطلة وابن
هود بسرقسطة ، وابن عباد بأشبيلية ، وابن صامح بالرية ، وابن الأفطس ببطليوس وهلم جرا .
وهؤلاء هم الذين يقال لهم ملوك الطوائف ، لم يكن لهم شغل إلا مقاتلة بعضهم بعضا بينا العدو يلبتهم
منهم جميعا كل يوم قطرا : وهم مع ذلك عن غيهم لا ينتهون

ولذلك ولشدة ما عانى مساعو الأندلس من ملوك الطوائف عند ما نصرهم يوسف بن ناشفين رحمه الله
في وقعة الزلاقة وأراد القبول الى افرقية فزع اليه الفقهاء وقالوا : انك بمجرّد ما ترجع يرجع هؤلاء الى
الظلم والعسف ومقاتلة بعضهم بعضا واستنجد الطاغية على المسلمين فترجو منك أن تريحنا منهم وتقوم بما
أخذ الله عليك وهكذا أقنعوه بأن يبسط يده على الأندلس كلها ويقضى على ملوك الطوائف ، وجاءت
الفتاوى بمثل ذلك الى ابن ناشفين من الشرق حتى قيل ان الامام الغزالى أفتاه بالاستيلاء على الأندلس
إزالة لمرة ملوك الطوائف ، وليس لى أدنى اعتراض على ما فعل ولو كان ابن عباد صاحب أشبيلية خليا
وكنا نحن ننتهى الى ارومة واحدة وكان ابن هود الجندى جدّا لصديقى خالد بك القرقى من عيون أعيان
طرابلس الغرب ، وهذا عدا أن نجما وجنداما كانتا قبيلة واحدة تقرىبا

وقصارى ما أعترض أنا فيه على يوسف بن ناشفين في نفيه المعتمد الى انغمات التقصير معه في أمر معيشته
فقد كان يمكنه أن يرفه عيشه ، أو يسد خلته ، ولو كان منفيا

ولم تنجم دويلات الطوائف هذه إلا بسبب سقوط الخلافة في قرطبة ، ولما كان حبل الخلافة مستحصفا
كانت الوحدة تامة ، وكان الاسلام مهيبا ، وكان المسلمون في اسبانيا نحو ١٥ مليونا ، وكانت قرطبة وحدها
ذات مليون ومائى ألف نسمة ، وكان وكان

فلما انتسكت حبل الخلافة ، وانصدعت الوحدة ساءت الحال ، وتفرق الناس ، وزالت الهيبة ، وذلت
العرب ، وبعد أن كان الناس لهم خولا صاروا هم خولا للناس

هذه هي الخلافة التى يقول بعض الناس اليوم انها لم تفد الاسلام بشيء ، بل يقولون انها كانت وبالا
على المسلمين ، وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع ، ولا سيما العرب الذين هم كما قال
العمان ابن المنذر اكسرى : « تراهم كلهم ماوكا »

وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ماوكا ينهى أمرها بأن يملك أمرها الأجانب ولا يبقى لها ملوك

وأعود الى طليطلة فأقول : عند ما كنت أقرأ :

طليطلة أدال الله منها * سواها ، إن ذا نبأ كبير
فليس نظيرها إيوان كسرى * ولانها الخورنق والسدير

كنت أقول : ماذا عساها أن تسكون هذه التي لا يحاكيها إيوان كسرى ولا يرتفع الى مستواها الخورنق والسدير ؟ فلما رأيتهما وجدت من صيانة موقعها ، ومنعة أسوارها القسدية المبينة طبقا دلي طابق ما أكد لي قول هذا الشاعر وعلمت أن سقوط طليطلة هو بالفعل نبأ كبير ، لأن العرب لما أخذوا طليطلة ملكوا جميع ديار الأندلس ، ولأن صاحب قشتالة لما دخل طليطلة بدأ الانهيار في جدار العرب ، ثم لماتت كرت قوله :
جوامعها كنائس أي قلب * على هذا يقر ولا يطير

لحظت أن ناظم هذه القصيدة إنما نطقها ثاني سنة فتح الأذفونش لها لأنه بحسب شروط تسليم طليطلة له كان تقرر بقاء المسجد الجامع للمسلمين ووعد الأذفونش بمراعاة حقوقهم وأحسن معاملتهم في البداية ووزع مائة ألف دينار على ضفافهم حتى يعملوا ويحرقوا ، وهذا كله حتى يخفد أعضائهم ويفري غيرهم بالاستسلام ، وقد أفلح في سياسته هذه ، وخدع منهم خلقا كثيرا ، ولكنه بعد ذلك نقض كل عهد عاهد به وأعاد المسجد الجامع وغيره كنائس وشاهدت تلك الكنيسة العظيمة وهي مبنية بمكان المسجد ولم يبق من المسجد الأصلي إلا قسم قليل

والبيوت في طليطلة لم يبق منها إلا قليل من القديم ، ولكن صفة البلدة في ضيق شوارعها ودخول بعضها في بعض لا تزال كما كانت كأما العرب لم يخرجوا منها إلا من خمسين سنة ، وقد بقيت اللغة العربية لغة أهل طليطلة حتى بعد رجوعها للإسبانيول نحو خمسمائة سنة يتكلم ، ويكتب بها المسلمون والمسيحيون معا ، ثم خلت طليطلة من المسلمين ، فبقى المسيحيون وحدهم ، وكذلك بقي اليهود ، ولبت لقتهم هي العربية ، وبقى طرز بنائهم ، وأسلوب معيشتهم غربيين ، واستمر ذلك الى سنة ١٥٨٠ مع ان ارتجاع الإسبانيول إليها كان سنة ١٥٨٥

وكان لنصارى طليطلة طقوس دينية خاصة بهم بقل انهم أخذوها عن القوط القدماء ، وليست بالتمام مطابقة للطقس اللاتيني ، ولما كانت طليطلة تحت سيطرة خلفاء بني أمية أي تبعا لقرطبة كان للنصارى المستعربين فيها أساقفة كما لنصارى قرطبة ، وقد كان لمطران طليطلة في زمان الخليفة عبد الرحمن الناصر أسقف يقال له عبد الله بن قاسم ، وقد أطلعني الاستاذ آسين بالاسيوس أعظم مستشرقى الإسبانيول على أربعة مجلدات مطبوعة حديثا تتضمن الوثائق والصكوك العربية الباقية كانت في خزانة الكنيسة بطليطلة يستدل منها على أن اللغة العربية كانت هي اللغة السائدة في تلك البلدة وما جاورها الى نحو سنة ١٦٠٠ ولقد نسخت بعض أموزجات من هذه الوثائق وهذا كاف من خبر طليطلة ، بل هذا زائد على القدر اللازم لأن جميع هذه المباحث يجب ادخالها (للحلة السندسية ، في الرحلة الأندلسية) وما جاء منها هنا هو محض اعتداء على (الحلة) وابتسار من ثمرات الرحلة ، فن شاء فليراجع الأخبار في آئها وكنها . انتهت
المقالة الثانية

المقالة الثالثة

الجامعة الاسلامية لم تسكن يوما من الأيام بالمعنى الذي شاعت أوروبا تسميتها به لاني العصور الأخيرة ولا في العصور الأولى من الاسلام ، طبعا ان القرآن يوصي المؤمن أن يكون دائما الى جانب أخيه ، وأن لا يفرق قضيته عن قضيته ، غير انه يأمره أيضا بأن لا يؤبد لإقضية عادلة ، وأن يقيم العدل الصحيح تجاه

كل الناس دون ماتفریق فلا يمكن والحالة هذه أن يكون في الإسلام مسألة مناصرة مؤمن غير مؤمن لمجرد كونه مسلما ، جاء في القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » إن القرآن وسنة الرسول مليان بالمواعظ الحثية على إقامة العدل دون ماتفریق ، الحق والحقيقة هما الله ولقد قال النبي ﷺ مرة « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فسئل : كيف يهين أخاه ظالما ؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام : إذا كفت أخاك عن الظلم فقد نصرته . ولكن إذا كان المؤمن مظلوما أينما كان وكيفما كان فإن القرآن يجعل مهونته فرضا مقدسا إلا أنه ينبغي ذكر أن امكان هذه المساعدة بين المسلمين يجب أن يكون ثابتا ، ويجب أن تكون درجة هذه المساعدة موضع الدرس ، فلا يمكن مطلقا أن يطلب من المؤمن ما لا يستطيع ، فالأقربون أولى بالمعروف والقرآن صريح في هذه النقطة ، واليك الشروط التعاونية التي أمر بها الدين الاسلامي

فالمسلمون تعاونوا بعضهم مع بعض غالبا أدبيا وعقليا وسياسيا واقتصاديا وماديا ، والاسلام يتدم الأمثلة الناصحة على هذا التضامن ، بيد أنه لم يتخذ في زمن من الأزمان شكلا عاما عالميا ، فالخلافة الموحدة في الاسلام لم تدم إلا مدة حكم الخلفاء الأربعة الأول ، حتى ان خلافة علي كانت منشأ انشقاق هائل وحرب دامية بين المؤمنين ، حرب أولدت الانقسام بين السنة والشيعة ، فبعد عهد الأمويين في الشام ووحدة الخلافة تعرضت لصدمة عظيمة من قبل ثورة ابن الزبير الذي انتزع منهم الحجاز مدة خمس عشرة سنة . لكن في الاجال ظلت الأبراطورية الاسلامية موحدة ، وهذه الحال استمرت زهاء قرن حتى سقطت الأمويين وقيام العباسيين الذين نقلوا قاعدة الخلافة من دمشق الى بغداد ، وفي ذلك الحين استطاع أحد الهاربيين من بني أمية أن ينجو من سيف العباسيين فقصده اسبانيا التي كان الاستيلاء عليها حديث العهد ، لكي يقيم فيها دولة مستقلة عن خصومه ، ثم ان عبيد الرحمن الأول وهو المسمى بصقر قرش لم يجرؤ وهو مستقل على اتخاذ لقب الخلافة لنفسه ، وظلت الادعية العامة في الأندلس تدعى أمامه باسم خلفاء بغداد ، وانما عبد الرحمن الثالث الفاتح الشهير الذي أخضع كل اسبانيا وجنوبي فرنسا وكل شمالي افريقيا والذي كان أبرز حاكم في زمانه (القرن الثالث للهجرة) هو الذي تجرأ على أن يتخذ لقب خليفة بالرغم من وجود الخلفاء العباسيين في بغداد ، وعندئذ قامت عدة دول اسلامية مستقلة بعضها عن بعض ، فالعباسيون في بغداد والأمويون في قرطبة ، وفي حين من الدهر كان الادريسيون في المغرب ، ثم قامت أسرة ملكية أخرى تحدث انقساما جديدا وهي أسرة الفاطميين خلفاء القاهرة (القرن الخامس للهجرة استطال حكمها حتى القرن الحادي عشر) ومن ذلك الحين فقدت الوحدة الاسلامية كقوة سياسية ، ولم يهد التضامن الى تلك الممالك المتحدة ، وكان معترفا للعباسيين بشيء من التفوق الأدبي ليس غير ، وكان يبدو أحيانا مظهر للتضامن الأدبي حتى والمادى في البلاد الاسلامية لكنه لم يتجاوز حدود التضامن الذي كان ممارسا في البلاد المسيحية وقد قدمت الدول المسيحية في القرون الوسطى تجاه الاسلام مثالا للوحدة التي كانت مفقودة عند الدول الاسلامية ، وذلك بتضافر الفرنسيين والألمان والفاصلين والانكلز والطليان الخ ، كتلة واحدة لحرب المسلمين في الشرق ، فقاموا بأحدى عشرة حملة صليبية ، ومن جهة ثانية رأينا أن المسلمين لما أرادوا صد تلك الحملات لم يتحدوا إلا فيما بين المصريين والسوريين وسكان ما بين النهرين ، وهؤلاء جميعا ليسوا إلا جزءا من المسلمين وعشا نادى صلاح الدين ودعا مسلمي المغرب لتؤازره حكوماتهم بأساطيلها القوية ، ولأنهم لبوا دعوته لاستطاعوا أن يحولوا دون نزول الحملات الصليبية

وإن كان بين مسلمي افريقيا ومسلمي الأندلس تضامن تجلى بتقديم الجيوش فقد كان ازاء ذلك أكثرية

منهم بجانب الشعوب المسيحية ، ولتكن بين الشرق الاسلامي والغرب الاسلامي لم يسطر التاريخ أعمالا عسكرية تبودات بشكل عام ، وقد وقع فقط أن أهل تونس والجزائر وطرابلس الذين كانوا أقلية تجار الدول المسيحية دعوا لنجاتهم الدولة العثمانية ، وقد سارع السلطان سليمان القانوني لوضع هذه البلاد تحت سيطرته إمارعة في القتض ، وأما في التضامن الاسلامي ، وأما لاقامة التوازن بين قوته وقوة شارلكان وقد صرّ حسين من الدهر لم يكن في البحر المتوسط سوى أسطولين : أحدهما اسلامي تحت قيادة خير الدين بربروس ، والآخر مسيحي . انتهت المقالة الثالثة

الفصل الثالث

في أن القرآن ذكر للمسلمين عجزها والعرب خصوصا
في النهضة الحالية

ولأقدم مقدمة فأقول : أعلم أيها القارئ أني كما ذكرت سابقا مولود بقرية من قرى مديرية الشرقية تسمى (كفر عوض الله تنجاري) وقد كان ذلك أيام الظلم والاعتساف ، والجور والقسوة ، فكان الحكام أعظم خناق الله ، وكانت الرعية جارية على سنن الرعاة ، فلا قوى كان يظالم الأضعف ، وكنت أرى أن الأقوياء والأغنياء يتحكمون في الضعفاء ، فيرسلونهم إلى أعمال الحفر في الجسور والترع التي لا أجرا عليها من الحكومة بل هي مجرد ظلم واسترقاق وإرهاق ، ولكن كانت الحكومة المصرية تثقل من حسن إلى أحسن سنة فسنة حتى استتب الأمن في البلاد وعرف كل ذي حق حقه ، وفي أثناء تلك المدة دخلت الأزهر فدرسة دارالعلوم فصرت مدرّسا ، وهناك أخذت أولف الكتب لنشرها بين المسلمين قياما بما عاهدت الله عليه أني إذا عرفت الحقائق العلمية جعلت حياتي وقفا على تعليم ورقّ المسلمين كي لا يستسلموا للشك الذي آذاني وأقلق بالي ، وأخذت أعرض الكتب على ذوي الرأي في البلاد حتى إذا وجد أحدهم عيبا دلني عليه وكان حديثي المتقدم مع المرحوم لطيف باشا سليم وتواتت الجمعيات في مصر كحزب الوفد المصري وحزب الأحرار الدستوريين وغيرهما وهذا كله مصداق لما رأيته من قبل ، وقد ظهرت في هذه الأيام جمعية الشبان المسلمين ولها فروع في الجزائر وتونس والشام والعراق وأمريكا ، وهكذا جمعيات أخرى كجمعية المواطنة والجمعية الجغرافية وغيرهما ، وكل في الأقطار العربية من جمعيات أدت أعمالا عظيمة وأكثرها ظهرت بعد الحرب الكبرى ، وجميع البلاد الناطقة بالضاد اليوم تطلب الاستقلال ، فانظروا ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٩ وهذا نصه :

الانتداب في البلدان العربية

بقلم الكتبتن غوردون كانتج

المقال الأول

كان من أعظم أسباب سقوط الأمبراطوريات القديمة اسراف القوة الرئيسية تدريجا بالتوسع المطرد في الممتلكات ، ونرى في عصرنا هذا أن الأمبراطورية البريطانية والأمبراطورية الفرنسية في خطر الانحلال لهذا السبب نفسه ، إن مستشاري الأمبراطوريتين ويأوح انهم من طراز قديم (سابق لتاريخ البشر) ممن لهم خبرة بفنون الحرب يصرّحون أن الضرورة تقضي بصيانة الممتلكات الموجودة بضم ممتلكات أخرى . مهلوم أن زيت البترول باب من أهم مطالب العالم في هذه الأيام فأصبحت موارده من الضرورات الأولية لحيات الدول العالمية ، فالبترول اذن كان من العوامل التي اجتذبت انكثرا إلى العراق وفلسطين وإيران التي اضطرت بحكم أحوال خصوصية إلى الانسحاب منها ، ومتى كانت انكثرا موطدة في العراق وفلسطين

ففرنسا لا يمكنها أن تتخلى عن بقعة بحاجورة ترتكز اليها وتتخذها قاعدة لحماية مصالحها ، وهذا ما بحث على عقد اتفاق (سيكس-بيكو) وتنفيذ هذا الاتفاق كان مضرا بالاتفاق الذي عقد بين الملك حسين والحكومة البريطانية مع انه كان في تاريخ سابق لاتفاق (سيكس-بيكو) وهما يدل على أن انكيترا قد سلمت بأنها حثت عهدها مع الملك حسين أنها أوجدت عرش العراق للملك فيصل بعد ما طردته السلطات الفرنسية من سورية ، وقد أثر ذلك تأثيرا سيئا في سمعة انكيترا وهيبتها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط لأن العناصر العربية أدركت انها سمعت لشار أقوى وأقدر ، فقد كانت مقتضيات مواصلة الحرب أهم من كل شيء وفوق كل شيء ، حتى ان الشرف البريطاني ترك جانبا وعدة من سقط المتاع ، وكانت هذه الاتفاقات الحربية المختلفة هي السبب الأكبر التي جعلت معاهدة فرساي وغيرها من المعاهدات شوما وهولا وأسباب القلق الحالي وعدم الارتياح بين ملايين من الناس ، والفاية من مقالتي هذه أن أقترح علاجا لمسألة بلدان الانتداب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط التي عانت هول تلك المعاهدات وفي أي علاج يتناول مصالح عدة أم لا يمكن لأية أمة منها أن تكون راضية كل الرضاء ، ولا بد من مراعاة مبدأ الأخذ والعطاء من كل جانب

وللبحث في هذه المسألة لا أرى من الضرورة الدخول في تفاصيل ادارة شؤون بلدان الانتداب خلال الثمان سنوات الأخيرة لأن هذه الوجهة من المسألة كانت موضوع البحث في عدة جرائد ومؤلفات ، فالغلاطات التعيسة والأخطاء المحزنة التي ارتكبتها فرنسا وانكيترا قد اعترف بها ، رايست المصاعب التي جابهتها كلاهما مما يستحق العتاب لأنها من المصاعب التي أوجدتها انكيترا وفرنسا ، وقد أصلمحت انكيترا جانبا عظيما من اخطائها ولا سيما علاقاتها مع العراق ، وأخذت فرنسا بارشاد المسيويوسوتحاول اصلاح عواقب ادارتها للوضعية في سورية ، إن الفلطة الرئيسية التي ارتكبتها كل من انكيترا وفرنسا هي عدم العمل بمقتضى البند الثامن والعشرين من عهد جمعية الأمم ، وقد قالت المس (هويت) في كتابها عن الانتدابات مايلي :

« أما اذا كانت هذه الرغائب قد نفذت فأمر مبهم غامض ، وأما اذا كان هناك لأولئك الناس رغائب جليلة فأمر أغمض وأكثر ايهاما . وبالحققة وواقع الأمر أن أهل بلدان الانتداب لم يستشاروا » والأسلوب الذي أتبع في هذه البلدان في تقسيمها الى دويلات أوجد على سطح الكرة الأرضية بلقان أخرى وهو أسلوب سقيم من الوجهة الاقتصادية نظرا للتعريفات الجركية بين تلك الدويلات وعرقلتها لحركة التجارة . وبلدان الانتداب المعروفة بحرف (ا) هي كما يلي :

(١) — (العراق) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في سبتمبر

سنة ١٩٢٤ ويبلغ عدد سكانه ثلاثة ملايين

(٢) — (سورية) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في يوليو

سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٢٢٥٠٠٠٠ من المساهين و ٤٠٠٠٠٠ من الدرور و ٤٠٠٠٠٠

من المسيحيين منهم ١٥٠٠٠٠ ماروني

(٣) — (فلسطين) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في شهر

يوليو سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠٠٠ نفس ٨٧ في المئة منهم عرب

(٤) — (شرق الأردن) ويبلغ عدد سكانه ٢٠٠٠٠٠ نفس

وفي شبه جزيرة العرب بلدان تحت الحماية البريطانية وهي : عدن ، وعمان ، والكويت ، وبلدان

مستقلة وهي : نجد ، والحجاز والعسير واليمن وحضرموت ، وجميع عدد سكان هذه البلدان كلها يتراوح بين

خمس عشرة مليونا وعشرين مليون نسمة . أما اذا كان اصطلاح الانتداب قد وضع على قاعدة المثل الأعلى

أوابتكر كرادف للضم والتملك فليس من موضوع البحث في مقالتي هذه ، ولكن الأرجح أن جانبا عظيما

من عدد السكان الميين آنفا متعدد في مطالبه ورغبته في التخلص من الوصاية الأجنبية وإن كان مختلف الأحزاب غير متفقة على شكل الحكومة التي يجب أن تحمل محل حكومة الانتداب أو دولة الحماية فهل مقاضيات الأمية الطورية البريطانية تتطلب أن تكون انكلترا في فلسطين والعراق وشرق الأردن وهل من الضروري أن تكون فرنسا في سورية؟ إن جواب البلدين هو (نعم) فإذا كانت إحدى الدولتين في سورية لابد أن تكون الأخرى في فلسطين والعكس بالعكس، وتقول انكلترا: نعم لا دافع عن قناة السويس ضد مهاجمتها من الشرق، ولا دافع عن مصالح بريطانيا في بترول الموصل والحيرة. وتقول فرنسا: نعم لا دافع عن خط أنابيب البترول وسكة الحديد المزمع مدها إلى الموصل وبغداد ومن كل منهما إلى حيفا، وهذه الفكرة الثانية لتنمية التجارة ومصالح الصناعات، ويتبعها ويترب عليها الحماية العسكرية، وهكذا تظل الدول الأوروبية الإدارية تثير مشكلة متجذبة من الرأي العدائي في تلك البلاد الذي قد يصبح بقوة الاتحاد قوة خطيرة، فالأفضل والحالة هذه الاعتماد على عقل سكان البلاد وعلى عهد صداقة يقوم على قاعدة التعاون التجاري والسكسب المتبادل

والسبب الأول يمكن درأه باتفاق متبادل يعقد بين انكلترا وفرنسا للانسحاب في وقت واحد من سورية وفلسطين وشرق الأردن، ولكن فرنسا تقول: « محال عليّ أن لأحجى الأقلية المسيحية » ولكننا نرى اليوم أن هذه الأقلية المسيحية هي أيضا تطلب مجلاء فرنسا عن البلاد، وتقول انكلترا: « إن ذلك مستحيل لا يمكننا أن ننسحب وندع الاسرائيليين تحت رجة العرب » ومع هذا فإن اليهود والعرب كانوا في عهد تركيا عاشين معا في وفاق تام، إن تصرح بالثور هو سبب الاضطراب الحالي بين العرب واليهود، إن تأسيس هذا الوطن القومي لليهود لم يلق تعضيدا حقيقيا من زعماء اليهود، فقد أيدوا الفكرة عن غير طيبة خاطر ماليا وأديبا ولم يوافقوا قط على فكرة مضادة محل اقامتهم للاقامة بذلك الوطن القومي، وقد كان معظم المهاجرين من اليهود القاطنين في شرق أوروبا الذين ذاقوا النذل والهوان، وعانوا الشيء الكثير من الاضطهاد والظلم، وقد برهنت الأيام على أن الصهيونية صناعة خائبة عقيمة وجناية سياسية، فالصهيونيون المقيمون الآن بفلسطين قد وجدوا هناك بمساعي انكلترا وجهودها ولا بد من الاعتراف بهم وحمايتهم ومساعدتهم

نعم يجب الوصول إلى اتفاق متبادل بين فرنسا وانكلترا تتفقان فيه على سحب كل شيء فيه شبهة العسكرية من سورية وفلسطين وشرق الأردن وأن يقدموا للبلاد خبراء لتنمية فن الإدارة الحكومية والفنون والصناعات عند ما يطلب منهم العرب ذلك بأنفسهم، والحامية البريطانية التي تسحب من مصر وفلسطين يمكن أن تعسكر لمدة ١٥ سنة في جوار بورت فؤاد بعد استئذان الحكومة المصرية فتكون منها قوة مركزية متأهبة في أية لحظة للدفاع عن مصالح بريطانيا العظمى في شرق البحر الأبيض المتوسط وللتعاون مع الحكومة المصرية على حماية القناة ودرء الاعتداء على حرية الشعب المصري، ولكن قبلا يتسنى نقل هذا الاقتراح إلى حيز الفعل يجب على العرب أن يمدوا أيديهم للعمل ويقدموا برهانا حاسما على استطاعتهم إيجاد مشروع ابتكاري يتسنى به ملافاة حدوث الفوضى عند ما تنسحب القوات البريطانية والفرنسية من البلاد، فعلى نواب العرب أن يقدموا مشروعا يبينون به ما يلي:

- (١) انهم أهل لإدارة شؤون بلادهم بأنفسهم وأن الانتداب صار غير لازم
- (٢) إن جميع المشروعات التجارية مثل سكك حديد بغداد وحيفا ومناجم البترول في الموصل والحيرة تقدم لها التسهيلات اللازمة لترقيتها وانماؤها، وأن يسمح للمشروعات الأوروبية بالاشتراك مع المشروعات العربية أن ترقى مؤهلات البلاد التجارية والصناعية تحت شروط عادلة مرسومة للجميع
- (٣) أن تستطيع الحكومات العربية تقديم الضمان الوافي لتأمين معاملة الأقليات المسيحية في سورية

والأقلية اليهودية في فلسطين وتنفذه ، وأن تمنح الوطن النوي اليهودي قسما معيناً من الحكم الذاتي ، وهذا الوطن القوي يجب أن يكون مثلاً مصغراً لمركز روي تقي فقط
(٤) أن يستطيع زعماء نواب العرب أن يقتضوا برهاناً سياسياً على موافقتهم على إنشاء إجماع دول عربية تحت سيطرة ابن السعود إذا كان ذلك ممكناً . وبهذا تم الكلام على المقال الأول

المقال الثاني

يعتقد معظم الناس أن العرب يحجزون عن اظهار مقدراتهم بتقديم خطة انشائية ، أما أنا فأعتقد أنهم قادرون ليس بناء على تاريخ عتصرهم الماضي فقط بل لبا يحجزه أبناء العرب المهاجرون من النجاح الباهر في المراكز الصناعية والتجارية المصرية في بوتس ايرس ونيويورك وغيرها من أنحاء العالم المتمدن ، وليس من الضروري الرجوع بالقارئ الى الحكومات العربية السديرة الخطوات في اليهود الغابرة ، وحسبي أن أقول انه في القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخلفاء الراشدين بغداد كان في وسع التاجر المتجول أن يسافر من البصرة الى دمشق مثقلاً بالسلع بغير أن يعتدى عليه أحد ، وفي عام ٩٨٠ ميلادية كان المسافر يقطع الشقة بين المهديّة والقاهرة بلاخوف ولاوجل من قطاع الطرق ، فإذا كان العرب قد استطاعوا في تلك الأيام تأمين الطرق بهذه الكيفية ، فن الأكيد المحقق أنهم قادرون على ذلك في هذه الأيام ، ولا بد لنا من التسليم أنهم يحجزون هذه المقدرة بالارث ، ولكن هل يحجزون الإرادة والعزيمة على اظهار هذه المقدرة ؟ ان على العرب أن يبرهنوا على ذلك الآن ، ولا يكفي أنهم شديدي الرغبة في طرد المعلم من بلادهم ، فهذا لا يعدو سياسة الطرد . ولكن يجب عليهم أن يظهروا مقدراتهم على التمسير والانشاء . أما فيما يتعلق بالخوف التي قد تنطرق الى قلوب الانكليز بأن الأقليات المسيحية واليهودية لا تطبق الأغلبية الاسلامية فلا بد من قول شيء في ذلك .

إن الأقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في البلدان الاسلامية الى أن تآنى دولة أوربية وتستخدم تلك الأقليات لقلب الحالة كما حدثت في مسألة الأرمن والأترك . نعم انه في الأنحاء البعيدة المنعزلة عن العالم الاسلامي قد لا يتجاوز الأمر من تعصب ضد المذاهب الأخرى ، ولكن هذا كان كذلك بين مختلف الطوائف المسيحية . على أن زعماء العرب في هذا العصر وفي العصور السابقة كانوا دائماً يعملون على تلافى هذا التنافر واصلاح ذات البين ، فإذا كان التعصب الديني قد أخذ مجراه في زمن من الأزمنة فقد كان المسلمون من غير مذهب الحاكم يناهضون الاضطهاد ما ينال المسيحيين ، ومن الواجب أن تتحد مبادئ نجران كالمثل الأعلى للزعيم المسلم ، وكلمة الامام علي رضي الله عنه : « إن دم الذي كدم المسلم » هي أيضاً خير مثال

واليوم نرى الموازنة في لبنان والمسيحيين العرب في فلسطين ومسلمي الشام وفلسطين والعراق قد أخذوا يعرضون عن الفوارق في المذاهب والعقائد ويجتهدون الى المثل الأعلى والمذهب العميم وهو أننا جميعاً اخوان في الانسانية ، وأول خطوة في هذا السبيل هي السعي الى توحيد بلاد العرب ، وقد أخذ أبناء العرب المثقفون المتثورون في هذه الأيام يتطلعون الى هذه الغاية ويثبون الدعوة اليها في عدة أنحاء وزعماء العرب أدري مني بالمنهج الذي يجب أن يتبعه للوصول الى الوحدة العربية والتخلص من وصاية الأجنبي والتقدم الحديث في التعاون مع خير الطبقات الاوربية ، وانى أقترح مايلي على سبيل التجربة :

﴿ أولاً ﴾ المبادرة الى عقد مؤتمر في القاهرة يدعى اليه مندوبون من جميع البلدان العربية

(ثانياً) ينتخب هذا المؤتمر مجلساً دائماً يكون مقره في القاهرة أو جدة أو الشام (ولما كانت القاهرة مركزاً حسناً تتوفر فيها أسباب المواصلات مع جميع بقاع الأرض العربية قد تكون لائقة لأن تصبح بمثابة جنيف للعرب)

(ثالثاً) على هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر كل سنة أو سنتين

(رابعاً) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الاجراءات اللازمة لايحاد اتحاد عربي وأن ينتخب زعماءه ويتفق على زعيمه الأكبر

(خامساً) تكون مهمته توحيد الأمة العربية بحث دعوة مبدية على الفطنة والحذافة

(سادساً) يجب وضع خطة للتعليم يمكن كل دولة في خلال الخمس عشرة سنة المقبلة من الحصول على سيل مطرد من الشبان المتدربين على فن الادارة الحكومية والعلوم والفنون والشئون الصحية وما الى ذلك

فاذا استطاع العرب أن يصلوا الى هذا التوحيد فيحتمل أن تتمكن انكارترا من رفع حاجتها عن جميع البلدان العربية عدا عدن ، وأن تعقد معاهدة صداقة ومحافة بين سلطات الاتحاد العربي والامبراطورية البريطانية ، وانى أعتقد أن حلا كهذا يكون ضماناً أفضل لسلامة المواصلات الامبراطورية وبتوطيد أركان القوة في هذه البلدان من الشرق الأوسط وتوحيدهما تتخلص الامبراطورية البريطانية من اتفاق عدة ملايين من الجنيهاً كل عام

ويغلب على ظنى أن العرب يجب أن لا يتصوروا وهم لا يتصورون أنه يقضى لهم الوصول الى هذه الغاية بغير مساعدة من الغرب ، ويجب أن لا يعزب عن بال انكارترا وفرنسا أن أمة تحت التدريب والتعليم لا يمكن أن تحوز المسؤولية اللازمة إلا بالممارسة والاختبار ، وبهما دون سواهما تعلم هذه الأمة اجتناب الأخطار والوصول الى مستوى مرض من الحكم الذاتى ، وزعامة الدعوة الى الوسادة العربية يجب أن تخرج من دمشق ، وربما قبل مضي وقت طويل يعود العالم العربي الى ازدهاره ويناغته ، ويدهش العالم بثقافته وعلمه كما كان فى سالف الأحقاب

وما هو تأثير هذا كله فى انكارترا فيما يتعلق بالامبراطورية البريطانية ؟ الجواب عن ذلك من الوجهة السلبية أنه يوجد القوة العسكرية فى مركز واحد ويقال من تبعه التورط ويؤدى الى اقتصاد المال ، ومن الوجهة الايجابية الابتكارية يضم جميع العنصر العربى الى دائرة الصداقة الخالصة ، ويوجد زبائن أقوياء أغنياء بالتقدم فى المعيشة العصرية وبالتعاون التجارى الوثيق مع الغرب ، وحيث كان زبون واحد فى الماضى يقوم اثنا عشر زبونا جديدا محله

إن مشروعا كهذا يتطلب وقتاً للنضوج ، ولكن الوقت لا يجدى ولا يغنى قليلاً اذا كان زعماء العرب فى هذا العصر لا يهتمون التربة ويتعهدونها بسماد العقل والفطنة وينثرون فيها بذور الاتحاد والوثام ، ولا نهش هذا المشروع وابلأغه طور الازدهار والابتناع يجب أيضاً أن تنقى أرضه من الأعشاب البرية ، وأن يروى ويسقى ليس بمساعى زعماء العرب الشجعان فحسب ، بل بمساعى الاوروبيين أيضاً ولا سيما الرجال الانكليز ذوى البصيرة النيرة والنية الحسنة

ولكى ينتج هذا المشروع خير النتائج من الضرورى الحصول على تعاضد انكارترا ومعاونتها ، فالعرب أن يقتبسوا العلوم عن الألمان والفنون عن الفرنسيين ، ولكن العلوم السياسية وفن معاملة المذاهب المختلفة ، وتحمل الفوارق الدينية ، وواجبات الشرف والازاهة يجب أن يتعلموها من انكارترا ومحبى الرجال

الانكاز ، وقد يطول العمر على ثقافة انكازا وتبقى مكرمة محترمة صرخوبا فيها خلال أجيال كثيرة مقبلة ويكون مثلها مثل ثقافة الرومان والعرب في هذا العصر .
وأختم مقالى هذا بكلمات أوناموتو : « إني أقصد الحث واذكاء وطيس الحساسة والافتراح لا الارشاد والتعليم » والى هنا تم الكلام على المقالين للسكاتب النزيه غوردون كانج

الفصل الرابع

في تأكيد الفصل الثالث وذلك بمقالين

المقال الأول

التنافس الدولي ونصيب العرب منه

جاء في إحدى جرائدنا المصرية في يوم الأربعاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هجرية مايقال :
إن القاعدة التي بنيت عليها مدينة القرن العشرين « الحق للقة » وعلى هذا الأساس أصبح التنافس عظيما بين الدول العظمى في بناء الأساطيل ، وتدريب الجيوش ، والتفنن في ابتكار الآلات الجهنمية القاتلة لحيازة السيادة والتفرد بالنفوذ في هذا العالم مما أدى الى نشوب الحرب العظمى التي كان من نتائجها انهيار الأمبراطورية الألمانية وسقوط أكبر دولة حربية على وجه الأرض

إذا كانت الضغائن موجودة في الأفراد عند انتصار أحدهم على الآخر ومنعه من نيل ما يبتغيه والاستئثار به دون رفيقه ، فأحرى بها أن تسكن عند الدول الكبيرة وهكذا فإن ألمانيا التي كانت تطمح لفتح العالم أصبحت اليوم لاحول لها ولا طول لاترى بهين الرضا مايتبع به دول الحلفاء من ثمرات الانتصار وتفرتهم بالاستيلاء على بلاد العرب ، وإذا كانت عاجزة عن إثارة حرب ثانية تقضى بها على مايتبع به غرماؤها ، فلا تعدم غيرها من الوسائل خصوصا وهي تلك السولة التي دفعت سفينة العالم في اليم وجعلتها تائهة بين أمواجه المتلاطمة مدة أربع سنوات حتى رست على الشاطئ وهي محطمة

إن الشعب العربي يقطن أقطارا شاسعة ، وأغابها واقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط من خليج الاسكندرونه الى مضيق جبل طارق ، وهذا الشعب خاضع جميعه لنفوذ وسيطرة ثلاث دول كبيرة (الحلفاء) الأولى بريطانيا العظمى ولها الشطر الأهم ك مصر والسودان وجزء من سوريا الجنوبية والعراق وأغلب سواحل الجزيرة العربية ، والثانية فرنسا وفي يدها سوريا واقليم المغرب أوافريقيا الشمالية كتونس والجزائر ومراكش والثالثة إيطاليا وهي مستولية على طرابلس الغرب

فن هذا ترى أن بلاد العرب محصورة في يد هذه الدول الثلاث التي لم تزل تسعى وتجتهد لتفكيك عرى هذا الشعب وبث روح التنافر فيه بمختلف الوسائل ، فهذا مصرى وذلك سورى ، وهؤلاء عراقيون ، وأولئك مغاربة ، وبث سموم فكرة اللغات العاقية والسعى للتشويق الى الدول عن اللغة الفصحى التي هي الرباط الوحيد الذي يربط سبعين مليونا من العرب

ولما كان لهذه الدول من ينافسها في السيادة ولا يروق له أن تتحكم في هذه الشعوب جعل يناسبها العداة بمختلف الوسائل التي تقضى على نفوذها وسلطانها من حيث لا تشعر

إن التنافس بين انكازا وروسيا هو سبب بقاء الاستانة بيد الترك أو بقاء الدولة العثمانية الى زمن الحرب العظمى وكذلك بقاء الدولة الإيرانية . وهاتين الآن للمرة الثانية ترى التنافس بين ألمانيا ودول الحلفاء سيكون سببا لايحاد شيء من لاشيء وخلق كيان من السلام

إن الشعب العربي الذي قرّر المفكرون بأنه صائر إلى الانقراض بدأ يتعزّك ويحسّ بوجوده في هذا العالم بعد تلك الغيبة الطويلة ، وما هذا إلا بفضل ذلك الطبيب النطاسي الحاذق الذي أخذ على عاتقه إحياء هذا المريض ليحرم أعداءه من ترائه

إن الاجتماع العربي الكبير في (برلين) تمت اشراف لجنة الة فاع عن المغرب العربي وحضور مندوبين من جميع الأقطار العربية للاحتجاج على مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر أوّل قطر عربي احتله الأجنبي وإلقاء الخطاب النارية التي ترمي جميعها إلى وسادة العرب الكبرى مادو إلا أثر من آثار التنافس الدولي بين ألمانيا والحلفاء

وهكذا سوف نرى أن هذه المنافسة الخطيرة ستفضي إلى خفاق دولة (الاتحاد العربي العام) ومن يعيش يره ، أو كما قال شاعر العرب القديم

سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا به ، ويأتيسك بالأخبار من لم تزود
ويأتيسك بالأخبار من لم تبع له به ، بتانا ولم تضرب له وقت موعد
(البصرة - العراق) أبو الوليد

المقال الثاني

جاء في جريدة الاهرام يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م ما يأتي :

في المجمع النسائي العربي

قرّر المجمع النسائي العربي في بيروت وكذلك فروعه في البلدان العربية في الجلسة القانونية المنعقدة في أوّل نوفمبر سنة ١٩٢٩ م بعد الوقوف على آراء الأكثرية الساحقة من مفكرات وجعيات الأقطار كافة المسائل التالية :

(أولا) المبادرة إلى عقد المؤتمر الشرقي العربي الأوّل في مدينة دمشق قلب العرب النابض في أواخر

الربيع القادم لتعود المرأة العربية إلى ازدهارها ومناعتها ، ويدهش بثقافتها وعلمها كما كان في سالف الأحقاب ، وتنضم جميع العناصر النسائية إلى دائرة الصداقة الخالصة

(ثانيا) ينتخب لهذا المؤتمر مجلس أعلى من مفكرات هذه الأقطار ويكون له مركزان رئيسيان في دمشق والقاهرة

(ثالثا) على هذا المجلس الدائم أن يظلّ على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر في كل سنة منابرة في أقطار الشرق العربي

(رابعا) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الاجراءات اللازمة لإيجاد اتحاد نسائي شرقي عربي تكون مهمته توحيد الأمة العربية بث دعوة مبنية على الفطنة والحصافة

(خامسا) أن يكون هذا البيان كاعلان رسمي للجمعيات وأفراد المفكرات في الأقطار الآتي ذكرها وهي : مصر . تونس . طرابلس . الجزائر . برقة . مراکش . السودان . جنوب إفريقيا .

فلسطين ، شرق الأردن . العراق . الحجاز . اليمن . نجد . حوران . بلاد العلويين . سوريا لبنان . وبصورة منهجية يطلب الجميع آراء أخواتنا في المهجر ليشتركن معنا روحيا

(سادسا) ان المسائل الخمس الرئيسية التي ذكرت في برنامج المؤتمر وأضيفت إليها مسألة رعاية الطفل باقتراح النابغة (ح) سيتمنّع منها مواد شتى

(سابعا) إن هذا المؤتمر العام لا يراحم المؤتمرات المحلية بل يحترمها ويؤيد مقرراتها . انتهى المقال الثاني

الفصل الخامس

في أن الوطن اليهودي في فلسطين مما قرّر ارتفاع ذكر الأمم العربية جاء في إحدى المجلات العلمية وهي « السياسة الأسبوعية » في يوم السبت ٩ أغسطس سنة ١٩٣٠ تحت العنوان الآتي مافيه :

حديث للأستاذ محمد علي باشا

عن رحلته في فلسطين ودفاعه عن البراق ورأيه في الرابطة العربية عاد الأستاذ الكبير محمد علي باشا من الديار الفلسطينية بعد أن قضى في بيت المقدس زهاء عشرين يوماً أبلى فيها أحسن البلاء في الدفاع عن حقوق المسلمين والعرب في البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية ، وكان لدفاعه المجيد أثر خالده في الأوساط السياسية العربية وضجة عنيفة في الدوائر الصهيونية وقد رأى أحرار الجالية السورية بمصر أن يتحفوا زيارته ويهتفوا بسلامة الأربة ويشكروه على ما تحمله من المشاق ، ومقام به من جلائل الأعمال في تأييد حقوق العرب وتشجيع مزاعم الصهيونية ، فتألف وفد من هيئة إدارة جمعية الدفاع عن فلسطين وأعضاء حزب الشعب السوري برئاسة الأستاذ الزعيم الدكتور شهبندر وزاروا الأستاذ محمد علي باشا في منزله للقيام بواجب انتهته والشكر ، وقد رأى كاتب هذه السطور أن يغتم هذه السانحة فطرح على الباشا أسئلة عدة حول البراق والمسألة الفلسطينية والرابطة العربية ففضل معاليه وأجاب عليها بما يلي :

(س) لقد رفعت رأس مصر والشرق عالياً بما ناضت به عن حقوق العرب وتنفيذ المزاعم اليهودية الصهيونية في قضية البراق الشريف (جدار المبكى) فهل لكم أن تنفضوا بتمخيص الأسس التي بنيت عليها دفاعكم المجيد ؟

(ج) حينما اتصل بي نبأ إبحار اللجنة الدولية الى فلسطين للتحقيق في قضية البراق والنظر في شكاوى الفريقين المتنازعين والحجج التي يتدرّع كل منهما بها ، تحركت في نفسي عاطفة الغيرة على هذا المكان المقدس الذي تتجه نحوه أنظار ثلاثمائة مليون مسلم ونيف في جميع أقطار العالم ، ورأيت أن الواجب الديني والقومي يقضى على بأن أقبل دعوة اخواني الفلسطينيين ، وأقوم بقسطي في الدفاع عن ذلك الجدار الشريف فبرغم الأزمة الوزارية التي قامت في مصر ، وبرغم ما كنت أشعر به من الانحراف في صفتي لبيت نداء الواجب ووليت وجهي شطر بيت المقدس ، وبعد أن تعرّفت هناك الى أحرار البلاد ودست الموضوع من جميع أطرافه رأيت بالاتفاق مع سعادة الأستاذ أحمد زكي باشا ، وهيئة الدفاع أن نقسم أعمالنا الى ثلاثة أقسام :

(١) القسم التاريخي : ويتولى القيام به الأستاذ أحمد زكي باشا

(٢) قسم التحقيق ومناقشة الشهود : ويتولاه الأستاذ عوني بك عبد الهادي

(٣) القسم القانوني والسياسي : وقد عهد اليّ بالقيام به

وسار التحقيق سيره المعلوم ، وأدلى كل من الفريقين بحججه وبراهينه ، وبسط الأستاذ أحمد زكي باشا موضوع النزاع من الوجهة التاريخية الثابتة والوثائق القطعية التي لا تردّ مؤيداً بها حقوق المسلمين ، ومن ثم جاء دوري فرأيت أن أستهلّ دفاعي ببدء الاحتياطين الآتين :

(الأول) ان الأمة الفلسطينية أعلنت رسمياً وفي كل الظروف عدم اعترافها بالانتداب البريطاني وهي لذلك لا تريد أن تنقيد بأي نظام مستمد من هذا الانتداب ولا الاقرار بأية نتيجة ترجع الى ما يسمى بوطن قومي لليهود ، فدفاعي في هذا النزاع لا يغير شيئاً عما احتفظت به فلسطين نفسها لنفسها لأنها هي وحدها

صاحبه اسلق في تقريره

﴿ الثاني ﴾ يقرر المسلمون أن النزاع على ملكية الأماكن العبادة أو على حقوق مدعى بها على هذه الأماكن يجب أن ترفع الى الهيئة المختصة دون غيرها بالفصل في أمر الوقف والأماكن المقدسة الاسلامية وماعداها فهو غير مختص أصلاً لعدم وجود حق له في ولاية الحكم على هذه الأماكن

ثم دخلت بعد ذلك في الموضوع من الوجهة السياسية وكشفت اقتناع عن حقيقة هذا النزاع وأسبابه الصحيحة ، وبسطت مآلقيه اليهود من العنت والارهاق في أكثر بقاع الأرض وانهم لم يجدوا ملاذاً يفرعون اليه إلا البلاد الاسلامية والعربية لما كان يظهر أهلها من التسامح والرعاية نحوهم وأمطت اللثام عن المطامع الصهيونية في السعي للاستيلاء على المسجد الأقصى وعلى قبة الصخرة وجعل مكانيهما هيكل لليهود ، وسردت طائفة كبيرة من الأدلة تؤكد نياتهم وهي مستمدة من كتبهم وتصريحات مفكرهم وزعمائهم ، ثم ألمحت الى الخطر المتبسل فيما اذا أصرت اليهود على التمسك بمزاعمهم فتكون النتيجة أن هذه الصهيونية ستحمل العرب والمسلمين كافة على أن يعترفوا الانقياس منسجم (مطاردة اليهود) ولتحت ستار (الانيسيونيسم) مطاردة الصهيونية فيتطالع تاريخ الانسانية مرة أخرى يمثل تلك المأساة التي وقعت في أوروبا من قبل ، ولكن بطريقة أشد وأسى ، ثم تسكمت عن الجدار والرصيف في نظر المسلمين وأسباب تقديسهم إياها وماورد بشأنها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ثم قارنت بين ذلك وبين أسباب قدسية الجدار عند اليهود . وختمت دفاعي بالبحث من الوجهة الشرعية ، وتطرق الى ذكر الوقائع والتطبيقات القانوني

(س) هل تعتقدون أن لجنة التحقيق تراعى في وضع قرارها تلك الاعتبارات الخطيرة التي وردت في دفاعكم ؟

(ج) لا نستطيع الجزم الآن في كيفية القرار الذي ستصدره لجنة التحقيق الدولية في هذا الموضوع ، ومهما كان شأن هذا القرار فنحن غير مقيدين به بوجه من الوجوه كما مهدت في دفاعي أمام اللجنة لأن هذا الجدار لا يخص فلسطين وحدها بل هو ملك لثلاثمائة مليون مسلم منتشرين في أنحاء المعمورة ، ولا بد من القول اننا لم نشأ أن نكتفي بابرار وثائقنا وأدلتنا أمام اللجنة ، بل قدمنا لها البراهين العملية المحسوسة التي لا تدفع والتي تستر بشروء وبيل فيما اذا فكر أحد بالاعتداء على الأماكن الاسلامية المقدسة ، وذلك بأن دعونا أعضاء اللجنة الى زيارة بعض الكنائس المسيحية مثل كنيسة القيامة وبيت لحم وغيرها وشاهدوا بأعينهم نتيجة الخلاف بين الطوائف المسيحية نفسها التي سالت من أجله السماء ، فكيف يكون بالامكان والحالة هذه التوفيق بين عنصرين متنافرين قد تأصلت بينهما الخصومة الدينية والسياسية وحملهما على الاجتماع للعبادة حول جدار واحد

إن وضعية الستاتيسكو القائمة بين الطوائف المسيحية كانت من أقوى الحجج التي تدعم نظرية المسلمين وتدعو أعضاء اللجنة الى التفكير العميق في هذا الموضوع الديني السياسي الخطير قبل أن يبرموا قراراً بصده وقد علمت أن أحد أعضاء اللجنة صرح لأحد رجال العرب قبل سفره : « إن القضية خطيرة جداً أكثر مما كنا نتصور »

(س) ماهو الأثر الذي تركته في نفس معاليكم زيارتكم الى القطار الفلسطيني ؟

(ج) لقد اختلف نظري أثناء وجودي في فلسطين نقطتان : الأولى ملأت نفسي غبطة وجوراً ، والأخرى ملأتهما كآبة وأسى . لقد أبهجتني منظر تلك الوحدة الجبلية التي تضم رجال العنصر الكريه وسبعين وتلك الوجوه المتلازمة بعاطفة الاخلاص والنفوس الممتلئة بروح الهمة والنشاط وانصراف القوم جميعهم الى الدفاع عن حقوقهم المقدسة والوقوف كتلة واحدة في وجه العدو الفاسد والصهيوني الدخيل ، والذي أحرزني

أن أرى تلك التربة الطيبة والأراضي الخصبة التي تعد من أحصب بقاع العالم قد أخذت تنساب من أيدي العرب شيئاً فشيئاً وتنتقل إلى يدي الصهيونيين الذين تشد أزهرهم الأموال الأجنبية الطائلة وتردهم المساعدات الكبرى من سائر أغنياء اليهود في العالم . أما العرب فمع خصب أراضيهم ووفرة تربتهم لا يستطيعون أن يستثمروا تلك الكنوز الدفينة بسبب فقرهم وسوء أحوالهم الاقتصادية وشدة احتياجهم إلى المواد الأساسية للاستفادة من أراضيهم كما يجب .

وفي اعتقادي أن السبيل الوحيد لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية وتقوية عزائم العرب في هذا القطر الشقيق وانهاض هذه البلاد من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية هو أن يتضافر أغنياء الشرق عموماً ومصر خصوصاً على استملاك الأرض في تلك الأصقاع ، وقد علمت بعد البحث الوافي والاستقراء الدقيق أن ثمن دونم الأرض في فلسطين وهو يعادل ربع فدان مصري يتراوح بين عشرة جنيهات ، ويعطى مورداً في العام تبلغ نسبته بسهولة إلى ٣٠ في المئة ، وهذه عملية ناجحة ، وصفة رابحة كما ترون وأنا سأواصل جهودي في هذا الموضوع ، وأدعو من أتوسم فيهم الخير من متمولي مصر إلى الاشتراك في هذا العمل الاقتصادي المضمون وتعظيم هذه الفكرة الرشيدة

(س) ماهي أقوى الوسائل التي تقترحونها معاليكم لتعزيز الروابط بين الأقطار العربية الشقيقة ؟
(ج) إن التعاون على تحقيق المشروع الآف الذكر واخراجه إلى حيز الوجود مما يقوى الأواصر بين هذه الأقطار الشقيقة ، لاجرم أن المشاريع الاقتصادية والعمرانية يجب أن تنقذ على كل مشروع سواها لأنها دعامة الاستقلال وأساسه

وهناك مسألة أخرى يجب أن يكون لها الاعتبار الأول في هذا المضمار وهو أن نسي سعيها شيئاً لا نزع الفكرة الفرعونية من مصر لأنها فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ، ومن المصلحة الأدبية والمادية لمصر (كما نوه الدكتور شهبندر في إحدى خطبه) أن تهجر عبادة الأحجار المنيعة وتستعطف القلوب الحية في الشرق العربي التي جعلت قبائلها مصر لتسال الزعامة الحقة التي هي بسيرة بها ، رمادات شروط الزعامة متوافرة فيها بالنظر لما لها من الموقع الطبيعي والمكانة التاريخية والمقام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فخير بها أن تسير في طليعة الأمم العربية وتحمل لواء ثقافتها وتسمى إلى توثيق الروابط مع هذه الأم الشقيقة

ولا أكنتم عنكم أننا الآن منهحدرون في انحدار خطر مجهول العواقب بسبب اختلاف اللهجات بين الأمم الناطقة بالضاد ، وأخشى كثيراً إذا استمرت هذه الحالة أن يؤدي ذلك في النتيجة إلى إيجاد لغات جديدة كما وقع في اللغات اللاتينية ، وهذا من أقصى مطامع المستعمرين الذين يعمدون جهدهم لافساد لغتنا وتقطيع أوصالها والاستعاضة عنها بلغات دخيلة كما هو الحال في بلاد الجزائر حيث تشجع هناك اللغة البربرية وتعلم تعليمًا مدرسيًا لاحتلالها محل اللغة العربية

وعبثاً تحاول الأمم العربية أن تقبوا مكانها بين الأمم المتقدمة وتنال مانصبوا إليه من حياة استقلالية هنيئة مالم تعمل باديء ذي بدىء على تكوين ثقافة خاصة لها وتحفظ هذه الثقافة كبراث ناريخي خالد ، وأنمازلت أعلق أكبر الآمال على الأزهر الشريف ، فهو باعتباره أكبر معهد ديني عربي في العالم الاسلامي قوة لا يستهان بها ، فإذا أمكن إصلاحه وتنظيم شؤنه عاد بالفوائد الجليلة على مصر والبلاد العربية جمعاء

وأرى أن يتكاتف العرب جميعاً لوضع معجم عام باللغة العربية على شاكلة القواميس الانكليزية والفرنسية الكبرى لتوحيد المصطلحات العملية والفنية وغيرها

(س) ما رأيكم في عقد مؤتمر عربي للبحث في هذه الشؤون ؟

(ج) أنا لا أعتقد نجاح فكرة المؤتمر في الوقت الحاضر ، وإنما أستصوب تأليف لجنة عامة من كبار

منسكرى مصر والشرق تأخذ على عاتقها النظارى انهاض البلاد العربية وترقية شئونها الاجتماعية والاقتصادية واتخاذ الوسائل المؤدية إلى إيجاد رباط مالية وأدبية بين هذه الأقطار وتوطيد دعائم الألفة والاتصال بينها وإزالة جميع ما يقام بين هذه الأقطار من الحوائل والفوارق التى يمكن التغلب عليها فإذا توفقتنا إلى تأليف مثل هذه اللجنة وسعيها لأن تكون متجردة من جميع النزعات الحزبية والصبغات السياسية ونالت عطف أرباب الثراء فى الشرق وتأيدهم المالى أمكننا حينئذ أن نخطو خطوات واسعة نحو الهدف الأسمى

إن الأمم التى تظلم وتسلب حريتها لابد أن تستعيد هذه الحرية إن كانت جديرة بها ، فنحن كأمة عربية كبيرة يجب أن نسمى لاستكمال الخصائص والمزايا التى تؤهلنا لنيل الحرية والسعادة والاستقلال انتهى ما أردته من المجلة المذكورة

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة كيف اجتمعت أمم العرب بل أمم الاسلام لهذه القضية ، وهذا كاف لما قصدناه فى الفصل الخامس

الفصل السادس

فى ذكر أمر عظيم اسلامى فى أيامنا هذه وهو دفن فقيد الاسلام محمد على بفلسطين وهذا حادث بهزّ نظيره فى التاريخ

٢٠٠ ألف يشيعون الجنازة و ١٠٠ ألف يشهدون الصلاة

حفلة التأبين فى المسجد الأقصى

جاء فى جريدة الاهرام يوم السبت ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م مانعه :

خرجت البلاد الفلسطينية الواقعة على خط السكة الحديدية من القنطرة الى القدس لتحية رفات الفقيد الكبير مولانا محمد على وتعزية شقيقه مولانا شوكت على ونجله مولاي زايد على وحرم الفقيد الكريم فكانت كل بلدة تقابل القطار بالتهليل والتكبير قبيل انبثاق الفجر بساعات برغم شدة البرد ، وكان مولانا شوكت على يشكرهم تسكيدهم هذه المشاق ويحيى عواطفهم النبيلة ، وفى منتصف الساعة السابعة صباحا وصل القطار الى البلد التى كانت محطتها غاصة بالجماهير من سائر الأنحاء ، واصطف طلبة وطالبات المدارس ورجال الجمعيات بأعلامهم وشاراتهم ، وكلهم مكبرون مهللون ، وكذلك فى الرملة وفى سائر المحطات حتى وصل القطار الى القدس التى احتشدت فى محطتها ألوف من المشيعين بينهم قناصل الدول الأوروبية ورؤساء الدين المسيحى ، وبالرغم من شدة الزحام ابتداء الموكب سيره فى الساعة العاشرة صباحا ووصل الى المسجد الأقصى فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر حيث أذى هؤلاء جميعا فريضة الجمعة فى حرم المسجد الأقصى الذى غصّ بالمصلين وبرغم اتساع جوانبه الفسيحة ضاق بهم ولم يتمكن الكثيرون من أداء الفريضة داخل الساحة العظمى فأدوها فى الشوارع المجاورة للحرم ، وبعد انتهاء الصلاة وقفت الألوف لشهود حفلة التأبين التى لم يمكن اقامتها فى الحرم وضافت بها ساحته الرحبة ، وصعد رجال الوفود الاسلامية والمؤننون على المنبر الأثرى المصنوع فى عهد المرحوم السلطان قايتباى سلطان مصر مدة حكمه فى فلسطين وسوريا ، وابتدأ سماحة السيد محمد أمين الحسينى مفتى القدس بافتتاح حفلة التأبين بكلمة قيمة أسالت العبرات أعرب فيها عن مبلغ الخسارة التى أصابت الشرق وعلى الخصوص الهند وفلسطين هذه النكبة الصاعدة التى انتزعت بطلا نادرا من أبطال الاسلام ، وقام بعده الاستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثمالي نائبا عن شمال إفريقيا ، وعلى الخصوص عن وطنه تونس ، وهو أقدم الحاضرين عهدا بصداقة الفقيد ، وأخذ يتدفق فى بلاغته تدفق السيل ، وأخيرا

بكي فأبكي ، وواصل رثاءه فكان ينقل الجمهور من الحسرة المطلقة وأثر النسبة الصادقة الى الأمل والرجاء بأن تكون هذه الفاجعة مبدأ عهد جديد للمسلمين يتقدمون فيه بالراحل الكريم في حياته الخالدة بالجهود والتضحيات العظيمة

وقام خطباء مصر يون وغيرهم ، ثم ابتدأت حفلة الدفن ، فسارت الألوف تلو الألوف الى القبر الذي أعد للفقيد في خلف آل الخطيب الكرام بالمسجد الأقصى ، وحيى بالنش وقد غطى بغطاء من القطن المنسوج في الهند أعده هنود بورسعيد وفوقه غطاء من الحرير الأخضر الموشى بالذهب ، وقد نقش عليه بعض آيات الكتاب الكريم صنعته سيدات القدس الشريف ، وفوقهما قطعة أثرية من الكسوة الشريفة النبوية أهدها سمو الأمير محمد علي لتوضع فوق نisch الفقيد (انظر شكل ٨ وشكل ٩ في الصفحات التالية)

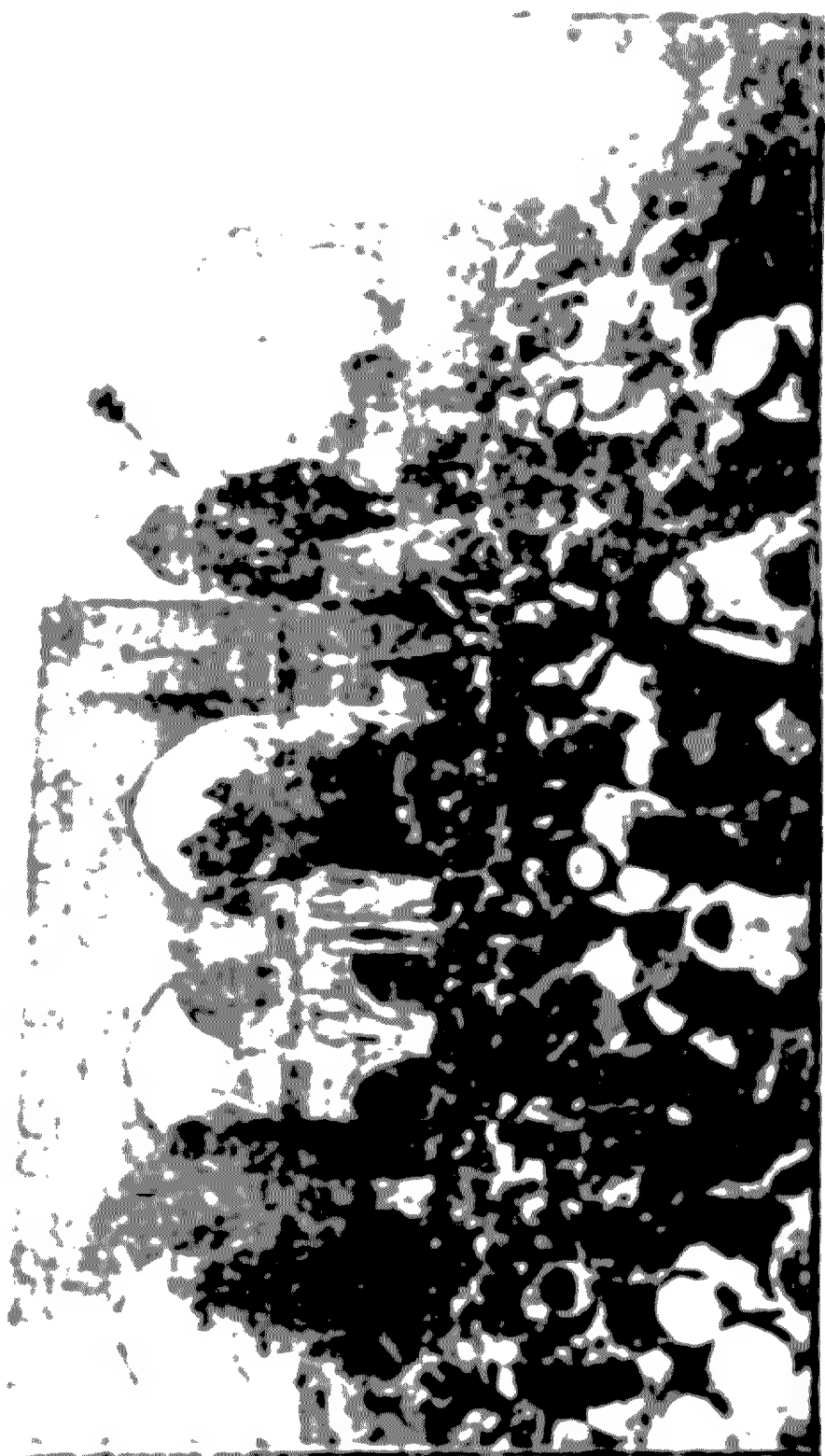
وقد صلى عليه داخل حجرة الدفن فضيلة شيخ الهنود في القدس ومولانا شوكت علي ونجله زاهد علي وحرم الفقيد الكريم وفضيلة الاستاذ النفزازي ، ثم وري التراب بين بكاء الباكين ودعاء الداعين وبالجملة فقد شهدت فلسطين مشهداً في جلالته لم يشهده من قبل المصارعون كثرة واجلالاً وعناية ، وكان مولانا شوكت علي يجيب على تهنيزات الوفود الاسلامية العديدة بببارات بليغة بالانجليزية تترجم الى العربية ، وقد قال أخيراً لأهل فلسطين : « لقد استودعناكم أمن مائلك ، وذلك دليل قيم علي حبنا لكم ، وإخلاصنا في قضيتكم ، واهتمامنا بأمركم ، نحن معاشر الهنود المسلمين المدينين للعرب كافة بإسلامهم ومدنيتهم ، وكانت كلماته تقابل بما هي أهل له من الأثر الصالح في النفوس

بعد يوم محمد علي في فلسطين

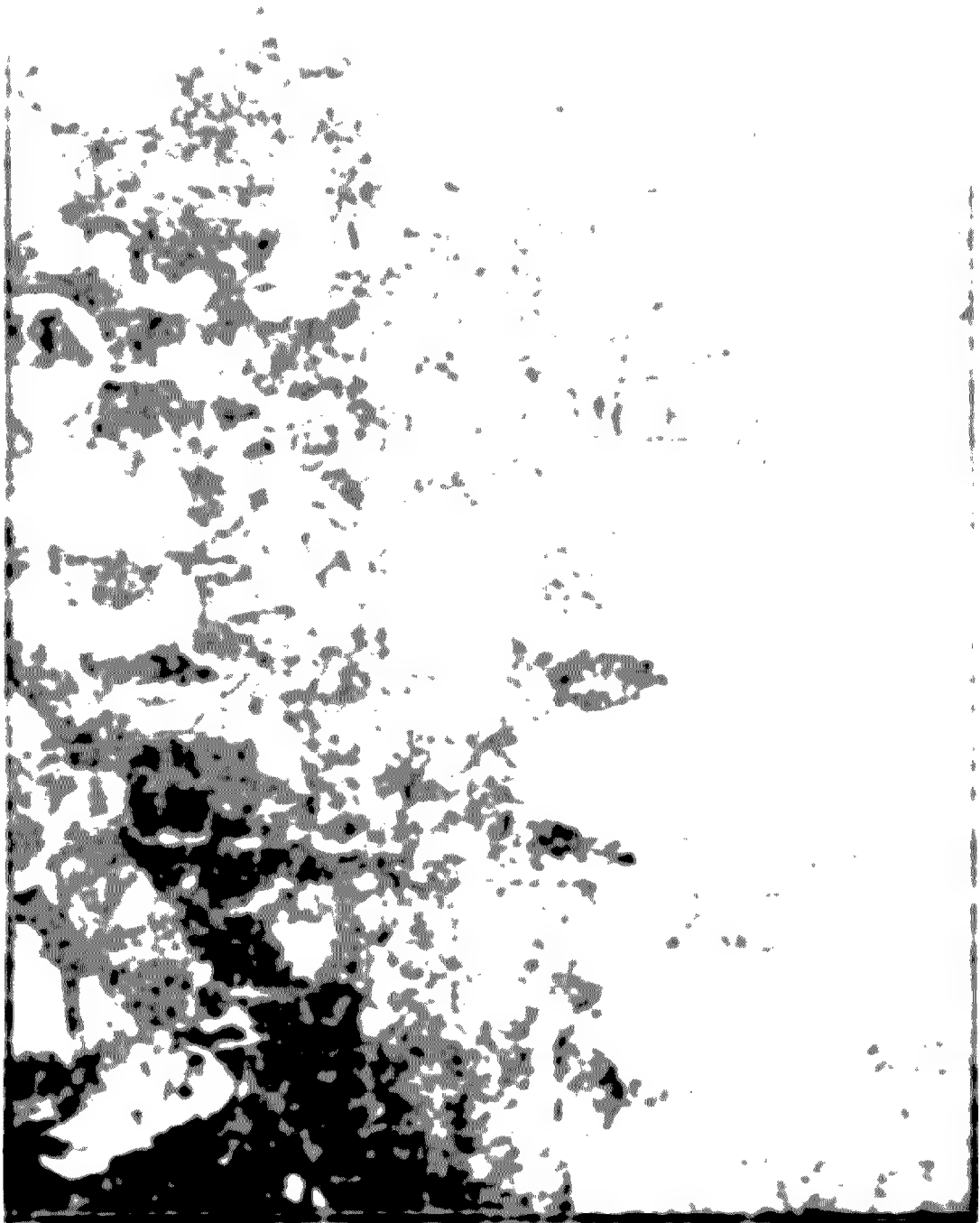
قال مراسل الاهرام في يوم الأربعاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي : « انقضى يوم مولانا محمد علي ولكن أحداث الناس عن هذا اليوم لاتنقضي قبل وقت طويل ، فلم تزل الألسنة تلهج بعظمة هذا اليوم وملاقاه جثمان الفقيد من الاجلال في الاستقبال والدفن . وقد هالني ما رأيت من كثرة الناس المتوافدين لزيارة الضريح وقراءة فاتحة الترحم على الضيف الثاوي في هذا المكان ، ورأيت كثيراً من النساء البدويات فضلاً عن السيدات والعوائل من أهل المدن يزرن محمد علي رافداً في ضريحه ، وبينما أنا خارج من هذا الجامع فاذا جماعة قادمون صوب الباب ، فبادرنى أحدهم سائلاً : هل هذا قبر مولانا محمد علي ؟ ثم دخلوا بكل لطف ، وكذلك تتردد الوفود الفلسطينية على مولانا شوكت علي لتقديم عزاءها له ، فيجيب بأنه لن ينسى هذه الحفاوة الكبرى ، وأن مشاهدته من مشاطرة أهل هذه البلاد له في هذا الخطب العظيم يدل على أن الشهور بالوحدة الشرقية أشد مما كان يتصور ، وقد قال لأحد الوفود : « إن هذا اليوم يوم دفن أخي محمد علي في بيت المقدس هو بالحققة فاتحة عهد جديد بين فلسطين والهند

ويتردد على مولانا شوكت علي مكاتبو الصحف الأجنبية ويطلبون مقابلته ، ولكن الوقت الى الآن لم يتسع له هذا ، وقد علمت أن المسترمارتن مكاتب الديلي لتغراف قابل مولانا شوكت وأخذ منه حديثاً أعرب فيه مولانا شوكت عن الوقع الذي حصل في نفسه من ليلة ٢٣ يناير الحالي الى ساعة المقابلة

وقد علمت أن مولانا شوكت علي قد أبق الى جمعية الخلافة في بمباي برقية مسهبة ضمنها صفة الأخبار التي تصف نقل الفقيد من بورسعيد الى القدس الشريف ودفنه بجوار المسجد الأقصى ، وقد جاء في هذه البرقية العبارات التالية : « وضع النش تجاه المسخرة الى جهة الجنوب ، وفي الساعة الثانية حتى الرابعة بعد الظهر كان عظماء المؤنسين يتبارون في تأيين محمد علي ، وبعد أن فرغوا وقفت وطلعت منهم باسم الاسلام وبحرمة الفقيد أن يقطعوا العهد على نفوسهم أن يكرنوا من هذا اليوم عاملين لتكميل العمل الذي بدأ فيه محمد علي وثابر عليه بكل توفيق من تجديد الحياة الاسلامية الشرقية »



(شکل ۱ - دیوارهای گچ و آهک در حوضچه آب)



(شكل ٩ - نعش الزعيم الكبير مولانا محمد علي مجولا على الأكتاف ، وخارجا للدفن بعد الصلاة عليه في المسجد الأقصى الذي ضاق على سعته بمشرات الآلاف من المصلين فاضطروا الى الصلاة في الشوارع المجاورة له)

وقال في هذه البرقية أيضا مانصه : « إن جثمان أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح الى معشر العرب الذين لم يزل العالم مدينا لهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم »

ومن أقوال الاستاذ شوكت على أيضا ما يأتي : « إن موت أخى في ميدان التضحية للحظلة الأخيرة وقد كان مشغلا بخدمة الوطن والاسلام أثر تأثيرا عظيميا في الانكياز ، والموت على مثل هذه الحالة المقرونة بالجهاد يؤثر أكثر من الجهاد في حالة الحياة ، ثم قال : إن موت شقيقى سيؤدى الى حل مشاكلك الهند ويوصل الى تحقيق رغبات البلاد . وسئل هل ستطرح قرارات مؤتمر لندن على هيئة عامة في الهند ؟ نعم سيعقد مؤتمر من مسلمي الهند بعد وصولي لسمعهوا من المندوبين المسلمين في مؤتمر لندن كل ما حدث هناك لتقرير ما يرونه ملائما للوقوف على رأيهم فيما يشيرون به ، ثم يعقد بعد ذلك مؤتمر عام من المسلمين والهندوس . هل أتم متفائلون ؟ نعم انى متفائل ، وما يدل على ذلك أن المسلمين بمحمد الله يد واحدة وقوة متحدة »

ثم قال : « إني مسرور لأن مؤتمر لندن أعطاني فرصة للتحقق من أن الانكياز يرغبون رغبة أكيدة في انتاج سياسة مبنية على حسن التفاهم واصلاح ذات اليمين بينهم وبين الهند ومصر ، واعطاء الشرقيين القسط الواجب من الاحترام » اه

لما رسمت هذه الصور واطلع عليها صديقي العالم . قال : إن لى اعتراضا على رسم هذه الصور في التفسير . إن عادتلك جرت في هذا التفسير أن لاترسم إلا ما يفيد فائدة طبيعية من صنع الخالق عز وجل . أما هنا فأراك خالفت عادتك . فقلت : نعم ، ألا ترى رعاك الله أن هذه حادثة يعزّ نظيرها في التاريخ ، ألم تر كيف أقدم الاستاذ شوكت على على دفن أخيه في البلاد العربية المقدسة ، وهذا حادث لم أجده نظيرا من قبل ، بل انى لم أرباطة بين المسلمين توطدت مثل هذه ، ان تاريخ المسيحيين شاهد أنهم كانوا أقوى اتحادا من المسلمين كما تقدم ، ولكن اليوم جاء دفن المولى محمد على ببلاد العرب دليلا على ارتباط مسلمي الهند وهم ٧٠ مليوناً بمسلمي الأمم العربية . فإذا قالت انك لا ترا هذا وطن يهودى قال اليهود نحن مع اخواننا وقد دفنا أحد عظمائنا فيه ، وهل في زماننا معجزة قرآنية أعظم من هذه ، وهل أنا رسمت النهش في التفسير إلا لأنه أبرز لنا معجزة نبوية ، ألا ترى الى ما قاله الاستاذ المولى شوكت على : « إن جثمان أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح الى معشر العرب الذين لم يزل العالم مدينا لهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم » اه

إن هذا القول لم يصدر من أمة من أمم الترك أو الفرس ، فالترك هدموا ممالك العرب هدماً وأذلوهم وقدماء الفرس من قبلهم فتكوا فتكاً سياسياً بالأمم العربية وهم مسلمون ، ولكن أهل الهند بهذا العمل المجيد قد أفهمونا معنى قوله تعالى هنا « وانه لذكر لك ولقومك »

أصبحت الهند وأبناء العرب اليوم صفا واحدا في مقابلة من يعتدى على بيت المقدس أو بلاد فلسطين ، فهذا مصداق لهذه الآية ونور من أنوار النبوة المحمدية والحمد لله رب العالمين . انتهى الفصل السادس

الفصل السابع

في اتحاد المسلمين اليوم على فرنسا إذ أشيع انها تنصر البربر ، وتشجع النصرانية في تونس ، وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ماجاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٠ بعنوان « نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعها » . المقال الثانى وهو ماجاء في جريدة « كوكب الشرق » تحت

نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعها

والى علماء الحرمين الشريفين ، ورجال المفاهد الاسلامية من اعلام الأزهر وملاحقائه فى
المملكة الاسلامية ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين فى فاس ، ومعهد ديوبند
فى الهند ، ومعهد النجف فى العراق ، والى الجهات الاسلامية فى أنحاء الأرض ، ولا سيما
جمعيات الهند : جمعية الخلافة فى بومباي ، وجمعية العلماء فى دهلى ، وجمعية أهل الحديث فى
دهلى . وجمعيات أندونيسيا : اتحاد اسلام فى سومطرة ، وشركة اسلام فى جاوه ، والجمعية
المحمدية فى جاكجا كرتا ، والى المسجد الاسلامى الأعلى فى القدس ، والمسجد الاسلامى
الأعلى فى بيروت ، والى جمعية ترقى الاسلام فى الصين ، والى الصحف الشرقية على
اختلاف لغاتها ولهجاتها

ان أمة البربر التى اهتدت بالاسلام منذ العصر الأول والتى طالما اعتمد عليها الاسلام فى فتوحه وانتشاره
وطالما استند اليها مستنجدا أومدافها فى خطوبه العظمى ، هذه الأمة التى سارت مع طارق الى اسبانيا ثم
مع عبد الرحمن الغافقى ومع أسد بن الفرات الى صقلية ، هذه الأمة التى كانت منها دولتا المرابطين والموحدين
فكانت لها فى تاريخ الاسلام أيام غراء مجيدة ، هذه الأمة التى ظهر منها العلماء الأعلام ، والقادة العظام ،
والتي لرجاها فى المكتبة الاسلامية المؤلفات الخالدة الى يوم الدين ، هذه الأمة التى تبلغ فى المغرب الأقصى
وحده أكثر من سبعة ملايين نسمة تريد دولة فرنسا الآن اخراجها برمتها من حظيرة الاسلام بنظام غريب
تقوم به سلطة عسكرية قاهرة متهمة به جرية الوجدان ، ومعتدية على قدسية الايمان ، بما لم يعهد له نظير
فى التاريخ

لقد وردت على مصر كتيب من الثقاف فى المغرب الأقصى تذكر أن فرنسا قديما استصدرت ظهيرا
سلطانيا تاريخه ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هـ - ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م ونشرت الجريدة الرسمية فى
المغرب بعددها رقم ٩١٩ تنازل فيه سلطان المغرب لها عن الاشراف على الامور الدينية لأمة البربر ، وأن
فرنسا قد بدأت بالفعل فى تنفيذ ذلك الظهير ، فقامت السلطة العسكرية فى المغرب الأقصى تحول بين ثلاثة
أرباع السكان وبين القرآن الذى كانت به حياتهم مدة ثلاثة عشر قرنا ، فأبطلوا المدارس القرآنية ووضعوا
قلوب أطفال هذه الملايين وعقولهم فى أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات يدبرون
مدارس تبشيرية للبنين والبنات ، وأقفلوا جميع المحاكم الشرعية التى كانت فى تلك الديار ، وأجبروا هذه
الملايين من المسلمين على أن يتحاكموا فى أنسب محكمهم وموارثهم وسائر أحوالهم الشخصية الى قانون جديد
سنوه لهم وأخذوه من عادات البربر التى كانت لهم فى جاهليتهم وهى عادات لا تتفق مع الحضارة ولا تلائم
مستوى الانسانية ، وحسبنا مثلا على انحطاطها وقبحها انها تعتبر الزوجة متاعا يباع ، وتورث ولا ترث ،
وانها تجيز للرجل أن يتزوج ماشاء كيف شاء ولو أخته فمن عداها فى وقت واحد ، وان قانونا كهذا القانون
يسق للمسلمين مخالفا للاسلام ، يهد من رضى به مرتدا عن الاسلام باجتماع علماء المسلمين

إن فرنسا التى تبث الدعاية فى أمم الأرض بأنها أمة الحرية قد أجبرت رجال حكومة المغرب المسلمين على
أن يتركوا دينهم بتنازلهم عما للسلطان من الحق فى إقامة أحكام الشرع الاسلامى بين رعاياه من قبائل البربر
وجاهليهم والاعتراف لحكومة الحماية الفرنسية بأنها صارت صاحبة التصرف فى دينهم وأمورهم التشريعية
والتهذيبية وهوما تملك تلك الحكومة الحق فى التنازل عنه ، ومنذ استصدر الفرنسيون ظهيرا (مرسوما)
من سلطان المغرب بهذا التنازل اعتبروا جميع المدارس القرآنية ملفاة ، وجميع العبادات الاسلامية معطلة ،

وذكروا أمر تعليم أطفال المسلمين الى الرهبان توطئة لتبشير هذه الأمة عقيدة وعبادة وعملا ، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم فلا يتصل بها أحد منهم

أيها المسلمون : قد أجمع علماءكم من جميع المذاهب على أن من رضى بارتداد مسلم عن دينه يكون صريحا برضاه عن ذلك ، فيجب على جماعات المسلمين وطوائفهم وجمعياتهم وأفرادهم أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على هذا العمل المنكر الفظيع بكل مافي وسعهم كل يحسب ما يليق به ، فإذا لم ينفع الاحتجاج فكر المسلمون في الوسائل الجديدة ، وإن في وسعكم أيها المسلمون أن تجبروا دولة فرنسا على احترام اسلام هذا الشعب الكبير وتركه يتمتع بحريته الدينية والوجدانية ، لأن حرية الدين والوجدان حق من حقوق الانسان يجب على الانسانية حمايته من عبث العابثين واعتداء المعتدين

لقد سلكت دولة فرنسا مع اخواننا مسلمي المغرب سبيلا غير سبيل الرفق والنصح ، فجردتهم من وسائل النهوض وحالت بينهم وبين التعليم الصحيح ، وأنفقت أموال أوقافهم الاسلامية في ضد ماوقفت له واختصتهم بشر النصبين في كل ما اتصل به مصالح الوطنيين والأجانب ، وأن في المسلمين من كان يعرف هذا ويتقاضى عنه الى حين رجاء أن يجعل الله لأهل المغرب فرجا من عنده ، ولكن امتداد يد السلطة القاهرة في المغرب الى دين الاسلام واعتداؤنا على حرية العقيدة والعبادة قد أوصل هذا العدوان الى الحد الذي ليس بعده حد ، حتى على كل مسلم أن يبادر الى انكار هذا المنكر بكل وسيلة يستطيعها

يجب أن تعلم فرنسا أن الاسلام لم يمت ، وأن المسلمين قد استيقظوا وصار بعضهم يشهر بلسانهم البغض الآخر من اضطهاد في دينه وديناه ، وأن بناء مسجد في باريس تؤخذ باسمه ملايين الفرنكات من أوقاف الحرمين الشريفين وملايين أخرى من الاعانات الجبرية من جميع مسلمي افريقية مع اعانات أخرى من سائر العالم الاسلامي لا يمكن لفرنسا أن تجعله حجة على حرية الاسلام ومودة المسلمين في ممالكها (التي تسميها أحيانا اسلامية) مع هذا الجرم الفظيع الذي شرعت فيه أخيرا وظنت أنها تستترع به بضعة ملايين من حظيرة الاسلام بنظام تنفذه قوة عسكرية قاهرة

إن فرنسا اذا لم ترجع عن هذه الجريمة فإن العالم الاسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته ، وسيعلن ذلك على منابر المساجد ، وعلى صفحات الجلات والجرائد ، وفي حلقات الدروس الدينية ، وفي نظم الجمعيات الاسلامية . لقد حان حين امتحان أحرار أوروبا فيما يدعونه من الانتصار لحرية العقيدة والوجدان ، حتى لقد رضوا بكثير من المنكرات التي يسترفون أنها منكرات ، وذلك حرصا منهم على بقاء الحرية طليقة من قيودها ، وإن أقدس الحريات حرية الوجدان والاعتقاد ، وأساء ما أصيبت به هذه الحرية في هذا العصر محاولة فرنسا أن تحول المغرب الأقصى عن اسلامه الى النصرانية أو ماشاءت أن تحوله اليه

لقد سمعنا صوت أوروبا حكوماتها وشعوبها يرتفع غالبا باستنكار ما فعلته روسيا البولشفية من اقناها بعض المعابد مع ان يد البولشفيك الحديدية انما امتدت الى الحجارة والطوب ولم تمتد الى النفوس والقلوب فالعالم الاسلامي ينتظر من أوروبا التي احتجبت على عمل السوفيت في الكنائس أن تقول لفرنسا كلمتها الصريحة في عدوانها على دين الاسلام في المغرب الأقصى ومنعها سبعة ملايين من البشر منها رسميا مؤيدا بالسياسة والجيش من أن يسكنوا الى دينهم وأن يتصلوا باخوانهم المسلمين اتصالا روحيا يطمشون اليه ويرتاحون له

فيأيها المسلمون : إن دينكم مهدد بالزوال من الأرض ، فإن فرنسا اذا أمكنها تنفيذ مشروعها هذا في المغرب فستخذو حذوها جميع دول أوروبا في المشرق ، وقد حكم عليكم في هذه الحال بذل أنفسكم وأموالكم في سبيل الدفاع عن دينكم ، فما الذي يمنعكم عن الدفاع عنه والله تعالى يقول : « فلاتخافوهم وخافون

ان كنتم مؤمنين » ويقول : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يردكم منكم عن دينه قيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ويقول « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وإلى ذلك الامضاءات

ظاهرة عجيبة

من ظواهر التبشير الديني في تونس

حديث اليوم . الشعور العام نحو المؤتمر الانفارستي . الاضراب عن العمل . مظاهرة الطلبة . عرائض من الشعب للباي والأعضاء المسلمين . نشاط البوليس واهتمام الحكومة اعتقال ٢٥ طالبا

جاء من صراسل كوكب الشرق في تونس يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٣٠ ما يأتي :
لعلّ القراء يعلمون أن المؤتمر الانفارستي الذي يعقد في كل عامين لحج الرهبان والساكناتليك عامة ولأمور أخرى قد قرر اجتماعه في هذه الدورة بتونس ، وهذه أول بلاد اسلامية يعقد فيها مؤتمر مسيحي ، وقد حاولت الحكومة التي أشرفت عليه إخفاء حقيقة صبغته والنويه على الناس بأنه حج مسيحي لادخل فيه لجرح العواطف ومن المعتقدات ، غير أن أسقف قرطاجنة (منسفيورلوميتر) أعرب عن العنفة الحقيقية للمؤتمر وقال في إحدى خطبه : « إن هذا المؤتمر هو عبارة عن حملة صليبية جديدة نحو تحقيق فكرة سان لوى (لويس التاسع) والسكردينال فيجري »

وقد زادت الحكومة الفرنسية أن قررت أخذ مليونين من الميزانية التونسية (برغم أنف المجلس الكبير) وخمسة ملايين من ادارة الأشغال العامة التونسية ونصف مليون من البلدية التونسية وعشرات ألوف من ادارة أوقاف المسلمين ، كل ذلك لتصرفها على المؤتمر الذي هو حملة صليبية ، وقد قدروا غضب الشعب واستيائهم من هذا العمل المخرج ، ولكن يتخلصوا من ذلك الغضب وتكون الضربة ممكنة ، ولكن ينفذوا شيئاً من برنامج سياستهم التي اتخذوها بهذه البلاد وهي إيجاد الشقاق بين الأمة والعرش أى بين الشعب وملكه قرروا أن يكون المؤتمر تحت رئاسة الباي أجد الثاني ، وبعضوية شيخ الاسلام ، والباين مفتي ، والوزراء المسلمين وشيخ المدينة الذي قدم لهم خدمات جمة في الموضوع ، وشقيقى رئيس الخجيرة التجارية الأهلية ، وعضو المجلس الكبير ، ومحمد يس رمضان عضو المجلس الكبير وغيرهم من الذوات

واستاءت الأمة وقررت الاضراب عن العمل احتجاجاً على وجود المؤتمر بصيغته هذه وعلى الملايين المقدمة لقوم يريدون أن يقوموا بحملة ضد الدين الاسلامي الذي هو دين الأمة العزيز عليها ، وأصبح يوم السبت ٣ مايو يوم اضراب ، فاستهملت الحكومة القوة لمنع ، واتخذ البوليس كل طرق الشدة والصرامة في ذلك ، وقام جميع طلبة المعاهد باضراب عام عن التعليم ، وفي الغد تظاهروا واشتد غيظ الحكومة وتدخل البوليس فانها على المظاهرين بالضرب حتى وقعت جروح لبعض وشاهدت البوليس يضرب الناس بالسكاكين من غير رحمة ولاشفقة إلا ان الطلبة أعادوا المظاهرة في الغد (يوم الاثنين) وجابوا شوارع باب البحر والبوليس يعتقل ويفرق ولم يرحم ، وظلّ الطلبة متظاهرين من الساعة الثالثة ونصف الى الساعة السادسة ينادون بحياة الاسلام وسقوط المؤتمر الانفارستي ، وقدمت عرائض ممضاة من كافة الأمة الى الباي والذوات المسلمين الذين قبلوا عضوية المؤتمر تطلب منهم الانسحاب من المؤتمر واعتقل البوليس خمسة من الوطنيين ٢٥ من الطلبة ، والحكومة ههنا متخوفة من العواقب الوخيمة التي يفضي اليها هذا العمل الجارح الذي

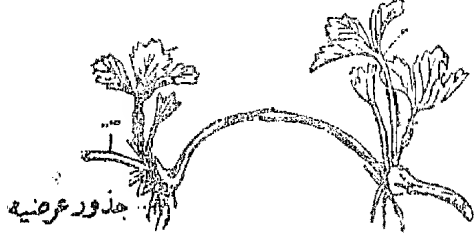
أرادت أن تقوم به في القرن العشرين . هذا وإن الحزب الاشتراكي معاضد للأمة التونسية في استعجابها وقد سعى لدى المراجع العليا لإطلاق سراح المعتقلين كما سعى الطلبة في ذلك مع زعماء الحزب الدستوري ، وقد أطلق سراح الكثير منهم بفضل مساعي الحزب الدستوري ورجاله ، والخواطر لا تزال مضطربة ولا يزال صراي الألف راهب، يشير الحساس والغضب . وإلى هنا تم الكلام على الفصل السابع من اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين

اللطيفة الثانية

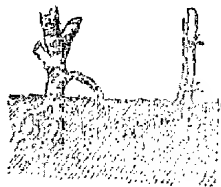
في قوله تعالى : والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها ، مع آيات أخرى في سور كثيرة كقوله تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، إلى آخر ما في سورة الزمر من شرح الصدر للإسلام إذ يقول تعالى : أفن شرح الله صدره للإسلام الخ جاء في هذه الآيات أنزال الماء ، وإخراج الزرع ، ثم شرح الصدر للإسلام ، وأن القرآن أحسن الحديث في ﴿ سورة الزمر ﴾ وهنا مجال لفهم زرع مختلف الألوان نابت بسبب الماء ، وإشراح صدر الإسلام ، وكون القرآن أحسن الحديث ، فلهي أي مناسبة بين الزرع والماء الذي يشربه وبين إشراح الصدر للإسلام ، ثم كون القرآن أحسن الحديث ، ولما كتبت هذا حضر العالم صديق الذي اعتاد الحديث معي في مثل هذا المقام ، فقال بعد أن قرأ ما ذكرته الآن : حقيقة إن المناسبة تكاد تكون بعيدة الشقة بين الأول والثاني ، أما بين الثاني والثالث فللمناسبة ظاهرة لأن الثالث سبب في الثاني فهو من ذكر السبب بعد المسبب لأن من قرأ أحسن الحديث يشرح صدره لما فيه من المعاني ، أما المناسبة بين الأول والثاني فهي التي تحتاج إلى بيان . فقلت : لقد جاء الكلام على النبات في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد ظهرت عجائب في ﴿ سورة النمل ﴾ في آية « فأنبثنا به حدائق ذات بهجة » وفي غيرها ، مثل أن الجذور وتدية وليفية ودونية ، وهناك مباحث أخرى ، هكذا في ﴿ سورة السجدة ﴾ عجائب من النبات في صور الظاهرة وعجائب تركيبه من الداخل ، وبيان أن النخل له في تركيبه صورة أخرى تختلف جميع الأشجار ، وإذا رأينا الله عز وجل يكرر ذلك الشيء الواحد في مواضع كثيرة في القرآن فهذا معناه أن تذكر الحكمة مفرقة لا مجمعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يستحسن أن تفرق عجائب النبات على الآيات فإن قراءة علم النبات بصفة علم لا يثمر في النفس بهجة كالتي يثمرها ما يصنع في أمثال هذا التفسير بحيث يصطفي من أصناف النبات ما يثير في النفس بهجة وترسم أشكاله ويشرح شرحا يشرح الصدر ويهيج النفس ، فالقرآن ليس كتابا علميا بالمعنى المتعارف ، فالكتب العلمية قصد منها نفس العلوم شيء والعلوم شيء والوعظ والاستدلال والتأثير في النفوس شيء آخر ، وفرق بين خزن الحب في مخزن وبين إعداد الطعام للجائع ، فالعلوم في حصد ذاتها كالتخازن واقتطاف شيء منها في مواضع متفرقة من القرآن شيء آخر ، فليس المقصود من آيات القرآن أن تدرس العلوم المتعلقة بها دفعة واحدة في تفسيرها بل تقتطف اقتطافا ، ولعمري إن الناس يعرفون الفرق بين روضة ذات أزهار وبين باقة من الأزهار يهدي للزائرين ، إن الروضة لا تهدى ولكن الباقة تهدى وتنتم وتأتي بالغرض المقصود من الاكرام ، هكذا يجب أن يهتدى لقارئ الآيات المختلفة زهرات العلوم ، ويجب أن تنوع تلك الأزهار على مختلف الآيات كما ينوع المضيف لضيفه أنواع المأكول والمشروب والمشموم في اختلاف الحالات ، إن النفس لتسأم من التماذي في طعام واحد ، ومن التماذي في حديث واحد ، لذلك نجد القرآن نوع الحديث ، وجعل النبات الذي يحض عليه مفرقا على السور تعليميا للفسرين أن يفرقوا عجائب النبات

على مختلف الآيات ويصوّروا شجائن أشكاله لينشرح الصدر للإسلام بما يرى من أجلال البديع ، وذلك بما يؤثر في نفسه من مختلف الأشكال في الأحوال المختلفة ، وهنا استبان أمران : انشرح الصدر للإسلام بمباحج الصور ، وكيف كان القرآن أحسن الحديث ، لأنه حديث ذو شجون لا يسأم الإنسان منه للتأن في ترتيب الآيات

فهاك ما يهيج من علم النبات ومن صور البديعة الحسنة ، اذا قلنا في ﴿سورة النمل﴾ ان الجذور ثلاثة أقسام ، ورأيت رسمها وشرحها هناك فلندكر هنا الجذور التي لاتنشأ من الجذر الأصلي بل من الساق وتسمى الجذور العرضية (انظر شكل ١٠) ومثلها الجذور التي تشاهد على الساق الزاحفة للشليك ، والجذور العرضية شائعة على الأكثر في ذوات الفلقة الواحدة كالذرة والقمح فان الجذور الأصلية لهذه النباتات يموت بعد الانبات بقليل ، وتنشأ بدلا منه جذور عرضية على قاعدة الساق ، وتتكوّن الجذور العرضية في بعض النباتات بمجرد ملاسة الساق للماء أو التربة الرطبة ، ويستفاد من هذه الخاصية عمليا في



(شكل ١٠ - الجذور العرضية)



(شكل ١١)
ترقيد الكرمة

تطبيقات عديدة كترقيد النباتات وتقصيب القمح الخ ، ففي الترقيد يحني فرع من ساق النبات (شكل ١١) ويدفن في الأرض فلانبت الجذور العرضية أن تتكوّن على هذا الفرع فيصبح نباتا جديدا يمكن فصله من النبات الأصلي ، وتلك وسيلة لتكثير النباتات كما سترى فيما بعد ، وتقصيب القمح يكون باصرار عجلة اسطوانية على القمح وهو حديث فتميل السوق على الأرض وتنبت عليها جذور عرضية تزيد في تغذية النبات فيترتب على ذلك وفرة الفلّة

فلما قرأ صاحب هذا القول واطلع على هذين الشكلين . قال : إن الجذور العرضية للشليك (شكل ١٠ المتقدم) وترقيد الكرمة (شكل ١١ المتقدم) لم يخرجوا عن كونهما أمرين اعتياديين ، فكل من الجذور الوتدية في القطن مثلا ، والجذور اللبكية في نحو القمح ، والجذور الدرنية في نحو الجزر ، والجذور العرضية في نحو الشليك ، والجذور الترقيدية في نحو العنب ، كل هذه لم تخرج عن كونها مدفونة في الأرض وقد وافقها الرطوبة والمواد الأرضية ، غاية الأمر أن الساق امتدت منها الجذور في الشكلين السابقين على خلاف المعتاد في الجذور الأصلية ، ولكن الدفن في التربة هو السبب في ذلك ، فليس أمرا غريبا . فقلت : حياك الله ، إن الأرض والدفن فيها ليسا شرطا في امتداد الجذور . فقال : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . فقلت :

الجذور الهوائية

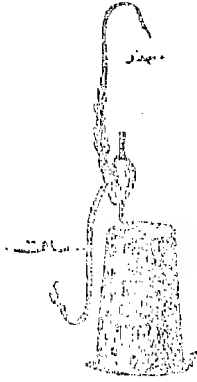


(شكل ١٢ الجذور الهوائية)

قد تنشأ الجذور على سوق بعض الأشجار كالفيكوس البنغالي (انظر شكل ١٢) فتقوم مدلاة في الهواء حتى تصل الى الأرض فتغرس فيها ، وتعرف هذه الجذور بالجزور الهوائية وتكون مغطاة بنسيج ضارب الى السمرة يحفظها من أن تجف في الهواء ، ومن أهم وظائفها انها تكون بمثابة دعامة للعصون الأفقية

فقال : هذا حسن ولكن لا يزال في النفس شيء : اذا اتجهت الجذور من الأعلى الى الأسفل في الهواء واستغنت عن الطين وارتقت في أشجار كالفيكوس البنغالي عن أشمال القطن والجزر والقمح ، نهى جميعها تتجه من أعلى الى أسفل ، وهذا أص طبيعى عام ، والتجربة الآتية شاهدة بذلك

أجاء الجذور



يتجه الجذر الأم الى على العموم اتجاهها رأسيا من أعلى الى أسفل لظهور ذلك تأخذ بادرة في طور النمو وتضع الجذر وضعاً فترى طرفه ينحني رأسيا الى أسفل ، وإذا من الفلين بحيث يكون الجذر الى أعلى والساق نشاهد في اليوم التالي أن الجذر ينحني الى أسفل والساق الى أعلى

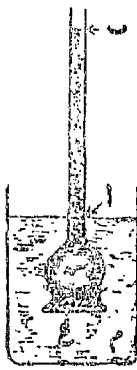
(شكل ١٤)
بادرة معكوسة

فقال صاحبي : هذا حسن فقد عرفنا اننا اذا وضعنا الجذر وضعها أفقيا كما في (شكل ١٣) أو وضعها منكوسا منكوسا كما في (شكل ١٤) فإن الجذر يتجه الى أسفل دائما ، ولكن ربما يخطر لبعض الناس أن هذا الجذر انما يتجه الى أسفل دائما فرارا من النور أو طلبا لرطوبة الأرض . فقلت :



(شكل ١٥)

تجربة الأبيص المنكس



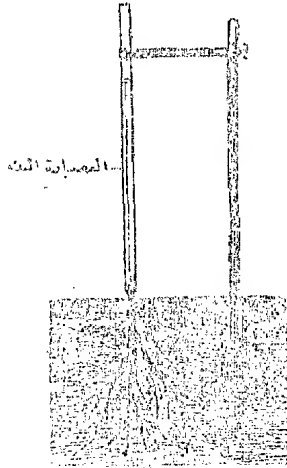
شكل ١٦ الانتشار
القشائي (م ماء نقي .
غ غشاء . ش شراب)

« اذا بذرنا بذورا في أصيص ثم ينكس الأصيص (انظر شكل ١٥) بعد أن توضع على حافته شبكة سلكية تمنع سقوط التربة منه فيرى أن الجذر ينمو رأسيا من أعلى الى أسفل وهو في هذه الحالة لا يجتنب الضوء ولا يتجه نحو البيئة الرطبة فقال صاحبي : لقد استبان هذا الموضوع وظهر ظهورا واضحا ، ولكن بماذا يسمى العلماء هذا الميل . فقلت يسمونه (الانتحاء الأرضي) وقالوا إن هذه ليست من الجاذبية العامة ، وما هذه التسمية إلا مجرد الاصطلاح . فقال صاحبي : هذا حسن وبه نعرف قول الله تعالى « والذي قدر فهدى » وقوله « وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »

فقال صاحبي : عرفنا أن النبات يتجه دائما جذره الى الأرض وان هذا أمر جديد لم يكن في طبائع الأشياء ، ولكنني أرى أن امتصاص الجذور للمواد التي حولها يشبه كل المشابهة امتصاص المثانة (في التجربة الآتية) للماء النقي حولها ، وذلك اننا نأخذ أنبوبة مسدودة في أحد طرفيها بقطعة من مثانة ونصب فيها محلول سكريا سميكا ثم نغمز الأنبوبة رأسية في إناء يحتوي على ماء نقي (شكل ١٦) بحيث يكون المحلول السكري على سمت الماء الخارجى وندهعها كذلك زمنا ما فنلاحظ أن سمت المحلول السكري قد ارتفع في الأنبوبة من (ا) الى (ب) كما نلاحظ أن ماء الاناء الخارجى يحتوي على قليل من السكر ، ويدل ذلك على أن مقدارا من الماء النقي قد نفذ من المثانة الى داخل الأنبوبة ، وأن بعضا من المحلول السكري قد نفذ الى الاناء الخارجى ، غير أن تسرب الماء الى داخل الأنبوبة كان أسرع من تسرب المحلول الى الخارج فانشار القشائى والمحاليل خلال الأغشية على هذه الصورة يعرف بالاسموز أو الانتشار القشائى ، والضغط الذى حدث في الأنبوبة فرفع سمت المحلول يعرف بالضغط

الاتشاري ، إذن ينفذ الماء والمواد الغذائية فيه من جذران الشجيرات الجذرية بالاتشار العشائي ثم يتدفق الى أعلى بالضغط الاتشاري

إذن الجذور في النبات كهذه المثانة سواء بسواء ، فهي تقطع من الخارج الى الداخل وترسل من الداخل الى الخارج . إذن هذا أمر طبيعي معروف ، فإذا وضعنا قطعة من السكر في ماء رأيناها امتصت الماء فغدا فيها أمام أعيننا ورأينا الماء حولها قد وصله شيء من سلاوة السكر ، ولكن الماء الداخل في قطعة السكر أكثر مما فقدته السكر في أول الأمر ، ثم تنعكس الحال بعد ذلك . فقلت : إن الجذور ليست كذلك ، إنما تأخذ ولا تعطى



شكل ١٧ تجربة هلز

ان الاتشار العشائي في الأنسجة الحية يختلف عنه في الأنسجة غير الحية ، لذلك لا تسمح الشجيرات الجذرية بمرور السكر وغيره من المواد التي في داخل الخلايا الى الخارج ، ولاظهار أثر الضغط الاتشاري في رفع العصارة الينة الى أعلى تعمل الشجيرة المعروفة بتجربة (هلز) :
« تقطع ساق شجرة بمقربة من الأرض ويثبت على الجذع أنبوبة زجاجية تجعل رأسية (انظر شكل ١٧) فيمد مدقة ما يتدفق في الأنبوبة سائل رائق ضارب الى الصفرة إن هو إلا العصارة الينة
ولست قدرة الشجيرات الجذرية مقصورة على امتصاص السوائل والمواد الغذائية الغذائية فيها بل إنها قادرة أيضا على امتصاص المواد الصلبة

فإذا وضعنا رملا رطبا على قطعة من الرخام وبقربنا فيه بعض البزور (انظر شكل ١٨) نشاهد بعد الانبات أن الموضع من الرخام الملاصقة للشجيرات متآكلة ، ذلك لأنها تفرز في مثل هذه الأحوال سائلا يذيب هذه المواد الصلبة ، ثم بعدئذ يحدث الامتصاص
و يقوم الجذر عدا وظيفة الامتصاص بوظائف أخرى ، فهو يثبت النبات في الأرض ، وكلما كان الجذر أكثر تعمقا وتفرعا كان النبات أكثر ثباتا وأشد مقاومة لعمل الرياح ، والمنطقة الخاصة بالثبيت هي الأقرب الى الساق وهي خالية من الشجيرات وبشرتها غير مادة والجذر يتبادل الغازات مع الأرض لأنه ينفس كسكل الأجزاء الحية من النبات ، وربما مات النبات إذا لم يجد الجذر مددا كافيا من الأكسجين ، لهذا كان من الضروري تسهيل دخول الهواء الى الجذر ، ويتوصل الى ذلك بخرث الأرض وعزقها ، ويستخدم الجذر لادخار المواد الغذائية التي يستهلكها النبات عند التزهير كما يشاهد في جذور البنجر واللفت الخ

فقال صاحبي : هذا عجب ! فان افراز الشجيرات التي في الجذر للسوائل وإذابتها المواد الصلبة من عجب العجب ، وفي في هذا أشبهت الانسان والحيوان إذ لنا جميعا شدة لغاية في أفواهنا ، ولنا سوائل أخرى مثل (البسكرباس) في المعدة ، وكل هذه هضم الطعام ، ولنا عند تفرز لبن المرأة لولدها ، ولنا المرأة الصفراء التي بجانب السكبد تفرز تلك المادة فتسكون سببا في منافع عجيبة ، وهكذا هنا السكيتان ليتجه الماء اليهما فينزل في الحالبين ، فاذن النبات عنده وظائف كالوظائف عند الحيوان ، وبافرازه سوائل خاصة يحدث تفتتا في الحصى ، وعلى ذلك تهديم الجذور المباني العظيمة بنفس الافراز لبالضغط الذي يفعله الثلج اذا جمد في باطن الكهوف فان الماء اذا برد في باطن الجبال كسرها لأن الثلج أكبر حجما من الماء الذي صار ثلجا فيكسر

ذلك الثلج مافوقه من الأحجار فتظهر العيون ، فظهور العيون في الجبل إنما يكون بضغط الثلج على الأحجار
 أما ذوبان الحجارة والحصوات ومبات الرمل ودخولها في جسم النبات فإن يكون بالضغط والتكسر وإنما يكون
 بأعمال كيميائية وهي التحليل والتكوين فتدخل الجذور تلك العناصر العنصرية في الحلال وتدخلها أجسامها ، وهناك
 تركيب تركيبا جديدا ، وهذا هو الرقي ، وهذا هو الرقي الذي وضعه الله في أرضنا وجعله درسا لنا ، فهو يقول :
 الضغط الجسمي شأن الجباد ، فتعليم الناس العلم بالضغط والأذى ، وارتغامهم على العمل الصالحة الذين استعمروا
 بلادهم إنما هو شأن الأمم الذين لم يخرجوا عن أعمال الجباد فلا حياة لهم إلا الحياة الجامدة ، وهل الرجل
 الذي يسخر غيره لمنفعته هو إلا كالثلج ضغط على الحجر فكسره ، فأما الأمم التي هي أرقى فإنها تعلم الشعب
 تعلمنا نافعنا وتنقله من حال الصلابة والهمجية الى حال العلم والحسنة ، فتجمع سهلة القبول الرقي وتكون
 الأمم إذ ذلك أشبه بتلك المواد المقتتة من الحصى وقد حصلت في جسم النبات فصارت زهرا باهرا ، وورقا
 ناضرا ، وقمرنا نافعنا لسائر الناس ، هذا هو صراط الله المستقيم أن يعلم الناس قاطبة فيكونون أشبه بأمة واحدة
 لا أن يساموا الخلفاء كما يفعل الثلج في الجبال فيكسرها ، الماء في حال المعتادة كالأمم في حال هدوئها .
 ولكنه إذا برد وصار ثلجا في الجبل صار كالأمم الوحشية إذا اجتمعت لفز أمة أخرى فتؤثر فيها بالقوة ، أما
 جذور الأشجار فلا تؤثر بقوة الجسم بل بقوة العلم وهو علم الكيمياء ، ولنا نقول إن الجذور علماء الكيمياء
 بل نقول إن السلطة العليا المحيطة بهذه العوالم علمت هذه الجذور وهدتها أن تفتت الحصوات حولها كما
 هدت لعاب الحيوان أن يعض الطعام ، ولقد اجتمع هذان المثالان أي مثل الثلج ومثل الجذور في مضغ
 الأسنان والحيوان لطعامهما ، فنحصر نمضغ بقوة الأسنان ، ولكن هذا المضغ وحده لا يسعد الحيوان لأنه
 وإن فقت اللقمة فليس معنى هذا أن اللقمة بهذا التفنيت أصبحت صالحة للأفقاء . كلا . بل هناك تتلقى اللقمة
 العدد اللعابية في الفم والبسكو يابس في المعدة ، وهناك يعض الطعام ويختل بالجسم الانساني ويصبح هو
 جسم الانسان ، فخل المضغ هي حال هذا الانسان في وحشيته الحاضرة والماضية ، وحال اللعاب وهضمه
 حال الأم التي تأتي بعدنا التي تضع كل امرئ فيما استعد له من العمل ، وكل أمة فيما استعدت له من المنفعة
 الباقية لجميع الناس ، وهذا هو الذي ألفت له كتاب **﴿ أين الانسان ﴾**

فقال صاحبي : هذا الموضوع كله قد بنيت أمت على الجذور وعملها ، وأنا أريد أن تختمه بالكلام على
 أجزاء بعض الشجرات الظاهرة . فقلت : لقد تقدم الكلام على ذلك في مواطن كثيرة ، منها ما تقدم في
﴿ سورة الحجر ﴾ عند آية « رأيتنا فيها من كل شيء موزون » فانك ترى هناك الدوائر البديهة المنتظمة
 بها أوراق النبات بنظام هندسي يدع فاقراء هناك ، وعند آية « وأرسلنا الرياح لواقح » في نفس السورة
 فانك ترى هناك عجائب الأزهار ونومها ويقظتها وإلقاها ، وترى في **﴿ سورة الشعراء ﴾** نظيره ، وفي **﴿ سورة
 النمل ﴾** ترى الكلام على الأوراق ونظامها من جهة أخرى غير ما جاء في **﴿ سورة الحجر ﴾** . فقال ولستكني
 أريد أن أشاهد نفس الزهرة عند نومها وعند يقظتها وما أشبه ذلك أيضا لما تقدم في **﴿ سورة الحجر ﴾**
 فقلت : جاء في كتاب **﴿ مبادئ التاريخ الطبيعي ﴾** ما نصه :

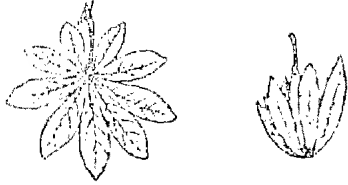
« ويؤثر الضوء في اتجاه الأوراق ، فإذا وضعنا نباتا في غرفة أمام نافذة رأينا الأوراق تدبر وجهها العلوي ،
 نحو النافذة حتى تلقى أكبر قدر ممكن من الضوء ، والأوراق بوجه عام تجعل نفسها عموديا على اتجاه الضوء »

حركات الأوراق

رأينا فيما تقدم أن أوراق البراعم تغير وضعها عند تفتحها وأن الحاليق تلتف حول الأشياء التي تصادفها
 وهذا التغير في الوضع أوفى لاتجاه الذي يشاهد في الأوراق الآخذة في النمو يعتبر نوعا من الحركة ، على أن

الأوراق الثابتة فوق قد تتحرك بصورة واضحة عند بعض النباتات ، وقد تكون حركات مسلية عن الضوء أو عن الملامسة وقد تكون ذاتية ناشئة عن أسباب داخلية ، ونحن نورد هنا بعض أمثلة من هذه الحركات :

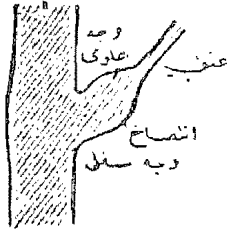
نعاس الأوراق



(ب) نعاس (أ) بقطة

شكل ١٩ - أوراق الترمس

ورقات الورقة المركبة من الترمس تكون أفقية أثناء النهار ولكنها متى أقبل الليل تسدل شيئاً فشيئاً حتى تضم أوجهها السفلى بعضها إلى بعض (انظر شكل ١٩) ثم تعود في الصباح سيرتها الأولى ، وتسمى الحركات التي من هذا القبيل بالحركات النعاسية وهي شائعة في كثير من النباتات كالبرسيم والحميض الخ إنما يظن أن تتجه الأوراق في نعاسها إلى أعلى ضامة أوجهها العليا بعضها إلى بعض ، وفي قاعدة الورقة للتحركة نجد انتفاخاً يعرف بالانتفاخ المحرك (انظر شكل ٢٠) وهو متى امتلأ بالماء تضخم ودفع الورقة إلى أعلى وإلى أسفل وفقاً لشكله الذي يختلف باختلاف النباتات ، وبالضد إذا تروى منه بعض الماء إلى الساق رأيناها مبط ويصير خروما فتأخذ الأوراق وضعها الأفقي من جديد ، ونرجع كثرة الماء وقلة في الانتفاخ المحرك إلى أن مقدار الماء الذي ينتجه النبات يتغير تبعاً لشدة الضوء ، وكأما الغرض من الحركات النعاسية انقاص السطح الورقي المعرض لبرودة الليل



شكل ٢٠ - الانتفاخ المحرك

الحركات المسببة عن الملامسة

رسم وشمي

أوراق بعض النباتات كالستهبية والنباتات الآكلة للحشرات تتحرك بمجرد اللمس فتغير وضعها ثم تعود إليه بعد زمن ما ، هذه النباتات إذن قابلة للتهيج بصورة تشبه من بعض الوجوه قابلية التهيج عند الحيوانات لاسيما أننا نستطيع في كلتا الحالتين إبطال هذه القابلية للتهيج وقتياً بتأثير بعض المواد المرقدة كالأثير والكلوروفرم والنباتات المستهبة تقدمت مشروحة بصورة في سورة الرعد عند آية ... يستقي ماء واحد ...

الحركات الذاتية



(شكل ٢١)

وهناك نباتات تتحرك أوراقها لغرض سبب ظاهر ويطلق على مثل هذه الحركات اسم الحركات الذاتية ، وأحسن مثال لهذه النباتات نبات ينبت في الهند اسمه هديزاروم جيرانس (شكل ٢١) تتكون ورقته من ورقة كبيرة ، وعند قاعدتها ورقتان صغيرتان (ب) و (ب) فتى وضع النبات في بيئة لا تقل درجة حرارتها عن ٢٢° مئوية ترى الورقتين الصغيرتين تتحركان ببطء فتسدور كل منهما حول قاعدتها بحيث تتم السورة الكاملة في زمن يتراوح بين دقيقتين وخمس دقائق ، وغالباً لا تكون هذه الحركات السورية منتظمة بل تتركب من عدة رجات متتابعة ، وهنا أيضاً يرى في قاعدة الورقة المتحركة انتفاخ هو الذي يدفعها إلى الحركة بما يظهر عني جوانبه من لارتفاع والهبوط المتبادلين ، على أن السبب الباعث لهذه الحركات لا يزال غير مدرك حتى الآن

سقوط الأوراق

في غالب الأشجار والشجيرات التي تنمو في المناطق الباردة والمعتدلة تكون الأوراق محدودة الأمد فاتها

تتوالى في الربيع وتجدد الصيف ، ولكن متى هلّ الخريف انهارت تلك الخضرة وتناثرت صبغة صفراء أو خضارية إلى الحجرة ، ثم تنفصل قاعدتها عن الفصن الذي كان يحملها وتسقط على الأرض تاركة مكانها أثرا ظاهرا يعرف بنديبة الورقة ، ويشاهد فوق سطح النديبة طبقة واقية من الفلين ، وهذه الطبقة تنشأ قبل سقوط الورقة بمدة مما تمنع وصول العصارة إلى الورقة كما أنها تساعد على انفصالها من الفصن ، ويتكوّن في إبط الورقة قبل سقوطها برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ، ثم يخو في الربيع التالي ويتكوّن غصنا جديدا ذا أوراق ، وتعرف مثل هذه الأوراق بالأوراق المتجددة ، ومثلها أوراق المشمش والتفاح والكرمة ، على أن بعض الأشجار والشجيرات تكون مكسوة بأوراق خضراء في جميع أوقات السنة ، وتسمى هذه النباتات بدائمة الخضرة ، ومثلها الصنوبر واليوكالبتس (المعروف عند العامة بالكافور) والفيكوس الخ ، ففي هذه النباتات تبقى الأوراق على الأشجار أكثر من فصل ولا تسقط أوراقها في وقت واحد

فأما سمع صاحبي ذلك . قال : هذا حسن جدا ، فهل ترى هنا فكرة حكيمية ؟ فقلت : لقد عجبت كثيرا من الأصحاب : أولهما أن الورقة قبل سقوطها يحدث فوق سطح النديبة طبقة واقية تمنع وصول العصارة إليها (ثانيهما) أنه يتكوّن في إبط الورقة قبل السقوط برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ثم يخو في الربيع وهذا عجيبان ، فكأن هذه الطبقة أشبه بالسدود في البحر تمنع جوى الماء لفرض خاص أو كما يصنع الفلاح في سقيه الأرض إذ يتّوّل الماء من الخوض الذي يجري فيه الماء إلى خوض آخر وذلك بسده بالطين الذي يجرفه بالأس ، إذن فعل الله في أبداننا ما فعله في حقولنا سواء بسواء ، وبدون دراسة هذه العلوم لا يخطر لنا أن ذبول الأوراق تقده سد العصارة عنه كما أن الإنسان يموت ولا يعرف الناس عن الموت إلا أنه أمر طبيعي ويجهلون السبب ، لم يكن ليخطر لأحد من الناس قبل انقشار هذه العلوم أن الحصى والجدرى والاسهال والحصى التيفوذية ، والحصى التيفوسية وأمثالها والكوليرا كلها لم تكن إلا حيوانات ميكروسكوبية أحسستها وأنتجت تلك الأمراض (انظره في سورة الروم) كما أن سقوط الأوراق لم يكن ليخطر للناس قبل ظهور هذه العلوم ، أن هناك سدا يوجب انحباس العصارة عنها ، إذن كل ما في أجسامنا وما في هذه العلوم لا يكون إلا بأعمال دبرتها نفوس عالية منظمة مستمدة نظامها من مبدع العالم كما ترى الضوم المنتشر في الأرض مستمدا من قرص الشمس ، فهنا قوى عاقلة تحيط بنا كاملة العقل مهندسة حكيمة لها أفعال ذات نظام تحيط بنا احاطة الشمس بأجسامنا ، فهنا نور شمسي وكوكبي وهما ضوء عقلي يتدخل في كل شيء

هذا هو الأمر الأول ، أما الأمر الثاني فهو أن البرعم الإبطي الذي يخو في الربيع أشبه بالأجنة في بطون أمهاتها ليحلوا محل الآباء إذا ماتوا ، فبينما ألهم يحل بالآباء نرى الأبنسة والأطفال يخوون ويكبرون ، هكذا البرعم الإبطي يخو أثناء منع العصارة عن تغذية الورقة ليحلّ بها الفناء ، وهذا هو قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فهذه العصارة حوّلت من الورقة إلى البرعم الصغير كما تتزايد الحياة في الأطفال وتناقس في الكبار ، والله هو الوليّ الحليم وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتب في يوم الأربعاء ١٥ يناير سنة ١٩٣٠ م

بهجة العلم في اللطيفة الثانية

في قوله تعالى : « والذي نزل من السماء ماء بقدر

يقول الله في « سورة الواقعة » : أفرايتم ما تمحرون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون بل لو نشاء جعلنها حطالما فظلمتم أنفسكموهون ، فإله هو الذي أنزل الماء من السماء ، وهو الذي سلكه ينابيع في الأرض ، وهو نفسه الزارع ، وهذه الآيات يفهما الجاهل والعالم لأنها واضحة ، ولكن التعقّق منها وأدراك حقائقها لن يكون

ولن يتسنى إلا القليل من نوع الإنسان . أن الناس همومرون في النعم وهذه النعم تهمي وتضم لتأثيرها عن ادراك الحقائق ، فالنعم لو فرتنا من شمس تضيء وهواء يحيط ، وجوب تزرع ، ونبات يظهر ، ولا عمل للإنسان فيها ، كل هذه أنامت هذا النوع الانساني قديما وحديثا ، فهل لك أن أحدثك معدينا جيلا يكشف بعض النقاب عن هذا الجلال حتى يكون بابا تلج منه لادراك الحقائق وان كانت تلك الحقائق يعوزها صرف الحياة في فهمها والبحث عنها ، ولن يحب الانسان صانع هذا العالم حبا مفرط لذاته غير ملاحظ خوفا من النار ولاطمعا في الجنة ، ولا عقابا ولا ثوابا إلا اذا درس هذه الدنيا وجمالها درساً فسكريا بعد الاطلاع على علوم الحيوان والنبات والسكواكب الخ . وهذا الدارس هو السعيد حقاً في هذه الدنيا وبعد الموت لأنه لا يرى من الله إلا الرحمة العاقمة ولا يكتدرفوه ما يرى من حوادث الدول والحروب والموت والاحياء فان هذا الدارس المفكر وقمت نفسه على سر هذا كله وقنيت بالحقائق فالتسرحت لها وتجلي لها الله في الدنيا برحمته الحقيقية وهذا هو الذي لا يميزه الفرع الأكبر لأنه عارف والعارف موقن بالرحمة ، والذي يخاف من الفرع الأكبر هم أكثر هذا النوع الانساني لأنهم يعيشون في جلودهم ولا يفهمون نظام الرحمة في الوجود ويتقلبون في أنواع اللذات والآلام ولا يفهمون ما وراءها ، فهؤلاء قد جهل من بين أيديهم سدا الشهوات ومن خلفهم سدا الآلام فأغشى على عقولهم فهم لا يبصرون الحقائق ، فأما أنت أيها الذكي فهالك نبذة من ذلك الجلال تتضح بها ما أغلق على أكثر نوع الانسان وان كانوا عاماء في جميع هذه العالوم ، فانظر الى الشمس انها ترسل الألوان السبعة المعروفة وهو الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي وهذه تصعد وتصير لونا واحدا هو الذي يغطي الأرض وجمالها وأنهارها وبحارها وأجامها وحجرها ومدرها ونبتها وشجرها ، وهذا الضوء هو الذي به ينمو النبات ، ذلك انه يساعد المادة الملوثة المخزونة في الأوراق على اجتذاب المواد الفحمية من الهواء وهو الذي يقيم هيكل النبات ، وهذا النبات هو الذي توقف بناء هيكله على الشمس ، ترى فيه أمرا عجبا ! تراه مقسما على بقاع الأرض وعلى الأزمنة وعلى حواس الأحياء وعلى ما يفهمهم من غذاء وفاكهة ودواء . فهذه أربعة فصول في تقسيم النبات على بقاع الأرض والأزمان والحواس ومنافع الحيوان . وهالك بيانها :

الفصل الأول

في أن أنواع النبات تكون في جميع الأماكن

إن منها ما ينبت في البراري والقفار ، ومنها ما ينبت على رؤس الجبال ، ومنها ما ينبت على شطوط الأنهار وسواحل البحار ، ومنها ما ينبت في الآجام والقباض ، ومنها ما يزرعه الناس ويغرسونه في القرى والسودات والبساتين ، ومنها ما يكون على وجه الأرض ، ومنها ما ينبت تحت الماء ومن ذلك قصب السكر والارز والنيلوفر ، وأنواع العكرش ، ومنها ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينسج على الشجر والنبات (كالسكشوتا) واللباب . ومنها ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن ، ومنها ما لا ينبت إلا في البلاد الحارة كالنخل . وما لا ينبت إلا في البلاد الباردة . وما لا ينبت إلا في التربة الطيبة . وما لا ينبت إلا في الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والأرضين اليابسة . ومنها ما لا ينبت إلا في الأرضين السبخة المشورجة واعلم أن أرضكم هذه لما أتمت في حضانة الشمس المدة الكافية لسق بلوغها قالت لها بلسان الحال أي بنيتي ها هوذا جاء زمن بلوغك فانهضي من صرقدك في معهدك الذي تنربين فيه . وهأنذا أرسلك الى مدارك الذي تدورين فيه حولي كما أرسلت من قبلك أخواتك الكبريات مثل بناتي (أورانوس ونبتون والمشتري والمريخ وأمتاهن) فهأنذا جاء الوقت الذي أرسلك لتسكوني في مدار خاص وهو منزل بعلك الذي

تطيعينه وهو الضوء الذي يسير مني اليك حين تبدئين في الدوران ، واجتماعه معك تملدين ذرية صالحة إن شاء الله وهي أنواع النبات والحيوان ، ولكن يا بني واسوءناه ، إن أبناءك من ذرية أحد أولادك المسمى آدم سيكونون خارجين عن سنن القوانين حين يطردون من الجنة التي كان أبوهما فيها ، فأنا يا بني أوصيك أن تأخذني معك كل مايجب لحفظ صحتهم اذا ضعفت لتطول حياتهم أمداً ما ، نفذي في هيكلك من العناصر مايفيدهم ، فها هو ذا الفسفوم والكبريت والفوسفور والحديد والكلور وأمثالها فانها ستدخل في مواد نباتية فيكون الأول نافعا في العضلات ، والثاني في الدم ، والثالث في اللعق ، والرابع في احمرار الدم ، والخامس في هضم طعامهم ، فهذا يا بني هو وأمثاله من الجهاز الذي تأخذ به بناتي معهن لأزواجهن حتى يلدن الذرية الصالحة النافعة . واعلم يا بني أن الله قد أعد لأبنائك من ذرية آدم كل ما يحتاجون اليه قبل اخراجك من جسمي لأنه علم أنهم قوم لا يحافظون على صحتهم فأسمي أن أبفك أسمه إذ يقول : انه سينبت عليك مثلاً الجزر ليكون نافعا للبهائم كما تفعلهم ، وأمثال الخس ليكون نافعا للزواجا ، وأمثال البرتقال ليكون نافعا للشجاعة ، والبقونس ليكون نافعا للسلامة ، والطمطمم ليكون نافعا للكبد .

وهذه الذرية ستخلق بعد مئات الالوف من السنين . فقالت الأرض : يا أماء . وكيف هذا ؟ فقالت لأن الله يعلم كل شيء قبل خلق السموات والأرض فهناك مناسبة عجيبة بين العناصر والنباتات وبين أعضاء الانسان عضوا عضوا وليسكن أكثر الناس لا يعلمون

الفصل الثاني

في تقسيم النبات على الفصول

النبات	مبدأ زرعه	زمان حصده
أكثر النبات	في زمن الربيع	
الخنطة والشهير والباقلا والعدس وغيرها	في زمن الخريف	الربيع
القشام . الخيار . الباذنجان	في الشتاء	»
الجزر . الشلغم . الكرنب . القنبيط	الخريف	الشتاء
السهم . الثرة . الارز	الصيف	الخريف
القطن . القنب	الربيع	»

الفصل الثالث

في تقسيم النبات على حواس الحيوان ومنه الانسان

النبات	(الحاسة)
مناظر الأشجار والأزهار جميعها	حاسة البصر
الأزهار وذوات الرائحة الطيبة كالورد	حاسة الشم
حنيف الأشجار وغويرة الأعشاب وهكذا	حاسة الأذن
الحلو كالتمر والتفاح والعنب وأمثال ذلك	حاسة الذوق
نعومة الزهر والقطن مثلاً	حاسة اللمس

الفصل الرابع

في تقسيم النبات على منافع الانسان

فمن النبات ما هو الغذاء كالحبوب والفواكه ، ومنها ما هو للدواء ، وهذا مقسم على الأعضاء أو عام ، فأما ما هو عام فمثله السكاثور والصفصاف ، أما السكاثور فهو نافع في الأمراض العصبية كالصرع واختناق الرحم المسمى (هيستريا) وذلك بأن تهجم على المريض نوبات عصبية فيفقد الشعور تماماً فلا يتعش ولا يركى بالنار ويقع ولو كان أمامه نهر ويهض على لسانه ، ويقول له الإمامة (سفرت) وهذا يستعمل له التفريح وترك السكر ، ويرش له مسحوق السكاثور على فروشه فهو مضاد للتشنج وإن كان قد اعتاد الاستمناء باليد يمنعه ذلك المسحوق على الفرس ، وأما الصفصاف فهو للعصبى ، وذلك أن المصاب بالحمى يعالج بمثل أوراق الصفصاف بأن يوضع (أوقيتان في رطل ماء) ويغليان ويشربهما مع وجوب ترك الحمل الذي أصيب فيه بالحمى حتى يتغير الطراء ، ويقصر على الحمية ولا يأكل إلا قليل المرق واللبن ولا يشرب إلا ماء الشمبر ليطفئ الماء الظمأ ، ويقوم مقام ورق الصفصاف مغللى قشر البلوط وورق الخور أو الزيتون . فهذان مثالان لما هو عام لمداواة الجسم كله ، أما ما يختص ببعض الأعضاء دون بعض فمثله :

- (١) أن الجلد ينفعه أكل الجزر
- (٢) والأعصاب ينفعها أكل الخس والسبانخ
- (٣) ولترك الخوف وظهور الشعاع ينفع أكل البرتقال والليمون
- (٤) ولأجل شفاء السكايتين ينفع أكل البقدونس وكشك الماز والفجل
- (٥) ولأجل شفاء السكبد ينفع أكل الطماطم والهندبا (جھيض) والبصل
- (٦) ولشفاء النزلة المعوية المزمنة وهى (القرقة) يأكل المريض السريس الأخضر وهو (الشكوريا البرية) مع الغذاء مدة اسبوع ، وهكذا حب الرشاد لأنه يحتوى على أصول مقوية جدا للهضم ومصالحة لتلك المعدة
- (٧) ولشفاء الرأس من ضرر (بطخة الشمس) وهى المسماة ضربة الشمس يصب على الرأس ماء بارد مضاف إليه قليل من الخل ، ويترك الرأس عاريا
- (٨) ولشفاء (داء الخناق) المسمى (دفتريا) يؤتى للمريض بخزقة نظيفة تلف على قطعة خشب رفيعة ثم تغمس في عصير الليمون المصفى ويمس بها خلق الطفل ، ويكرر ذلك كل ساعة مرة
- (٩) ولإسهال الطفل الذى يسميه الفلاحون بمصر (التاويحه) يجب أولا منع سببه وهو أكل الطعام والثمار قبل استعداد الطفل للأكل بل يجب أن يعطى لبن البقر إذا لم يكن لأمه لبن ويضاف إليه مقدار درهم من مسحوق الطباشير الناعم النقى كل يوم أو مثله من مسحوق الفصح النباتى (خشب النظيف) وقد يضاف إليه (فى كربونات الصودا)
- (١٠) ويهالج وجع الشقة وهو (أمراض النضاع والمقص المعوى والمقص السكاوى) باستعمال مغللى بزرائحه يؤخذ قدر أوقية ويغلى في رطل ماء ويصفى ويشرب منه قدر فنجال كل صباح ، فليواظب على ذلك فانه لا يشكو مرة أخرى من وجع الشقة ، وليلاحظ نقاء ماء الشرب ، فالأحسن أن يغلى في إناء ويؤخذ الصافي منه ويرد في إناء ويستعمل ، أما الترويق بنوى الشمس أو بالفول ففيهما ضرر كبير ، فالأول قتال والثانى يعفن ويأتى بجراثيم مضرّة ، والأحسن وضع نصف أوقية من الفصح النباتى النظيف المغسول مرارا في الزير ، ومتى فرغ الزير

يؤخذ الفصم ويغسل ثانياً ويفعل به ما فعل أولاً ، فهذا ربحاً يفيد في إزالة وسخ الماء ، وينفع في هذا المرض أيضاً أكل الكبر وهو معروف في حقول البرسيم في مصر ، وينفع أيضاً فتعال من مهلى بز الخرملى عند تناول الإفطار مدة أسبوع

تلك عشرة كاملة بعد المثاليين الأولين العامين . فقلت : هذا كله من كتابين : أحدهما كتاب « طب الركة » تأليف الدكتور عبد الرحمن اسماعيل المتخرج من القصر العيني بمصر ، وثانيهما كتاب في الطب تأليف (السير ويليم ويلسكوكس)

ولقد بذلت جهدي في أن أجعل هذه الأمثلة مستوفاة بحيث يمكن الانتفاع بها في المعالجة ولم أنقص من المعالجة المذكورة فيها شيئاً مما ذكر في المصدر الذي نقتات منه

هنالك اطلع على هذا أحد العلماء . فقال لي : هذه الفصول الأربعة طال الكلام فيها ، وهل هذا كتاب طب ؟ أم هو كتاب زراعة ؟ إن هذا تفسير للقرآن . وإنما ذكرت لك بهذا لئلا يستهويك جمال العلم فتفسى أصل الموضوع ، فيرى القارئ إنك تجاوزت الحد المقرر للتمثيل في التفسير . فقلت : كلا . ما غفلت وإنما هذه الفصول جعلتها قواعد أربعة أبني عليها قصور الحكمة وقلاع العلم ، إن التمتع والقطن وأنواع الخضار والريحان والفاكهة يزرعها الناس وتقرّ عليهم الفصول والسنون ويأكلون وينفسمكون ويعرضون ويتداونون ثم يموتون وأكثرهم لا يدركون ، فهنا ذكرت هذه الأمور ، وسأبين هنا كيف تمثل الروايات حول الناس صباحاً ومساءً وهم لا يشعرون ولا هم يدركون ، غاية الأمر أن يقال فلان غني ، وفلان فقير ، وفلان جاهل ، وفلان عالم ، أما هذه الفصول التي تمثل في مشاهد الطبيعة فهم عنها معرضون ، وقل من يخلق في هذه الأرض ثم هو يفسك في أن الشمس خرجت منها أمواج الأشعة فسافرت حتى وصلت إلى البحار فأثمرتها وأثارت الهواء فسكان سحب فطر فزرق وتمر ودواء الخ

إن أكثر الناس لا يعلمون « قتل الإنسان ما أكرهه » « أنه كان ظالماً جهولاً » ضوء وهواء وحس يدفن في الأرض وماء ينزل عليه ومواد خضراء بعضها فوق بعض ذات أوراق على ساق فأزهار فاتنة ، ثم إن كل ثمرة أو حب له عضوه من أعضاء جسم الإنسان يداويه . فأى مناسبة بين الشمس التي بهدت عنا مسافة (١٢) سنة بسفر قلة المدفع وبين بذور تلقى في الأرض وماء يخاطها ثم ينتج دواء أو غذاء لمخاوق بهيد عنهما لا مناسبة بينهما البتة ، أى مناسبة بين بذور ومياه وأضواء وبين رجل في الحقل حتى إن هذه الحبوب والأوراق المختلفة تقسم منافعها على أعضائه من قلب وكبد ومعدة وأمعاء إلى آخر ما تقدم . يخار فسكر العاقل فيقول : نور يسوق غازاً وسائلاً وهذا يجر يان في الجوّ بالانظام ، ثم هما يؤثران في غيرهما وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى منفعة عامة لكل حي .

فقال صاحبي : لقد ذكرت أن هذه أشبه بالروايات والناس لا يعقلونها . فقلت نعم إن فصول الروايات على قسمين : فصول يعقلها الحكماء ، وفصول يعقلها الجهلاء ، والعقلاء والجهلاء كل منهما فرح بما لديه ، فهذا بالخيال مفرور ، وهذا بالحقائق في مجبور ، فيا بعد ما بينهما ، إن بينهما بعد المشرقين والمغربين . فقال حدثني عن الخيال الذي للعوام وللحقائق التي للخواص على شريطة أن يتحدا في معنى واحد حتى أدرك الفرق بينهما ؟ فقلت : أذكر لك أولاً قصة خيالية من قصص (ألف ليلة وليلة) قد قدمت ذكرها في سورة الكهف . وهي قصة مدينة النحاس ، ذكرت هنا من أنواع الزينة التي أبدعها الله في عقول العلماء فأبهجت القلوب ، ذلك أن الكاتب تصوّر أن موسى بن نصير المعروف بأنه مع طارق بن زياد اللذين فتحهما الأندلس كان معه رجل اسمه عبد الصمد قد كشف عموداً من النحاس ففتحاه فخرج جنى كان معذباً من

أيام سليمان عليه السلام ، وحكى لهم تاريخ حبسه ، ثم ذهب الى مدينة النحاس وهي كبيرة جدا طاف الرجال حولها على خيولهم يومين حتى رجعوا للسكان الذي خرجوا منه ، وأدهشهم سرورها الذي لا يمكن اقتحامه لعظمة ارتفاعه ، ثم عثروا على مفاتيحها فوجدوا جواهر من ذهب وفضة وألباس وياقوت مما لا يحصى إلا الله والناس صرعى كل في مكان في السوق والقصور والمنازل ، ومن أعجب العجائب أنهم رأوا فتاة جميلة وعيناها تنظران فليس لها فلم ترد فعرفوا انها مينة وليكن عيناها تتحرك بالحكمة فقرب واحد منها ليأخذ ما عليها من الخلى والحلل التي لا نظير لها في الدنيا ، فانقضت عليه سيقان واقفان حولها بتصوير الحكمة فصر به بالسيف فقتله فتركوها ، ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه قصة هذه المدينة والمجاعة التي حلت بها ، فقرأ الشخص بتمامه في ﴿ سورة الكهف ﴾ أوفارجع الى نفس ألف ليلة وليلة

فهذه الخرافة تلذ السامعين من الصغار والنساء والعامة الجهلاء ، لأن فيها مفاجآت عجيبة وأمور غريبة والخيال يصو الى هذه الغرائب فانه اذا سمع أن هناك مدينة عظيمة جدا دهش لأنه لا نظير لها ، واذا سمع انها ملوذة جواهر وأن فتاة جميلة تتحرك عيناها دهش جدا ، واذا سمع أن رجلا قتل بسيف متهمة بماتيل واقفة زاد دهشه ، فهذه الرواية جعلت لتعليم الناس الزهد في الدنيا ولا سبيل لذلك إلا بهذه الخرافات فهي حسنة جدا لصغار الأحلام ، وهكذا تجد رواية أخرى جاء فيها أن ابن ملك من ملوك مصر رأى في خزان أبيه خلعة بهجة فيها صورة فتاة جميلة وهو في سن الرابعة عشرة فهام بحبها وأعطاه أبوه بعد اللتي والتي ما طلبه من رجال الجند والنخائر والعدة وسافر الى أقصى الشرق ومات جميع رجاله غرقا تارة وقتلا أخرى بعد أن وقع في الأسر همارا ، ورواه القدر في بلاد الفرس بعد رجوعه من الشرق الأقصى فنهض على ابنة ملك الجن في حديقة وهي نفس الصورة التي كان يطلبها فتزوجها ورجع بها الى أبيه وكان يوما مشهودا

فهذه القصة تقرررها في نفس كتاب « ألف ليلة وليلة » وربما صرّت الإشارة اليها في غضون هذا التفسير . ولعمري ماهذه القصة وأمثالها إلا رمز لمعرفة الحقائق التي نحن بصدددها ، فاننا نعيش في الأرض ولا نفقه من هذا الوجود شيئا ، وإن نال تلك الحقيقة الناصعة التي هي السعادة الحقة إلا بأن نجعل أجسامنا وأموالنا قربانا لأجلها ونلقى بمهجنا في سبيل العلم والحكمة أوفى ساحات الحرب ، فنكون أدينا ماوجب علينا . فهذه المهالك التي وقع فيها ابن ملك مصر وما صادفه من ذل وجوع وعري وفقد الرجال والمال ثم الأسر والضرب والغرق ثم النجاة . كل هذا ضرب مثلا لطلاب المجد والعلا فهم لا ينالونه إلا باستغنائهم عن هذه الحياة والوقوع في المهالك والهاوى والمشايق العظيمة فيكون الفوز

ولقد أردت أن أؤلف رواية خيالية تستبين بها سبيل هذه الفصول الأربع في ضوء الشمس والهواء والماء والنبات وتقسيمه على الفصول الأربعة وعلى أعضاء الانسان مع تبين ما بيننا فأعيتني القريحة بعد السكد والنصب حتى اذا كنت يوم أمس بعد الظهر وهو يوم الأحد ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية وأنا سائر في منزل الروضة وهناك جلست تحت شجرة فأخذتني وأنا جالس سنة من النوم ففيل لي كأن أمامي رجلين يتحدان . فقال أحدهما : هل أحدثك حديثا عجيبا في غرائب هذه الدنيا . فقال أحب ذلك . فقال كنت الليلة نائما فأتاني خمسة رجال فأيقظوني فرأيت جسمي مطروحا على الأرض كأنه ميت فقلت أنا ميت قالوا أنت حيّ وهذه روحك ولها اتصال بهذا الجسم وسترجع اليه ، وسارنا حتى ارتفعنا الى السماء ووصلنا الى الشمس :

(١) فرأيت حمامتين : إحداهما ذات طوق أحمر ، والأخرى ذات طوق أبيض . ففقت ماهاتان يرحمكم

الله ؟ فقالوا اصبر قليلا

(٢) ثم نظرت فوجدت هاتين الحمامتين أسرعتا في الجري حتى وصلتا الى الهواء المحيط بالأرض . ثم أخذتا

تفرغان كثيرا حتى رأيت عربات لا عدد لها تجري في الجوّ ولكن لا عجالات لها . فقلت : ما هذا ؟ فقالوا اصبر قليلا

(٣) ثم عمدت الحمامتان الى البحر فاخذتا تضربانه بأجنحتهما ففرجت قرب لطيفة الصنع مملوءة ماء وصارت تطير في الجوّ هنا وهناك بغير نظام ، إذن هناك عربات وقرب ماء كلها طائرات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لانظام لها ولا ثبات

(٤) وبينما أنا متعجب من هذه المعركة المخلطة إذ رأيت هذه القرب قد حلت على تلك العربات واتحدت هذه مع هذه حتى صارت كأنها سفن تقترب من بعضها ، ففجبت كل العجب ! فقلت ما هذا يرجم الله ؟ أدركوني وأسعدوني حتى أنهم ، فقالوا اصبر

(٥) وبينما أنا كذلك إذ رأيت هاتين الحمامتين عمدتا الى تماثيل مصنوعة من الطين مجوّفة فأخذتا تفرغان عليها ، فرأيت تلك الصور أخذت تنقلب من حالها الأولى الى حال أتم وأرق وأخذ الطين يصفو شيئا فشيئا حتى صار لها وعظما وفيه عيون وأسماع وأبصار : ثم أخذت التماثيل تهتز وتمشي وتتسكّم ، فأخذ مني العجب كل مأخذ ، وهذه الصور مختلفة الأشكال والألوان والأعمال من كبير وصغير

(٦) ثم رأيت صورة طينية أكبر من جبال همليا بهيئة انسان ، وهذه الصورة أخذت الحمامتان تفرغان عليها ، وانضم إليها ألوف مرفقات حتى تحركت ونطقت ، وهناك أخذت مني الرعب كل مأخذ وقلت ان هذا الذي أمامي هو ما يقال له الغول ولوانه خطي خطوتين نحوي لقتلني . فقالوا لا تخف اصبر قليلا

(٧) ثم سارعت الحمامتان الى أرض قفر ، فأخذتا تفرغان عليها وقد رأيت هناك نملا كثيرا تضع ما يشبه الحصى أو الرمل والحمامتان تضربان دائما على وجه الأرض فوق تلك الرمال ، فما أسرع أن رأيت تلك الحصى والرمل قد ارتفعت فوقها أعمدة شيدت عليها قصور خضر وفيها مخازن عجبية . (٨) وتلك المخازن فيها ما يشبه تلك الحصى والرمل التي جلبها النمل . فقلت ما هذا يرجم الله ، فقد والله رأيت عجا لم أسمع ولم أر مثله . فقالوا اصبر

(٩) ثم سمعت من ذلك الانسان الكبير الجثة أصواتا من جميع جسمه ، وتلك الأصوات مختلفات من معدته ، ومن أمعائه ، ومن كبده ، ومن قلبه ، ومن رأسه ، ومن جنبه ، ومن نخاعه ، ومن رتته ، ومن طحاله ، ومن كليتيه

(١٠) فعند ذلك رأيت جماعات من النمل قد أسرع حثيثا الى تلك المخازن فصارت تأخذ منها وتلقي على مواضع تلك الأصوات فلا تسكاد النملة تضع بزرا من تلك البزور على الجنب أو الرأس أو المعدة حتى يسكن الصوت حالا ، وتارة يتأخر قليلا ، فهناك اعتراني أشد الدهش ، فقلت ما هذا يرجم الله ، فاني لاصبر لي على هذه العجائب ؟ فقالوا لي : أما الآن فنعم قد تم لك العلم

قال : فقلت وأيّ علم ؟ أنا لا أعلم شيئا . فقالوا لي يرجم الله ما هما هاتان الحمامتان . فقال أحدهم وهو الرئيس الآن أحدثك : إن الناس في الأرض نيام ، وهذا الذي رأيته هو الذي يرونه بأعينهم ولكنهم لا يفقهون وعلمائهم وجهلاؤهم على حد سواء . قال فقلت ولم لا يفقهون ؟ قال لأن هذه روايات خلقوا فيها وهم أنفسهم من الممثلين والممثل في مسرح التمثيل غير النظارة ، فأنت الآن من المشاهدين وأهل الأرض هم المشهودون . فلما كنت في جسمك كنت مشهودا ولكنك الآن شاهد والشاهد غير المشهود . فما أهل الأرض إلا لصور متحركات يشهدهم فيها المقرّبون . فأما أنت الآن فلسيت منهم بل صرت روحا فصرت أشبه

بالشاهدين . قال فقلت ، ولم لا أكون من الشاهدين . قال يابني ان الشاهدين ليسوا هم الذين تضرب لهم الأمثال فحسب مثل هذه الأمثال التي سأبينها لك ، بل هم الذين يدركون نفس الحقائق ، و يفرق بين الثريا والثرى ، ومدرك الحقائق هم المقرَّبون الذين يقول الله فيهم « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » . والمادة الحقيقية لا تكون إلا بمعرفة الحقائق فعلا لا تخيلا ، فها أنا ذا أقصّ عليك ما رأيته الليلة لتبلغه لأهل الأرض . فقلت : فما هاتان الجاسمان إذن ؟ فقال : أما ذات الطوق الأحمر فهي الحرارة وأما ذات الطوق الأبيض فهو الضوء ، وأما العر بات فهي الرياح ، وأما القرب المماودة ماء فهي البخار الخارج من البحر بتسلط الحرارة عليه فيكون باجتماعهما سمحاب ، وأما ضرب الجاسمتين بأجنحتهما على الأرض وعلى ما يشبه الحصى والرمل فذلك ان الحرارة والضوء لا بد منهما في ظهور النبات من الأرض ، وأما تلك الصور الطينية فهي جميع الحيوانات فهي من الطين مصوّرات ، ولولا الحرارة والضوء ما كانت لها حياة ، وأما القصور المصوّرات فوق الأعمدة وفيها الخازن فهي النباتات ، وأما ذلك الانسان العظيم الجثة كجبال همالايا فهو الأهم الأرضية صوّرت لك بهيئة انسان كبير الجثة ، وأما الأصوات الخارجات من أعضاء جسمه فهي الأمراض الموزّعات على الأعضاء الجسمية في أفرادها ، وأما طوائف النمل الحاملات لتلك الحبوب من المخازن في تلك القصور فهم الأطباء يضعونها على مواضع الداء لتشفى . قال ثم قال هذا الطيف لي : فهذا هو تمثيل أحوال تحيط بكم ، فإذا رجعت روضك الى جسمك فقل لهم : يا أهل الأرض . إن حواسكم عجائب وعجائب وليكنكم لاتعقلونها لأنكم أنتم صورتمون ولستم من النظار ، ولقد أقسم الله بالشاهد والمشهود وقدم الشاهد لأن الشاهد يعقل ويكون من المقرّبين وهو الذي عقل عن الله وأدرك رحمته فعلا فلا يلهو له الفزع الأكبر لأنه اطلع على الأسرار وعرف الحقائق فلم ير من الله إلا الرحمة فإن أماته أو أحياء أو أقره أو أغناه فهو في السعادة الأبدية سعيد في الدنيا بالعلم ، وسعيد في الآخرة بالعلم ، فأما أمثال هذه الخيالات فهي لفتح باب العشق والحب ومتى كان الحب وصل العبد خالقه ، والعبود على قسمين : عبيد عبدوا بالرغبة ، وعبيد عبدوا بالرهبة ، فأهل الخيال عبيد الرهبة ، وأهل الحقائق والحب والعشق عبيد بالحب ، والى الأوّل الاشارة بقوله تعالى « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » ، والى الثاني الاشارة بقوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الخ » فلك الناس تارة يكون بالرهبة ، وتارة يكون بالحب والعشق ، وأفضلهما الثاني . قال : ثم قال لي الطائف وهو رئيس الجماعة الذين معه : وما كل مصقول الحديد يمانى . قال ثم قلت لرئيس الجماعة المذكور : حيّاك الله . عرفت أن القصور الخضراء تمثل المزارع ، وأن الخازن فيها تمثل الحبوب فعلمني رعاك الله مما علمك الله بعض الحقائق بعد الخيال عسى أن أستيقظ فأخبر أهل الأرض فيصلوا الى الحقائق فقال أما الآن فنعم لأنك اشتقت الى العلم ، ولا علم إلا بعد الشوق ، والشوق أعظم أبواب السعادة ، قد رأيت النبات في الأرض ؟ قال نعم . قال وهو مقسم على الأزمنة والأمكنة والأعضاء والحواس . قال فقلت نعم وهذا أمر عجب ! لا أعرف سرّه . فقال : قد علم الله أنه سيخلق الانسان وإن أنسب الأوقات للزراعة فصل الربيع الذي فيه تظهر أكثر النباتات . قال فقلت نعم . قال : لو أنه تعالى لم يجعل الزرع إلا في ذلك الوقت لتعطّل الانسان في بقية السنة ، فدبر الأمر وجعل لبقية الفصول أنواعا من الزرع ليعمل الناس لأنهم اذا لم يعملوا كان ذلك تعطّلا لهم ومرضا لأجسامهم ، ولو أن النبات اختص بمكان دون مكان لاجتمع الناس في مكان واحد هم والحيوان فهلكوا فلذلك وزعه على أمكنة كثيرة . قال فقلت هذا عجب ! والله ان أهل الأرض لا يفكر أكثرهم في ذلك . قال : هذا أعلمك . ثم قال : وهى الحرارة والضوء والهواء والماء كانوا علماء بكل شيء حتى عرفوا أن بذورا مرماة في الأرض فاجتمعوا عليها ثم حصل النمو فوزعت محصولاتها على الأعين والآذان والجلود والبطون والآكباد والقلوب الخ بحيث أصبحت تلك الامور المبعثرة التي يرى ظاهرها لا نظام

لها وكأنها جاريات بغير حساب قد صارت مقصودة قصدا حقيقيا بحيث توزع ثمراتها على حاجات الحيوان والانسان عضوا وحاسة حاسة أى ان النباتات بالغات عندكم الآن (٢٥٠) ألف نوع كلها موزعات على أعضائكم وحواسكم مع ان من يرى الضوء والحرارة والطواء والماء والأرض وهي تتفاعل لا يخطر له أن النتائج تكون منظمة هذا التنظيم المدهش ، وأى نسبة بين الشمس التي تجرى وبينها وبينكم آمادا وآمادا وهي ترسل ضوءا لكم وبين الأعين والمعدات والجاود ، ثم ان أرضكم كما تقرأون أتم في العالم كانت قطعة من الشمس ، وهذه القطعة فيها الجير والمغنسيوم والكبريت والفسفور والحديد والكلورين ، فهذه المواد مما يدخل في النبات عندكم ، وكل هذا يرسل من الشمس في أجزاء الأرض ، فلم تقف الشمس عند هذا الحد ، فأمرها الله بارسال ضوء وحرارة يبعثان منها ليتها ما قصده الله سبحانه كما خلق الله عقولكم يا بني آدم فهي كهذه العناصر كدنة لا عمل لها ، ولكنه يرسل لكم أنبياء ، ويلهم من بينكم حكاء فيحركون أجسامكم وعقولكم كما أنكم ترون الضوء والحرارة يبعثان من الشمس فيساعدان :

(١) الجير المذكور المفيد للعظام الشافي للجروح على أن يدخل في نبات السكرن وفي اللبن والجبنة التي لم يؤخذ زبدها وفي السبانخ والبصل والشمش والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبابايا والرده

(٢) ويساعدان أيضا المغنسيوم الذي يكون قوة في العضلات ويمنع التفتق فيدخل بسببهما في السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والتين والبابايا

(٣) ويساعدان أيضا الكبريت الذي هو المنظف للدم المانع للرومانيزم على أن يدخل في السبانخ والقنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والسكرن والبصل والبابايا

(٤) ويساعد الحرارة والضوء أيضا الفسفور الذي هو مغذ للرخ على أن يدخل في الفجل والقنبيط والخيار والجوز والبسلة والعدس والقمح وفي الخس والسبانخ ، وهكذا في صفار البيض وكشك الماز

(٥) ويساعدان أيضا الحديد وهو الذي يعطى الدم لونه الأحمر على أن يدخل في تركيب السكرن الأحمر والسبانخ والبصل والزبيب وصفار البيض النبي والبلح والبرقوق والبنجر وكشك الماز والطماطم

(٦) وهما أيضا يساعدان الكلورين وهو المساعد للضم المنظف للعدة على أن يدخل هيكل السكرن وملح البحر والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنة وجوز الهند والبنجر

ثم قال : هذه المواد الست مما يدخل في تركيب النبات قد أرسلها الله مع الأرض يوم أن اقتطعها من الشمس ، ثم أرسل لها الضوء والحرارة فنزلت عليها فكانت سببا في دخولها في هذه النباتات المقررات على أعضاء بني آدم وعلى حواسهم بحيث لا يكون هناك داء إلا وله دواء ، ولا حاسة إلا ولها ما تطلبه ، ولا حاجة من حوائجكم إلا كانت حاصلة موجودة قد أثرت بذورها وأصولها من عوالم فوق شمسكم « وفي السماء رزقكم وما تعدون »

ثم قال : فهذا هو ما سألت عنه ، فهل فهمت ؟ قال فهمت . يقول مؤلف هذا الكتاب : كل هذا وأنا مصغ الى القائل وعندى أشد الدهش والبهجة ، وأقول في نفسي : يارب كيف أكون في حيرة وقد عجزت فعلا عن تمثيل ما يحيط بنا من العجائب بحيث يكون أشبه بالروايات ، وكيف يثبت والله بأسا حقيقيا من أن صور ذلك بصور خيالية ، ثم كيف أسمع ذلك في المحاور بين هذين الرجلين ، فهل هذه الأرواح هي اخوان روحى ؟ أم أى شيء هذا ؟ ثم أردت أن أسأل هذا المتكلم ، لأسأله من أنت ؟ فاستيقظت وقد عجبت كل العجب وحدث الله على انه علمني ما لم أكن أعلم ، وإني الآن يكاد قلبي يطير من بين جنبي إذ عرفت ما عجزت عنه والحمد لله رب العالمين . كتب ضحى يوم الاثنين ١١ رمضان سنة ١٣٤٨ هجرية

اللطيفة الثالثة

كشف النقاب عن بعض أسرار قوله تعالى : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين .

حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يحادثني في هذا التفسير . فقال : لقد أومأت الى تفسير آية « ومن يعش عن ذكر الرحمن الخ » عند الكلام على البسطة ، وليكن النفس اليوم يعوزها الوقوف على الحقائق ، وكما أن علم الطبيعة لا يورث اليقين اذا اشتغفناه اشتغافا هكذا علم القرآن ، فاذا لم نصل الى النهايات فلسنا علماء ولنا سدداء ، فهل هذه الحياة الدنيا شقاء والسعادة محصورة في ذكر الله تعالى ؟ نحن نريد التحقيق في هذا المقام بالعقل . فقلت : أيها الحبيب : اذا أردت الوقوف على حقيقة هذا الموضوع فلامندوحة لك من الصبر على البحث معي والتنقيب . فقال سأصبر . فقلت : جاء في كتابي « بهجة العلوم » في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية الذي ألفته وهو الآن تحت الطبع ما يأتي من علم الحساب :

﴿ أولا ﴾ ان كل عدد قسم بقسمين ثم زيد عليه أحد القسمين يكون المجموع من ضرب جميع ذلك في نفسه مساويا لضرب ذلك العدد قبل الزيادة في تلك الزيادة أربع مرات والقسم الآخر في نفسه ومثاله أن نربع $(7 + 3 + 3)$ فهذا يساوي $10 \times 3 \times 4$ زائد 7^2

﴿ ثانيا ﴾ كل عدد قسم بنصفين ثم زيد عليه زيادة ما يكون الحاصل من ضرب ذلك العدد مع الزيادة في نفسه وضرب الزيادة في نفسها مجموعا مثلي ما يكون من ضرب نصف العدد مع الزيادة في نفسه وضرب نصف العدد في نفسه ، مثال ذلك (10) قسمت نصفين ثم زيد عليها اثنان فأقول ان ضرب الاثنى عشر في نفسه والاثنين في نفسها مجموعا مثلاما يكون من ضرب 7 في نفسها و 5 في نفسها مجموعا

﴿ ثالثا ﴾ كل عدد من مجنودين على الولاء اذا ضرب جذر أحدهما في جذر الآخر زيد عليه ربع تكون الجلة عددا مجنورا ، فاذا ضربنا جذر 4 في جذر 9 وزدنا ربعا فحذر المجموع 35 فهذه ثلاثة مسائل من علم خواص الأعداد ، وهالك ثلاثة أخرى في الهندسة وهي :

(١) زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين

(٢) مربع وتر الزاوية القائمة في المثلث يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين ، فاذا كان أحد الضلعين

3 والثاني 4 فإن الضلع المقابل للزاوية القائمة يكون 5 ومربع $3 = 9$ ومربع $4 = 16$ يساوي 25 ومجموعهما 25 ومربع 5 يساوي 25 وهو المطلوب وهذه صورته :



(٣) الزاويتان الحادثتان من وقوع خط مستقيم على آخر مستقيم على جانب واحد منه هما قائمتان أو تعسلا قائمتين . فهل فهمت أيها الصديق هذه المسائل ؟ فقال انها في غاية الوضوح ، إن مسألة الزوايا الثلاث في المثلث تقدمها 33 شكلا حتى أمكن البرهنة عليها ، ومسألة مربع الوتر تقدمها 46 شكلا كذلك ، ومسألة الزاويتين تقدمها للبرهنة عليها 12 نظرية في الهندسة . فقلت : حسن جدا . إذن هذه المسائل ليست من البديهيات بل هي نظريات ، ولا جرم أن النظريات ترجع الى البديهيات في آخر الأمر كقولهم « الشكل أعظم من الجزء » وهذه النظريات والأشكال التي تقدمت المسائل المتقدمة قد جعلت لتوصل هذه المسائل الى البديهيات . قال نعم . قلت فلنسر في بحثنا على هذا النور العلمي لنصل لما تصده فتقول : نتخذ هذه المسائل الهندسية والحسابية الست مقدمات كما جعل الناس القضايا البديهية مقدمات

وبنوا عليها علومهم الجزئية كالفساب والهندسة والفلك والجبر وغيرها ، فلبين نحن عامنا الذي هو سيد العلوم وهو العلم الأعلى وهو أصل العلوم على تلك العلوم الجزئية (وبعبارة أخرى) ان علماء الرياضيات والفلسفات يتخذون المحسوسات والبدهييات أساسا وبنوا عليها علومهم الجزئية التي بها نظمت أمور الحياة في الأرض فلتتخذ نحن نفس علومهم التي برهنوا عليها ونجعلها أساسا للعلم الأعلى وهو العلم الذي به السعادة والحكمة والجمال المطلق ، ذلك لأن الناس مع شيوخ علومهم وكثرتها نراهم دائما في قلق ، وآراؤهم في حيرة واضطراب والناس في حرب وضرب واختلاق واختلاف ، لافرق بين علمهم وجاهلهم وأرباب العلوم ورجال الصناعات سواء في ذلك .

وكل يدعى وصلا ليلي * ويلي لاتقر لهم بهذا كما

فنعن هنا نريد أن نتوصل الى العلم الذي يريح جميع الطوائف وهو في اليقين كاليقين الذي يعرفونه في العلوم الرياضية ، ومتى عرف الانسان اليقين سعاد السعادة التي لانهاية لها . فقال صاحبي : انك لتحدث عن أمر عظيم ذي بال وهو شريف ، وأود أن يمنعك الله قوة التكر حتى تعرفنا هذا العلم البديع الذي لو تحقق لأعطى النوع الانساني اطمئنانا والاطمئنان هو النعيم الأكبر في هذه الدنيا . قلت : أيها الصديق ستسمع مايسرك ويكون عندك اليقين ، لننظر في المسائل الحسابية الثلاث وأخواتها الهندسية التي قدمناها هل هي خاصة بالأعداد التي كتبناها وأشكال هندسية خاصة ؟ أم كل قاعدة منها تشمل أعدادا وأشكالا كثيرة . قال بل كل منها تشمل مسائل لا تحصر لها هندسة وحساب ، فالأرقام التي ذكرتها والزويتان اللتان رسمتهما ماهما إلا مثالان لاغير ، فهناك من الزوايا ومن الأرقام ما لا يعد وكله مطبق على هذه القواعد . قلت : أصبت المرحى ، أترى هذه القواعد السككية مشاهدة بأبصارنا . قال : كلا ، بل نحن نعقلها ببصائرنا والمشاهد بالأبصار :

﴿ أولا ﴾ المعدودات الخارجة والمواد التي دخلتها الهندسة في العالم المشاهد كالمنازل والقلاع

﴿ ثانيا ﴾ الألفاظ الدالة على تلك المعدودات والمواد الخارجة

﴿ ثالثا ﴾ أرقام الأعداد وأشكال الهندسة المرسومات في الدفاتر والكتب ، فالألفاظ والأرقام تدل على مافي الخارج ، ومافي الخارج صورة لما في الذهن ، أما الذي في أذهاننا فهى القواعد السككية التي لها صور كثيرة في الخارج . فقلت الله أكبر ، وصلنا الى المقصود وأشرفنا على عالم الجمال والكمال والدوام ، قل لي أيها الحبيب ماذا تقول في هذه القواعد السككية التي في ذهنك أنت في الحساب والهندسة والمنطق والفلك والطبيعة والكيمياء هل اعتراها يوما ما تغير أو تبدل من يوم أن عرفتها . قال كلا هي دائمة في عقلي وهي أشبه بالمخازن ومنها أتصرف في أعمالى اليومية . قلت حسن ، أيهما أكثر دوما ، خزائن الذهب والفضة ومخازن الحب ونحوها أم هذه ؟ قال بل هذه هي الدائمة . قلت : ولكن الناس لغفلة أكثرهم لا يفرحون بهذه المخازن التي في أنفسهم وانما يفرحون بالامور الجزئية الوقتية ، فتعال معي الى ماهو أرقى من هذا ، قل لي أيها الحبيب : ما الذي أدرك هذه السكليات العلمية . قال نفسى . قلت : فهل لهذا نظير في العالم المحسوس ؟ قال نعم ، العين والصورة الواصلة اليها بضوء الشمس من شجرة الورد مثلا ، فالعين نظير نفسى وقواعد الحساب والهندسة كصورة شجرة الورد الواصلة الى عيني من ضوء الشمس . قلت حسن جدا ، فانرق في البحث الى درجة أخرى . فقال : إني الى ذلك وامق . فقلت ما الذي كان السبب الظاهر باذن الخالق في نمو الشجرة ؟ قال الشمس . وما الذي كان السبب أيضا في انك رأيتهما ؟ قال الشمس أيضا . فقلت : إذن الشمس سبب ظهور شجرة الورد وسبب لرؤيتك إياها . قال نعم . قلت حيالك الله وبياك ، فبين لي ذلك ؟ فقال الشمس تضيء ولها حرارة ، والحرارة سبب البخار ، وجرى الهواء ، والبخار يحمله السحاب ، فالبخار والهواء معا

سببهما الظاهري الشمس ، والسحاب يكون مطرا ، وبالمطر (باذن الله) كان النبات ، وأيضا تقدم في ﴿سورة يس﴾ أن الورق المرسوم هناك في داخله مواد ملونة عائمة في سوائل هناك ، وهذه المواد الملونة تساعدنا أضواء الشمس على تناول المواد الفعمية من الهواء فينمو النبات ، ومن النباتات شجرة الورد المذكورة ، ثم ضوء الشمس كما أنه ساعد على التغذية هو نفسه الذي يرسم صورة شجرة الورد ويوصلها إلى جذعها فأناهاها

قالت : أحمده الله أنك تذكر العلوم إجمالاً وتفصيلاً ، ولم تنس شيئاً مما ذكرناه في هذا التفسير . ثم قالت : إذن عندنا :

- (١) شمس
- (٢) وشجرة الورد
- (٣) وصورتها المرسومة بالضوء
- (٤) وعين الانسان
- (٥) والقواعد العلمية (٦) ونفوسنا

فنفسنا كالعين والقواعد العلمية كصورة شجرة الورد التي وصلها الضوء إلى العين فيما تقدم فلم يبق إلا مثال الشمس ومثال نفس شجرة الورد ، فهنا نحن أولاء لدينا ست مقدمات واضحة : أربعة محسوسة واثنان معقولتان ، فلم يبق إلا الاثنان الباقيتان ، فلنبعد عنهما كما يبحث علماء الجبر إذ يتوصلون بالعلوم للمجهول فنقول : أيها الحبيب : هل تظن أن ضوء الشمس يوصل لأعيننا صورة شجرة الورد وهي ليست موجودة قال . كلا . فالضوء لا يوصل إلا صورة ما هو موجود فعلاً . قلت حسن . أفلم تستر أن الصورة السكية التي في أذهاننا في سائر العلوم لها أصل وهي صورته . قال : إن كليات العلوم أصلها هو الذي نشاهده في الخارج من المعدادات ومن المباني في الهندسة وهكذا . فقلت : هذه جزئيات وتلك كليات وما أبعد الفرق بينهما ، فصوره السكية في عقولنا منقولة عن معنى كلي ، كما أن صورة شجرة الورد الواصلة لعيننا منقولة عن مادة جزئية ، وليس من المعقول أن السكية يكون عن جزئي ، وما الجزئي إلا مثال له ، فانظر لمثال شجرة الورد والشمس ، وقل لي ، أأنت ترى أن القواعد التي نحس بها في عقولنا صوراً لموركية معنوية ثابتة في أنفسها وصانع العالم هو الموجد لها وهو الذي أظهر صورها لعقولنا بلا رابطة كما أن شجرة الورد المذكورة صنعها بواسطة الشمس وأظهرها لعيننا بواسطتها ، أولست ترى أيها الحبيب أن مثال الشمس جميل به أمكننا أن نعرف هذه المسألة العظيمة فنقول :

إن الله الذي هو ثابت لا يتغير قد خلق أمورا كلية معنوية وهي أمور روحانية ثابتة لا تتغير وهو نفسه أهداها لعقولنا فمرفتها وعشنا بها وضرب لها مثلاً بالشمس وبالخلوقات الأرضية ، فكما أن الشمس سبب في حياة النبات والشجر كانت هي أيضا سببا في رؤيتنا له والله تعالى سبب في خلق المعاني الدائمة بدوامه ، الجميلة المستمدة من جماله ، وحين نشاهد أعيننا صور العوالم المشاهدة يكون ذلك سببا في استيقاظ عقولنا واستعدادها إلى انكشاف تلك القضايا السكية التي يفرضها الله على عقولنا ، وبهذا تنحل مشاكل لا حدة لها في عالمنا الأرضي وتظهر حقائق كانت مخبوءة

فهنا نحن أولاء قد وصلنا إلى المقصود ، واستنتجنا نتائج باهرة ، وقسنا ما لم نشاهده على ما شاهدناه وأدركنا أن المعاني السكية التي نحس بها في عقولنا والتي عليها مدار حياتنا هي أصل لكل ما نشاهد في هذه الأرض وهي صنع الله نفسه بلا واسطة وهي دائمة ، وإذا ثبت هذا في علومنا التي نرجع إليها في جميع أحوالنا فليثبت نظيره في كل أمر عام

فاذا رأينا الوجوه الجميلة ، واذا سمعنا بالعدل والحكـال وما أشبه ذلك فلنقل ان كل جـال وكل عدل مشاهد لنا فهو في هذا العالم ناقص كما قلنا ، إن المعلومات التي نراها جزئية والسكـلي هو العالم المعقول ، فالجمال المعنوي والعدل المعنوي والحكـال ، كل ذلك له مثل (بالضم) عليا في عوالم خارجة عن المادة كما ان للعالم مثلا (بالضم) عليا

وبالجملة فلا علم ولا جمال ولا كمال ولا سعادة إلا فيما هو ثابت ، فأما ما لا ثبات له فاعما هو مذكـر بماله كمال . أيها الحبيب : إن ما قلته الآن كله قد أذكرتني به آية في ﴿سورة النبأ﴾ وأنا أصلي وقت السحر ليلة الخميس (١٩) نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهي قوله تعالى «وبينا فوقكم سبعاً شداً» ويجعلنا سراجاً وهاجاً» وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً» لنخرج به مهاباً ونباتاً» وبعثنا ألفافاً» فإني حينما كنت أقرأها ذكرت بالسراج الوهاج وبالسحب والمطر والنبات المذكورات في الآية مسألتي بهذا فيبرها ، فالتبت أذكرني بالمعلومات الجزئية التي تشبه المسائل الست المتقدمة في الحساب والهندسة . والشمس ذكرتني بصانع تلك الصور الجميلة المعنوية وهو الله تعالى ، والصور المعنوية الروحية توصلنا لها المعلومات الجزئية المشار لها بالنبات وهي مصنوعة لله الذي يرضى له بالشمس ، وهنالك تبدى لي معان كثيرة ، فالجمال والعلم وكل معنى شريف إنما يكون في العالم العقلي ، وما الحسي إلا أثر من آثاره

أليست هذه مسألتي التي نبرهن عليها الآن ، وما مثل الحرارة الرسالة من الشمس الى ماء البحر التي بها يكون البخار فالسحاب فالمطر إلا كما يفعل العقل الانساني الذي يعرف الحقائق الخبوءة في العالم العقلي فيتزل الى العوالم الأرضية فيدرسها كما تنزلت الحرارة من الشمس فاستخرجت الماء الصافي فصار مطراً هكذا هذه العقول تستخرج بحرارة ذكائها المعارف وتنشرها بين أهل الأرض ، وهذه النظرية الآن بها نعرف أكثر آيات القرآن وأسرارها مثل «أفتأرونه على ما يرى» واقد رآه نزلة أخرى» الى قوله «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» أقرأتم اللات والعزى» ، وآيات الله الكبرى هي التي رآها في عوالم غير عالمنا هذا ، وذكر اللات والعزى ضرب مثل للعوالم المادية ، فإن الناس اذا اكتفوا بالعالم المادي صاروا أشبه من بعض الوجوه بالذين يكتفون بالأصنام في العبادة ، ومثل قوله تعالى هنا «ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» ، فذكر الرحمن إنما يكون بالمعالم الثابتة المعنوية ، فأما فكوف الناس على الامور المادية فذلك هو البقاء في هربط الهائم وشهواتها ، وهنالك تسكون الشياطين إذ لا شيطان ولا وسوسة إلا حيث تسكون العوالم المادية والوقوف عندها ، وهكذا البيوت ذات السقف المزخرفة والسرير كلها عالم مادي ، ولكن الرجة الحقيقية في العوالم الحسكية العقلية وهكذا قوله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» ، ففضل الله ورحمته هنا هي العلوم والمعارف ومنها الدين والوحى والذي يجمعونه هو المال . هذا هو القرآن ، وأعجب كيف تسكون هذه المعاني هي التي يحوم حولها سقراط ، ولقد أوضحت لك أيها الذكي الدلائل التي أجعلها هو وفصلاتها لك تفصيلاً تاماً ، ثم لتعجب ولتعجب ألف مرة من دين الاسلام كيف تسكون الآيات التي تعد بالمئات في هذه المعاني قد ذكرت في جمهورية أفلاطون ، ألا فلا سمعك بعضها في العلم وفي الجمال والعدالة وهكذا ، إذ ذكر في الكتاب السادس منها أن الفلاسفة وحدهم هم الذين يقدر أن يحكموا الأمم وأما الجهلاء فلا ، ومن هم الجهلاء إذن ؟ هم التائهون في تعدد الصور أي هم الذين لا يفكرون بعقولهم : وكل مقصودهم هذه الخلوقات المشاهدة لا المعقولة كما قدمنا ولنشرع الآن في إيراد ما جاء في «جمهورية أفلاطون» من صحيفة ١٥٦ الى ١٥٨ وهاك نصها بالحرف الواحد :

قال سقراط : لما كان الفلاسفة هم القادرين على ادراك الأبدى غير المتغير ، ولما كان العاجزون عن إدراكه تأمهن في بقاء التغير وتعدد الصور ليسوا فلاسفة ، فأى الفريقين يجب أن يحكم ؟
غلوكون : بماذا أجيب اذا رمت أن أنصف القضية ؟

(س) سئل نفسك ؟ أى الفريقين قادر على رعاية قوانين الدول وعاداتها ، وليكن هؤلاء الحكيم (غ) أنت مصيب

(س) أفيمكن أن نسأل : هل الأعمى أو البصير هو أهل للحكم ، ولحفظ كل شيء ؟

(غ) لا محل لهذا التسأل

(س) أفنظن أن هنالك أقل فرق بين حال العميان ، وحال الذين تجردوا كل التجرد من معرفة الأشياء على ماهى فى ذاتها ، وليس لهم فى نفوسهم مثل واضح ، وليسوا بقادرين أن يفرسوا فى الحقيقة الكاملة تفرس المصورين فيتخذونها نموذجاً دائماً يتأماونه ويدرسونه بأتم عناية قبلما يتقدمون للعمل فى النظم الأرضية فيما هو جليل وصالح وعادل ، واضعين هذه الأشياء فى محالها اللازم ، ساهرين على حفظها حيث وجدت

(غ) كلا ليس بينهم كبير فرق

(س) أفهؤلاء نعين حكماً ونؤثرهم على العارفين كل شيء معرفة حقيقية وليسوا أقل من اخوانهم اختباراً ، ولا هم دونهم فى دوائر الفضل الأخرى

(غ) من الجنون تولية غيرهم ، إذ أنهم لا ينقصون جدارة ، ولأن النقطة التى يتفوقون فيها هى أهم كل شيء

(س) أفنتقدم الآن لتبيان كيفية امتلاكهم نوعى الجدارة ؟

(غ) من كل بلد

(س) اذا كان الأمر كذلك وجب أول كل شيء أن ننظر نظراً ناقباً فى سميتهم الخاصة كما قلنا فى مستهل بحثنا ، وأطلق أنا اذا اتفقنا فيها اتفاقاً كافياً اتفقنا أيضاً فى امكان اقتران الجدارتين فى الأشخاص أنفسهم ، وان أرباب هذه الصفات دون غيرها هم الذين يحكمون الدول (غ) وكيف ذلك ؟

(س) دعنا نسلم أن أرباب الفطرة الفلسفية هائمون بكل أنواع المعارف لتجلى لهم حقيقة هذا الوجود الخالد الذى لا يغيره الزمن ، ولا تسطوع عليه عواذى المحن

(غ) فلنسلم

(س) ولنفرض أيضاً أنهم شغفون بحقيقة الوجود الخالد لا يرضون منه بديلاً ، ولا أن يحذف فرع من فروعهم ، كبيراً كان ذلك الفرع أو صغيراً ، معتبراً أو مستصغراً ، كما أبنا ذلك سابقاً فى كلامنا فى أرباب المطامع والحب

(غ) أنت مصيب

(س) والآن نتقدم لرى هل فى الامكان أن نجد صفة ثالثة فى خلق الذين تنطبق أوصافنا عليهم

(غ) وأية صفة تعنى ؟

(س) أغنى صفة الصدق أى العزم على تجنب الكذب فى كل صورته ما أمكن ، ومقتنه مقتناً كلياً ، ومحبة الصدق محبة حقيقية

(غ) نعم والأرجح أننا سنجد فيهم هذه الصفة

(س) ليس الأرجح فقط يا حديدى ، بل انها ضرورة لامندوحة عنها ، فان من كان فيه شغف فطرى بشيء ستر بكل ما اقترن بذلك الشيء اقترانا وثيقا

(غ) يقينا

(س) أفتعجد حليفا ألقى بالحكمة من الصدق ؟

(غ) مؤكدا لا

(س) أفتستطيع فطرة واحدة أن تحب الحكمة ، وفي الوقت نفسه تحب الكذب ؟

(غ) لا يمكن ذلك قطعا

(س) فالنتيجة هي أن عاشق المعرفة الحقيقية يصبو الى الصدق منذ الطفولية صبوا شديدا

(غ) نعم يصبو

(س) ولا ترتاب في أن من تنصب رغباته على شيء انصبابا شديدا يضعف ميلها الى سواء كالماء الذى

يتحوّل عن مجراه

(غ) نعم ، لاشكّ في ذلك

(س) فنى تحوّل التيار نحو العلم بكل فروعه حامت رغبات المرء حول اللذات العقلية هاجرة اللذات التى

محورها الجسد ، هذا اذا كانت محبته الحكمة حقيقية لا مصنعة

(غ) لا يمكن أن يكون غير ذلك

(س) مم ان انسانا كهذا يكون عفيفا لا يسوده الطمع لأنه أبعد أهل الدنيا عن اعتبار الأشياء التى

تحمل المرء على الاستماتة في حب المال مهما يكلفه الأمر

(غ) يقينا

(س) وهناك نقطة أخرى ينبغي لك اعتبارها في تمييز السجية الفلسفية عما سواها

(غ) وما هي ؟

(س) انها تحذر التفاضل عن أية وصمة سافلة ، لأن الصغارة أعظم ضدّ للنفس المتصفة بالميل التام

لامتلاك الحقيقة الإلهية والبشرية في حالى وحدتها وتعميمها في كل أين وأن

(غ) غاية في التأكيد

(س) أفتظن أن النفس المملوءة بالأفكار السامية ، المتميزة بالتفكير ، يمكنها أن تعلق شأنا كبيرا على

الحياة الحاضرة

(غ) كلا ، ذلك غير ممكن

(س) فانسان كهذا لا يحسب الموت حادثا مروعا

(غ) مؤكدا أنه لا يحسبه كذلك

(س) فلاحظ للفطرة الجبانة في الفلسفة الصحيحة

(غ) لا أراها تتمكن منها

(س) أفيمكن عقلا متزنا حرا من الطمع والسفالة والهجرة والجبانة أن يكون صعب المراس أومتعتيا ؟

(غ) غير ممكن

(س) فحين تراقب ظاهرات الخلق الفلسفى والخلق غيرالفلسفى يجب أن تلاحظ أيضا منذ الصغر هل ذلك

العقل لطيف عادل أو شرس ووحشى

(غ) تماما هكذا

(س) وهنالك نقطة أخرى لا أخالك تفعلها

(غ) وماهى ؟

(س) أبسرعة يتعلم ذلك العقل أم ببطء ؟ لأنك لاتستطيع أن تتوقع أن يحب أحد عملا ما محبة كاملة وهو يتعاطاه بصعوبة وانزعاج فيكون تحبه كثيرا ، ونجاحه قليلا

(غ) كلا ، ذلك مستحيل

(س) وإذا كان حليف النسيان فلم يذكر شيئا مما حصله أفلاتفرغ جعبته من المعرفة ؟

(غ) تفرغ

(س) أفلاتظن أن جهوده العقيمة تنهى به الى كراهه نفسه ووظيفته

(غ) دون شك

(س) فلاندرجت حليف النسيان في عداد النفوس الفلسفية بل نطلب ذرى الناكرة الحافظة . انتهى

ما أردته من « جمهورية أفلاطون » والحمد لله رب العالمين

والقد شرح قبل ذلك في الكتاب الخامس أن الرجل ذا الفطرة السليمة يعلم أن من شغف بالحب في شرح الشباب يكون شديد الشغف بمحبوبه ، فيمدح في الفتى قصر الأنف لأنه جذاب ، والأنف الأقي أيضا أمره عجب ومظهره بديع ، والأنف المتوسط يجعل الوجه أكثر انساقا وجالا ، ويمدح الأسمر اللون بأنه ذو رجولة ، وشقر الألوان بأنهم أعلى الناس ، والعشاق يمدحون (الأصفر الزيتوني)

وذلك لأنه انتحل عذرا لما رأى صفة في وجنة الحبيب ، وبالاختصار يختلق العاشق جميع أنواع الأعذار لمدح جميع صفات محبوبه ، وهكذا المولعون بالخر فانهم يخلقون جميع الأعذار لرشف أنواع الخمر كلها ، وهكذا عشاق المجد فانهم اذا لم ينالوا اكرام عظماء الرجال اكتبوا بمدح الأقلين ممن لا وزن لهم ، وهذا مجد على أية صورة ، هكذا فلنقل : محب الفلسفة يجب أن يكون عاشقا لها جميعها عشقا كاملا لاجزئها مولعا بجميع العلوم أما المغرمون بسماع القصص والحكايات والنوادر ، والذين يدخلون كل جوقة لسماع الطرب ، وكأنهم أجروا آذانهم للسمع ، فهؤلاء نسميهم فلاسفة زائفين ، والحقيقيون هم الذين ينظرون فيما هو ثابت لاما هو متغير ، والثابت هي المعاني السكينة المتقدمة التي ترجع لها جميع العلوم

وهنا أخذ يبين أن هناك جالا وقبحا ، وعدالة وتعديا ، فسكل منها واحد في نفسه عقلا ولكنه متعدد المظاهر . ثم قال ان الذين أغرموا بالعلوم كلها ، وأدركوا الحقائق ، وتعلقت نفوسهم بالصور المعنوية التي سبقت فهؤلاء قسم وهم الفلاسفة الحقيقيون ، أما عشاق النظر المظاهر والصناعة والفنون ورجال العمل ، فهؤلاء لانسميهم فلاسفة ، فعشاق الأصوات الجميلة والأشكال والألوان والصور ، وكل ما أنتجه الفن ليسوا فلاسفة لأنهم لم يعرفوا الجمال المطلق الذي أوهجناه ، وحياة هؤلاء حلم ومنام ، فليسوا أحياء لأنهم خلطوا الحقائق بالصور ، وإذا أردنا أن نتلطف مع هؤلاء جيبها قلنا لهم : « أيها الأجناب إن عقولكم عقول متوسطة ، ذلك لأنها أدركت ما هو متردد بين الوجود والعدم وهي هذه الصور والأشكال لأن وجودها ليس دائما ، فهؤلاء لانبخسهم حقهم ، ولا نقول لهم انكم جهال كالذين يقولون ان المعلوم موجود كلا فالذين يحكمون بوجود المعلوم جهال ، والذين يعتقدون الموجود الدائم هم الفلاسفة ، أما أنتم فلا أنتم فلاسفة ولا أنتم جهال ، بل أنتم ذوو عقول متوسطة بين الجهل والعلم ، لأنكم خلطتم في حكمكم وفرحتم بالأشياء الأرضية من مال ومتاع وجمال وثروة ومنصب ، فلسنا نحكم على عقولكم بالجهل المطبق ولكنكم أشبه بالأطفال تفرحون بالألعاب »

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : الله أكبر ، إني قرأت ذلك في نفس الجبورية ، ولكن القول هناك مطول ، وهنا ظهرت المعاني ظهورا واضحاً ولم يخرج هذا عنها
الله أكبر : إن هذه المعاني تنطبق على آي القرآن التي ترهدهم في الدنيا وتحبب في الآخرة ، ولكن وصفك لها على هذا النهج يجعل المسلمين بهذا اليوم مغرمين بالعلوم ، مع شدة حرصهم على نفع الناس فيكون العالم فعلاً زاهداً في الدنيا لأنه عرف حقيقة نفسها وهو نفسه ينبوع يفيض الخير على أمته فترتقي بما تسمع من علمه ويكون أشبه بالشمس والناس أشبه بالخلوقات على الأرض فهو كل ما أنتج الجزئيات ، فأما أكثر كتب الصوفية ومن على شاكلتهم في القرون المتأخرة فانهم تصدوا إلى احتقار الدنيا ولكنهم في الوقت نفسه لم يعشقوا الناس في ادراك العلوم وتنظيم المدن . كلا . فأنحطت الأمم الإسلامية ، وأن هذا الشرح الذي أبنته الآن من أعظم النعم ، وإطالنا أشكرك على ما كنت تقول لي سابقاً من أن القرآن يهوز في تفسيره علم جميع الحكماء ، فهأنذا الآن أرى أكبر العقول في العالم الانساني بعد الأنبياء (وهو عقل سقراط وأفلاطون اللذين قال فيهما الفيلسوف سبنسر الإنجليزي وستلانه التلياني : « إن عقول فلاسفة أوروبا بالنسبة لهؤلاء كالبقعة بالنسبة للفيصل » هو الذي يقوم بشرح هذه الآيات وإيضاح بعض حقائقها) وأن القصور والمعارج المزخرفة والسرر البديعة وحطام الدنيا ، كل هذا لا حظ للإنسان فيه كامل ، والشياطين تلازم المادة ، ورجة الرحمن تلازم العلوم والمعارف والمعاني التي لا تفسير بتغير الزمن والنفوس تعقلها بأشراق النور الإلهي عليها . ولقد زاد تعجبي ودهشي إذ أرى سقراط يقول : « إن المعاني العقلية التي هي صور وآساس لكل ما على الأرض وغيرها من عالم المادة صنعها الله بنفسه ، والشمس جعلت رمزا لله فصنع الله للثقل العقلية بالواسطة مثله لنا وقربه لنعلمنا كون الشمس سببا ظاهريا لوجود الحوادث التي تقابل تلك المثل ، وهذا وإن كان جيلا فاني صرت ماستقولونه في ﴿ سورة محمد ﷺ ﴾ ولكن اذا أشرت إليه هنا فاني أكون شاكرا أجل تشكرك . فقلت : إن حاسة اللمس تتصل بحسوساتها وحاسة الشم كذلك ، وهكذا حاسة الذوق والسمع والبصر ، فكل واحد منها متصل بالعالم الذي يحس به ، فلا ريب أن يكون للعقل اتصال بعالم عقلي أوسع بما لا يحصره من العالم المشاهد ، وهذا البرهان الذي سأوضحه إن شاء الله هناك أقرب إلى اليقين من برهان سقراط . فقال حسن والله لقد انشرح صدري . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة .

اللطيفة الرابعة

في قوله تعالى : ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون إلى قوله : منها تأكلون مع قوله تعالى : وهو الذي في السماء إله إلى قوله : وعنده علم الساعة واليه ترجعون مع ملاحظة نظائر هذه الآيات كقوله تعالى في سورة الزمر : لكن الذين اتقوا ربهم إلى قوله تعالى يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه الخ

ما أجل العلم ، وأبهج الحكمة ، وحى نزل ، ودنيا منتظمة ، تسمو بهما العقول ، وترقى بهما النفوس ، الدنيا عروس زينت للناظرين ، وجنة بهجة للفاسدين ، نحن نعيش في جو من النور ، والكتاب المسطور والعلم المنشور ، فسبحان الله مسدى النعم ، مظهر الحكم ، بارئ النعم ، أليس من عجب أن نسمع في القرآن وصف الجنة أنها غرف من فوقها غرف مبنية ، ثم نسمع عقبها الكلام على الماء النازل من السماء الذي جرى في باطن الأرض نفرج ينبع فوقها فكان النبات المختلف الألوان ، ثم أليس من أعجب العجب أن نرى في ﴿ سورة الغاشية ﴾ ما يشابه هذا إذ وصفت الجنة بأن فيها عينا جارية ، وسررا ، وأكوابا ، ونمارق ، وزرابي

ثم يعقب ذلك ذكر الابل كيف خلقت ، والسماء كيف رفعت ، والجبال كيف انصبت ، فنهنا أتبع ذكر الجنة بالماء والنبات ، وهناك أتبع بالحيوان والسماء والجبال ، فها هذا المحجب اجنة قد كثر في القرآن ويذكر عقبها هذه العوالم فيقال هناك : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الخ » ويقال في آية الزمر : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء على سبيل الاستنهام التقريري وهو أبلغ بما لاحد له من جعل الكلام خبرا ليس ههنا من الأسرار المسكونة والجواهر الحسنة النظام ، نعم هناسر وأي سر ، فاعلم أن الانسان يصبو للجمال والحب ، فالنوع الانساني كله يطلب الجمال والجبال مطلوب للحب ، والحب هو المقصد الأسنى لهذا الانسان ، والأمة التي قل فيها الحب يقل فيها النابون المفكرون ، والسلب لا يكون إلا لجمال ، والجميل ما يناسبنا ويوافقنا ، والقيح ما ينافرنا ، وكل ما يؤلمنا منافر لنا ، والموافق لنا هو الذي جلت صورته الظاهرة في نظرنا أو صورته الباطنة بعلم أو بشجاعة أو احسان ، وبالاختصار كل جمال يرجع لأمرين : العلم والقدرة ، فالعلم محبوب ، والشجاعة محبوب ، والمحسن محبوب ، والاحسان والشجاعة يرجعان للقدرة ، والجمال الظاهري فيه نوع من القدرة ، فأما العلم فهو معروف ، ولا جرم أن من يسمعون شجاعة عنتره العيسى أو علم الشافعي وأفلاطون وأبي حنيفة ويرون ذوى الجمال يكون محبهم على مقدار الآثار الواه لقلوبهم من أولئك المحبوبين ونرى الرجل في حياته بين امرأتين : إحداهما ترضه ، والأخرى يسكن اليها ، فالأولى أحبها من طريق الاحسان ، والثانية أحبها من طريق الشهوة والجمال ، فما أبدع القدرة ، وما أجمل الحكمة ، يعيش الناس ويموتون وهم موزعو القلوب بين عوامل لا يدرسونها ، وفي سبيل لا يفهمونها ، فهم يحملون على أجنحة لم يروها ، يدارون بقوانين يجهلون ، ويحكمون بسنن لم يسنوها

ولا جرم أن الاحسان المذكور والجمال من نوع القوة والقدرة ، ثم ان الانسان فيما بين المرأتين يعلمه الاستاذون ، ويؤدبه المؤدبون ، وذلك من طريق العلم ويكون حبه للاستاذ على مقدار ما عرف من حكمته وما أدرك من فطنته ، وما استفاد من خبرته ، إذن الحب موزع على احسان الأم وجمال المرأة وعلم الاستاذ فههنا اجتمع عند أكثر الناس أصول الأسباب التي بها الجمال ، ولا جرم أن هذا تمرين على ادراك الجمال الأسنى ، واعلم أن الانسان مع هذا كاه محبوس في هذه الأرض ، محكوم عليه بالسجن فيها ، مبعث عن بدائع السموات وتخوم الأرضين ، بل لا قدرة له على معرفة نفس هذه الأرض التي يسكنها إذ يجهل بواطن جبالها وبحارها وأنهارها وجوها بل يجهل خواص جسمه وعجائب روحه ، ومع ذلك له نفس تواقه الى ادراك ذلك ، فهي تطوف به أعلى العلا ، وتسمو به فوق العرش وتحت الفرش ، نفس وثابة خطواتها تنهب القلوات وتقطع السموات مع انها محبوسة الجسم مكبلة الروح

نرى الرجل اذا أدخل السجن حتى الى وطنه وأهله ، وكان ألمه على مقدار ما عرف من الأهل والأصحاب وما كسب من المال الذي حرمه ، والمالك الذي صرف هو عنه ، هكذا نرى نفوسنا تود لو تطير الى أقاصى السموات أو تخترق تخوم الأرضين ، إذن هي كالمحبوس في سجنه ، إذن هي كانت تتمتع تمتعا ما بتلك العوالم وحجزت عنها ، والا فلماذا هذا الحنين والغرام ، وما هذا التهاافت على العوالم ، وما بالنا نراها مذجاءت الى هذه الأرض تقرأ علم الفلك ، وتخترع المجاهر (المناظر المعظمة) وتدرس أقدار النجوم ، وتعدّها وتحسبها ، وتعدّ أبعادها وأقدارها وتفرح بذلك مع أنها لا طعام فيها ولا شراب ولا ملك ولا مال ، ونسمع أن نجمة من نجوم الجبار وهي الجوزاء قدر الشمس ٢٥ مليون مرة كما تقدم في هذا التفسير ، فنفرح بذلك فرحا شديدا ، ثم نقرأ في السكشاف الحديث أن الجرة التي تشتمل على آلاف الملايين من الكواكب وشمسنا كوكب واحد منها تدور حول نفسها مرة واحدة (كما تدور أرضنا في اليوم والليلة) في مدة (٣٠٠) مليون سنة فتدهش قلوبنا وتفرح ويكون ذلك لنا سعادة وذكري ومسرّة وقد اشتركت جميع أمم الأرض في هذه العلوم وكل

أمة تسابق أخرى في هذا السبب ، ولاريب أن ذلك كله حصل لما نظر العلماء كواكب السماء بمنظار قطره مائة بوصة ، وهامهم الآن في أصريكا يصنعون (تاسكروا) قطره مائتا بوصة ، وهذا سيأتي بما لم يعلم به أهل الأرض من العلم قريبا

ذلك هو طبع الانسان ، فالعلماء يتسابقون الى ازدياد العلم غراما وحبا أكثر من تسابق رجال الحرب في إعداد المعدات الحربية وتدمير المدن ، وهاتان الطائفتان مشتركتان في خلاص الناس من الجهل فالعلم بهامه وصانع القنابل بالقتل يخرج الانسان من هذا الجسم فيرجع الى عالمه الروحي فيدرس على مقدار طاقته إياك أيها الدكي أن تسكر على هذه الجلة ، فنعين الآن في مقام الجبال والحب والجبابب الالهية ، فهذا القتل بالحرب وان كان مذموما ومحرّبا للأثم ذكرناه من حيث أنا ندرس نفس الوجود ، وصانع العالم حكيم يداوى الداء بالداء ، فالتاس أشبه بمن أصابه القولنج فأصيب بالجي فكانت سببا في شفاء القولنج ، فهذا خراب للأثم ، ولكن نفس الأشخاص خرجوا من عالم الأجسام الى عالم الأرواح ، نعم أكثرهم يخرجون ناقصين ولكن النظام نجعله « والله بكل شيء محيط »

إذا عرفت هذا أدركت تفسير هذه الآيات وأمثالها . علم الله تعالى حبس الناس في الأرض وتشوقهم الى الحرية التامة بانطلاق أرواحهم الى باحاتها فأبرز لهم عامين : علما مسموعا ، وعلما معقولا ، أما العلم المسموع فهو ما يذكر في نحو الآيات من الغرف التي من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ومن السرر المرفوعة ، والأكواب الموضوعة ، والفخار المصفوفة ، والزراي المبنية . ومثل البناء بلبينات الفضة ولبينات الذهب في الجنة ، وملاط ذلك البناء مسك ، والحصاء أولو وياقوت ، والتراب زعفران ، وانهم لا يموتون ، ومثل ان الخيمة من لؤلؤة مخوفة ، ومثل ان الجنة فيها مائة درجة ، والدرجة الواحدة تسع العالمين جميعا ، ومثل ان الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، ومثل ان المرأة من أهل الجنة لو ظهرت الى أهل الأرض لأضاءت الدنيا ولملائها ريحا ، وخمارها خير من الدنيا وما فيها . ومثل ان هناك سوقا للصور يدخل فيه المؤمن فيرجع بالصورة التي يحبها ، فهذه الجبابب المسموعة في الكتاب تارة والسنة أخرى ترجع الى الجبال والى القدرة ، فالشجرة التي يسير في ظلها الراكب مائة عام ترجع للعظمة والعظمة محبوبة ، فهي ترجع للقدرة كما رجعت شجاعة الشجاع اليها ، والغنى محبوب لأنه يملك مالا ، والملك قدرة . هكذا هذه الشجرة العظيمة ، والحواء الجيلة ، والقصور البديعة ، فيها الجبال ، وفيها القدرة والعظمة مع الاحسان ، فهنا اجتمع الجبال والعظمة والاحسان ، وكل هذا محبوب ، فالمؤمن إما شهواني فيكون حبه لنفس الجنة ، وإما حكيم فيقتل هذا الحب لخالق الجبال ويحب الله نفسه ، واليه الإشارة بحديث الترمذي عن ابن عمر « وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا » وأيضا حديث الترمذي ومسلم : « فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى » اهـ

لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه صاحبي الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . فقال حسن ماقلت وبديع ماوصفت ، ولكنني سائلك سؤالين : الأول ان هذه الأوصاف التي أسندتها للأحاديث فوق طور العقول ، فما هذه الشجرة التي لا يقطعها الراكب في مائة سنة . ان العقل لا يقبلها قبولاً حسناً . الثاني أنت ذكرت أوصاف الجنة من الأحاديث فأحب أن أسمعهما لأعرف روايتها حتى تطمئن النفوس للرواية ، ومن أي الكتب ؟ ولا جرم أن هذا المقام كله في الكلام على ماهو مسموع ، ومتى تم الكلام عليه نريد أن تشرح المعقول شرحا وافيا كما تشرح المسموع لأن هذا المقام جميل ، فاذا كان مستوفيا شرحه شرح الصدور . فقلت أما كون الشجرة المذكورة وأمثالها لا يقبلها العقل فهذا ممنوع لأن الامكان لا يحصره . فقال نعم هو لا يحصره ولكن الامكان شيء وتصور الممكن وقبوله أمر آخر . فقلت : أليس تذكر الكوكب الذي ذكرت لك انه قدر

الشمس (٢٥) مليون مرة . فقال : بماذا يفيدنى هذا ؟ فقلت : هو شمس . قال نعم . فقلت : اذا قسناها على شمسنا كان لها سيارات . قال نعم . قلت : وأرضنا حول شمسنا ليست أكبر كوكب . قال نعم . قلت : وشجرها نهره . ولاجرم أن السيار يكبر بنسبة شمس ، فلو أن أرضنا كبرت بالنسبة لكبر الشمس (٢٥) مليون مرة لسكان أشجارها أكبر من حالها الآن (٢٥) مليون مرة ، وأكبر شجرة فى أرضنا اذا كبرت (٢٥) مليون مرة احتجنا فى قطعها الى عشرات السنين ، فاذا كبرنا كوكبا آخر حول الشمس كالمشتري زادت شجراته أضعافا مضاعفة ، ألا ترى أن المشتري الذى هو أكبر السيارات حول الشمس حجمه قدر حجم الأولى (١٣٠٠) مرة ، فاذا جعلنا أكبر شجرة فيه أكبر من أكبر شجرة فى أرضنا (١٣٠٠) مرة ، وجرى الفارس تحت أكبر شجرة أرضية فى زمان ما ، وكبرت شجرة المريخ (١٣٠٠) مرة هم ضربنا هذه فى ٢٥ مليوناً فيكون سير الفارس تحتها فى سنين كثيرة

واذا وجدنا اليوم كوكبا أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة ، فنحن قريباً نسمع عن كواكب أعظم وعليه تصبح الشجرة المذكورة فى الحديث من أصفر الأشجار ، بل اذا تذكرنا أن ذلك الكوكب الذى هو أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة فيه مواضع مسكونة كما أن أرضنا فيها مواضع مسكونة لا كلها كانت الشجرة التى فيها لا يقطعها الفارس فى ألف سنة لافى مائة فقط . إذن العلم الحديث اليوم فتح باباً لتصور عقولنا عظمة الله وعظمة الملك ، واذا كانت العوالم المحسوسة التى ليست بجنة هذه عظمتهما وقد وجدنا فيها هذه العظمة فما بالك بعوالم الجنة

هذا ما أقول لك أيها الذكى جواباً على سؤالك الأول وهو أنك تستبعد ما جاء فى وصف الجنات ، أما السؤال الثانى وهو أنك تريد أن تسمع نفس الأحاديث بأسانيدها ، فهالك ما جاء فى كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » من المجلد الثالث فى صحيفة ٢٣٥ وما بعدها وهذا نصه :

ذكر الجنة والنار

فيه فصلان

الفصل الأول فى صفتيها

ذكر صفة الجنة

عن أنى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » أخرجه الشيخان والترمذى ، وزاد البخارى فى أخرى عن سهل بن سعد وذكر مثله ، ثم قال ، وقال محمد بن كعب : انهم أخفوا الله عملاً فأخفى لهم ثواباً فلو قدموا عليه أقرت تلك الأعين ، وعنه رضى الله عنه . قال قلت لرسول الله ﷺ مِمَّ خلق الخلق ؟ قال من الماء . قلت الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها المسك الأذفر وحسبائها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا نبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم . ثم قال : ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الامام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الله تعالى وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين ، أخرجه الترمذى (الملاط) الطين الذى يجعل فوق ساقى البناء يملط به الحائط أى يصلح ، وبشس يبأس اذا افتقر واشتدت حاجته وعن أنى موسى رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ جنتان من فضة آيتنهما وما فيهما وجنتان

من ذهب آتيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، أخرجه الشيخان والترمذي ، وفي رواية لهم . قال رسول الله ﷺ : في الجنة خيمة من أوالة مجوفة ، وفي رواية عرضها ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل لا يرون الآخرين يحلوف عليهم المؤمن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام ، (أخرجه الترمذي) ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة . ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها عرش الرحمن ، فإذا سألتهم الله فأسأله الفردوس ، (أخرجه الترمذي) . وعن أبي سعيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعنهم (أخرجه الترمذي)

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا ان شئتم « وظل ممدود » أخرجه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب (أخرجه الترمذي)

وعنه رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب ، أخرجه الشيخان ، وزاد الترمذي عن أنس في أخرى : ولقاب قوس أحدكم أو وضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها ولألت ما بينهما ريحا ولنصفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها (قاب القوس ، وقده) قدره

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : لو أن ما يقل ظفرهما في الجنة بدا لتزخرفت له خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم (أخرجه الترمذي) قوله (الزخرفة) الزينة والزخرف (الذهب) وخوافق السماء جوانبها الأربعة وهي جهات الرياح الأربع

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ، فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران في الجنة (أخرجه البخاري) وعن بريدة رضي الله عنه . قال : سألت رجلا رسول الله ﷺ فقال : هل في الجنة خيل ؟ قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تعمل فيها على فرس من ياقوته جراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان ، فقال آخر : هل في الجنة من إبل ؟ قال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ، ولدت عينك (أخرجه الترمذي)

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لمجتمع للبحور العين يغنين بأصوات لم يسمع الخلاق بمثلهما ، يقلن : « نحن الخالدات فلا نبديد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسيخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » ، (أخرجه الترمذي) قوله (البحور) جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها (والعيناء) واحدة العين وهي الواسعة العين ، وقوله لا نبديد أي لانهلك ولا تتلف وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في ثيابهم ووجوههم فيزدادوا (١) حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول أهلهم : والله لقد ازددتم حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم حسنا وجمالا (أخرجه مسلم)

(١) هكذا في النسخ ، ولعله فيزدادون

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لسوقا فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها (أخرجه الترمذي) انتهى الفصل الأول

الفصل الثاني

في ذكر أهل الجنة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب في السماء (أخرجه الشيخان)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال بلى : والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (أخرجه الشيخان) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتخطون أمشاطهم الذهب وورشهم المسك ، ومجاصرهم الألوة (١) والأنجوج (٢) عود الطيب ، أزواجهم الخور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء (أخرجه الشيخان والترمذي) قوله « الألوة ، والأنجوج » من أسماء العود الذي يتبخربه ، ومن أسمائه السكباء (٣)

وعن جابر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخطون ، قيل فما بال الطعام ؟ قال يشاء ورشع كرشع المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس » (أخرجه مسلم وأبو داود)

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يدخلون الجنة بنى ثلاثين لا يزيدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار » (أخرجه الترمذي)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة يبرد مرد كل لا يثني شباههم ، ولا تبلى ثيابهم » (أخرجه الترمذي)

وزاد في رواية : « عليهم التيجان ، وإن لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب » . قوله الجرد جمع أجرد وهو الذي لا شعر عليه ، والكحيل هو الذي ترى أجنفانه كأنها مكعولة من غير كل

وعن أبي رزين رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « لا يكون لأهل الجنة ولد » (أخرجه الترمذي) وزاد في رواية عن الخدري : « إن اشتوى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة » . قال بعضهم

ولكن لا يشتوى

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجاع ، قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة » (أخرجه الترمذي)

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفها الجبار بيده كما يتكفي أحدكم خبزته في السفر نزالا لأهل الجنة ، فأني رجل من اليهود فقال : برك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ، قال بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه . ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم . قال بلى . قال بالأم ونون . قال وما هذا ؟ قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدتها سبعون ألفا

(أخرجه الشيخان) . قوله يتكفها أي يقبلها ويميلها ، والجبار من أسماء الله تعالى ، والنزل ما بعد اللضيف

(١) بفتح الهمزة (٢) بفتح النون (٣) ككتاب

من طعام وشرب ، والنواجذ الأنياب ، وبالإم الثور كما فسره في متن الحديث ، وأصل الانتظة عبرانية ، والنون الحوت وهو عري

وعن الخدرى رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم ، وثمان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من أثواب وزرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء (أخرجه الترمذى) . وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه وخدمه ونعمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ ﷺ « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » ، (أخرجه الترمذى)

وعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « سأل موسى عليه السلام ربه تعالى : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يحبى » بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : أدخل الجنة فيقول : أى رب وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال : أما ترى أن يكون لك مثل ملك (١) ملك (٢) من ملوك الدنيا ، فيقول : رب رضىت ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فيقول فى الخامسة : رضىت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، والى ما اشتيت ، نفسك ، وأنت عينك ، فيقول : رب رضىت ، فقال : فأعلاهم منزلة ، قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر (أخرجه مسلم والترمذى) وقوله أخذوا أخذاتهم أى نزلوا منازلهم المختصة بهم

وعن الخدرى رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول : هل رضىتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا ، وقد أعطينا ما لم تعد أحدنا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأى شئ أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضوانى فلا تسخط عليكم بعده أبدا » (أخرجه الشيخان والترمذى) وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « عرض على ثلاثة يدخون الجنة شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه » (أخرجه الترمذى)

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ، قالوا بلى يا رسول الله . قال : كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر » (أخرجه الشيخان)

ولأبى داود من رواية حارثة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » . قال والجواظ الغليظ الفظ . قلت : الجواظ المنوع ، وقيل السمين المختال فى مشيته ، وقيل القصر البطين ، والجعظرى الفظ الغليظ والله أعلم اه

رؤية الله تعالى

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه . قال : نظر رسول الله ﷺ الى القمر ليلة البدر . فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فان استظعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : « وسبح بحمد ربك قبل طوع الشمس وقبل الغروب » أخرجه الترمذى إلا النسائى وعن صهيب رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار . قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى ، ثم تلا هذه الآية : « للذين أحسنوا

(١) انضم فسكون (٢) بفتح فسكسر

الحسنى وزيادة» أخرجه مسلم والترمذى

وعن أبي ذر رضى الله عنه . قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك تعالى قال نور أنى أراه (أخرجه مسلم والترمذى)

وعن مسروق . قال قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمته : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت : لقد قفّ شعري مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت : « وما تدري نفس ماذا تكتسب غدا » ، ومن حدثك أنه كتب شيئا من الوحى فقد كذب ، ثم قرأت : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية . ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين (أخرجه الشيخان والترمذى) انتهى الفصل الثانى ، وبهذا تم الكلام على العلم المسموع من الكتاب والسنة

الكلام على العلم المعقول

لقد عرفت أيها الذكى العلوم المسموعة فى هذا المقام من الكتاب والسنة ، وأدركت أن العلوم التى ملأت الدنيا كلها إلا بلاد الاسلام قربت لنا تصورات النبوة المحمدية وأصبحنا نشاهد نجومها أقمارها قربت لعقولنا تلك الصور الجميلة فى الجنة ، فهالك أمدتك حديثا عجبا فى القرآن نفسه وفى الدنيا : تقدم فى هذا المقال انى ذكرت لك أن آيات النبوة والماء فى هذه السورة ذكرت عقب ذكر الجنة ، وآيات الإبل والسماء والجبال فى سورة الفاشية ذكرت بعد ذكر الجنة ، فما الحكمة فى ذلك ياترى ؟ الحكمة فى ذلك أو تختبئها العلوم التى فى هذا التفسير ، اللهم إني أحمدك حمدا كثيرا ، أحمدك على نعم العلم ونعم الحكمة ، وهل كان يدور بخلدى أيام شبابي وأنا جاهل بجد جاهل ، أنامس العلم فى النهر وفى الحقل وفى النجم ، أننا سنصل الآن الى أبداع الجمال فى هذا التفسير ، وأنا ندرك جنة تتمتع بها عقولنا ونحن أحياء فى الدنيا قبل أن نموت ونزى الجنة الموصوفة فى الأحاديث الشريفة ، بل هل كان يخطر لى أن السعادة الحقيقية فى جنات العلوم والمعارف التى ندركها فى هذه الحياة ، وأنه لولا انكبات الحياة ومساكنها لسكان حبنا الآن آخذنا بقوانا وعقولنا ولعلمنا أن حب الولد لأمه ، وحب الشاب لمن أغرم بجمالها فتزوجها ليس شيئا مذكورا بالنسبة للحب الذى يترتب على الجمال العلمى والحب العظيم هو الذى يذهب الحزن والغم ويجهل النفس فى السعادة التى لا سعادة فوقها ، ولكن هذا الحب الآن مخبوء عند العلماء ويحسون به فى أوقات قليلة ثم تغلب عليهم أحوال هذه الأرض وعوارضها راحة بهم ليزدادوا علما

أقول : فهل كان يخطر لى زمن الشباب أن عقولنا فيها حساب الجذر والتربيع ، وأن نفس الجذر والتربيع الجليلين عند عقولنا نراهما فى نفس المادة كما تراه فى ﴿سورة الرعد﴾ عند آية - وكل شيء عنده بمقدار - وفى مواضع أخرى هناك إذ تبين أن الضوء والجاذبية جرى حسابهما على الجذر والتربيع ، وترى الحجر اذا قذفناه فى البحر جرى بسرعة على تلك القاعدة فلا خطأ فيها ، وهذا أمر عجب أن تكون هذه الأحوال الطبيعية على هذا القانون العجيب ، أو كان عقلى يتصور أن للنمل حجرات منظمات كحجرات فى أعظم قلعة ، وأن لكل حجرة سكانا ، فهم الجند ، ومنهم الاطيار وهكذا (انظر ذلك كله فى سورة طه وسورة النمل مرسوما)

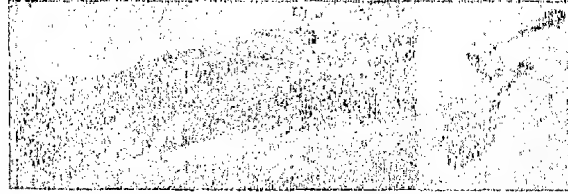
أم كان يخيل لى وأنا فى الشباب أن يكون بعض الطيور خياطا ، ومنها حائك ، وبعض الدود يغزل ، وبعض الزناير يصنع الورق ، وأن الخلد يعرف أحوال الطقس ، وأن النحل مهندس ، وأن اللقلق يحكم بالمشاورة ، وأن السكاب يعرف تعاطى المسهلات فى الطب ، وأن الخنزير يحرق الأرض ، وأن العلق فى بطن

الأرض يبلغ في القدان الواحد آلافا وهو ينفع لتسميدها ولحرثها قبل أن يحرثها الانسان ، وأن للسرطان درعا . أقول : هل كانت هذه العجائب تدور بخلدى وأنا أطوف على شواطئ الأنهار وفي الحقول أتلهس الحقائق ، أم كان يختلج بفكرى أن فار الجبل يبنى بناء متقنا ، ويحفر أقنية ليجرى الماء فيها حتى قلده الانسان ، ان أكثر ما ذكرته هنا ملخص مما تقدم في ﴿ سورة طه ﴾ وأزيد مسألة حفر الخنادق أيضا هنا مما جاء في إحدى المجلات العلمية ، فقد جاء فيها تحت العنوان الآتى مانصه :

عجائب المخلوقات

الحيوانات التي تحتفر الخنادق

إن حفر الخنادق خاصة يشترك فيها كثير من الحيوانات على اختلاف درجاتها من أحط الأنواع الى أرقاها فبين ذوات الثدي منها عدة أمثلة على ذلك ، وأشهر الأنواع من هذا القبيل (الخلد) وهذه دورته (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ — خلد في حفرة وعلى يمين الصورة هيكل يده التي يحفر بها خنادقه)

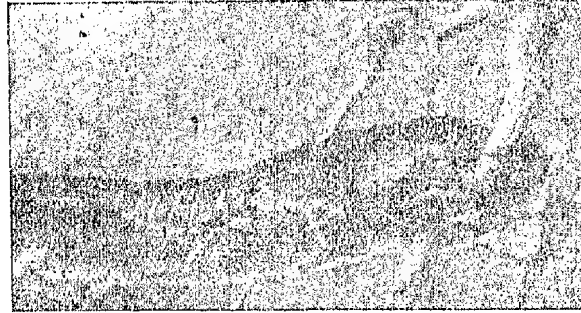
وقد منح الله هذا الحيوان يدين مسلحتين بأظافر قوية تمكنه من حفر الأرض بسرعة عظيمة جدا ، حتى أنك لو أخرجت خلدًا من حفرة ووضعته على سطح الأرض وجدت أنه بعد هنيهة وجيزة جدا قد احتفر حفرة واختفى عن بصرك ، ولا يكتفى هذا الحيوان بحفر نفق بسيط تحت الأرض بل هو يتفنن في عمله هذا ويشعب من نفقه الأصلي أنفاقا في غاية البساطة ثم ان الخلد يحفر أخرى عديدة على شكل غريب تعد بجانبها صفوف الخنادق والأنفاق التي تحتفرها الجنود في ساحات القتال فضلا عن هذه الأنفاق غرفة مستديرة يجعلها مركز إقامته العادى ، ويبلغ قطرها بين ثمانى وعشرة سنتيمترات ، ويحفر حول هذه الغرفة المستديرة نفقين بشكل دائرتين الواحدة على مستوى الغرفة والثانية فوقه ، والغرفة متصلة بهذين النفقين بواسطة عدة ممرات حتى يجد لنفسه منفذا من أى جهة يداهم الخطر ، وفي داخل الغرفة شبه سرير من الأوراق والقش لينام عليه الخلد ، والثعلب أيضا يقضى جزءا من حياته داخل الأرض لاسيما في النهار ، وهو في الغالب يستولى على حفرة حيوان آخر بدلا من أن يحفر حفرة خاصة له ، وحفرته عبارة عن ردهات عميقة تنتهى جميعها في غرفة كبيرة لا يقل عمقها عن ثلاثة أمتار ، وهذه الردهات متصلة بعضها مع بعض بممرات عديدة

وأشد ذوات الثدي مهارة في حفر الخنادق وأكثرها توسعا فيها حيوان بين ابن عرس والسب فاتح اللون في الأعلى وقامه في الأسفل يسمى عناق الأرض أو التبع وهو من الحيوانات الليلية ويهرف الشتاء نوما فان له براثن قوية يحفر بها الأرض بسرعة غريبة ، وكيفية ذلك انه ينبش الأرض بيديه القويتين ، فاذا تراكم التراب استعمل يديه الخلفيتين لدفعه الى الوراء ، ثم يرجع الى خلف بين آن وآخر ، ويجر بجسمه التراب المتراكم الى خارج الحفرة ، ولنفق هذا الحيوان أبواب عديدة يبعد الواحد عن الآخر نحو ٣٠ قدما وكل نفق من أنفاقه يبلغ طوله بين السبعة والعشرة أمتار وتنتهى في غرفة كبيرة على عمق متر أو مترين تحت الأرض يجعلها مقره العادى

هناك بعض الأمثلة من الحيوانات الشبيهة التي تحتفر الأرض ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة يضيق عن ذكرها المقام ، والأغرب من ذلك أن بعض الطيور (والطيور عشيقه الهواء الطلق عادة) تحتفر مثل هذه الأنفاق والحفر ، فمن أنواع الطيور الخطاف نوع تحتفر أنفاقا على شاطئ البحر ، يبلغ طولها مترا ونصف متر ، ويضع عشه في داخلها ، ولا شك أن مثل هذا الأمر من الغرابة بمكان ، لاسيما إذا أمعنا النظر في تركيب هذا الطير ونحافة جسمه ، وهناك طائر آخر يسمى الأسبان (البناء الصغير) يضع وكره في حفرة عميقة طولها متران أو أكثر ، ومثله طير أزرق صغير يسمى عند الفرنسيين (الخطاف الصياد) يصطادونه من البحيرات حيث يعيش في وكره منفذان

أما في عالم الحشرات فإن مهارة بعض العناكب في حفر الأنفاق غريبة جدا يقف عندها المرء وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ ، وهي على أنواع تحتفر أنفاقا ودواليز مختلفة ، ومن أغرب أنواع العناكب نوع يبنى وكرا غريبا في هندسته وهو عبارة عن حفرة عميقة مبطنة بنسيج حريري خشية أن تهبط جذرائها ، وفوقها باب يقي من المطر ومن الضيوف الثقلاء ، وهذا النوع ينتخب عادة لحفرته مكانا محوطا بالحشائش حتى لا يظهر بيته للهادي والرائح ، أما الباب فإنه جميل الهندسة كامل الصورة يشبه الأبواب التي تقفل وحدها بزنبل لمرونة مفاصله ، ولهذه العناكب مقدرة كبيرة للدفاع عن أوكارها ، فإذا سمى أحد في فتح الباب تشبثت به العنكبوت من الداخل حتى أنه يلزم قوة كبيرة لفتحه

وهناك حشرات أخرى كثيرة ، منها نوع من الجنادب نشرنا صورته هنا وهو يقطع جذور الأشجار والنبات ويتغذى منها (انظر شكل ٢٣) ولا ينبغي أن يبرح من ذهننا مهارة النمل في هذا الفن فانها أشهر من أن تحتاج إلى التذكير



(شكل ٢٣ — نوع من الجنادب في حفرة يقطع جذور الأشجار)

قوة الحشرات

إذا درسنا قوة الحيوانات بالنسبة إلى حجم جسمها وجدنا أن الإنسان من أضعفها وأخفها ، فإن الحمار أو البطلينوس مثلا يحمل ثقل ٣٧ رطلا ، ومن السرطان أنواع يحمل الواحد منها ٤٩٢ مرة وزنه وعلى هذا المعدل كان يجب أن يحمل الإنسان المعتدل الجسم ٧٣٨٠٠ رطل وفي مقدمة الذين درسوا مقدرة الحشرات على حمل الأثقال (فليكس فلاتو) العالم البلجيكي ، ومما قاله « إن حمل الذبابة لعمود كبريت صغير بأرجلها يعادل رفع الإنسان برجله لعمود خشب طوله ١٤ قدما ومساحته عند قطعه عموديا قدما ٦ بوصات مربعة »

ومن البق نوع يحرق ست عيدان كبريت وهي تعادل للرجل (٣٣٠) عمودا من الخشب بحجمه ، وطريقة العالم المتقدم في درس قوة الحشرات أنه ير بطها إلى ميزان دقيق ثم يخزها خالما تمشي تتحرك عقرب

متقابلة بالميزان فتدل على قوة تلك الحشرة . انتهى ما أردته من مجلة الالال والحمد لله رب العالمين

هذه بعض العجائب التي عرفها عقل الانسان وملي بها هذا التفسير ، وهناك عجائب وعجائب في سورة المؤمنين عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - من تلك الحشرات والحيوانات التي كان حفظها بسبب مشاكتها لما حولها ، وهي مرسومة هناك مصورة ، وكذلك ترى في سورة الفرقان كيف كان العنكبوت جهاز لغزله ظاهر واضح ، وكيف كان لبعض الحشرات جهاز أشبه بجهاز الطيب الذي به يضع الحشرة في جسم المريض ، وهذا الجهاز علاماً بها بهيئة عجيبة ، وكيف كان للحشرات آلات للحرب ، وآلات لطلب المنفعة تراها موضحة هناك مرسومة ، وهكذا في ﴿سورة النمل﴾ من عجائبه ومزارعه المنظمة المتقنة ، وكذلك دابة الأرض المصورة المرسومة في ﴿سورة سبأ﴾ وهكذا ترى في أول الرسم عجائب الحشرات وألوانها التي خلقت لحفظها وحفظ ما مائلها اقتصاداً في الخلقة وإبداعاً في النظام ، وهكذا ترى في سورة السجدة بعد سورة لقمان كيف كان نظام النخل من داخله غير نظام الأشجار وحكمة ذلك ، ثم ترى في ﴿سورة يس﴾ عند آية «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» تلك الأوراق المرسومة التي كوّنت من حجرات منظّمة ذوات سوائل فيها المادة الخضراء ، وكيف كان ذلك سبباً في أن الأوراق تحتذب المادة الكربونية المغذية لها من الهواء ، وكيف كانت الورقة قد تقسح لآلاف وآلاف في آلاف من هذه الحجرات الدقيقة المنع . هذا من عجائب النبات وغيره من عجائب الحيوان يفهمنا لماذا يذكر الله في ﴿سورة الفاشية﴾ الليل ونحوها بعد ذكر الجنة ، ولماذا يذكر الماء والنبات في هذه السورة بعد ذكرها أيضاً ليفتح لنا باب التفكير في العجائب لنفرح بصانعها في هذه الحياة ونرى حقائق الجبال ، وبهذا ندرك لماذا يقول الامام الغزالي فيما قلناه في ﴿سورة فاطر﴾ : «ان السعادة في معرفة العجائب وهوؤلاء هم الذين يرون ربهم أكثر من غيرهم» ونفهم قول اخوان الصفا فيما قدمنا في أول سورة الصافات : «ان معرفة العجائب جزءا من الحسنيين» اه فلما كتبت ذلك . قال صاحبي : هذا جميل جداً جميل ، ولكنني أريد أن تشرح لي جملة لم أفهمها ؟ فقلت : وما هي ؟ فقال : لقد ذكرت الجذر والتربيع المتقدم في ﴿سورة الرعد﴾ وأنا الآن أريد مثالا واحداً تراه فطرنا بهل الحساب ونرى له نظيراً في علم النبات مثلاً حتى يكون ذلك نبراساً نعرف به ملامة فطرنا لهذه العوالم من حيث الحساب وان تقدم من هذا كثير ولكننا ذكروا والدك ترى تنفع المؤمنين

فقلت : انظر هذا العدد ٣٧ فهذا العدد اذا قسمنا عليه عدد ١١١ كان الخارج ٣ واذا قسمناه عليه ٢٢٢ كان الخارج ٦ اوقفسمناه عليه ٣٣٣ يكون الخارج ٩ اوقفسمناه عليه ٤٤٤ كان الباقي ١٢ أو قسمناه عليه ٥٥٥ كان الخارج ١٥ اوقفسمناه عليه ٦٦٦ كان الخارج ١٨ اوقفسمناه عليه ٧٧٧ كان الخارج ٢١

فقال صاحبي : هذا عجب حقاً لأن ضرب ٢١ في ٣٧ يساوي ٧٧٧ وهكذا البواقي . عجب الإذن الخارج يكون مساوياً لجمع المقسوم فهو ٣ في الأولى و ٦ في الثانية و ٩ في الثالثة وهكذا . فقلت له : لقد فهمت ، فهذه الأعداد من واحد الى ٩ اذا قسمت على ٣٧ كانت بهذه المثابة ، فهذه المسألة في عقولنا عجيبة يدهش العقل لها وتطرب النفس ، فاذا رأينا أن العناصر مرتبة ترتيباً أبدياً وأجل من هذا فانظر في سورة العنكبوت ولها حساب مبني على المتوالية الهندسية والنسبة العددية بحيث يكون العنصر مع ما فوقه وما تحته جارياً على النسبة الهندسية ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ ويكون مع ما قبله وما بعده جارياً على المتوالية العددية ٢ - ٤ - ٦ وهكذا اذا رأينا ما تركب من العناصر له أمثال هذا ونظائره فاننا ندخل إذ ذاك في جنة العرفان التي لاحدتها ولعلك تذكر ما تقدم في ﴿سورة الحجر﴾ عند قوله تعالى «وأنبئت فيها من كل شيء موزون» وتذكر صوراً أنواع من النبات ونسبة عدد الدوائر الحزونية الى عدد أوراق تلك الدوائر وملاحظة المناسبات المدهشة

بين النبات الواحد وما قبله وما بعده في حصفه الأفقي وفي حصفه الرأسي ، وأن الأوراق في جميع الأشجار بينها نسب مدهشة يحار العقل فيها « فتيبارك الله أحسن الخالقين »

هأنث ذا أيها الذي قرأت الجمال المسموع ، وأدركت المعقول ، ووازنت بينهما ، أفلا يكون ذلك حصنا لبصيرتك تلجأ إليه ، وملجأ يحفظك ، ولذا وسادة ، أولات تذكر معي ما قلته في أول هذا المقال من أن الرجل بين امرأتين إحداها ترضعه ، والأخرى يسكن إليها ، ولا جرم أن الأم والزوجة كلاهما مخلوقتان مسخرتان طيبة تنقضي سريهما ، فالرجلة في الأولى ، والشهوة في الثانية وضعتا فيهما لغاية نافعة وهي المحافظة على حياة المولود وعلى نظام الأسرة ، ويرباط الزوجية ، وحسن المعاشرة ، فهما إذن محدودتان ، والمحدود لا يصلح للدوام وانما يصلح للدوام ما كان من العناية الدائمة رأسا ، وهل ذلك غير العلم بالهجاب ، إذن ظهر لنا السر في آية « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فغير بأننا نسكن إليها ، وقل في سورة أخرى « ألا بدكر الله تطمئن القلوب » فالإنسان قد يسكن في منزله وهو غير آمن ولا مطمئن ونهاية السعادة السلامة من المخاوف ، والله نسبح الله تعالى بقول « تحييتهم يوم يلقونه سلام » وجاء في القرآن أيضا « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » إذن التعبير بالسكون إلى الزوجية غير التعبير بالاطمئنان بذكر الله ، فالإنسان يكدر ويجحد في عقله أو تجارته أو صناعته أو سياسته ويحتمل ما يحتمل من التعب والتعب والألم ، فلا بد له من وقت فيه يتخلى عن هذه الأعمال والهموم لتستريح قواه ، وهل هذا إلا الاتئناس بالزوجة والراحة معها ، ولكن هذه الراحة غير تامة « ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم »

وأيا الإنسان وان سكن إلى زوجته من هموم الأعمال النهارية ، فليس ذلك السكون تاما من كل وجه ، فهل في قدرتها أن تحل له مشكلات هذا الوجود والمسائل المشككة ، كأن تحبته نفسه بأن الحياة شاقة ، والدنيا كلها هموم وأحزان ، فلم خلق هذا العالم ؟ ولم كثر الظلم فيه ؟ ولم كثر المرض والحرب ؟ ولم نراحيوانات يأكل بعضها بعضا ؟ ولم يعذبنا الله وهو قادر على كل شيء ، بل أعمالنا كلها هو الذي قدرها ؟ فهذه الشكوك والأوهام لا طاقة للمرأة بحلها . فهذا هو بعض السر في التعبير بالسكون إلى الزوجية دون الاطمئنان ، وفي التعبير بالاطمئنان بذكر الله وعدم الاقتصار على السكون « وبعبارة أخرى » أن قراءة العاوم والهجائب مثل التي في هذا التفسير تورث الاطمئنان وسكون النفس لا مجرد سكونها إلى الزوجة بل تسكن إلى الحقائق وتطمئن

فلما سمع صاحبي هذا . قال الحمد لله رب العالمين ، أنا الآن عرفت سر ذكر النبات والحيوان بعد ذكر الجنة ، وعرفت الجنة الحسية الجلية ، والجنة العرفانية البديعة ، وأن هذه مقدمة لقاء الله ، وأن هذه الطائفة أعلى العالمين ، وهم المقربون ، فقلت الحمد لله رب العالمين ، انتهى صباح يوم الاثنين أول سبتمبر سنة ١٩٣٠ م

الأم الإسلامية وأسماء هذه السور من غافر إلى الحجرات

وحوادث الأيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أكتب هذا قبيل الفجر ليلة عيد الأضحى في عام ١٣٤٩ هجرية ، وأجد الله عز وجل أن أراي بفضلته بعض الأسباب وبعض النتائج لما أصاب أم الإسلام من الحزن والزايا ، وما أحاط بهم من النذر ، وما حلّ بإساحتهم من تعذيب أم الفرجة لهم وظلمهم وعسفهم ، وفستكهم بأجسادهم وأعراضهم ، واغتصابهم ديارهم وأموالهم وأرضاء لم يطووها

أكتب هذا وقد أصلى الطليان اخواننا الطراباسيين منذ أيام نارا حامية ، وفككوا بهم فتكاً ذريعاً وهم آمنون في ديارهم ، وهتكوا أعراض (٧٠) أسرة وشتوا شملهم وأخذوا (١٥) من قوادهم في طياراتهم فألقوهم من أعلى الجبل ليقبوا بذلك ويفرحوا بما يرون من تهشيم وتسكير وموت عاجل ، وأجأوا ثمانين ألفاً من الجبل الأخضر وأنزلوهم في أرض قفراء لا أنيس بها ولا جليس ، وأخذوا منهم أناساً وضعوهم في سلاسل من حديد ورموا بهم في البحر فالتقطهم جنود المصريين ودفنوهم ، وأذلوا آخرين فهاموا على وجوههم في الصحراء ، كل ذلك ذكر في الجرائد أمس وتلى في جلسة علنية كنت حاضرها وأرسل به احتجاج لجميع العالم قاطبة

دعاني ذلك أن أفكر الليلة في أمر الأمة المحمدية الحاضرة ، وماسقته الأقدار إليها ، وكيف نشطت المسيحية كرة أخرى لتقتل المسلمين وذببهم واهلاكهم واشهارهم جروبا صليبية أخرى ، ولقد شرح الله صدرى الليلة وهادئى ووفقنى أن أكتب ماجاش بخاطري ليكون مما ينظر فيه حكماء الاسلام بفكر ناقد عسى أن يهتدوا لاسعاد هذه الأمم الاسلامية في أيام حياتي وبعد موتي وبالله التوفيق

كان العرب قبل الاسلام أمما متفرقة جاهلة خاطئة فأسلمت :

- (١) (فغفرت) لها ذنوبها السابقة واستأنفوا حياة جديدة
- (٢) (ففصلت) لهم آيات القرآن تفصيلا وعرفوا الحقائق فصار أمرهم
- (٣) (شورى) بينهم ، ثم انقلبت الشورى الى استبداد والخلافة الى ملك عضوض ومالوا الى
- (٤) (زخرف) الحياة الدنيا . فهاهم أولاء أنذرهم الله البطشة الكبرى وأخذ يفتق منهم وأرسل لهم
- (٥) (الدخان) في الحق لما جاءت الحرب الكبرى ، فإن أوروبا كلها اصطدمت فيها بالقتال ، وازدادت العداوة والبغضاء ، واسكن كانت النتيجة تقسيم بلاد الاسلام فأصبحت أمة
- (٦) (جائية) لأمم الغرب ، ولما كان من عادة الله عز وجل أن يجعل بعد الضعة رفعة ، وبعد الذل عزا ، وبعد العناء راحة ، وبعد العسر يسرا ، أخذت أمم الشرق جميعها تستعد للوثبة ، وتجدد لارجاع الوحدة ، فهاهم أولاء الأمراء الاسلاميون في العراق وشرقي الأردن ونجد والحجاز واليمن قد اضمحلت بينهم العداوات القديمة وأخذوا يسترجعون لهم مجدا جديدا ويؤسسون هيكل الوحدة الاسلامية العربية ، ومثلهم أهل الهند والأفغان ومن نحانحوهم ، فلا بد من جهاد هذه الأمم كلها لاسترجاع مجدها ووحدتها ، فقد ظهر فيهم منذرون وهداة ، ذاكرون « أعاذ إذ أنذرقومه
- (٧) (بالأحقاف) وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه » ولا بد من النصر والقلبة في هذا
- (٨) (القتال) الأدبي والحربي ، ثم
- (٩) (الفتح) والنصر ، ثم يكون أمة الاسلام ، بل أمة الشرق بعد ذلك أمما متضامنة لإجابة لقول ربهم في سورة الحجرات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

الخلافة الاسلامية

وسينظر أمراء الاسلام في هذه الحلات الصليبية التي تشنها أوروبا علينا ، ويفكرون في أمر الخلافة الاسلامية فيجدونها في العصور السالفة كانت على غير أساس ، فلذلك خَرَّ على المسلمين سقفها من فوقهم وأثامهم العذاب من حيث لا يشعرون ، فياليت شعري أي خلافة كانت هذه الخلافة ، خلافة لفظية لامعنوية فأى خلافة صادقة بعد الخلفاء الراشدين ، إن هي بعدهم إلا ملك عضوض ، أخلافة الأمويين ، أم خلافة العباسيين بدمشق وبغداد ، أم خلافة الفاطميين بمصر ، أم خلافة الأمويين بالأندلس ، وكيف تعهد

الخلافة ، أم كيف يقوم مهدي وراء مهدي ، وكيف يرث الابن أباه فيها ، إن ارث الخلافة ارث خاطئ فكرة جاهلية ، لقد فرق المسلمون أحاديث موضوعية تفرقوا بها شيئا وذائق بعض بأس بعض ، واقتفوا تلك الموضوعات بالتقليد ، ونسى كثير منهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

لجنة الخلافة في الهند

ومن أمارات اقتراب أيام السعادة أن مساهي الهند شكوا جاعة بالخلافة لارجاع مجدها ، إن المسلمين لا بد لهم من الخلافة ليرجعوا العصر النبوة ، لنسكن على نهج أصحابه عليه السلام لنترك نعمة الجاهلية ، وهل يكون الخليفة إلا بالانتخاب ، ليجتمع أصراء الاسلام في زماننا أو بعده ، وليتخبطوا من بينهم أميراً هو الخليفة ، ولا يجوز أن تتعدى خلافته مدة حياته ثم بعد موته ينتخبون سواه ، بل أقول أكثر من ذلك لتكن خلافته الى مدة معينة ، وبعد تمامها يعاد الانتخاب ، ولا مانع من إعادة انتخابه مرة أو أكثر ، فأما أن تبقى الخلافة في أمة واحدة من أمم الاسلام ، أو أسرة واحدة ، فهذا هو أس الشقاق والنزاع والخلاف والعداوة والحقد . ويجب على كل من اطلع على هذا من أهل العلم في بلاد الاسلام أن ينشره بين أصراء المسلمين ويبعثه الى لجنة الخلافة في الهند متى كان قادراً على ذلك . وههنا يظهر معنى قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ويظهر معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويظهر معنى « إن الله اصطفاكم عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم » ويظهر معنى « وأصبرهم شورى بينهم » ويظهر معنى « وشاورهم في الأمر » . ويظهر معنى هذه الحكمة الاسلامية القديمة حكاية عن الله « اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى » وتظهر نتائج « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ونتائج « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وتظهر آثار قوله تعالى « ولا تتنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله » وآثار « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » وإذا كان المسلم محرماً عليه أن يشهد زوراً لأجل منفعة أبيه أو أخيه ، فأولى ثم أولى أنه يحرم عليه أن يرشح لأجل الخلافة رجلاً مسلماً وهناك غيره أحق منه بالخلافة ، هذا هو الحق الصراح

أيها الأمم الاسلامية : عار عليكم أن تشهدوا تلك المصارع والمغازى والمصائب والفضائح والجهالات المتراكمة بين العرب والعجم في مدة ١٣ قرناً ، ثم لا تتوبون ولا أنتم تتذكرون

ألم تعلموا أيها المسلمون أن الفرنجة أيام الحروب الصليبية اتحدوا وأتممت مقترقون ، لماذا ذلك ؟ لأنهم طمس (بابا) يجمعهم على الباطل ، فأما أنتم فقد كنتم متفرقين ، فبعد المؤمن بالبلاد المغربية كان يرى أنه خليفة (المهدي محمد بن تومرت) وهذا المهدي يجب اتباعه على جميع المسلمين ، فلما لم يعترف صلاح الدين الأيوبي في خطابه لعبد المؤمن بأنه أمير المؤمنين رفض مساعدته وحارب صلاح الدين بمصر هو ومن معه من المسلمين الفرنجة ، وأيضاً أليس من العار الذي يخزى ويخجل أن نرى الفاطميين ببلاد الغرب ومصرهم كانوا أول من مزق الأمم الاسلامية شراً ممزقاً ، وكان ذلك فتح باب لدخول الفرنجة في بلاد الاسلام وهم لا يشعرون هذه المشاهد يجب أن يعرفها أصراء الاسلام ، أن الله عز وجل جعل هذه دروساً لكم لتتدوا بها ، ودعوا النعرات القديمة التي مزقت الجوع ، وشتت الشمل ، وأبانت الصدع ، وأعظمت الخطب ، وأذات أمم الاسلام « أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون »

يجب على جميع المسلمين أن يعتبروا بتاريخ الأمم الاسلامية ، دعوا أيها المسلمون تلك الشراة والجهالة

والبلاهة ، بأى كتاب ، أم بأية سنة أيها المسلمون تكون الخلافة متجرا ، بأى حق تكون الخلافة التي تخلف النبوة متاعا دنيويا ، الخليفة لا يجوز أن يقوم بها إلا من أحيا أخلاق رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلي ، ان لم يكن على منهاج هؤلاء فلتبذوه ، أتكون الخلافة في حجاب كحجاب العذارى كما حصل لبعض العثمانيين والعباسيين ، لا لا ، أيها المسلمون : كفى كفى ، الخلافة زهد في الدنيا وحفظها وغرام بالأمم الإسلامية ، وحب لله ، وجمع للسكينة « ألم بأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون »

أليس مما يخجل له جبين الدهر ، وتخزي به الانسانية كلها ، وتسكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخفر له الجبال هذا أن يقبوا البابا في مكانه بروما ، وترداد هيئته ، ويعظم نفوذه ، ويقوى جاهه ، ويشته خطره ، وتقوم إيطاليا فتسبي الذراري والنساء ، وتهتك الأعراس ، وتذل السنوسيين . كل ذلك يعلمه البابا وتحت سمعه وبصره ، والمسلمون على بكرة أبيهم لاخليفة لهم ولازعيم ، بل هم أشعثات في الأرض فوالله لم أجد أمة كهذه الأمة . كل ذلك لشرها وجشعها وحبا لئال حبا حبا

يقول كل جماعة من المسلمين : ليكن الخليفة فينا ، ولماذا هذا ؟ ليكون المال والسطوة لهم ويخضعون لهم سواهم كما فعل الأمويون والعباسيون والعثمانيون ، الأدهى والأمر أن الأقباط في ديارنا لهم (بطريرك) والمسلمون خلو من رئيس لهم يضارعه على الأقل ، وما ذلك إلا لأن القوم يجعلون رئيسهم سواء أكان بابا أو بطريرك منتخبا من بينهم ، أما المسلمون فمنهم أبو الشورى ، فلما أبوها أجهت الخلافة تبع السيف ، فبنو أمية غلبوا فكانت فيهم ، وبنو العباس غلبوا فكانت فيهم ، والعثمانيون غلبوا فكانت فيهم . لا لا . كلا . أيها المسلمون : الخليفة ينتخب ، والأمراء والمسلمون يكونون حوله ، والمواصلات اليوم متوفرة ، إن لم يجتمع المسلمون على خليفة ازداد ذلهم وخر عليهم السقف من فوقهم وأنهم العذاب من حيث لا يشعرون

أيها المسلمون : يكون ثلثمائة مليون أو أربع مائة أقل من أمة القبط بين ظهرانينا اتى لاتبلغ مليوناً واحداً ورئيسها الدينى له السيادة على بلاد الحبشة ، أينس هذا بكم أيها المسلمون ؟ أيها المسلمون : أليق بكم أن تكونوا أذل أمة في الأرض بتفرق كلمتكم وفيكم الججاجيح الشجها ، والصماصم الأقران ، والعلماء الأعلام ، والحكام والبلغاء ، والخطباء الفصحاء هاتوا إلى أيها المسلمون أمة من الأمم محرومة من رئيس ديني ، لقد أدبنا الله فأحسن تأديتنا ، وفعل فينا كما قال طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ أَمُوتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى * لَكَاطُولُ الرُّخَى وَرَثِيَاهُ بِالْيَدِ

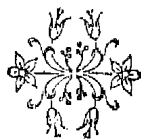
مَتَى مَا يَشَأْ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ * وَمَنْ يَكُ فِي أَسْرِ الْمَنِيَةِ يُنْقَدِ

يقول : إن الانسان أشبه بدابة ربطها الموت في حبل وتركها ترحى كما تشاء حتى إذا أراد انتراع روحها قادها حالا لذلك ، فهكذا هنا العناية الالهية شاعت أن يكون لأمم الاسلام ١٣ قرنا يتخبطون فيها في أمر الخلافة ، وتبقى تبع السيف ، وليس للعقل ولا للرأى وللشورى نصيب ، وقال في القرآن ما يفيد أنه عز وجل مأمومه أن يرسل بخوارق العادات إلا ان الأولين كذبوا بها ، لم يقول الله ذلك ؟ يقول الله أنا وأنا علام الغيوب ، عاملت الأمم معاملة المخبرين الذين يقيسون الامور بنظائرهما ، وأنا لا تخفى على خافية ، فلما طغت الأمم الماضية ولم تؤمن لما رأيت خوارق العادات أرسلت محمدا ﷺ وجعلت أهمهم معجزاته القرآن ، فإذا

كان الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بكلامه على قدر عقولنا ، وهو العليم بكل شيء ، ويقول لنا : أنا لما وجدت أن الأمم السابقة لم تبال بخوارق العادات جهلت النبوة اليوم راجعة للتفكير لا لخوارق العادات ، أفليس هذا معناه أننا ننظر في الأمور ونزنها ، فإذا وجدنا أسلافنا اتخذ أغلبهم الخلافة بالسيف فكان ذلك باعنا على الشقاق والافتراق . أفليس يجدر بنا أن نقول الآن : إنك ياربنا أدبنا وفعلت منا ما يفعله الموت مع الناس فنعون طيننا في أمر الخلافة فأنت عاقبتنا ، وسلمت منا الملك ، وحكمت بتفريقنا جزاء تركنا الشورى ، وأریتنا أن أصغر أئم الأرض لها رئيس ديني ، ونحن (وإن كنا خيرة أمة أخرجت للناس) لم نقيم بالحق في الخلافة ولم نعطيها إلا لقاها رين ، فهاتن يا الله رجعنا عن جهلنا السابق وامتلأنا أمرك ، فليكن الخليفة هو من يصطفيه الرؤساء والأمراء في الاسلام ، هذا هو الذي يجب الآن

اللهم إني أكتب للمسلمين ما شرحت له صدرى . اللهم إني قد حذرت وأعلنت ، وعلى كل من قرأ هذا من ذوى رأى في أمم الاسلام أن ينشره وبفسكر فيه المسلمون . وما ذكرنى به إلا مناسبات هذه السور لأننى عجبت كيف تكون سورة الزخرف بعد سورة الشورى وتكون بعدهما الدخان . وما المناسبة بين هذه السور من حيث ترتيبها . وإني أجدك اللهم على التوفيق والتعليم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . والى هنا تم الكلام على سورة الزخرف والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العشرون من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم . ويليه الجزء الحادى والعشرون وأوله تفسير سورة الدخان)



(الخطأ والصواب)

غلبنا النصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارىء بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
أقاموا أقاموا	أقاموا	٢٩	١٢٠	بهذا	بهذا	١٥	١٧
فمنهم	منهم	٩	١٢٣	المغنيين	المغنيين	١٢	٣٣
فيقول	فيقول	١٨	١٢٥	بسبب	بسبب	٢٠	٥٢
لا تقل	لا تقل	٢٣	١٢٦	بمادة الحياة	بمادة الحياة	٢٣	٥٤
أهم	وهم	٧	١٤١	مختلفتين	مختلفتين	٩	٥٦
في معنى	معنى	٢٥	١٤١	الصخور	صخور	١٨	٦٢
من	ما	١٦	١٤٤	كلأعلام	٢٣	٦٢
يجب	يجب	٣٢	١٥٥	عن الشمس	عن الارض	٢٠	٦٤
ذلك	قبل	٢٠	١٦٣	وأبعادها وأحجامها	وأبعادها عن	٢١	٦٤
رئيس النصرانية	رئيس الجمهورية	٢٤	١٦٣	تقرب عما	الشمس تقرب		
أصله	أصل	٢	١٦٥	للأرض	من أبعاد الأرض		
النواب	النواب	٢٦	١٧٣	عنها			
من يعترهم	حق معتريا بهم	٢٣	١٧٤	مليون كيلومتر	كيلومتر	٢٩	٦٤
تتخذ	تتخذ	٢٥	١٩١	»	»	٣٤	٦٤
الموازنة	الموازنة	٢٧	١٩١	وعد	وعده	١٢	٦٨
وأمورا	وأموور	٩	٢١٧	وأمس	أمس	١٩	٧٤
خطا	خطى	١٦	٢١٨	الاعلى	الا	٨	٧٥
آماد وآماد	آمادا وآمادا	٤	٢٢٠	وما	وأما	١٨	٧٧
.....	لأسأله	٣٣	٢٢٠	بياناتها	بيانه	٢٧	٧٧
بالا واسطة	بالا رابطة	٢٣	٢٢٣	٣٥٦	٣٠٥٦	٢٩	٧٧
مصطنعه	مصنعه	١٤	٢٢٦	وأورانوس	وادرانوس	٣٠	٧٧
تذكرنا	كبرنا	٥	٢٣١	قدره	قدوه	٧	٧٨
المشتري	الريخ	٨	٢٣١	العاق	العاوم	٤	٧٩
تتمتع	تتمتع	١٨	٢٣٥	١٣٤٩	٣٤٩	٩	٨٢
في غاية البساطة ثم	التقال	١٨	٢٣٦	الروائح	الروائح	١٢	٩١
ان الخلد يحفر				إلا جزءا	أجزاء	٢٥	٩٢
أو النعه	أو النعه	٢٤	٢٣٦	باللآلى	بالآلى	١١	٩٣
قسمناه عليه	قسمناه عليه	٢٤ و ٢٣	٢٣٨	التدخل	التداخل	١٠	١١١
		٢٥		والروم فيه	والروم	١٢	١١٦

فهرست

(الجزء العشرين)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تفسير سورة الشورى . السورة كلها مكتوبة بالحرف الكبير مشكاة
- ٥ هذه السورة قسمان : الأول من أول السورة الى قوله « لهم عذاب شديد » وفي هذا القسم ستة مباحث مبحث الملائكة والقرآن ، ومبحث الكفر والايمان والوحى والنبوة الخ . وأما القسم الثانى فهو من قوله « ولو بسط الله الرزق » الى آخر السورة
- ٧ التفسير اللفظى لهذه السورة ، وبيان أن « حتم عسى » ترجع الى الجدة والحكمة والتسبيح والعزة والعظمة والعلو والقدرة والساعة ، ويتبع ذلك تفسير الآيات من قوله « كذلك يوحى اليك » الى آخر السورة
- ١٣ فى هذه السورة سبع لطائف
- اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : تسكاد السموات يتفطرن وفى قوله : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب . العالم المادى والروحى متشابهان ، فالعالم المادى أكثره مضى بنفسه وهى الشموس ، والمظلم قليل كالأقمار والأرضيين ، الشمس تفيض النور والهواء شفاف يقبله وهو منفصل وجرم العين شفاف متصل بالجسم ظاهره شفاف كالهواء ، وباطنه من أسفل متصل بالأجسام . والعالم الانسانى كجسم الانسان الواحد والأنبياء فيه كعيون الانسان الواحد ، فكما أن العين تقبل الصور وتوصلها للفرد ، هكذا الأنبياء يقبلون العلم ويوصلونه للأمم ، فهاتين أولاه علمنا ست مسائل : أر بعافى الماديات وهى الشمس والهواء والعين والانسان ، واثنان فى العالم العقلى وهما الأنبياء وأممهم ولم يبق إلا الملك والله المقابلان للشمس والهواء ، وهذه أشبه بالمعادلة الرياضية ، والمجهول يعرف بالعلوم والمعالم (٦) والمجهول اثنان . وكل امرئ سمعنا أنه أعلم من غيره فان نفسه قبلت الحكمة عن نفوس تحيط بأرواحنا لحاطة الهواء بأجسامنا . ومن ضلّ وغوى فان روحه استمدت العلم من أرواح مثلها ولكنها أشبه بالزجاج الملوّن . وهنالك سرّ هاتين الآيتين . فى الأولى تسبيح وتحميد لذات منزهة مفيضة للخير وهى فى نظير الشمس . والذى يقبل العلم منها هم الملائكة الذين هم كالهواء من حيث الشفافية والقبول وايصال النور الى الأعين . وهذا ملخص التسبيح والتحميد والاستغفار لمن فى الأرض . وفى الآية الثانية جاء ذكر الأنبياء وأممهم وأن الله لا يكلم الناس إلا بواسطة نبي أو ملك الخ وهذا من أعجب العلم
- ١٥ اللطيفة الثانية والرابعة فى الكلام على التناسل واختلاف الذكور والاناث فى الحيوان ولطف الله فى تغذيته فن الثانى أن السمك حوصلة مملوءة هواء وذنباً أشبه (بالسكان) أى الدفة للسفينة ولولا ذلك لتعطلت ولم تحصل قوتها
- ١٦ فصل فى حكمة خلق الحشرات ، وذلك أن بعضها لا تكون إلا حيث تكون العفونات لتحويلها الى أجسامها رجة بجميع الأحياء ، فلو لاها لصار الجرح عفناً فمات كل حيوان ، وهذه (وان نظفت الجوّ) قد جعلت أشبه بالجنود يلسع بعضها الناس ويؤذيهم ليتيقظوا لتنظيف أماكنتهم ، وصغار هذه الحيوانات يأكلها كبارها ، ولو بقيت لتعفن الجوّ أيضاً ، فالذئب يصيد الثعلب وهذا يصيد القنفذ الذى يصيد الأفعى التى

تصيد العصفور الذي يصيد الجراد الذي يأكل الزنايبير الا ترى تصيد الخلة التي تصيد الذبابة التي تصيد البعوضة ؟ وهذا كله منفعة وشفاء للجو ، وبغير ذلك يكون الفناء العام

١٧ تناسل الحيوان واختلاف تغذيته ، المني يصل لرحم الأنثى في الانسان وكثير من الحيوان والهواء يفسده وقد يلقي المني على نفس البيض كالسمك والسفاد إما في وقت معين ، وإما في وقت غير معين ، والذكر قد يعاوي الأنثى ، وقد يدابرها ، وقد ياصق جنبه بجنبها ، ويختلف في تغذية صغاره ، فيكون بالارضاع أو بأن يترك أولاده كالجام ، أو بأن يسعى بأولاده كاللجاجة ، وقد يشترك الذكر والأنثى في ذلك كالعصافير والانسان ، وقد تنفرد الأنثى بذلك كاللجاجة والجاجة

١٨ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ، وأن المؤلف فسرت هذه الآية له في المنام واستنتج من تفسيرها دليلاً على اليوم الآخر ، ذلك أن العالم كله موزون بموازين حقة كالأكواب وجريها وتركيب النبات والماء وكل شيء فكيف يعم الميزان كل شيء ويبقى هذا الانسان غير موزونة أعماله ، وكيف تكون موزونة إلا اذا كان كل عمل له جزاء ، والجزاء في الدنيا لم يظهر جميعه ، فالأرض مائة ظلمة ، إذن ذكر القيامة بعد ذكر الميزان تقيم للميزان ولولاها لكان كل شيء موزوناً إلا أعمال الانسان ، وهذا هو الذي نفهم به « أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وغيرها من الآيات ، ويقرب من هذا أن جميع أهل الأرض يعتقدون في خالق لهم ويعينونه بما يناسب عقولهم ، وانهم يزورون موتاهم وإن اختلفت نحلهم ، فلو كانت أرواحهم معدومة ما انفتحت فطرهم على تلك الزيارة

٢٠ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى « وأصرهم شورى بينهم » وأن النبي ﷺ استشار أصحابه في غزوة بدر ثلاث مرات ، وقال سعد بن أبي وقاص في المرة الثالثة « فاطعن حيث شئت الخ » وقال المقداد لا تقول كما قال قوم موسى الخ وحديث البخاري أغتقى ﷺ سبي هوازن وكلم العرفاء ، ثم انه جعل أبا بكر وعمر ملازميه يستشيرهما ، وعين عمر لما طعن ستة رهط من قريش مستشارين في الخليفة بعده

٢٢ جوهرة في قوله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فمما كسبت أيديكم ، والكلام على أهل الهند الذين يرون أن الانسان بعد الموت يكون في حال تشبه حاله في الدنيا ، فالأشرار يتناسخون والأبرار يتنعمون .

هم أهوا الطبيعة فهددوا الآلهة ولعنهم لم يعتقدوا إلا إلهاً واحداً . وذلك سرّ عندهم . يقولون إن العالم من الله واليه يعود . والروح بعد الموت لها جسم ناري . الانسان نور من الله . للهندوس نساك في الغابات تعلم منهم (خريستا) سنة ٤٨٠٠ ق.م وهو يقول : « إن النفس سرمدية الخ » ولابد من طلب الوحدة . وفي باطن الانسان صديق وقل من يعرفه الخ وجاء (بوذا) سنة (٦٠٠ ق.م) وقال « لا تقتل لا تسرق الخ » وفائدة هذا في الآية ما يأتي : إن التناسخ لم يظهر قبل خريستا بل إن الروح لها جسد ناري فهي أقرب الى تعاليم الاسلام . ولما جاء خريستا قال بالتناسخ . ووصايا خريستا روحانية معنوية . ووصايا بوذا ترجع الى الظواهر . وقول الهندوس : « إن الله في باطن كل امرئ » والله يقول « وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » ويقول « وهو معكم أينما كنتم الخ » وبيان رأى علماء الاسلام ورأى المؤلف وأن الذنب لا يكون إلا من النقص والله يرقى النفوس بالألم كما يرقىها بالعلم . وأن النفس الشريرة تلاقى ألماً والبارّة تلاقى نعيماً

٢٥ الكلام على رأى الأرواح وأنها تعطى تعاليمها على حسب استعداد السامعين كما أن تعاليم الديانات تكون على حسب عقول الأمم . ثم إن اعتقاد قدماء المصريين مشتق من اعتقاد الهندوس الذين اتبعوا خريستا

وقد جعلوا الإنسان جسماً فانياً وجسماً روحياً وقلباً الخ وهي (٩) وقد ظهر المؤلف أن تخنيط الجثث عند قدماء المصريين لم يظهر إلا بعد ظهور دين خريستا بنحو (٣٠٠ سنة) وجعلوا لهم ٢٠ قاضياً ولهم ميزان وهكذا ، والمصريين فهموا التناسخ تحرفاً فوقفت عقولهم عند الجسم الانساني الذي يعيش فيه الآن فخطوه وحفظوه ، فترى الهنود يحرقونه والمصريون يحفظونه وكل يسير على مقتضى فهمه ، وما ساعد على عقيدة التخنيط قصة خيالية عند المصريين : يزعمون أن أوزيريس أخذ معه توت وفتح الأرض فسدده سبت فوضعه في صندوق ورماه في النيل ، فأرجعت زوجته (ايزيس) الصندوق فعثر به (سبت) فقطعه (١٤) قطعة ودفنها مفرقة فجمعتها زوجته وحفظتها ، وهذه هي السبب في شيوع التخنيط عندهم

٢٨ اللطائف العامة للسورة كلها

خيال المؤلف انسان جسمه من النور يقول له : خيالك تبع علمك ، وإذا كانت مسررتك الآن تسكاد تكون فوق طاقتك فان روحك بعد الموت تزيد قوتها على الذات ، أنت الآن تتخيل أن العالم موسيقى وهذه المناظر المتجلية لك الآن بعض أسرار « حَمَّ عَسَق » . فقال المؤلف ما دليل ذلك ؟ فسأله الطيف ست مسائل : وهى أجاب المؤلف الطيف عنها تجلى له فعلا معنى البسملة ومعنى « حَمَّ عَسَق » فأجاب عن الموسيقى عند القدماء والعصرين وهما السؤال الأول والثاني بما يفيد أن الزير والمثنى والمثلث والهم ترجع الى ٢٧ طاقة من الحزير و ٣٦ و ٤٨ و ٦٤ على الترتيب وهذه مناسبات للأرض والماء والهواء الخ ، هذا في القديم ، أما في الحديث فالموسيقى (١٠) دواوين (١٦) موجة في الثانية و ٣٢ و ٦٤ وهكذا على طريق المتواليات الهندسية ، وقال في جواب السؤال الثالث : إن أبعاد السيارات تكون على حسب الأرقام التالية (٣-٦-١٢-٢٤-٤٨-٩٦) وبإضافة (٤) تظهر الحقيقة وهي هكذا : عطارده الزهرة الأرض الخ وهكذا قال في الحجر النازل من أعلى يقطع (١٦) قدما انجليزيا في الثانية الأولى ، وإذا ربنا الثواني وضربنا المربع في (١٦) يكون ذلك حاصل ما قطعه الحجر جميعه ، وهكذا أمر الصوت والنور والحرارة والجاذبية إذ تكون على عكس مربع البعد ، وعن السؤال الرابع والخامس والسادس بما يفيد أن هذه المجرات والشموس والسيارات قد صارت حفلة بهجة ، وكأن نورها انقلب نغمات ، وهل يتم ذلك كله إلا بنفوس عالية دبرتها . والدليل على ذلك أن النبات ان يعيش إلا بغذاء من الأرض ، وهذا الغذاء لا يتفتح به النبات إلا اذا حمله (الفطر والبكتريا) فهذه نباتات لا ترى تخدم النباتات التي ترى ، واذا احتاج النبات الى فاعل يفتت غذاءه فن باب أولى المجرات والسدم وكواكب السماء فهي في حاجة الى نفوس تحفظها ، وهذه النفوس العالية لها مدبر وهو الله ، فهذا برهان من الطبيعة ، وهذه الكواكب من آثار رحمت ذلك المدبر الحكيم والرجة لاتتم بلا علم « حَمَّ » للرجة والجد ، الرجة مبدأ والجد نهاية ، وكلاهما لا يتم إلا بعلم ، علم الله فرحم ، وعلمنا فحمدنا وفي العلم (ع) وفي العلى والعزى والعظيم كذلك ، والرجة في البسملة ، والحمد في « يسبحون بحمد ربهم » وهؤلاء الملائكة بسبب علمهم بربهم ونظم السموات يسبحون . السين في التسبيح والسموات وبهذا نزل الوحي وهو القرآن . (ق) في القرآن وفي من قبلهن

٣٢ منافع الموسيقى العلمية وضرر الموسيقى العملية ، إن الأمم الاسلامية سرى فيها داء الشعر العربى والغزل ومعظمه يؤدى الى الفجور . وقولهم : « انه يعرف أسرار القرآن » لا يكفى العاقل وقد ضاعت الأندلس وغيرها بسبب الخلاعة كما في كتاب الأغاني وغيره . ولم يجز علماء الاسلام الموسيقى إلا اذا خلت من

التذكير بالشهوات . وهذا نادر جدا . فأتفق أن هذا اللهو أهم سبب في ضياع هذه الأمة المسكينة . وقد أتى سقراط على طائفة الشعراء بل على (هوميروس) نفسه ، ويقول : « هؤلاء ، لاحتياقة عندهم فهم كالرسام وهو الدرجة الثالثة في المعرفة ، وهو إذا رسم اللجام فالصانع قبله وراكب الفرس قبلهما ، فهو راسم للمقولات لامتثال » إذن هو خيالي وآية « حق عسق » جاءت رمزاً لنظام العالم العاوى والسفلى ، وهذه موسيقى علمية وهي المطالبة ، أما الشعر والموسيقى فعلى الضد من ذلك

٣٤ ﴿ اشراق شمس هذه المقالة ﴾ : (حم) انبعثت النفس للعالم (ع) انتناس النفس بذلك إذ يتجلى للنفس العزّة والعلوّ والعظمة ، ثم يكون الاقتباس بالتسبيح والافاضة بالاستغفار ، وهنا تظهر صفات التنزيه وصفات الافاضة والخلق والرحمة

٣٦ ﴿ حم عسق ومغارة أفلاطون ﴾ ان الذين في مغارة أفلاطون كانوا في ظلام أمامهم نورأت من نار ، وهناك صور رسمت أمامهم فظنوها حقائق ، فخرج رجل عرف الحقائق في الأرض فرجع اليهم فاعلمهم فهبنا في المغارة صعود فعمل فتعليم ، وفي (حم عسق) صعود عن المادة فعرفة بالله ثم تعليم للناس

٣٩ جوهرة في آية : الله الذي نزل الكتاب الخ ويبان أن المتعلمين في بلادنا أكثرهم نبذا الآخرة وكذبها ولكن هذا الكتاب ألقى محاضرة ملخصها أننا نولد في بحر خضم تائبين من أين وإلى أين ولم خلقنا ، لو أننا أغمى علينا ونقلنا إلى مستشفى ثم أنقنا لسألنا من حولنا ما هذا ؟ فإذا أجابونا استرحنا ، فأمر الحياة أولى بالسؤال من ذلك :

- (١) أجبنا نعيش ٦٠ أو ٧٠ سنة ثم نفهم
- (٢) ليس عندنا تاريخ إلا ستة آلاف سنة وما قبله مجهول
- (٣) مستقبل الإنسانية مجهول
- (٤) حياتي وحياتك عدم بالنسبة لهذا الوجود
- (٥) بل هذه الأرض ستصير هباء منثورا
- (٦) مصر وغير مصر جزء من الأمم الأرضية ، والأرض شظية من نظام الشمس وهوشى يسير
- (٧) اذا كان وجودنا على هذا المعنى وهو أن نعيش (٥٠) أو (٦٠) سنة فإن الأحياء جميعا - حتى جهلاء - فسكان يجب عليهم الانتحار ، هذه السنين لا تساوى مصيبة واحدة أو مرضا أو حزنا واحدا

- (٨) واذا قلنا ان المدار على حياة الإنسانية كلها وهي سرّية ، فعنى هذا أن تعذب آلاف الأجيال لأجل جيل واحد يسعد ثم يفنى ، وهذا أيضا جهل ، هذا كله ضلال
- (٩) الانسان ارتقى في البر والبحر ، واستخر المادة ، وارتفع ارتفاعا مدهشا ومع ذلك هو عرضة للموت بنسمة الهواء وجرة الماء الخ ، هذه أحوال متناكرة ، فأين الحقيقة إذن ؟
- (١٠) الحقيقة أننا قبس وشعاع من معلم أودع فينا الآلام واللذات ، وهما مهممازان يدفعان الانسان للرقى ، وهذا التلميذ يتعلم في مدرسة الوجود ويرتقى تابعا معلمه والتجارب هي النروس ، ولقد ارتقى الآن فأخذ يسمع الشرقى ما يقوله الغربى ، وليس صغرنا وصمة بل في قلب كل منا سر الوجود ، وهذا القبس النى في نفوسنا أعلى من الأرضين والسموات وميزان الحياة يكون بالمسكارم والنضائل تقليدا للعالم الأكبر بالدور والقصور ، فكل أعمال الحياة آلات مقصودة لغربها ، الحياة مدرسة والتلاميذ درجات بعضها فوق بعض

وههنا موازنة بين هذه الخلطة وآراء أفلاطون : انه لا يرى أحدا يصلح للحكم إلا الفيلسوف لأنه وقف على الحقائق ولا يحقائق إلا ما كان ثابتا لا يتغير ، فالثابت يعلم ، والمتردّد بين الوجود والعدم يتصور ، وإدراك المعلوم جهل ، وكل ما نفسه أو نظره متردّد بين الوجود والعدم ، فادركه ليس يعلم ، وهو لا ينبغي الفرح به ، إذن يجب جعل هذه التغيرات وسيلة لمعرفة ماهو ثابت وتكون نفس الفيلسوف مقتبضة بذلك سعيدة ، أما النفوس الأخرى فهي متردّدة بين السرور والألم بوجود ما فرحت به وبعدمه فهنا قول أفلاطون ، فهو يقول على الدائم لا غير ، وهذا الخطين يحقر الحياة التي لا تدوم وهو حق ٤٤ الفيلسوف الحقّيق غير مدعى الفلسفة ، فالأول يدرك الموجود الحقّيق ، والثاني يكتفى بالظاهري ، وههنا محاوره بين سقراط وغاوكون إذ وصف الذين لا همّ لهم إلا سماع الجوقات والأغاني والمحبين بالجيل من الأصوات والأشكال والألوان والصور وكل ما أنتجه الفن فلاسفة زائفين ، ووصف من عرف الجمال المطلوب ، وأكبّ على دراسة كل علم ، وأحبّ جميع العلوم وعشقتها بأنه فيلسوف ، وههنا جعل للعلم منطقة وهو كل ما هو ثابت ، وللجهل منطقة وهو المعلوم ، وللتصور منطقة وهو المتردّد بين الموجود والمعلوم ، وههنا أظهر الجمال المطلق والعدالة الماطلة بأن كلا منهما وحدة والظواهر كثيرة ، فالمتون بالأشكال والأصوات مفرور ، ولكن المدرك للجمال المطلوب هو الفيلسوف السعيد : فلحقائق غير هذه الظواهر

٤٩ الجوهره الثانية في ذكر ما خطر بقلب المؤلف ليلة ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية ، يناهى المؤلف أهل الأرض وقد رأى الدنيا قد ازينت له بهيئة جميلة ، ويقول : ايه يا أهل الأرض ، يظهر لي انكم كنتم في عوالم جميلة فلم تصلحوا لها فطردتم منها ، وأهل أرواحنا أشبه بالمواد التي لم تهضم في المعدة فخرجت بهيئة قدرة فصاحت سمادا فعدت ثانيا فأكهسة ، إذن نفوسنا شريفة عرض لها الدنس ولا بد من رقيها ثانيا ، الانسان في صباه لا يحب إلا نفسه ، وإذا كبر ودرس أخذ يتسع حبه للولد والأهل والعشيرة ، فالشحاؤون وبعض رجال السياسة والمتلون كلهم صبيان الأُم ، ومن عجب أن هذه النفوس مع انها لا تحب إلا لذاتها وحدها ، أحيطت بالجمال ليكون سببا في ارتقاها ، ولقد عمت الرحمة قلوب الحيوان لصغارها ، وهذه كلها مظاهر رحمة وجمال إلهيين ، الله ساطع بعض الناس على بعض بالحرب كل يحارب لمنفعة نفسه وهذا قد استخدم للنفع العام كما ان الحرب العظمى أعقبتها السلام العام وفن الطيران ، وهذه المواد المستخرجات من نفس الآزوت في الحرب جعلت في السلم سمادا ، ولمخلص هذا أن هذه الأرواح أحيطت بالجمال والرحمة لتتذكر وترجع الى عالمها

٥١ هذا كله من أسرار (حاء وباء) أى (حب) وهذا الحب هو المذكور في آية ابراهيم « فلما جنّ عليه الليل الخ » فانه ذكر الكوكب والقمر والشمس و « قال لا أحب الآفلين » فلفظ الحب هو سرّ الأسرار لأن المقام مقام عبادة لا مقام حب ، فلما ذكر الحب عرفنا المقصود لأن العبادة القائمة على الخوف ضعيفة ، أما المبنيّة على الحب فهي المقصودة وهي الملازمة لليقين ، واقتران الحب بعدم الاقول موافق كل الموافقة لقول أفلاطون : « إن ما لا بقاء له لا يتعلق به علم ولا حب ولا رغبة الخ » وههنا تعجب المؤلف من تعبير القرآن بالحب هنا ، وأظهر أن هذه يجهز عنها كل فيلسوف في الأرض فكيف تجتمع خلاصة الفلسفة في الحاء والباء ، والحب على مقدار معرفة الحقائق قلة وكثرة اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « وهو الذى ينزل الغيث الخ » وذكر الأشجار التي يرجع تاريخها الى ما قبل ١٥ مليون سنة

- ٥٥ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » وبيان أن هذه الممانى لا يمتثلها إلا رجل درس ، والدارس لا بد له من صبر على التحصيل فينال العلم ، فهنا صبر ، وهنا شكر
- ٥٦ خيالى يوم الأحد ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٩ م - الماء بطلى الحرارة والبرودة ، والأرض بالعكس ، وبهاتين الصفتين عمرت الدنيا ، وما الهواء إلا كدولاب دائر حول الأرض (شكل ١)
- ٥٧ (شكل ٢) الأرض تقبل الحرارة بسرعة عند طلوع الشمس ، والماء يقبلها ببطء فيسرع الهواء فوق الأرض الى الارتفاع فيتحل محله الهواء الآت من البحر ، ومتى جاء الليل تغيرت الحال فيسطى دخول البرودة الى الماء فيجبرى الهواء من فوق اليابسة الى البحر ، وهذا بعينه هو الحاصل فى الرياح الموسمية ولكن السابق فى الليل والنهار واللاحق فى الصيف والشتاء « وبعبارة أخرى » الأول فى الدورة اليومية ، والثانى فى الدورة السنوية ، القارة هنا بدل البر هناك ، والصيف كالنهار والشتاء كالليل ، فباله لا يتبدل حرارتها لنقل كثافة الضوء فوقها فتهب الرياح من المحيط الهندي اليها فى زمن الصيف ، وهذه هى الرياح الموسمية ، وهذا أمر عجب أن تكون حرارة وبرودة سببا فى هذه النعم كلها
- ٥٩ التيارات البحرية وتأثير دورة الأرض على محورها (شكل ٣) انعطاف مركبة الترام فى طريق منحن (شكل ٤) دورة الأرض على محورها
- مناطق الضغط العظيم خلف المدارين (شكل ٥)
- (شكل ٦) الرياح التجارية والرياح العكسية ، مناطق هبوطها
- ٦٠ تلخيص ما تقدم وخطاب الله للرياح التجارية وقوله لها : ليكن تيار منك فى جنوب خط الاستواء وتيار فى شماله ويتجهان معا الى سواحل أمريكا الخ
- ٦١ (شكل ٧) دورة التيارات البحرية فى الدنيا ، وههنا تجلى جمال الله فى هذه التيارات بين آسيا وأوروبا وأمريكا وكما تجلى لها وكأنه يخاطبها هكذا يخاطب الناس كأنه يقول لهم : لماذا لا تكون سياستكم كسياستى ؟ فان التيارات تجرى من الجهات الباردة الى الحارة فتلطفها ، والتيارات الاستوائية تجرى الى الجهات الباردة فتقل برودتها ، فلماذا لا يكون الشرقى والغربى متعاونين تعاون هذه التيارات
- ٦٢ جوهرة فى قوله تعالى : ان يشأ يسكن الريح الخ . نظرة راكب السفينة فيما حوله من الماء والأرض والسماء ، فاذا نظر الى السماء رأى عطارده والزهرة والريح والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون ، وأخذ يعرف دوراتها وأبعادها عن الشمس وأحجامها كأن يرى بعينه عطارده ٥٧ مليون كيلومتر والزهره أكثر منه وهكذا كوكبا بعد كوكب الى أن يكون بعد نبتون يبلغ نيفا ومليون من الفراسخ ، ويرى أن عطارده يدور فى ٨٨ يوما ونبتون يدور فى ١٢٥ سنة ، والباقي بينهما . ثم ينظر فى عالم الماء فيرى أن هذا الماء نفسه أشبه بميزان توزن به المواد الأرضية . فاذا كان السنتيمتر المكعب من الحديد يساوى (٧٨) من الجرامات والبلاطين يساوى (٢١٥) من الجرامات . والمعادن الأخرى بينهما فعنى هذا أنا اذا أخذنا مقادير من هذه المعادن مساوية لحجم السنتيمتر المكعب من الماء فان أوزانها تزيد عليه بهذه المقادير . وهذا هو الوزن النوعى . ومعنى هذا أن النجوم والسيارات طائفات فى مداراتها وهذه الأحجام مطيعات فى أرضها . وهذا معنى قول الأرض والسماء « أتينا طائعين »
- ٦٦ وههنا تطبيقات : منها أن السفن تنفوس فى البحار المالحه أقل من انغماسها فى الانهار . ومنها أن السمك يغوص ويظهر بحوصلته . ومنها أن السفينة الفارقة تنجور ببطها بسفينة أخرى ثقيلة الحلة ثم يرفع عنها

وأيضاً جثث الفرقى تطفو لظهور الغازات فيها بعد أيام

٦٧ الأوزان النوعية للاردواز والبلاطين والحديد الخ . الآيات على قسمين : آيات في الرياح وقد تقدمت وآيات في نفس السفن ، ولولا حفظ ذرات الماء لأختل سير السفن ، فهي محفوظة كما حفظت الكواكب في مداراتها

٦٨ قطرة الماء إذا بلغ حجمها حجم الأرض فإن الجزء منها لا يبلغ حجم رملة ، وهذا دليل على شدة صغر المادة ، فهل يحجمها إلا قوة التماسك ، وكما أن الماء أساس الوزن النوعي هو كذلك أساس الوزن الصناعي ، والبناء الذي طوله وعرضه وعمقه متر إذا ملأناه ماء بلغ ٣٣ قنطاراً وأقوات وهو الطنولانه فالماء بثباته أروا الوزن النوعي والصناعي ، وهل يفهم هذا كله إلا صبور على الدرس شكرور على ما علم

٦٩ جوهرة في قوله تعالى : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام الخ » مع آية : « فما أوتيتهم من شيء فتنازع الحية الدنيا الخ » وفي هذا المقام بيان عجائب البحر مثل (الكاشولات والروكالب) البالغ طوله (١٢٠) قدماً ، وعمق البحر (٣٧٥٠) قامة ، والنور لا يبعد أكثر من (٣٠٠) قامة والسماك يخرج النور منه نفسه ، والمرجان له جزائر يبنها كما تبنى الأرضة في البر ، والماء سهل المسير (٧٠) مرة

٧٠ الإنسان ومقابلة البحار : ملاحه الأنهار - علاقتها بالسكك الحديدية والقنوات . ملاحه البحار والمحيطات صراكب التجارة . الموانئ وأنواعها . وأشهر الموانئ التجارية . الموانئ المصرية . تأثير القنوات . الملاحة في تجارة المحيطات . قناة السويس . قناة بناما . لقد كانت الأمم قديماً تسكن في أنهارها كعصر وما بين النهرين ، وكانت تسكن في بلادها ، والطرق البرية بين الممالك كانت متأخرة وخاصة بالمواد الغالية ، وذلك لخوف اللصوص وصعوبة النقل بالسواب ، ثم انتقل الناس من الأنهار إلى البحار ومن صنع الخشبة فوق الماء إلى البوص المخزوم إلى السكك الخشبية المفرغة فلهيكل الحوط بالجلد فالقارب المصنوع من الخشب ، ثم ظهرت السكك الحديدية مع الأنهار لئتم الانتفاع ، مثلاً حوض الأمازون تجرى المواصلات فيه وفي فروعها ، والشلالات الكثيرة في الفروع تعميق الملاحة فتقل البضائع برّاً بالسكك الحديدية ، وحوض السكونغو من أمثلة اكتمال التجارة النهرية بالسكك الحديدية والشلالات من خواص الأنهار العظيمة الأفريقية ، وهي أيضاً كانت سبباً في تباطع كشف إفريقيا . النيل يمتد من الشلال الأول إلى البحر الأبيض (٧٠٠) ميل ونهر النيل سكة الحديد بجانبه ثم تنقطع لضيق الوادي وتبتدىء عند حلقا في حوضه الأعلى إلى السودان ، والأنهار تسعف في نقل الأجمال الثقيل كالنخلم ، وأنهار الملاحة في أوروبا مشتبكات نافعات في الملاحة مثل الرين والرون والآب وهكذا . والمسيبي وفروعه عماد للحركة التجارية في أمريكا . صراكب التجارة عند الرومان أقصى مجموعها ٥٠٠ طن فأخذت تزيد حتى صار محمول بعضها في زماننا أكثر من ١٢٠٠٠ طن بل ١٥ ألف طن ، فضعف المحمول ٣٠ مرة . ثم إن الموانئ التي على مصب النهر مثل لندن وليربول وهمبرغ نافعات للتصدير إلى الخارج والداخل معاً . والموانئ الطبيعية مثل موانئ بلاد الفروج نموذج للموانئ الصناعية فصنع الناس نظيرها في الاسكندرية ومينا دوفر . إن ميناء ريفا على البلطيق . ومينا سان لورانس في كندا تغلقان فوق ربع السنة لأجل الثلج فنظامها كنظام الليل والنهار سيكون حركة . ولقد وصل الناس البحر الأبيض بالبحر الأحمر كما حفروا قناة بناما فانصلت الأمم وزادت التجارة

٧٦ مباحج العلم ومناهج الحكمة في ملخص سورة الشورى :

(١) القرآن العربي

- (٢) ملك السموات والارض
 (٣) تتأبجهما
 (٤) التوسط في انزال الرزق لحكم
 (٥) ذكر ما لدينا من الحيوان
 (٦) والقرآن ينذر به الناس
 (٧) وهذا الدين ليس بدعا
 (٨) وهو ﷺ مأمور أن يستقيم كما أمر
 (٩) وأن يعدل بين الناس
 (١٠) والله أنزل الكتاب بالحق الخ
 (١١) والله أتصف باللطيف

ولأخص الكلام بأمرين : نظام السموات ، ونظام القرآن ، وأن نظام سير الشمس والقمر يتبعه المد والجزر ، إن البحر ينخفض ويرتفع كل يوم مرتين ، وأوقات المد والجزر تتأخر كل يوم (٥٠) دقيقة بحسب تأخير مرور القمر بمستوى الزوال ، وارتفاع المد يوجب انخفاض الجزر كثرة وقلة . وينسب الارتفاع والانخفاض الى ميل الشمس والقمر ، وكما أن البحار ومدىها وجزرها مرتبطة بالشمس والقمر هكذا النباتات تنبع في زرعها سير الشمس . فانظر زراعة القمح في هاتور والحلبة في كيهك وهكذا الباقي تقدم في سورة الزمر . إذن عالمنا جسم واحد

٨٠ خطاب المؤلف ربه . وبيان فرجه بهذا الجبال

٨١ خطاب المؤلف للمسلمين : أما نظام القرآن ففيه فصلان : الفصل الأول في أن القرآن عربي . الفصل الثاني في ذكر أم القرى ومن حولها ﴿ الفصل الأول ﴾ تقدم في سورة فصحت . وأما ﴿ الثاني ﴾ وهو تخصيص أم القرى فيبانه أن فارس والروم كانتا تحكمان أغلب بلاد العرب . ثم ظهر الاسلام فغلب الأمتين وحكم البلاد فعم الأمن ، وحادثه الحقبة شاهدة لذلك بالهدى الذي كتبه ﷺ لأهل ايلة ، وهكذا حادث قبائل البعجه وهم من البربر وكانوا يسكنون البلاد من سواكن الى قوص وبؤذن المسلمين غار بهم المأمون وغلبيهم وكتب عهدا لهم بيد عبد الله بن الجهم ، وبهذا العهد حققت السماء وأمنت الطرق

٨٤ ذكر تعداد المسلمين في بلاد الاسلام مثل ان في بلاد الهند الصيني والصين ٧٠ مليوناً ، وفي بلاد

الهند وماجاورها ٧٥ مليوناً وهكذا حتى يبلغ مجموع بلاد الاسلام (٣٥٠) مليوناً

٨٥ وبلى هذا كيف يتحد المسلمون ، وبيان انهم كالجسد الواحد فيجب أن يكونوا جماعة تكون أشبه بالرأس ولتسكن لهم فروع يمتدنون الى بقاع الأرض ، والفروع قسمان : قسم لنشر العلم ، وقسم يدرس أعمال أوروبا ، وهؤلاء يقاطعون كل دولة تعتدى على الاسلام فتعجب مقاطعة تجارة كل دولة تؤذى المسلمين

٨٧ فصل في أن الكعبة دار ندوة وهذه نعمة على المسلمين بل معجزة كبرى لأنه لأنه ظهر أنها اليوم أعظم مرجع للمسلمين وهم معاقبون اذا لم يؤسسوا هذه الجمعية ، من ذا الذي كان يعلم الغيب وأن الكعبة ستكون

مرجعاً للمسلمين ، وبهذا تم الكلام على القسمين قسم السموات وقسم انزال القرآن الخ

٨٩ وههنا خطاب وجهه المؤلف لعموم المسلمين ، وشرح المجرة والسيارات ثم النبات وأوراقه وثمراته ، وقال ان هذه كلها كجسم واحد ثم شرح اتصال الأمم الاسلامية في مكة وهذه أمة العرب جمعها الاسلام واللغة

٩٦ وتقارب الوطن ، فإذا لم تبادر بالاجتماع فإن الله مهلكها لاحالة ، وبينها وبين القرس والترك علاقة ، فلتكن العلاقة معهم أيضا ، ولیم التعليم في هذه الأمم لاسيما التاريخ ، وهناك تكون السعادة المستقبلية ولا جرم أن الأنبياء أرقى في السعادة من الدارسين من نوع الانسان ، والأب والأم ضربهما الله مثلا من حيث حب أطفالهما للأنبياء وأئمتهم ، وإذا كان الأب يربي ولده رجة وشفقة وحباً هكذا الأنبياء يربي خلقناؤهم أيضا عندهم هذا الحب وان كانوا أقل من الأنبياء « قل لأسألكم عليه أجرا » . ان أعظم سعادة في الدنيا سعادة الحب ، وإذا وجدنا كاتباً في زماننا يضرب مثلاً لسعادة الحب بما يبدو من محبوبه ويقول : « إن الكاتب الفسكاهي يتلمس سعادته من السامعين والمتكلمين سعادته بأن يسمع حديثه الناس ، والرجل يسعد بحب امرأته ، وإذا أتى لها بالشمس وأكته فرح وسعد والعاشق يفرح بأكل محبوبه العنب ، وهذه أفاض الكتاب يذكر انبعاث الحياة في الطبيعة ويذكر النفس والعشب والسكر والشمس والقمر ، فإذا كان هذا تصور كاتب لعلاقة له بنظام الأمم في هذا المثال ، وسعادة المجموع المرتبط بحكم واحد فكيف حال الحكماء والأنبياء الذين يجمعون الأمم ان سعادتهم لاحد لها

٩٧ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً » . إن هذه الآية يناسبها ما جاء عن الشيخ الديب ، وبيان أن هذا ليس وحياً لأنه ليس نبياً بل هذا مذكر للناس فقط ، فهم كالنبايع ، وعلى كل مسلم أن لا يذر شجراً ولا حرجاً ولا مدر ولا حكمة إلا فكرفها بعقله

٩٩ فهم الصحابة القرآن ونشروه في الأرض خلفت من بعدهم خلف أضاعوا ما جمع آباؤهم واكتفوا بالقشور وأحرقوا الكتب فرموا من العلم ، وقد كتبت ثمرات العلوم المحروم منها المسلمون في هذا التفسير ، ففي أيام جهلهم قرض الله طم مغلفين أميين مثلهم ليعقلوا عنهم فليسوا أنبياء ، وقد جرى بيني وبين عالم من علماء صراكش هذا الحديث . فقال : « إن الشيخ الديب أتى في تفسير الحروف في أوائل السور بما يفوق طاقة الانسان في المعارف فكيف هذا ؟ إذ يقول في معنى (ص) : « انها بمعنى الفراغ ، فكل امرئ له في نفسه نعيمه أو جحيمه يلزمه في فراغه ، وكل امرئ بنفسه مشغول فكأنهم واقفون بين يدي الله تعالى ، ولو علموا الحقيقة ماخلف أحد منهم ربه الذي هو الآن واقف بين يديه » ويقول : « إن تكبيرة العيسد سبعا وستا في الركعة الأولى والثانية بها يشهد المصلي المكنونات التي في الأرض الأولى وفي السماء الأولى ويشاهد المكنون سبحانه لأنها أفعاله وهكذا الى السابعة سماء وراء سماء ، وأرض وراء أرض ، وفي الركعة الثانية يشاهد ما خلق في اليوم الأول وهو يوم الأحد في التكبيرة الأولى ، وفي الثانية ما خلق في اليوم الثاني وهكذا الى السادسة ، ولكن في الركعة الأولى يشاهد أصول المخلوقات في السموات والأرضين السبع ، وفي الركعة الثانية يشاهد المخلوقات اجالا فيهما ، ومن فتح الله عليه فلا كلام فيه ، ومن لم يفتح عليه فليست تحضر ذلك اجالا ويفرح بربه في كل عيد ، قاله لا يخرج من الأرض حتى يطلع هذا الاطلاع » وقال أيضا : « إن التكبير ثلاثا عقب ١٥ فريضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع يلاحظ العبد فيها :

(١) خلق الانسان من نطفة

(٢) ثم كمال خلقه

(٣) ثم فساد صورته

والمصطفوية يستعملونه قبل السلام في كل صلاة » . فلها أتم سؤاله أجابه المؤلف بقوله : « إن المسلمين

لما كرهوا العلم والحقائق قال الله لهم : يا عباد أنا أعلمكم بقوم أميين مثلكم لأن الله رسيم بعباده ، ولا جرم أن الصالحين كثير في بلاد الاسلام وبعض هؤلاء الصالحين وبعض علماء الدين وجميع الأمم المستعرة أشبه بالعنكبوت يصطاد الذباب والله أنطق أمثال الدباغ بالحكمة ليصدق الجاهل بما سمع من قول فوق طاقة الناس وليكون هؤلاء أشبه بأوتاد لمحكين الاسلام وبقائه ، وإذا قامت النصرانية بالتبشير فليقم الاسلام بنصر من الله وفيض على بعض عباده

١٠١ حكم أرباب القلوب وتفسير الجواهر كلاهما من مصداق قوله تعالى : « وما كان البشر الخ » مع قوله أيضا « سنريهم آياتنا الخ » وذلك ان ما قاله من استحضار ما في السموات وما في الأرض من العجائب عند التكبير في عيد الأنجي هو عينه الذي يقال في هذا التفسير ، إن هذه الأمة أمة واحدة فإن عصر الصحابة كان علوما بذكر الله وبالعلم ، ثم تجانى المسامون عن التفكير واكتفوا بالقشور جيلا فجيلا ، ثم حرموا علوم الحقائق في السموات والأرض وناموا نوما عميقا فأرسل الله لهم نفوسا أمية رخصت لهم بما صرح به القرآن وعرفه الصحابة والتابعون ، وجاء تفسير الجواهر فأوسع المجال للنظر في هذه الدنيا ، إذن الأمة الاسلامية اتهم آخرها بأولها فسكأننا في زمن النبوة فإن عصر الصحابة المأموء بذكر الله أعقبه رموز الصالحين ، ثم جاء ذرر عصرنا ، فسترجع الأمة الى أن تسرف كل شيء بمقولاتها ، ومما مثل المسامين أيام جهلهم إلا كمثل الأرض أيام تركها بلاسقى ولا زرع فانها تخرج حشائش ضارة تمتلئ حشرات ، ويقتل فيها الشجر المثمر ، فهذه الأمة الاسلامية قلت فيها أمثال الدباغ وكثر فيها الدجالون ، وفي الزمان المقبل سيفعل خلقنا في الاسلام ما يفعله الزارعون لأرض متروكة إذ يزرعونها ويبعدون حشائشها ، والمؤلف لا يشك أن الأمم الاسلامية بعد أن تقرأ هذا التفسير تحقر التباعد المزرى لأجل خلاف في عدد الركعات أو التكبيرات ، لأن هذا خلاف بسيط لا ضرر فيه وسيجتمع المسامون على ما في هذا التفسير حتى الصوفية لأنه يحض على معرفة جمال الله تفصيلا ، وهذا هو قول أمثال الدباغ وغير الدباغ اجبالا

١٠٥ جمال العلم وبهجة الحكمة ، وههنا سؤالان : أولا ان الدباغ يقول : « الجنة والنار يستدل عليهما بنفس المظاهر الطبيعية » والمؤلف يقول : « إن الذباب والطيور والأنعام تختلف أغذيتها باختلاف أنواعها فاستنتاج الجنة والنار من هذا عسير » — (ثانيا) ان العقوبات وما يقابلها من الشهوات يهوزها الايضاح . فأجاب المؤلف عن السؤالين بأن في العقل مناطق لتربية الآراء كما ان في القناة الهضمية مناطق لهضم الغذاء . فاذا كان في الفم (٦) أنهر لهضم المواد النشوية وأسفل منه البنكرياس وغدة الصفراء وعصارات المعدة والامعاء ، وكل هذه معامل لهضم بقية المواد الغذائية ، فهكذا في المخ معامل مثل هذه ، ففيها مخازن للمعلومات ، ومنها ما هو للتجليل والتركيب ، ومنها ما هو للتذكر ، ومنها ما هو لابرار المعاني بالفاظ . إذن تربية نفوسنا أشبه بتربية أجسامنا وهكذا تربية كل نبات وكل حيوان ، ولا جرم أن لكل نبات نتائج من ثروته ورحب ، أفلا يكون كذلك تربية عقولنا وتكون نتائجها بحسب التربية الحاصلة فيها . فاذا كان الحنظل ينتج ثمرا مرّا . والعنب ينتج ثمرا لذيذا ، فلماذا لا تكون هكذا عقولنا والجنة والنار كالعنب والحنظل . وإذا كانت عقولنا مزروعة في أدمغتنا وهذه تربيتها فكيف تكون تربية بلا نتيجة . ههنا ما لا يكون فاذا تجردت أرواحنا من أجسامنا فانها لا تكون إلا في مرا كزها التي تستحقها ، فهذا هو الدليل الطبيعي على الجنة والنار . الكلام على قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم »

١٠٩ لم تظهر الشورى في الأمم إلا بعد ظهور الاسلام . إن انكائرا التي هي من الجنس (السكتي) من (برطانية) شمال غرب فرنسا جاوا الى هذه الجزيرة وسموها (برطانيا) وانتقلوا الى ايرلنده ثم دخلوا في الامبراطورية الرومانية ، ثم خرجت الرومان منها فدخل الانجليز والسكسون والجات وهم من شمال ألمانيا في القرن الخامس والسادس المسيحي ، وتقلب القاتكون عليهم وسموها (انجلند) فأغار عليهم (دوق نورمانيه) وصار ملكا عليهم . وظهر ماوك انكائرا في فرنسا . ثم كانت حرب المائة سنة ، وبه خرجت انكائرا من فرنسا في القرن الخامس عشر المسيحي ، ولما حكمت أسرة اسقوارت ثار البرلمان على شارل الأول وأعدوه سنة ١٦٤٩ وأصبحت انكائرا جمهورية ، ثم جعلوها ملكية مقيدة إذ عينوا شارل الثاني سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٨٥ فصارت ملكية مقيدة ، ثم ظهر (فلتير) و (روسو) في فرنسا ، وقد نشر الأخير العقد الاجتماعي ، وجاء بعده (منتسكيو) ففتح أذهان الشعب وعرفهم الحرية التي يتمتع بها الانجليز ، وفصل القوى التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وثار الأمة وهدمت حصن الباستيل يوم ١٤ يوليو وازداد الجوع وساء طق الفرنسيين بملكهم لويس وحكموا عليه بالقتل ونفذوه سنة ١٧٩٣ م ثم صارت جمهورية ولكن تولي نابليون العرش سنة ١٨٠٤

١١٢ خطاب المؤلف لله عز وجل يشكو ضعف هذا الانسان ، وخطابه للأمم الاسلام يقول لهم : « إن انكائرا فعلت مع شارل الأول ، وفرنسا فعلت مع لويس السادس عشر نص ما قاله عمر : من رأى منكم في أعوجاجا فليقتو مني ، عمر الذي كان ثوبه مرقعا ١٤ رقعة ، ليصلح كل مسلم أهل قريته ، ويخطب أمراء الاسلام يقول لهم : علموا الشعب كما فعل أمباطور اليابان إذ علم الأمة وقد حفظت جيله . إن جهل الشعوب يضر الأمم ويضر الملوك

١١٥ موازنة بين سيرة عمر وجمهورية أفلاطون وتطبيق نظام الأمم العربية والشرقية والفرنجية عليها . تقسيم الحكومة الى خمسة أقسام : اروسقراطية ، وديموقراطية ، والبيغارية ، وديموقراطية ، واستبدادية . فالأولى هم الفلاسفة ، والثانية الجند ، والثالثة أصحاب المال ، والرابعة اعموم الشعب ، والخامسة للاستبد الظالم . وقد أدهش المؤلف ما رأى من أن تعاليم الجمهورية جاء نظيرها على يد عمر وهو لم يعرفها ولم يقرأها ولكنه استعجبها من القرآن

١١٧ يحمد المؤلف ربه إذ عرفه داه الاسلام ودواءه ، وقال : يجب أن يكون للأمة مجلس شورى والملك منفذ ، وبيت الملك أولى بالأمر بشرط أن يكون مقيدا ، ومتى كان كذلك فلا ضرر على الأمة منه ، فإذا لم يكن بيت ملك فليكن بالانتخاب ، وليكن خليفة الاسلام بالاقتراع بين أمراء الاسلام وتكون له مدة معينة ، ويجوز تجديدها ، وهنا حديث دار بين المؤلف وبين شيخ طريقة حكم أتباعه في الصعيد ومنعهم من المعاصي بوجههم انه مطلع على أسرارهم ، وهذا ضار ونافع لأنه لا ينفع إلا عند جهل الأمة وهذه طرائق كعجل السامري

١١٩ بيان العدل العام في السموات والأرض وأن العدل والجمال يرجعان لشيء واحد ومقياس جسم الانسان والموسيقى يثبتان ذلك وكل هذه العوالم موزونة ولكن الانسان لم يقدر على مجازاة العدل والجمال في هذه العوالم ولم يصل لعدل النحل والفيل والأرضة في رعيها فأمر رسوله بالشورى واستشار صلوات الله وسلامه عليه أصحابه يوم أحد واتبع آراءهم فخرج وكان من رأيه هو أن لا يخرج ولكنه اتبع الشورى :

(١) ولم يأخذ من بيت المال عمر درهما إلا باستشارة أصحابه

(٢) وما أдал عمر بين بردين ، ولا جمع بين أدمين ، حتى لقي الله

(٣) ضرب رجلا بالهرة لما ألح عليه ثم طابه وقال له اقتصر في واضربني كماضربك فسامحه الرجل

(٤) وقضية القبطي مع ابن عمرو بن العاص معلومة

(٥) كان شقيقا على أهل النمة ، ورأى شيخا ذميا يسأل الناس لجعل له رزقا من بيت المال

(٦) أمر العمال أن لا يمسكوا الجند أكثر من أربعة أشهر

(٧) شرط على العمال أن لا يركبوا برذونا ، ولا يأكلوا ثقيا ، ولا يلبسوا رقيقا ، ولا يغلقوا

أبوابهم دون الناس

(٨) شاطر سعد بن أبي وقاص على ماله وأباه هريرة

(٩) كان يريد أن يأخذ فضل الأغنياء فيصرفه على الفقراء

(١٠) حرّم ضرب الأجسام

(١١) وشرط أن يكون العامل رقيق القلب

(١٢) حكاية عمر مع جبلة بن الأيهم ملك غسان إذ لم يفرق في العدل بين الأمير والعمالوك

(١٣) عزل سعد بن أبي وقاص بمجرد شكوى لم تثبت خيفة العاقبة

(١٤) أمر العمال أن لا يفرقوا بين الضعفاء والأقوياء ، والعبيد والسادة

(١٥) أمر العمال أن تكون منازلهم قريبة ليسهل الوصول إليها

(١٦) حرّم في خطبته الضرب

(١٧) لما حضر الموت سلمان الفارسي عامل عمر على المدائن (وكان يأكل خبز الشعير ويركب

الجار بغير إكاف) بكى وقال : إن النبي ﷺ قال : إن في الآخرة عقبة لا يقطعها

إلا الخفقون ، فنظروا فلم يجدوا إلا دواة وركوة ومطهرة

١٢٧ خاطب المؤلف المسلمين يقول لهم : « ارجعوا الى نفس النبوة فادرسوها درسا مفصلا ، قد ضيق عمر

بالمسلمين أن يكونوا تحت إمرة من يتولى الخلافة بحق النسب خيفة أن تترك الشورى سدى ، وقد

حصل ما كان يخافه ﷺ في خلافة بني أمية وبني العباس ، عرف المسلمون نعمة الشورى في زمن

النبوة وخلافة أبي بكر وعمر فقتلوا عثمان بسبب ضئيل جدا لم يبلغ عشر معشار ما حلّ بالفرنسيين

والانجليز والألمان لما قاوموا ملوكهم

١٢٨ جمال الحكمة والعلم في آية الشورى وآية : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » إن

من تفسير القربى قولا يفسرها بالتقرب الى الله تعالى كآية « إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا »

ولقد تعالى الناس في اعظام الصالحين وبعض أرباب النسب حتى أضاعوا الشورى ، وأنت يا الله تقول

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، اللهم إن الأمانة لا تجوز إلا بالسكفاء ، وأكرام آل البيت

لا يختلف فيه اثنان ، ولكن ليس معناه أن نولى أحدهم الولاية وغيره أنفع للأمة منه ، أو ننذر لهم

النذر ، ولقد تطابقت آراء العلماء والصلحاء على ذلك ، وقد قالوا : إن أسباب الانقطاع عن الله :

(١) الهدية للصالحين دون وجه الله

(٢) التوسل الى الصالحين بالله

(٣) زيارة الصالحين وعلمهم صلوات

(٤) خوفهم من الظالم على العمر وعلى الرزق

- (٥) الطمع في الظالم
- (٦) النصرة للكافرين
- (٧) عدم النصيحة للمسلمين
- (٨) استجداء التعب في طلب الدنيا
- (٩) طلب الدنيا بما دواؤون منها
- (١٠) أن يعمل العبد بقصد رجبته لا بقصد الله الكريم
- (١١) المعاصي في نحو المساجد
- (١٢) اللواط
- (١٣) ضرب الرجل امرأته
- (١٤) المنة على العيال
- (١٥) الحسد
- (١٦) الاقدام على المعصية مع معرفتها
- (١٧) جمع الدنيا من الحرام
- (١٨) عقوق الوالدين
- (١٩) مخالطة المحجوبين
- (٢٠) التفريق بين الخلفاء الأربعة

١٣٢ من فراسة عمر رضى الله عنه انه قال لابن عباس : إني أخشى أن استعملتك أن تستحلّ النّىء على التأويل « واعلموا أنما غنمتم من شيء » الآية ، وقد حصل ذلك فعلا أيام على رضى الله عنه لما استعمله ، وقد منع صلى الله عليه وسلم قرابته أن يعملوا له عملا في حياته لئلا تتخذهم أنفسهم بالامارة ، وطلب العباس إمارة من النّبي صلى الله عليه وسلم فلم يرض بذلك ، والنّبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لأفضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »

١٣٣ الحياة النيابية في أفغانستان ، وخطاب الملك نادر شاه يقول : « إنما المؤمنون اخوة » وشكر الله على أن أمته بهافية ، وذكر انتشار الاسلام والشورى في أول الأمر وهناك لم يفرقوا بين المسلمين من حيث العشائر والقبائل والأهم ، والصفوف في الصلاة مثال من أمثلة المساواة ، وتأسف لأن المسلمين لا يعرفون المصلحين بل يقتلونهم ، ولا بد من وجود أصل ثابت لأفغانستان وهو مجلس الشورى (البرلمان)

١٣٧ ﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾ السورة مكتوبة مشكاة كلها
١٤٠ تفسير البسملة . الناس كلما اعتادوا شيئا جهلوا جلاله كالطعام وكالبسملة والشمس والقمر ، إن في سورة الزخرف ذكر الرحمة ثمان مرات (٢) على هيئة المصدر و (٦) بهيئة الصفة المشبهة ، فليكن البحث أولا في الماء كل والشارب ، وأن الاكسوجين جزء من الماء بل هو الجزء المهم وهو نصف الأحجار وثلاثة أرباع الحيوان ، إذن الماء حين يغسل به البسلاط تقول الاكسوجين سائلا غسل الاكسوجين جامدا وهو أيضا في الهواء تنفس به ، إذن هو طعام وشراب ونفس (بالفتح) وغيرها والقناة الهضمية فرقت على مناطقها المراد العضوية التي لازلال فيها كالنشاء والسكر وكالزيت والشحم فهذه دخلها الفحم ولازلال فيها ، والمواد العضوية التي فيها الزلال كالقول والعدس والبسلة والقمح

والنرة ، وهناك مواد غير عضوية مثل كربونات الجير وفوسفات الجير في العظام ، فطعامنا مفرق على البر والبحر والانسان يجمعها وينزلها في القناة الهضمية ، فيجد كل طعام منطقة لهضمه ، فالناطق الأرضية تقابلها المناطق في أجسامنا للهضم ، وهذا الفهم الذي يكون في السكر والورق والريش والعظام واللحم والجلد والشمع والدهن والزيت له آثار وهي المادة السوداء ، وهو في الحجر وليس يتخلو منه إلا الملح ، والفحم أمير والا كسوجين وزير ، والاوزوت في الهواء هو نفس المواد الزلائية الداخلة في اللحم والحبوب والبيض ، وإذا كانت الرحمة ذكرت ثمان مرات فوق ما جاء بالبسملة و (٢) في البسملة فلا بد من فهم الرحمة . ولا معنى للرحمة إلا ما هو ثابت ، أما المتغير فهو مقدمة للرحمة ، وههنا شرح للعواس الخمس من اللس والذوق والشم والسمع والبصر ، وذكر (٢٦) حكمة في البصر ومنها طبقات العين ، وانها هي التي أمكنها أن تنظر الشمس ، ثم ان هذه كلها نعم متغيرة كالذي جاء في آية « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » الآية ، وههنا يقال ان العين ليست هي الشمس كما ان الانسان ليس هو الله ، فالعين فينا بالنسبة للشمس كأرواحنا بالنسبة لله ، إذن الحلول والاتحاد خطأ فاحش ، فشكل ما جاء في كتب الصوفية « كالفتوحات المسكية » مما يؤهم خلاف ذلك يجب تأويله أو تركه ، وعلى الانسان أن يترقى من الأخص الى الأعم ، ومن المحسوسات الى العقولات ، وهو عالم المثال ، وعالمنا متغير . وهذا كله كلام أفلاطون ، فرد عليه أرسطاطاليس بقوله : « ليس هناك إلا المادة والصورة » ، ورد عليه من بعده بأن في كلامه تناقضا ، ثم تركوا هذه المباحث ، وههنا ذكر المؤلف لمن خص المقام كله وهو أن الجمال موضح في السجدة ، والطعام والشراب يطلق الصبيان أنهم يعلمونهما ، ولكن الذي يفهم حقائقها هم العلماء ، والرحمة ذكرت (٨) مرات في هذه السورة ولما أخذنا في تفصيل الرحمة وجدنا أن الحفاصة كلها كانت أقرب الى محسوسها كانت أخس ، فاللس أداها والبصر أعلاها ، وهل بعد الضوء المبصر إلا عالم العقل وهو الدائم وهو المشرف على جميع الوجود لأن الموجود كلها كان أبعد عن المادة كان أبقى وأدوم ، ثم جاء قوم وقالوا : « ليس هناك عالم مثال ، بل المدار على المادة » ، وبعد ذلك اعترض قوم على هذه الأقوال ، ولمنخص ذلك كله أن سعادة أهل الأرض لا تكون بالانغماس في الشهوات ، وسنحقق هذا المقام في « سورة القتال » بعد هذا أمكن فهم الآيات مثل : « وإذا بشر أحدكم الخ » ، وههنا محاورات فلسفية يونانية ، وثابت أن هذه السورة مفسرة قبل نزولها بالفلسفة

١٥٢ « مقاصد السورة » - ذكر هنا (١٨) مقصدا ولكل مقصد آية من السورة

١٥٣ التفسير اللفظي من أول السورة الى قوله « ويحسبون أنهم مهتدون »

١٥٦ الكلام على المقاصد من العاشر الى الثالث عشر من قوله « إذا جاءنا » الى قوله « ومثلا للآخرين »

١٥٨ ذكر المقاصد من ١٤ الى ١٨ وهي الأخيرة من قوله « ولما ضرب ابن مريم مثلا » الى آخر السورة

١٦٠ حيوان ذرى يدير دولابا

١٦١ في هذه السورة سبع لطائف ، اللطيفة الأولى والثانية ، ما تشير اليه (حم) من الحمد يرجع في نهايته الى العلوم الطبيعية والفلسفية وكل ما هو دليل على جمال الصنع الإلهي

١٦٢ بيان أن أبناء العرب خصوصا اليوم مسئولون عن القرآن ونشره ، ولين يتم لهم ذلك إلا بقراءة علوم الأمم كلها ودرس لغاتها ، ثم تفهيم الأمم دين الاسلام بالحسنى والمودة عملا بقوله تعالى هنا « وسوف تسألون » . وقد قال اللورد هيدلي للمؤلف : « إن كثيرا من الانجليز يحبون أن يسلموا ، ولكن لا يجدون

لا يجدون من يهتمون عليهم من علماء الاسلام حتى يحتجوا بهم عند عشيرتهم . إن أبناء العرب والمسلمين اليوم يحملون القرآن ، وأوروبا قد درست بعض العلوم ، فكل عمل في رقي الانسانية . وهذا وذلك في الحقيقة متعديان ، وهذا يوافق آية « ليظهره على الدين كله » . ألم تر أن بابا رومه كان يستعبد ممالك أوروبا ، ويمسكون ركابه إذا ركب ، ويحرق بالنار مخالفيه ، وألزم أمبراطور ألمانيا أن يقف حافيا على بابه ثلاثة أيام ليفر له ، ورفس صرة برجله ملك جرمانيا

١٦٤ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى « إنا وجدنا آباءنا على أمة » وبيان أن هذا النوع الانساني ابتلى بالتقليد والاتباع بلا عقل ، وهذه الآية تلزم كل من له ذكاء في الاسلام أن يفكر في الدين وارتقاء الأمم الاسلامية

١٦٥ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى « قالوا هذا سحر » الى قوله « فلولوا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ » اللطيفة الخامسة في قوله تعالى « حتى إذا جاءنا » الى قوله « إلا المتقين » وبيان مامعنى الحب في الله ، وكيف يكذب من يظن أن معنى الحب لله أن لا يكون له سبب بل سبب حب الله كل طاعة وما يقرب منها وبضدها تميز الأشياء

١٦٧ اللطيفة السادسة في قوله تعالى « وانه لعلم الساعة » وأن هذه الآية لا تدل على نزول المسيح إلا على وجه من ثلاثة وجوه ، فدلائلها غير قطعية ، وبيان الأحاديث المروية في المهدي المطعون فيها والمسيح وآراء الصوفية في ذلك وفي غيره ، وكيف كانوا قديما لا يتكلمون في المهدي ، ثم اقتبس المتأخرون منهم القول بالحلول والوحدة من الامامية والرافضة القائلين بالوهمية الأئمة وحاول الاله فيهم وقالوا بالتطب والابدال والنجباء ، وأشربوا أقوال الشيعة فقرءوا كتب الاسماعيلية وفيها الكلام على المهدي المنتظر وأن هذه كلها آراء وهمية كالذي ظهر في كتب ابن العربي من تحديد زمنه فظهر خطؤه ، وههنا تأسف المؤلف على هذه الأمة المسكينه التي تطرق الوهم الى أكابرها وعظمائها وأجلائها الأعلام ، وبيان رأى ابن خلدون أن المهدي لن يقوم إلا بعصية وعصية قريش قد ذهبت كأمس الدابر ، وانه اذا صح فأنما يكون ذلك فيمن لهم اليوم عصية كبنى الحسن الخ ، فأما قيام رجل يدعى المهدي ولاعصية فذلك لا بقاء له ، وبيان رأى المؤلف وهو أن المسلمين عليهم أمر واحد وهوانهم يجتدون من الآن في ترقية التعليم في الأمم الاسلامية وتعليم كل ذكر وكل أنثى بالتدريج ، فههنا تم الهداية وتم الرحمة العيسوية ، فاذا نزل المسيح أو المهدي أو غيرهما وجد الأمم مستعدة لفهم روحه ، إن المسيح أو المهدي لن يقلب طباع الأمم في بضع سنين . كلا . فلنقلب نحن طباع الأمم ليعم السلام ، لأننا معاشر المسلمين خلقنا رحمة للعالمين تبع رسولنا ﷺ ولن تكون رحمة عامة إلا بذلك ، وهذا هو الحق الصراح ، فأما أن ننام نحن الآن لننتظر من يأتي بعد آلاف السنين ويربى جيلا هناك فهذا خور في العزائم وجهل بالدين والقرآن ، وهنا ذكر المؤلف أن الأمم الاسلامية يجب دلي قادتها أن يوجهوا همهم الى التعليم العام ومعرفة هذا الوجود ، ومتى عرفوا الحقائق زال الاشكال ، وهذا هو الذي يوجب اتحاد المسلمين ، ومنع المؤلف الأمم الاسلامية من المناقشات في المذاهب المختلفة من سنية وشيعة وزيدية ونحوها ، فليترك لكل امرئ ما اعتقده ، ولتوجه القلوب لغرض واحد عام

١٦٩ اللطيفة السابعة في قوله تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم » وبيان أن النصارى منهم ملسكانية يعتقدون بالتثليث ، ونسطورية يقولون بإشراق السكامة على جسد عيسى الخ ، ويعقوبية يقولون : « انقلب السكامة لحما ودما الخ » . الملسانية هم الكاثوليكية ، والقسمان الآخرا لسا في أوروبا

ورئيس السكاتوايكية البابا الذي أذلّ ملوك أوروبا قديما وأنكره (البروتستانت) الذين يخالفون فيه كما يخالفون في كيفية العياد فلا يمتنعون إلا أكل اللحم وما تولد منه ، وهناك طائفة (الاورثوذكس) بالروسيا ، وهناك فرقة اسمها (اللاتينية) ، وهناك ذكر توارنج أم أوروبا في المسيحية الذي تقدم بأوضح من هذا في ﴿آل عمران﴾

١٧١ اللطائف العامة للسورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » مع آية « وانه لذكر لك ولقومك » ، وههنا مقامان : الأول في غريب القرآن ، والثاني في الكلام على الأمم العربية ، والمقام الأول جاء فيه أحاديث وأثار للحض على معرفته ، وفيه ذكر ما توقف فيه عمر رضى الله عنه وأكابر الصحابة ، وأسباب الكلام على ما روى عن ابن عباس من تفسير غرائب القرآن كلها . وقد جاء هنا منها كثير من قوله « يؤمنون » أى يصدقون الى قوله « حاسنون » طين رطب ، وقد أحال المؤلف من أراد الاطلاع على الباقي منه على كتاب « الاتقان » في علوم القرآن وهكذا ذكر المؤلف الأشعار المروية عن ابن عباس شواهد على كلمات في القرآن مثل تفسير الوسيلة بالحاجة وشاهدها قول عنتره * إن الرجال الخ * . وههنا ذكر (١٠) أبيات من نحو (١٥٠) بيت وأحال القارئ على كتاب الاتقان المذكور

١٧٥ الكلام على نفس الأمة العربية التي اختارها الله بما فيها من المزايا وصفات الشهامة لنشر دينه ، وكيف اضمحلت بعد ذلك ، وأصبحت متفرقة ، فهي في شرفها لا تضارعها أمة ، وفي ذلها كذلك لتفرقها تفرقا معيبا

١٧٦ محاوره بين المؤلف وبين المرحوم لطيف باشا سابم ، وقول الثاني : « ان الأمة المصرية ان ترقى لأنها لم تقتبس من الأمم شيئا » ، وقول الأول : كلا . ان آراء مصطفى باشا كامل التي كانت تنشر في جريدة اللواء غيرت آراء تلاميذ المدارس فعرفوا معنى الوطنية ، ونسبتهم الى تلك المعرفة تقرب بعض القرب من نسبة معرفة العرب الجاهلة للاجتماع إذ جاءهم الدين ، وهذا الشعب العربي كله مأمونه من الرقى إلا انه لم يتعلم وسيرتقى الآن ، وظهر صدق قول المؤلف بظهور أحزاب مصر كالحزب الوطنى والوفد والأحرار الدستوريين : وهكذا جمعيات الشبان المسلمين ، وظهرت أيضا في سوريا وفلسطين والعراق جمعيات ونابغون ، إذن صدقت فراسة المؤلف ، وههنا حكم المؤلف بأن رقى هذه الأمم اليوم ابتداء فعلا ، وعقد لذلك سبعة فصول : الفصل الأول في المدنية العربية في نهضة أوروبا ، وأن برتسوا العالم الفرنسى الكهاوى لفت أوروبا الى وجوب معرفة تاريخ العلوم وانه عقد مؤتمر في هذه السنة بباريس حضره علماء الأمم حتم معرفة تاريخ الأمة العربية لهذا الغرض ، ولقد ألقى (سفرست) العلامة في الطب محاضرة في الخفلة التي أقيمت بألمانيا على مضى ألف سنة على الطب العربى ودهش من الجدة وحب البحث المجرّد عن الغرض والتحمس للعلم

١٨١ أثر الطب العربى . وانه انما ظهر واتسع في عهد الدولة العباسية لاسيما في عهد المأمون ، وظهر نابغون في القرن العاشر الميلادى فيه منهم الرازى في آسيا ، وابن الجزار في إفريقيا بالقيروان ، والزهراوى بالأندلس ، والرازى مائة كتاب في علوم مختلفة ، وههنا جاء ذكر ابن سينا واهتمام أوروبا بعلومه ، ونقلت كتبه الى اللاتينية

١٨٣ الفصل الثانى في أسرار قوله تعالى : « وسوف تسألون » وأن هذه الأمة قد عوقبت بما أهملت ، وذلك ظاهر فيما كتبه الأمير شكيب أرسلان في رحلة الأندلس ، وكيف رأى المآذن لاتزال كما هي

أيام العرب ، ولكنها جعل فيها نواقيس السكنايس التي سحلت اليها تلك المساجد ، وأبان أن المدن العظيمة العربية هناك أصبحت اليوم قرى صغيرة ، ونهض بالذكر (طليطلة) التي دل أخذ الازفونش لها ، وهو طاغية (قشتالة) الذي انتهز فرصة اختلاف مالوك الطوائف ، والتجأ النادر بن ذى النون له لمساعدته في توطيد سلطته في طليطلة فاحتلها ، وبذلك ابتدأ انهيار ملك العرب من بلاد الأندلس ، وقد عوضه بلادا غيرها ، وهذه هي المقالة الأولى من الفصل الثاني

١٨٥ المقالة الثانية : ان الازفونش المذكور أخذ قرطبة وأشبيلية له ، ولكن بعد ذلك أغاث الرابطون والموحدون من أفر يقية مالوك الأندلس ، ولشدة اختلاف مالوك الطوائف استغاث الملحاء بابن ناشفين إذ أراد الرجوع الى افريقية بعد واقعة الزلاقة المشهورة ، وأفتوا بأنه يجب أن يجعل البلاد تحت حكمه وقد حصل ذلك ، وههنا استبان السبب في ضياع ملك العرب وهوانهم جميعا يحبون أن يكونوا ملوكا فيملكهم الأجانب

١٨٦ المقالة الثالثة : في بيان أن الجامعة الاسلامية ليست بالمعنى الذي يظنه الاوروبيون ولم يكن هناك التثام حقيقى إلا أيام الخلفاء ثم جاء الانشقاق ، ومن عجب أن الأمم المسيحية أيام الحروب الصليبية اتحدت اتحادا أكثر من اتحاد المسلمين لأنهم قاموا باحدى عشرة حملة صليبية ولم يقاهاهم إلا المصريون والسوريون وسكان ما بين النهرين ، ولم يجب دعوة صلاح الدين مساهوا فر يقية ، إذن تضامن المسلمين كان جزئيا كتضامن أهل افريقية والأندلس إزاء الأمم المسيحية

١٨٩ الفصل الثالث في أن القرآن ذكر للمسلمين عموما وللعرب خصوصا ، وبيان أن المؤلف رأى في صفه الظلم مجسما في القرى المصرية وفي الحكومة ، ولكن الأحوال أخذت تترقى حتى ظهر العدل وألف هذه الكتب وبحث مع العقلاء في أمم الاسلام ، وظهرت جهيات في مصر وغيرها وهاهوذا (السكبتن غوردون) كتب مقالين أظهر فيهما أن انككترا وفرنسا لشرهما ستجعل مالكمهما كالملك الرومانية فيجب ترك بلاد العرب ، وتخرج انككترا وفرنسا معا من سورية وفلسطين ، وعلى أبناء العرب أن يظهروا مقدرتهم ، ويضبطوا بلادهم كما فعل آباؤهم في القرون الأولى ، ويجب أن يصدق الانجليز والفرنسيون مع الأمم العربية ويتركوا التعلل بحماية الاقليات المسيحية واليهودية ، فهذه البلاد لم تكن الاقليات فيها مهددة ، ولكن أمم أوروبا تتخذ تلك الاقليات ساهما للتدخل في شؤون البلاد ، واقترح أن يعقد مؤتمر في القاهرة دائم ، أوفى جسدته ، وألشام ، ويوجب ذلك المؤتمر أن يتعلم العرب في مدة (١٥) عاما فيتم التعاون بين هذه البلاد وتخرج انككترا منها وتكون صديقة للأمم مخلصه ويقل تحملها النفقات الباهظة ، ولن يتم هذا إلا بمساعدة انككترا للعرب في ذلك ، إن تاريخ الأمم العربية يشهد أنهم أهل لحفظ بلادهم ، وهؤلاء المهاجرون السوريون لهم مقام رفيع في نيويورك وبوتس وغيرها ، وقد كان آباؤهم مؤسسى دولة عظيمة ، وكان في وسع التاجر أن يتجول من البصرة الى دمشق مثقلا بالسلع ولا يستدى عليه أحد . وفي عام ٩٨٠ م كان المسافر يقطع الشقة بين المهديّة والقاهرة بلا خوف ولا وجل من قطاع الطرق ، فلاحجة لمن يقول أنهم ليسوا أهلا لحفظ بلادهم

١٩٣ الفصل الرابع : التنافس الدولي ونصيب العرب منه ، وفيه بيان أن الشعب العربى الذى يسكن من خليج الاسكندرونه الى مضيق جبل طارق مقسم بين ايطاليا وفرنسا وانككترا . ولما كان التنافس بين الافراد يوجب الضغائن ، هكذا يكون التنافس بين الأمم . إن التنافس بين روسيا وانككترا هو الذى أبقي الاستانة الى الآن في يد الترك ، وأبقى الدولة العثمانية الى أجل قريب ، وهذه ألمانيا

لا يعجبها استيلاء هذه الأمم الثلاث على العرب . كان العرب يحكموا عليهم بالفناء ، ولكن نهضة حديثة ظهرت اليوم لهم ، وقد كان لهم اجتماع عظيم في (برلين) للاحتجاج على مرور مائة عام على احتلال الجزائر ، وسيكون نتائج ذلك خلق اتحاد عربي ، وههنا وجب ذكر الجمع النسائي العربي الذي أنشئ سنة ١٩٢٩ في بيروت وفيه أن النساء العربيات من بلاد العراق الى داخل السودان ومن طنججة الى الموصل كلهن أصبحن مطالبات بالرق العام للأمم العرب خصوصا النساء

١٩٥ الفصل الخامس : في الكلام على الوطن اليهودي بفلسطين ودفاع محمد علي باشا المصري أمام اللجنة الدولية ، وبيان أن الأمة الفلسطينية لم تعترف بالوطن اليهودي ، وأن النزاع فيها لا يرجع الى أوروبا بل للشريعة الإسلامية ، وأن اليهود كانوا مطرودين من كل مكان والذي آواهم انما هم المسلمون قديما ، وأن استئثار هذه المسألة يحدث مطاردتهم في كل مكان ، وأن المسيحيين باختلافهم في أماكن عبادتهم ظهرت فيهم آثار سيئة ، فبالأولى الاختلاف هنا ، وبيان أن أغنياء اليهود قد اشترؤا أرض العرب المقراء ، فيجب على المسلمين أن يحفظوا أرضهم ، وأن المصريين يجب عليهم أن يتولوا قيادة العرب

١٩٨ وههنا ذكر أمر عظيم لمناسبة آية « وانه لذكر لك ولقومك » بل هو من أعظم المعجزات في زماننا وهو دفن محمد علي المجاهد الهندي في فلسطين ، وهذا الحادث لم نعهد له نظيرا في اتحاد المسلمين ، فههنا (٧٠) مليوناً من الهنود ، ومثلهم من العرب بسبب هذا القبرسيته بدون معا في مواجهة الخطر الأوروبي الذي استحل أن يعطى اليهود وطناً قومياً في فلسطين ، وقد شيع جنازة الفقيد نحو (٢٠٠) ألف ومائة ألف يشهدون الصلاة ، وقال أخوه الاستاذ شوكت : نحن معاشرا الهنود المسلمين مدينون للعرب كافة باسلامهم ومدنيتهم « فهذا القول جاء خير تفسير لآية « وانه لذكر لك ولقومك »

٢٠٠ ههنا صورة النعش والمشييعين (شكل ٨ و ٩)

٢٠٢ بيان أن موت هذا الزعيم في نظر أخيه يحلّ مشا كل الهند ، وههنا اعتراض على المؤلف في وضع هاتين الصورتين على غير عادته ، وجوابه أن هذا لاظهار معجزة لم تظهر إلا في زماننا ، ولم نر للمسلمين اتحاداً مثل ما نراه في زماننا ، فالترك ضربوا العرب ، وقدماء الفرس أحدثوا رجة سياسية أطارت نوم العرب وفي الحروب الصليبية لم يتحد إذ ذاك إلا أهل مصر وسوريا والعراق وبقية المسلمين كانوا نائمين نوما عميقا

٢٠٣ نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعا بأن الفرنسيين قد اعتدوا على دين الاسلام وأخذوا ينصرون البربر وهم (٧) ملايين ، وقد أبطلوا العبادات والقرآن ، وجعلوا قانونهم هو القانون القديم البربري القائل بأن المرأة متاع للرجل وله أن يتزوج منهنّ ماشاء بلا عدد ، وبيان أن المسلم الذي يرضى بارتداد مسلم كافر أيضا ، وإعلان فرنسا أن المسلمين يجاهرونها بالعداء اذا دامت على ذلك لأن الاسلام لم يمت ومثل ما حدث بمراكش حصل بتونس فان الحكومة الفرنسية قررت مليونين من الميزانية التونسية وخمسة ملايين من ادارة الأشغال العامة وهكذا مبلغ غيرها لتعطيتها لرهبان ينصرون المسلمين ، ومن الحزن أن الباي نفسه وشيخ الاسلام والمفتي والوزراء وغيرهم جعلوا أعضاء في هذا العدوان ، وقررت الأمة الاضراب عن العمل وأظاهروا ، وتدخل الجند ، وحصل هرج ومرج كثير

٢٠٦ الكلام على آية : « والذي نزل من السماء ماء بقدر » وبيان أن العلوم كالمخازن ، وأن التفسير وظيفته أن يأخذ من تلك المخازن ما يهذى الناس على مقتضى الآيات ، وأن تكرار الآيات في سور مختلفات في

موضوع واحد يقصد به أن تنوع العلوم بتنوع تلك الآيات ، وذلك التنوع هو الذي يشير في النفوس الرغبة والشرائح الصادرة

٢٠٧ تقدم الكلام على جذور النبات في سورة الفل ورسم بعض أشكالها هناك ، فلنذكر هنا الجذور التي لم تنشأ من الجذر الأعلى بل من الساق وهي الجذور العرضية (شكل ١٠) للشايك والفسرة والقمح لأنها عارضة ، ولذلك يستعمل ترقيد النبات لأجل أن يكثر المحصول (شكل ١١) وقد تكون الجذور هوائية (شكل ١٢) في الفيكوس البنغالي

٢٠٨ إن اتجاه الجذر دائما يكون إلى أسفل تجر به (شكل ١٣) بادرة معكوسة ، وتجربة الايص المنكس (شكل ١٥) وههنا بيان (شكل ١٦) للانتشار الغشائي ، وذلك أن أنبوبة مسدودة بمثانة فيها ماء محلول فيه سكر يحيط بها ماء نقي ، فهذه المثانة سمحت للماء الخارج أن يدخلها فيرتفع إلى أعلى وللماء الداخل فيها الذي ذاب فيه السكر أن يتسرب إلى ماحوطها ، وهذه العملية بعينها هي التي تكون في النبات فهو يسمح لما حوله أن يرتفع فيه كما ترتفع في الأنبوبة ولكنه يأخذ ولا يعطي بعكس الأنبوبة والمثانة

٢٠٩ ههنا شكل ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ لانبات ارتفاع العصارة في النبات إلى أعلى ، ومن عجب أن الجذور تذيب المواد الصلبة (شكل ١٨) فقد حلت الرمل ، والجذر يثبت النبات في الأرض بالمنطقة القريبة منها ويتنفس في الأرض وحشها يعين على ذلك ، وموازنة الجذر في إفرازه بما يفعله الانسان في هضم الطعام . الجذور تهدم المنازل بإفراز السوائل ، فأما الثلج فتكسره الجبال يكون بالضغط ، وهذا درس للناس ، فالأمم الضاغطة على الأمم كالثلاج تسخرها تسخيراً مادياً والأمم الراقية تعلمها كما هو شأن الجذور ، والماء كالأمم العاقلة والثلج كغيرها . والشكل الثالث وهو (١٩) لورقات الترمس لأنها تنام ليلاً وتستيقظ نهاراً . وفي (شكل ٢٠) هيئة الانتفاخ المحرك للأوراق فيدفع الماء الورقة للحركة بنزوله فيها وتنقبض إذا قلّ اندفاعه ، وللضوء تأثير في الماء شدة وضعف ، والنباتات المستحسية تهيجها الملامسة فهي كالحيوان ، وهناك حركات ذاتية (شكل ٢١) فيه ورقنا القاعدة تتحركان وتتمان الدورة في مدة من دقيقتين إلى خمس دقائق

٢١١ الورق في زمن الخريف يصفر ، وذلك لأن هناك طبقة من الفلين تدخل قبل سقوط الورقة في قاعدتها فتساعد على عدم وصول العصارة إليها وعلى سقوطها ، وقبل السقوط أيضا يتكون برعم يسكن مدة الشتاء وينمو في الربيع وهذه أوراق متجددة كما في الشمس ، وهناك دائمات الأوراق كالصنوبر واليوكالبتس

٢١٢ بهجة العلم في آية : « والذي نزل من السماء ماء بقدر » وأنه أربعة فصول : أولها ان النبات موزع على الماء وعلى الصخر والبلاد الحارة والباردة الخ وههنا خاطبت الشمس الأرض قائلة : اذهبي إلى مدارك وأنا أرسل زوجك وهو الضوء اليك ، وستلدين ذرية وهم أبناء آدم المطرودين من الجنة ، نفدى المغنسيوم والكبريت والنفوسفور والحديد والسكرور لاصلاح العضلات والدم والمخ واجرار الدم وهضم الطعام . فهذا هو الجهاز أخذته الأرض لتمثيل زوجها . والفصل الثاني في تقسيم النبات على الفصول فأكثر في زمن الربيع والخطة وما عطف عليها في زمن الخريف وهكذا . والفصل الثالث في تقسيمه على حيوان ، فالأزهار للنظر ، والروائح للشم ، وحركته للأذن ، وطعمه للذوق ، ونعومة القطن مثلاً للمس

٢١٥ الفصل الرابع في تقسيمه على منافع الانسان ، فهو فاكهة ودواء ، إما عام كالصنفاذ إذ هو يمنع الحى

إذا غلى أوقيتان منه في رطل ماء وشربا ، وكالـكافور إذ يمنع الأمراض العصبية التي تجعله لا يحس (وهو المعفرت) فيستعمل له التفريح ويسحق الكافور له إبرش على فرشته لينعش القشج وينع الاستمناء باليد ومغلى قشر الباطون ورق الحور أو الزيتون مثل الصنفاء ، ثم إن الجلد والأعصاب والخوف ومرضى الكلية والكبد والنزلة المعوية ينفعها ما يأتي على الترتيب أكل الجزر والخس والبرقال والبقدونس والطماطم والقرفة ، وهكذا الخل والماء لضربة الشمس ، وعصير الليمون للدقريا ، ومسحوق الطباشير مع لبن البقر لمنح اسهال الطفل ، وبزر الخلة لوجع الشقة

٢١٦ بيان أن هذه الأمثلة مقدمات أساسية من أن هذه العوائم حولنا أشبه بالروايات والقصص كقصة مدينة السحاس التي كان فيها صور مصنوعة بالحكمة ، وحولها السيف الذي يقتل من يقرب منها وكقصة فرعون ملك مصر الذي رأى صورة ابنة الحان فهم بها وساح لأجلها في الشرق وعان الموت ثم عثر عليها ونزوحها ، هكذا نذكر هنا أن حمامتين حمراء وبيضاء ارتفعتا فوق الجوّ وهناك عجلات تجري فيه وقرب خرجت من البحر فالتحمت مع العجلات ، وهناك في الأرض تمثيل من الطين . وبسبب الحمامتين وضعت هذه الصور ونطقت ، وهناك نمل كثير وضعت ما يشبه الحصى والرمل وقد ارتفع فوقهما ما يشبه القصور الخضر فيها مخازن ، وهناك صورة جبل همالايا تخرج أصوات من أعضائها وجاء النمل فأخذ من تلك المخازن ووضعه على مواضع الأصوات في تلك الصورة الهائلة فتقطع تلك الأصوات حالا أو بعد حين ، وتفسيره أن الحمامتين هما الحرارة والضوء والعربات الرياح وقرب الماء هي البخار و اجتماعهما يكون السحاب ، والحرارة والضوء بالخاصة على التربة يكون ظهور النبات واليكل عظيم الجثة هو نوع الانسان ، والأصوات دلالات الأمراض الموزعات على الأجسام ، وطوائف النمل هم الأطباء ، وههنا ذكر أن النبات لو اختص بزمان لتعطل الناس ، أو يمكن لتعطل الأرض ، النبات (٢٥٠) ألف نوع موزعات على حاجات الحيوان والانسان عضوا عضوا ، والحرارة والضوء يساعدان المعنسيوم على منع الفتق بدخوله في الخيار ، والكبريت على منع الروماتيزم بدخوله في نحو الفجل ، والجير على شفاء الجروح بدخوله في نحو الكرنب والفسفور وعلى تغذية النخ بدخوله في الخيار والجوز والحديد وعلى احمرار الدم بدخوله في نحو الكرنب ، والسكرورين وعلى هضم الطعام بدخوله في نحو الجزر الخ

٢٢١ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « ومن يش عن ذكر الرحمن الخ » وذكر أن سعادة الجنات الحقيقية محصورة في الوقوف على الحقائق العالية ، وهذه لها مقدمة بذكر ثلاث مسائل حسابية وأخرى هندسية وهي تقسيم العدد بقسمين وتقسيمه بنصفين ثم العددان المجذوران على الولاء ومساواة زوايا المثلث لقائمتين ، وذكر أن مربع الوتر المقابل للزوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين ، وذكر الزاويتين المساويتين لقائمتين

٢٢٢ وعلى مقتضى هذه المسائل الست الجزئية الرياضية يمكننا أن نعرف الحقائق الكلية اليقينية ، إن هذه القواعد تشتمل على مالا نهاية له من الأشكال والأعداد وهي مقولات بالبصائر والذي يحس هو المحدود والألفاظ وما الأعداد والأشكال إلا صور في الذهن ، إن الذي في الذهن لا يتغير وما في الخارج متغير والنفس هي المدركة لتلك الحقائق ، ولتوضيح ذلك نقول :

- (١) الشمس (٢) وشجرة الورد (٣) وصورتها (٤) والعين (٥) والقواعد العلمية (٦) والنفس (٧) والله (٨) وعالم المثال

إن (٧) و (٨) في نظير (١) و (٢) فكما صنع الله شجرة الورد بواسطة الشمس صنع هو نفسه بلا واسطة الكليات العقلية ، وكل هذا عرفته من آية « وجعلنا سراجا وهاجا » وأنا أصلى في السحر ، وههنا موازنة للعقول في استخراج المعقولات بجملة الشمس تستخرج البخار ، وهذه النظرية نعرف بها أكثر أسرار القرآن مثل « أفبارونه على ما يرى » ومثل « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ذلك لأنها من غير عالمنا ، وذكر اللات والعزى ضرب مثل للعالم المادى ، وآية « ومن يش عن ذكر الرحمن الخ » فالرحمن يشير للأمور الثابتة والشیطان للأمور التى لا ثبات لها وقد ظهر ذلك كله بالبرهان

٢٢٥ يقول سقراط : « لا يقدر على معرفة ما لا يتغير إلا الفلاسفة ، وغيرهم تائهون بين الصور ، فهم ليسوا فلاسفة ، والفلاسفة أحمق يحفظ الممالك ، وغيرهم أشبه بالعميان ، إن الفلاسفة يتفرون الحقيقة كالمصور يتفرون الصورة ، ومن أوصاف الفلاسفة أنهم يهيمون بسائر المعارف ليعرفوا حقيقة الوجود الخالد وهم لا يتركون فرعا واحدا من العلم ، ومن صفاتهم الصدق من الصغر إذ لا يجتمع الكذب والفلسفة في عقل واحد ، والفيلسوف يحب اللذة العقلية لا غير ، ويكون عفيفا ، ويترك الصفات الساقطة ، والوصفات الشائنة كالطمع والصغار ، ويكون شجاعا ، ولا يبالي بالموت ، فهو ليس حادثا صرعا ، ولا تكون فيه عجرفة ولا سفالة ولا جبن ، ولا يكون صعب المراس معتديا ، ويكون ذا عقل لطيف عادلا سريع انهم فينبجج في العلم سريعا ، غير حليف للنسيان ، ويكون غرامه بالعلوم كغرام الشاب بمحبوبه فيقول في قصر الأنف انه جذاب ، وفي الأنف الأقفى انه بديع ، وفي المتوسط انه يجعل الوجه واسعا ، وهكذا يمدح أنواع الخمر بأى حال ، وهكذا المولعون بالسماع في جوقات الطرب ، وبالفنون الجميلة ، فهؤلاء كلهم فلاسفة زائفون ، وهم يعيشون في أحلام ، فليسوا أحياء ، وعقولهم نسميها عند التلطف بهم متوسطة

٢٢٨ وهنا أجاب من سمع كلام المؤلف قائلا : « انه فهم بهذا الشرح ما لم يفهمه من كلام أفلاطون »
٢٢٩ اللطيفة الرابعة في آية « ادخلوا الجنة الخ » مع آيات أخرى وبيان الحكمة في اتباع وصف الجنة بأن فيها غرفا بالكلام على انزال الماء من السماء والينابيع ، وفي ذكر الأبل وخلقها والسماء ورفعها بعد السرر والأكواب والمخارق . الرجل بين امرأتين مريض ومشتهة ، وبيان الجلال والقدرة والعلم ، وأن الجلال والعشق في الأرض تمرين ومقدمات لتلك الجلال الأعلى

٢٣٠ ملخص من الأحاديث الواردة في صفة الجنة مثل اللبنة من الفضة والذهب والياقوت واللؤلؤ الخ
٢٣١ كيف نقول الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام فى الجنة ، وبيان أن ذلك سهل لأن المشتري أكبر من أرضنا (١٣٠٠) مرة . وإذا فرضنا انه هو يسير حول كوكب الجوزاء الذى هو أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة لم يكف مائة سنة اسير الفارس تحت تلك الشجرة فكيف بها اذا كانت فى نفس الجوزاء
٢٣٢ بيان أن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، وذكر الأنهار الأربعة فى الجنة ، وأن المرأة فيها لو ظهرت فى الدنيا لأضاءتها ، وساق الشجر من الذهب ، وسوار الرجل يطمس ضوء الشمس ، وأن الانسان لو اشتهى خيلا أو إبلا فى الجنة أعطيها فهو يعطى ما يشاء ، وهنا بيان غناء الخور فى الجنة « نحن الخالدات الخ » وذكر سوق الجنة وأن داخلها يزداد حسنا لأنه يعطى الصورة التى يتمناها

٢٣٣ بيان أن غرفهم ترى كالكواكب فى السماء ، وانما ليست خاصة بالأنبياء ، وهم لا يبولون ولا يتغوطون الخ

ورشحهم المسك ، ومحاصرهم أنواع العود ، وأول زهرة منهم على صورة القمر ، ومن بعدهم كالكوأكب
الدرية سنهم (٣٠ سنة) ولآلى تيجانهم تضيء ما بين المشرق والمغرب ، وهم جرد مرد ، والأرض
تكون خربة يوم القيامة نزلا لأهل الجنة ، وأدنى أهل الجنة منزلة من له (٨٠) ألف خادم ٧٢
زوجة ، والقبة المنصوبة للمؤمن من ثؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ، وأدنى أهل الجنة
منزلة من ينظر إلى ما يملكه مسيرة ألف عام . وأعلى الجميع من ينظر ربه صباحا ومساء ، وهذا يملك مثل
ملك من ملوك الأرض خمس صرات مضروبة في (١٠)

٢٣٤ رؤية الله تعالى ، وبيان أن أهل الجنة يرونه كما يرون القمر ، وأهل الجنة لا يحبون شيئا أكثر من أن
يروا ربهم

٢٣٥ الكلام على العلم المعقول بعد المسموع . وبيان أن السعادة الحقة في العلوم والمعارف ، وأن المؤلف لم
يكن ليخطر بباله زمن الشباب أن الزنبور يصنع الورق ، والخلد يعرف الطقس ، والنحل مهندس ،
والفلق يحكم بالمشاورة ، وعلق الأرض يسدها ويحرثها

٢٣٦ (شكل ٢٢) وهي صورة الخلد في حفرة التي ارتقى فيها على الجند في حفر خنادقها ، وههنا وصف
ذلك النفق بأن له شعوبا تشعب منه ، ثم هو يحفر حجرة مستديرة ، ويجعل حولها نفقين مستديرين
أيضا متصلين بها ، وفي الحجرة ما يشبه السرير ، وبين كل باب من أبواب النفق وما يليه (٣٠) قدما
وطول النفق من (٧) أمتار إلى (١٠) ومن العجب أن بعض الطيور يحفر نفقا في الأرض كالخفاف
يحفر النفق على شاطئ البحر ويضع عشه فيه ، وهناك طائر يضع عشه في حفرة طوطها متران أو أكثر
وهكذا خفاف آخر ، وبعض العناكب تحفر أنفاقا ودهاليز ، ومنها ما ينسج حريري
ويضع الحشائش حوله إضلالا للمارة (شكل ٢٣) نوع من الجنادب في حفرة يقطع جذور الأشجار
من السرطان أنواع إذا قيس من حيث ماتحملة بالإنسان كان حمله يبلغ (٧٣٨) قنطارا ، وقوة
الإنسان لو كانت بحسب قوة البق في الحمل لجل (٢٣٠) عمودا من الخشب بحجم الإنسان

٢٣٨ عجائب العدد وأن (١١١) إذا قسم على (٣٧) كان الخارج (٣) وهكذا الأعداد بعده مثل (٢٢٢)
يكون الخارج مساويا (٦) وهكذا سائر أسماء غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان ، وأن هذا
يوافق تاريخ الأمم الإسلامية لأنها فصل لها الدين فسكان الشورى ، ثم أولعوا بالزخارف فعوقبوا
بالهلاك بأمثال الدخان فجثوا وذلوا ، وهامهم أولاء الآن يريدون التخلص فيكون الفتع ثم الاتحاد ،
٢٤٠ بيان أن الخلافة يجب أن تكون شورى بينهم ، فأما الخلافة السابقة فقد كانت تبع السيف ، وهذه
طريق وعرة فليجتمع أمراء الإسلام ولينتخبوا منهم خليفة إما مدة حياته وإما لمدة معينة ، ولا يجوز
أن يكون هذا ميراثا ، وقد دهش المؤلف إذ وجد أن القبط بمصر لهم رئيس ديني والمسلمون في جميع
الأقطار ليس لهم ذلك ، وذلك لأنهم يختارونه بالانتخاب والمسلمون لم يفعلوا ذلك ، إن الخلافة شرف
لأسلعة تباع وتشترى والحمد لله رب العالمين

مطبوعات جديدة تطلب من مكتبنا

السيرة الخليلية

المسماة

إِسْنَانُ الْعِيُونِ فِي سَيْرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ

لِلْعَلَّامِ عَلِيِّ بْنِ بَرْحَانَ الدِّينِ الْكَلْبِيِّ الشَّافِعِيِّ

(طبعة جديدة منقّحة بتصحيحها بحرف جيل ونظام بديع على ورق جيد واقع في مجلدين كبار)

تقريب الاصول

لتسهيل الوصول

لمعرفة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

شيخ الاسلام ببلد الله الحرام . السيد أحمد زيني دحلان رحمه الله آمين

درة الناصحين

المحتوى على حكم بالغة في الوعظ والارشاد

جمع

العلامة الفاضل . الفهامة الكامل عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوي نفع الله به آمين

فتح المفسر

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

افخر اليمن بلاجدال ، نادرة زمانه ، مفهم أخصامه ، غزير المادّة قوى الحجّة
محبي السنة ، قانع البدعة ، رافع لواء العلم بين الأنام ، العلامة القاضي الحافظ الضابط
المحدث المفسر الشهير .

مجلد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني

صاحب (نيل الأوطار وغيره) المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ رحمه الله تعالى آمين
القائل في خطبته ، وصفا لتفسيره [فهذا التفسير وان كبر حجمه ، فقد كثر
عامه ، وتوفر من التحقيق قسمه ، وأصاب غرض الحقّ سهمه ، واشتمل على
ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد ، مع زوائد فوائد ، وقواعد شوارد ، فان
أحييت أن تعتبر هبة هذا ، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة ، انظر تفاسير
المعتمدين على الرواية ، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ، ثم انظر في هذا
التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك يسفر الصبح لدى عيتين ، ويتبين لك أن هذا
الكتاب ، هو لبّ الباب وعجب العجائب ، وذخيرة الطلاب ، ونهاية مأرب أولى الألباب
جارطيه من النسخة الوحيدة المكتوبة بخط المؤلف ، المحفوظة كالدرّة اليتيمة
في خزانة الدولة اليمنية المحمية ، نحو [القرن من الزمان] ولله الحمد لم تمتد إليها
يد الحدثان .

وقد اعتنى بطبعه على ورق جيد ، بحرف جديد ، مع ضبط القرآن بالشكل
التام ، مصححاً بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف .

يحتوي على ٢٠٠٠ صحيفة تقريبا بقطع النصف مقسم على أربعة مجلدات
وقريبا يظهر بمشيئة الله تعالى بشكل يسر الناظر ، ويهيج الخاطر والله ولي التوفيق .